

الوزراء

أو
تُخَفَّةُ الْأُمَرَاءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ
لِأَبِي الْحَسَنِ الْهَلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّبَّاحِيِّ

تحقيق

عَبْدُ السَّيِّدِ الرَّحْمَنِ فَرَّاج

النَّاشِرُ

مَكْتَبَةُ الْأَعْيَانِ

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
			المقدمة
٣٣٥	وزارة علي بن عيسى الثانية	٣	مقدمة المؤلف
٣٤٤	أخبار علي المنشورة	١٨	ترجمة لعلی بن محمد بن القرات
٣٩٢	نصوص مضافة	٢٨	وزارة ابن القرات الأولى
٣٩٩	تكملة	٣٥	وزارة ابن القرات الثانية
٤٠١	موجز ما كتبه أمدرور	٣٩	وزارة ابن القرات الثالثة
٤٠٥	الفهارس	٤٤	أسماء من قبض عليهم المحسن
٤٠٥	الآيات والأحاديث	٧٢	أخبار ابن القرات منشورة
٤٠٨	القوافي	١٧٢	المخاطبات عن ابن القرات
٤١٢	الأعلام	١٩٩	أحاديث عن أبي العباس أحمد
٤٤٠	البلدان والأماكن		ابن القرات
٤٤٨	المناصب والأعمال والحرف	٢٤٥	مصادرات المحسن ومقدارها
٤٥١	تعريفات لبعض ما يرد من	٢٨٤	ترجمة لمحمد بن عبيد الله
	اصطلاحات		الخاقاني
٤٥٥	أقسام ضائعة من كتاب تحفة	٢٨٨	أخبار الخاقاني المنشورة
	الأمراء	٣٠٥	ترجمة لعلی بن عيسى بن الجراح
٤٥٧	تصويب	٣١٣	خلافة علي بن عيسى لحامد بن
٤٦٠	المراجع		العباس
٤٦١	فهرس بعض الطرائف في الكتاب		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب

كتاب الوزراء للصايب ، ككل الكتب النادرة ، يشتمل على حلقة هامة من التاريخ ، تدعو المؤرخ إلى أن يحرص على مراجعتها .
فيه أسرار تاريخية نادرة ، وحقائق تدعو إلى العظة والاعتبار ، توضح ما كانت عليه الحال في خلافة المقتدر وما سبقها .

طبع الكتاب سنة ١٩٠٤ ميلادية ونفدت طبعته الأولى من السوق منذ زمن طويل ، وقد كانت الطبعة الأولى حافلة بالأخطاء والغموض ، استطعت أن أوضح أغلبها عن طريق المراجع والسياق ، والاستعانة بنسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر ، لا يوجد غيرها في مصر ، ما لم يكن عند أحد الخاصة ولا يعلم به باحث ذوشان .

سيتبين القارئ في هذا الكتاب الأنظمة التي كانت تسير عليها الدولة العباسية ، وأنواع الرق في الدواوين ، والدقة في نظام المراسيم وإثباتها والتوقيع عليها ، وحفظها في ملفات ، وما كان يتبع في أمور الخطابات والمكاتبات الصادرة والواردة .

وسيرى الحقائق التاريخية المريعة القاسية ، والجزاء الإلهي العادل الذي كان يحل بأصحابه على ما قدمت أيديهم ، وكيف كانت تحاك المؤامرات والدسائس ، وكيف كانت النساء والجواري تتدخل في تغيير الحكم وتبديله لمصلحة مادية خاصة أو رغبة في الانتقام ، وما كان ينفق في سبيل الوصول إلى المناصب ، مع ما كان يعقب ذلك من مصادرات وما يحل من ويلات .

(ج)

كل هذا أشبه بالقصص الفنية الرائعة بل كما قيل: الحقيقة أبدع من الخيال . إن الحقائق المروية في هذا الكتاب . والمصائر الحسنة أو السيئة ، تقوّم المعوج ، وتهدى الضالّ ، وتشجع المخلص المستقيم على أن يستمر في سلوكه سواء السبيل .

المؤلف^(١)

هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حَبُون الصابئ الحرّاني مؤلف كتاب الوزراء ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٤٨ هـ .
من أسرة نبغت في العلم والأدب ، والتاريخ ، والطب ، وكانت لها قدم عند الحاكمين .

جدّه الأكبر إبراهيم بن زهرون كان طبيباً مشهوراً ، مات سنة ٣٠٩ هـ « عيون الأنباء » الجزء الأول .

وهلال بن إبراهيم بن زهرون أبو الحسن والد جد المؤلف كان أيضاً طبيباً « إخبار العلماء » وله ذكر في تاريخ ابن العبري ص ٢٩٠ .

وثابت بن إبراهيم بن زهرون أبو الحسن ، وهو عم جد المؤلف كان من أشهر الأطباء ، وتروى عنه النوادر البازعة في فنه ، ولد سنة ٢٨٣ هـ وتوفي سنة ٣٦٥ هـ ، أو سنة ٣٦٩ هـ وروى بعض أخباره هلال بن الحسن ، ووالده الحسن . « انظر عيون الأنباء » الجزء الأول « وإخبار العلماء » .

أما جده أبو إسحاق إبراهيم بن هلال فإنه كان أديباً كاتباً شاعراً ، تقلد ديوان

(١) له ترجمة في ابن خلكان ومعجم الأديباء وترجمة الألبا والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٠ حوادث سنة ٤٤٨ هـ وشذرات الذهب ج ٣ والمتنظم ج ٨ حوادث سنة ٤٤٨ هـ .

الرسائل وله مؤلفات ، ولد سنة ٣١٣ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ وقد عرض عليه عز الدولة
بختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم ، فامتنع ، ومع هذا فقد كان يصوم
شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن أحسن حفظ ، وكان يستعمله في رسائله .
وقد أثنى الشعراء على رسائله حتى قيل :

أصبحتُ مشتاقاً حليف صباية برائل الصابي أبي إسحاق
صوبِ البلاغة والحلاوة والحجى ذوبِ البراعة سلوة العشاق
طوراً كما رقى النسيم وتارة يحكى لنا الأطواق في الأعناق
وكان أبو إسحاق في عفوان شبابه أحسن حالا منه في أيام اكتماله ،
وفي ذلك يقول :

عجبا لحظي إذ أراه مُصالحى عَصَرَ الشابِ وفي المشيب مغاضى
أمن الغواني كان حتى خانتى شيخاً ، وكان على صباى مصاحبى
أمع التضعع ملئى مُتَجَنِّباً ومع الترعع كان غير مجانبى
وأهدى إصطرباً إلى المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة وكتب إليه
بهذه الأبيات :

أَهْدَى إِلَيْكَ بنو الحاجات واختلفوا فى مهرجانٍ عظيم أنت مُبْلِيهِ
لكنَّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى عُلُوَّ قَدْرِكَ لاشئْ بِإِسْمِيهِ
لم يرض بالأرض يُهديها إليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه
ولما مات إبراهيم بن هلال أبو إسحاق رثاه الشريف الرضى بقصيدة تزيد عن
ثمانين بيتاً مطلعها :

أعلمتَ من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبا ضياه النادى

يقول فيها :

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى لكن أراد الله غير مرادى
ولقد كبا طرفُ الرقاد بناظرى أسفا عليك فلا لعا^(١) لرقادى
ثكلتك أرضٌ لم تلد لك ثانياً إني ومثلك معوز الميسلاد
وهى قصيدة رائعة . ولقد عوتب الشريف الرضى فى رثائه له لكونه شريفاً يرثى
ضابطاً ، فقال : إنما رثيت فضله .

ورثاه أيضاً بقصيدة أخرى مطلعها :

لولا يذم الركب عندك موقفى حيتُ قبرك يا أبا إسحاق
كيف اشتياقك إذ نأيت إلى أخٍ قلقِ الضمير إليك بالأشواقِ
والشريف المرتضى رثى أيضاً أبا إسحاق بقصيدة عدد أبياتها خمسة وخمسون ،
وهى فى مجموعة الأستاذ رشيد الصفار الحامى ، ومطلع القصيدة :

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلا وداعى للبنى وفراقى
وأشد ما كان الفراق على الفتى ما كان موصولا بغير تلاقى
ومنها :

إن لم تكن من عنصرى فلا أنت بالآداب من أهلى وبالأخلاقِ
ومودة بين الرجال تضمهم وتلفهم خير من الأعراقِ
ويختمها بقوله :

وإذا مضيت وفيك فضل باهر فبمن نسلت فأنت حى باقى
والحسن والد المؤلف كان أديباً وكان يلقب صاحب الشامة ، ونقل ياقوت عن خطه
فى معجم الأدباء « انظر ترجمة أبى الفرج الأصفهاني على بن الحسين » .
وابن المؤلف غرس النعمة محمد بن هلال له عدة مؤلفات ، ولد سنة ٤١٦ بعد
إسلام أبيه وتوفى سنة ٤٨٠ .

(١) لا لعاله : دعاء عليه بأن لا ينعه الله .

هذا من ناحية آباء المؤلف. أما أخواله فإنهم ذرية ثابت بن قرة الصابئ الطيب العالم الفيلسوف « انظر ترجمته مثلاً في ابن خلكان » وأغلب ذرية ثابت بن قرة أطباء ومؤلفون ، والخطأ يقع من بعض المؤرخين ، فيذكرون أن ثابت بن سنان ابن ثابت بن قرة هو خال هلال بن الحسن ، ذكر ذلك في عيون الأنباء في ترجمة ثابت ، كما ذكره القفطى في كتابه إخبار العلماء ، وابن العبرى في تاريخه ، لكن الحقيقة أن ثابت بن سنان هو خال إبراهيم بن هلال الصابئ جد هلال بن الحسن ابن إبراهيم ، ففي معجم الأدباء في ترجمة ثابت بن سنان يقول ياقوت : « وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ يرثى خاله أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة ... » هذا وعمر إبراهيم بن هلال من ٣١٣-٣٨٤ يتناسب مع كونه ابن أخت ثابت بن سنان المولود في أواخر القرن الثالث ٢٩٥ تقريباً والمتوفى سنة ٣٦٥ أو ٣٦٣ هـ .

هذا وثابت بن سنان له كتاب في التاريخ ، وكتاب في أخبار الشام ومصر . وهاتان الأسرتان كانتا متمسكتين بالديانة الصابئية ، والقصة التي رويت عن سبب إسلام هلال بن الحسن مؤلف كتاب الوزراء يفهم منها أن الحسن والده كان مؤمناً بكم إيمانه . إذ يقال : « إن هلالاً رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يدعوهُ إلى الإسلام ... فلما استيقظ قص قصته على أهله ، فوجموا إلا آباء الحسن فإنه تبسم وقال : ارجع إلى فراشك فالحديث يكون عند الصباح ، وتقدم والده إلى الجماعة بكتان ماجرى ، وقال : يا بني هذا منام صحيح ، وبشرى محمود ، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة ، والانتقال من شريعة إلى شريعة ، يحتاج إلى مقدمة وأهبة ، ولكن اعتقد ما وُصِّيتَ به فإنتى معتقد مثله ، وتصرف في دعائك وصلاتك على أحكامه » .

لهذا كان عجيباً من ابن الجوزى أن يذكر فى كتابه المنتظم أن أباه الحسن كان صابئاً ، مع أنه أورد قصة سبب إسلامه .

هذا وقد أسلم هلال بن الحسن بعد أن تجاوز الأربعين من عمره . وكان أديباً فاضلاً أخذ عن أبى على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى صاحب المؤلفات فى علوم العربية المتوفى سنة ٣٧٧ كما أخذ عن أبى الحسن على بن عيسى الرمانى المولود سنة ٢٩٦ والذى كان من كبار النحويين ومتقناً للغة والفقه وغيرها وتوفى سنة ٣٨٤ ومعنى هذا أن هلالاً تلقى العلم على أشهر العلماء وهو صغير ، مما يدل على مكانة أهله وسمو مركزهم .

وكنية هلال فى أغلب تراجمه هى أبو الحسن ، جاء ذلك مثلاً فى معجم الأدباء وابن خلكان ونزهة الألبا فى ترجمته فى كل منها . وقد ذكر فى النقل عنه فى مواضع أخر أنه أبو الحسين ، انظر مثلاً معجم الأدباء فى ترجمة أحمد بن محمد بن الفضل بن الخراز ، وانظر معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٢ « أنطاكية » وج ٢ ص ٢٧٢ « حسان » لهذا قد تكون له كنيستان أو أن إحدى الكنيتين تحريف من النسخ .

وقد ناب هلال عن جده فى تولى ديوان الإنشاء ، كما تولى الكتابة لفخر الملك محمد بن خلف .

شعره

لم تورد الكتب التى ترجمت لهلال شيئاً من الشعر ، ولم تذكر أنه شاعر لكن فى ديوان الشريف المرتضى ، وهو مجموعة الأستاذ رشيد الصفار الحامى - وقد قدم إلى هذا النص مشكوراً - جاء ما يأتى :

(ح)

« وكتب هلال بن الحسن بن أبي إسحاق الصابي إليه - إلى الشريف المرتضى -
هذه الأبيات :

أسيدنا الشريف علوت عن أن تضاف إليك أوصاف الجلالة
لأنك أوحده والناس دُونَ وَمَنْ يَسْمُو لِمَجْدِكَ أَنْ يَنَالَه ؟
وفت وزدت فضلاً إن فضلاً كفضلك لا تحيط به مقالَه
ولى أمل سادركه وشيكاً بعون الله فيك بلا محالَه
وليس على مواليتي مزيدٌ لأنى لم أرها عن كلالَه »

والواقع أن هذه الأبيات تشبه النثر ، خللوها من الإبداع الفنى ، ولما فيها من
التعليلات الظاهرة . وفروق كبير بينها وبين ما كتب به إليه الشريف المرتضى
يحجبه بقصيدة عدد أبياتها ٢٤ تقتصر منها على ما يأتى :

متى يُبدى الكتيب لنا غزالَه ويُدنى من أناملنا منالَه
وكيف يُنيلنا من ليس نلقى - وقد وعد الندى - إلا مطالَه
أراد زيارتي غلطاً فلما مددتُ لئيلها كفى بدالَه
ولما أن جفا عيني نهارة رضيتُ بأن أرى ليلاً خيالَه
وعفتُ حرامه فأنال عيني وقلبي فى الدُّجى منه حلالَه
يقول فيها :

وإنك من أناس ما رأينا لهم إلا الرياسة والجلالة
علوا قلل الكلام الجزل فينا وحلوا كيف شاءوا جبالَه
وكم رام امرؤ بهم لحوقاً بطرق المأثرات فما استوى له
وما زالوا بيوم ندى سيولا لمفخرة ويوم وعى نصالَه
وكم ماضى البيان رددت منه غيباً لا تبين له مقالَه

وَذِي لَسَنِ رَجَعَتْ بِهِ صَمُوتَا وَذِي جَدَلٍ عَكَسَتْ لَهُ جِدَالَهَ
 فَخَذَهَا الْيَوْمَ قَافِيَةً شُرُودَا تَجُوبُ بِهَا الْبِلَادَ وَلَا ضَلَالَهَ
 فَإِنْ قَصَرْتُ فَقَدْ أَغْنَيْتُكَ مِنْهَا إِشَارَاتٍ لَطْفُنَ عَنِ الْإِطَالَهَ
 فَلَا مِلَلَ لِقَلْبِي مِنْكَ دَهْرًا وَحَاشَا لِلَّهِ قَلْبِي مِنْ مَلَالَهَ

مؤلفاته

- ١ - الوزراء أو أخبار الوزراء أو تحفة الأمراء .
- ٢ - غرر البلاغة في الرسائل ، وهذا الكتاب توجد منه نسخة بدار الكتب . وذكر الأستاذ ميخائيل عواد أن هناك نسخة منه موجودة في خزانة المكتب العلمي الملوكي في بطرسبرج .
- ٣ - رسوم دار الخلافة . وتوجد منه نسخة بدار الكتب مصورة عن نسخة بمكتبة الأزهر . ويقول الأستاذ ميخائيل عواد : إنه فرغ من تحقيقه والتعليق عليه وأعدده للنشر .
- ٤ - كتاب في التاريخ اشتمل على الأحداث التاريخية من سنة ٣٦٠ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ ولا يوجد منه إلا قطعة صغيرة نشرها آمد روز ملحقه بكتابه تحفة الأمراء وهي تشتمل على حوادث سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣ .
- ٥ - كتاب بغداد ، وسماه الصفدي كتاب أخبار بغداد ، نقل عنه ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٥ « الحريم » : وقرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال ابن المحسن الصابي . . .

وفي ج ٢ ص ٥٤٢ « الداهرية » وقال ابن الصابي في كتاب بغداد

وفي ج ٢ ص ٥٦٥ « درتا » وذكر الصابي في كتاب بغداد

وفي ج ٤ ص ١٢٣ « قصر ابن هبيرة » وقال هلال بن المحسن في كتاب بغداد

٦ - الأعيان والأماثل أو الأماثل والأعيان .

ففى ابن خلكان فى ترجمة ابن الفرات على بن محمد : الأعيان والأماثل . وفى
الفهرست سماء « كتاب الأعيان والأماثل » .

وفى ابن خلكان فى ترجمة هلال بن الحسن : رأيت له تصنيفاً جمع فيه
حكايات مستملحة وأخباراً نادرة وسماء كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى
العواطف والإحسان . ومثل ذلك فى شذرات الذهب فى ترجمة هلال حوادث
سنة ٤٤٨ هـ ومعجم الأدباء فى ترجمته . وقد ذهب بعضهم إلى أن كتاب
الأماثل والأعيان هو كتاب الوزراء ، لأن معجم الأدباء وابن خلكان نقلتا
قصة فى الأماثل والأعيان ، توجد فى كتاب الوزراء بنصها . لكن وصف
ابن خلكان لكتاب الأماثل يدل على أنه مجلد واحد ، ومما لا شك فيه
أن الوزراء للصائى كان فى عدة مجلدات ، يدل على ذلك أن ياقوت فى معجم
الأدباء ، فى ترجمة أبى الفرج الأصفهاني على بن الحسين يقول : « حدث
الرئيس أبو الحسن هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصائى فى الكتاب
الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى . . » فكان أخبار بعض الوزراء كانت
من الكثرة بحيث صارت كتباً قائمة بنفسها . والوزراء الذين تناولهم الصائى
لا يكفى فى ذكرهم مجلد واحد ، وهذا واضح من القسم الذى بين أيدينا ،

وهذه كتب أربعة عدّها الصفدى فى الوافى بالوفيات نقلها آمدروز
فى مقدمة طبعة سنة ١٩٠٤ مضافة إلى الكتب الأخرى التى ذكرها وذكرناها .

١ - كتاب رسالة أنشأها عن الملوك والوزراء تقارب رسائل جده أبى إسحاق .

٢ - كتاب مآثر أهله .

٣ - كتاب الكُتَّاب .

٤ - كتاب السياسة .

ثروته وسبب تأليفه التاريخ ولقبه

يذكر ابن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ١٠١ في ترجمة الحسن بن الحسين أبي علي الرخبي الذي كان وزيراً لشرف الدولة والمتوفى سنة ٤٣٠ هـ ما يأتي :

كان فخر الملك قد أودع أقواماً مالا ، ولحن بأسمائهم - أي جعل لها رموزاً - وكنى عن ألقابهم ، فكان فيها : عند الكوسج اللحياني عشرون ألف دينار . وعند بُسْرَةِ بقمعها ثلاثون ألف دينار . فلم يعرف الحسن بن الحسين الرخبي من هذان فدخل عليه رجل كان يتطايب لفخر الملك ويأنس به - وكان يلقبه الكوسج اللحياني لكثافة الشعر في أحد عارضيه وخفته في الآخر ، فدخل على الرخبي متظلماً من جاره ، متقرّباً إليه بخدمة فخر الملك ، فقال : يا مولانا إنه كان يطلعني فخر الملك على أسرارهِ ، ويلقيني بالكوسج اللحياني . فقال الرخبي لأصحابه : لاتفارقوه إلا بعشرين ألف دينار . وتهذّده بالعقوبة ، فحملها بختمها ، ثم تفكر الرخبي في قول فخر الملك : عند بسرة بقمعها . فقال : هو الصابي . فأحضر هلال بن الحسن ، وخاطبه سرّاً . وكان هلال أحد كتاب فخر الملك ، فلم ينكر . فقال له الرخبي : قم أيها الرئيس آمناً ، ولا تظهر هذا الحديث لأحد ، وأنفق المال على نفسك وولدك . ثم حضر ابن الصابي على أبي سعد بن عبد الرحيم في وزارته . فقال له : قد عرفتُ ماذا بينك وبين الرخبي ، وأنت تعلم حاجتي إلى حبة واحدة ، وتأوّل على من لا معاملة بيني وبينه ، ولا يسبقني الرخبي إلى مكرمة ، وما كنت لأنكب مثلك ، والصواب أن تشغل بتاريخ أخبار الناس . فاشتغل ابن الصابي من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذيله على تاريخ [ثابت بن] سنان فاستخدمه الملوك ، فلم يحتج إلى إنفاق شيء من المال ، وخلف ولده أبا الحسن غرس النعمة محمداً وخلف له أملاً كافية على نهر عيسى ، وأنفق مقتصداً في النفقة وعمر الأملاك ، ولم يطلع أحداً من أولاده على ذلك . وظن

أولاده أن تركته تقارب الألف دينار ، فوجدوا له تذكرة تشتمل على دفائن في داره ،
خفروها فكانت اثني عشر ألف دينار ، وكان ما خلفه من القماش وغيره لا يبلغ
خمين ديناراً . وأنفق أولاده التركة في أسرع زمان .

اسم الكتاب ومحتوياته ومنهجه

فوق النسخة التي نشرها آمدروز سمي الكتاب : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .
وهذا العنوان موجود على النسخة الخطية التي في مكتبة الأزهر .

لكننا نجد في النقل عنه أن الكتاب يسمى أخبار الوزراء « معجم الأدباء ج ١
ص ٣٢٨ في ترجمة الوزير المهلبى .

ويسمى كتاب الوزراء في معجم الأدباء ج ١ ص ٣٤٢ و ج ٢ ص ٤٠ و ج ٥ ص ٩
و ص ١٥٦ و ص ٢٢٤ وابن خلكان في ترجمة ابن العميد محمد بن الحسين . ومن
المحتمل أن تسميته تحفة الأمراء صحيحة ، فالسجع كان في عهده ، وهناك كتاب منسوب
للثعالبي اسمه تحفة الوزراء . والثعالبي سابق له (٣٥٠ - ٤٢٩) . على أن اختلاف التسمية
للكتاب الواحد حدث في غيره لأن النسخة الأصلية للمؤلف لم تصل إلى أيدينا ، فلم نعرف
الاسم الذي أطلقه المؤلف على كتابه .

وكتاب أنساب الأشراف للبلاذرى مثلاً سمي شروح الأشراف ، وتاريخ
البلاذرى ، ومفاهيم الأشراف ، والمعالم ، وجمل أنساب الأشراف وأخبارهم ، وكتاب
الأنساب ، وتاريخ الأشراف ، واستقصاء في الأنساب والأخبار ، وكتاب الأخبار
والأنساب .

والوزراء الذين ترجم لهم في هذا الكتاب وقص أخبارهم ، هم : ابن الفرات ، وأبو على
الخفافى وعلى بن عيسى . وفي أثناء ذلك يعرض أخبارا لوزراء آخرين تتصل بالترجم

لهم . وقد عد في مقدمته وزراء أشار إلى أنه سيؤلف عنهم ، ونجده في أثناء كلامه يشير إلى أنه ألف أو يؤلف أخبارا عن وزراء .

ففي ص ٤٤ « عن حامد بن العباس » : ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته في أخباره .

وانظر ص ٣١٣ : قد أوردنا في أخبار حامد عن وزارته ماجرى . . .

وفي ص ٤٥ « عن ابن مقلة » وقد شرحنا حديثه في أخباره .

وفي ص ٦٠ ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني في الوزارة على ما ذكرنا في أخباره .

وفي ص ٣٣٦ وقد ذكرنا حاله فيما نقله من أعمال الشام في وزارة الخصيبي .
والمؤلف كما نرى من مقدمته لا يسير حسب التسلسل التاريخي ، بل يتناول الوزير الأول ثم وزاراته إلى أن يستوفيه ، تاركا ما تخلل عزله ، ويأتي بعد ذلك بأخبار منشورة للوزير ، فيها طرائف ونوادر ، وهي كما قال : مما لم تتضمن التواريخ ذكره « ص ٢٩ » ثم يأتي بعد ذلك بالوزير التالي له ، ويستعرض وزاراته إن تكررت ثم يأتي بأخباره المنشورة .

وهذا المنهج سلكه بعناية كما رسمه في مقدمته إذ يقول :

ونحن نبداً فيما نورد به بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن القرات لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن . ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع . ومجتماً غير منقطع ، ونجري على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم ، إذ كان الغرض سياقة أخبارهم ، ومجاري أمورهم ، إلى غاية مددهم ، وانقضاء أيامهم ، لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

وقد أراد هلال أن يكمل بكتابه ما انتهى إليه الجهشياري في تأليفه للوزراء والكتاب . إذ وقف عند نهاية العباس بن الحسن في مطلع خلافة المقتدر . ولم يبق وزناً لما ألفه الصولي عن الوزراء .

المؤلفون في الموضوع

كان الكتاب في العصور الإسلامية الأولى يحسنون أمور التدبير، ويتقنون فنون السياسة ونظام الدولة. وكان لا يبلغ الواحد منزلة الكاتب إلا بعد أن تكون ثقافته ومداركه في الغاية من الرقي والكمال. ثم صار الخلفاء يختارون من بين هؤلاء الكتاب من يسندون إليه الوزارة.

لهذا ألف داود بن الجراح - كان في منتصف القرن الثالث - كتاباً سماه أخبار الكتاب « الفهرست ١٢٨ » ولعل داود بن الجراح هو أول مؤلف في هذا الموضوع.

وجاء ابنه محمد بن داود بن الجراح - قتل سنة ٢٩٦ - فألف كتاباً اسمه كتاب الوزراء « الفهرست ١٢٨ » وابن خلكان في ترجمة ابن الفرات على بن محمد، وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء.

وجاء ابن عمار الثقفي - كتب في الفهرست خطأ ابن عماد - أبو العباس أحمد ابن عبيد الله بن محمد بن عمار المعروف بحمار العزيز والمتوفى سنة ٣١٤ أو ٣١٩ فألف كتاب الزيادات في أخبار الوزراء « الفهرست ١٤٨ » والتنبية والإشراف عند ذكر خلافة الهادي، ولسان الميزان ترجمته.

وعلى بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق ألف كتاب الوزراء، ذكر فيه وزراء المقتدر وغيرهم، ووصل به كتاب محمد بن داود بن الجراح، وعمله إلى أيام أبي القاسم الكلوزاني « الفهرست ١٢٩ » وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء. وفي التنبية والإشراف عند ذكر خلافة الهادي : وعلى بن الفتح المعروف بالمطوق صنف من أخبارهم إلى سنة ٣٢٠.

وإبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب له كتاب في أخبار الوزراء عارض فيه

(س)

كتاب محمد بن داود بن الجراح في الوزراء « معجم الأدباء » ج ١ / ص ٣٢٤ وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء .

وَألف الجهمياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس كتاباً اسمه الوزراء والكتاب طبع القسم الموجود منه ، وأغلبه مفقود .

وكذلك الصولي أبو بكر محمد بن يحيى ألف كتاباً عن الوزراء ، وتوجد بالكتب نقول عنه .

والصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ ألف كتاباً اسمه أخبار الوزراء « الفهرست ١٣٥ وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء وتحت عنوان كتاب الوزراء .

وَألف أبو حيان التوحيدي علي بن محمد كتاباً اسمه متالب الوزيرين أو ذم الوزيرين . وكان أبو حيان يعيش إلى سنة ٤٠٠ هـ والوزيران هما صاحب إسماعيل بن عباد وأبو الفضل محمد بن العميد « معجم الأدباء ترجمته وابن خلكان ترجمة محمد بن العميد » .

وَألف ابن ما كولا علي بن هبة الله بن جعفر المولود سنة ٤٢٢ والمقتول سنة ٤٨٥ كتاب الوزراء « معجم الأدباء ترجمته وفوات الوفيات ترجمته » .

وابن الماشطة أبو الحسن علي بن الحسن أو علي بن محمد الماشطة كما في كشف الظنون ألف كتاباً عن الوزراء « التنبيه والإشراف عند ذكر خلافة الهادي » وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء . أما في الفهرست ١٣٥ فلم يذكر من مؤلفاته أنه ألف كتاباً في الوزراء .

وَأبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي ألف كتاب الوزراء « ابن خلكان في ترجمة ابن القرات علي بن محمد » وكشف الظنون تحت عنوان كتاب الوزراء . هذا وفي ابن خلكان في ترجمة محمد بن علي بن خلف فخر الملك : « وقال أبو عبد الله أحمد ابن القادسي في أخبار الوزراء » ويغلب على الظن أن القادسي هذا هو أبو عبد الله

(ع)

محمد بن أحمد الفارسي وحدث فيه نقص وتحريف . على أننا نجد في كشف الظنون تحت عنوان « تاريخ » ما يأتي « ثم ذيله ابن القادسي إلى سنة ٦١٦ » فهل القادسي غير الفارسي أو أن الفارسي محرف ...

ولأبي الحسن محمد بن عبد الملك الهمداني المتوفى سنة ٥٢١ كتاب في أخبار الوزراء « كشف الظنون » .

ولعمارة اليميني المتوفى سنة ٥٦٩ كتاب اسمه النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية « طبع في باريس سنة ١٨٩٧ » « وانظر كشف الظنون » .

ونخليل بن الحسن كتاب الوزراء « كشف الظنون » .

ذيله الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ « كشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء وتواريخ الوزراء وكتاب الوزراء » .
وخواند أمير غياث الدين ألف كتابا اسمه تاريخ الوزراء « كشف الظنون تحت عنوان تواريخ الوزراء » .

هذا وللثعالبي كتاب اسمه تحفة الوزراء « موجود بدار الكتب » لكنه ليس بتاريخ لهم ، وإنما هو يشتمل على خمسة أبواب : الباب الأول في أصل الوزارة واشتقاقها ، الباب الثانى في فضائلها ومنافعها ، الباب الثالث في آدابها وحقوقها ولوازمها ، الباب الرابع في أقسامها ورسومها ، الباب الخامس في ذكر كفاتهم ونكت ألقاظهم وعقوبهم ومدائحهم .

ومن العجب أن المؤلف بعد أن تكلم عن الجهشياري والصولى ، وذكر أنهما ألفا في الوزراء يقول في ص ٤ « ولم أر أحداً بعدهما تم ابتداءهما ولا هم به » وقد رأينا أن جماعة ألفوا في الوزراء ، وتمموا بعد الجهشياري والصولى وقبل هلال بن الحسن

(ف)

فلعل هذه الكتب لم تصل إلى المؤلف ؛ ولكن كيف يفوته بعضها؟ مثل مال لصاحب ابن عباد ، الذي ألف هو عنه في الوزراء ، وهل لم يقرأ كتاب الفهرست أو التنبيه والإشراف ؟ وفيهما ذكر لمن ألفوا عن الوزراء .

نسخة الأزهر وتنبيه وتوضيح

والنسخة الخطية الموجودة بمكتبة الأزهر مسطرتها ٢٥ سطراً تحت رقم [٣٧٤] أباطة ٦٦٦٧ تاريخ في ٩٧ ورقة ، لا يعلم ناسخها ولا من أى نسخة نقلت ولا تاريخ نسخها . وكل ما عليها هو تاريخ ، وقف من ورثة سليمان أباطة سنة ١٣١٦ هـ وعلى صفحتها الأولى كتب : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . وبهذه النسخة بعض النقص ، ونقصها بسبب ضياع أوراق منها .

وأول نقص منها يبدأ من قوله : « وجعل عطاء الإفضال أكثر » ص ٧ السطر السابع . إلى قوله « مال فارغة وابتداء عقد خليفة جديد الأمر » ص ١٣ السطر ١٨ .

والنقص الثاني يبدأ من قوله : « أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة وكان عرفهم » ص ١٩ السطر ٥ إلى قوله : « المتوكل على الله وأولادهم رجالاً ونساء » ص ٢٥ السطر ٣ .

والنقص الثالث يبدأ من قوله : « ثم رفع رأسه فقال : سمعت ما كنا فيه ، فقلت نعم وما » ص ١٤٣ السطر ٥ إلى قوله : « قراءة تأمل ، وانظر فيها نظر تصفح » ص ١٤٥ السطر ٢٠ .

والنقص الرابع يبدأ من قوله : « وتوجهت بأجمعها من الحضرة » ص ٢٣١

السطر ١٧ إلى قوله « فعلت ما فعلت صدقت عن باطن الأمر » ص ٢٣٧ السطر ٩ والنقص الخامس يبدأ من قوله :

ووالله ما أدري أرايك تنتفى أم القدر الماضى إذا الخطب أجھضا
ص ٢٩٨ السطر ٣ إلى قوله : « يعنى اللؤلؤى بالحضور فوقع إليه » ص ٣٢٨
السطر ٨ .

فجملۃ النقص تقرب من خمسين صفحة فى كتابنا هذا . ومما لاشك فيه أن نسخة الأزھر نسخت من المخطوط الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس قبل أن ينقل من القاهرة، أو أن مخطوط باريس منسوخ منها ، لأن آمدرورز يذكر أن به نقصاً والصفحة الأولى موجودة .

وقد لاحظت أن الأخطاء، أو الإبهام أو الكلمات غير الواضحة النقط فى مطبوع آمدرورز تتفق كثيراً مع مخطوط الأزھر . والنهاية المفقودة فى مخطوط الجوتا والموجودة فى مخطوط باريس متفقة مع مخطوط الأزھر ، وكذلك العنوان للكتاب . ولم أستفد فى التصحيح من قراءة نسخة الأزھر إلا القليل، أما النصوييات فهى من السياق أو المراجع الأخرى وبخاصة تجارب الأمم ونشوار المحاضرة .

وإذ كانت نسخة الأزھر غير كاملة ، وغير مثبت عليها اسم ناسخ ولا تاريخ النسخ ؛ ولما كانت مشبهة أشد الشبه لما هو موجود من غموض فى المطبوع ، لم أجعلها أصلاً ، بل اعتبرت ما طبعه آمدرورز هو الأصل ، لأنه مقابل على نسختين وإحداهما أكمل من الأخرى وهى نسخة الجوتا .

وإذا وجد باقى الكتاب، فالذى لا شك فيه أنه سيجرم بعد على ابن عيسى لحامد بن العباس ، فأبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانى ، فأبى العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن ، الخصيب فأبى على محمد بن على

(ق)

ابن مقلة . . . وهكذا يتتبع الولاية الأولى لكل وزير فيجعل الترجمة له تالية لمن سبقه بولايته الأولى .

وقد ألفت بالكتاب خلاصة لما كتبه أمدرور في آخر طبعته التي كانت سنة ١٩٠٤ وهو بحق صاحب الفضل الأول في إمتاعنا بهذا الكتاب ، وقد انتفعت بإشاراته وملخصاته .

وللأستاذ ميخائيل عواد فضل كبير فيما جمعه وطبعه من أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء ، وما اهتم به من دراسات ، وما أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد وقد استفدت من ذلك كثيرا ، وأشرت إلى ما جمع في نهاية الكتاب ، لينتفع بذلك الباحثون ، وإن كان لاغنى للاستوعب من مراجعة الكتاب لما استوفاه فيه .

وفي هذا الكتاب ألفاظ يصادفها القارئ ، كانت تجري في تلك العصور العباسية تواضعوا عليها أو عروها عن الفارسية ، وضعت لها في نهاية الكتاب قائمة وتوضيحا لها من مظان تعريفها .

ولا يفوتني أن أنبه القارئ إلى أن يرجع إلى التصويب الملحق بالكتاب قبل الاطلاع ، فلا عصمة للمرء من السهو وزوغان البصر وسبق الفكر ، ولا سلامة كاملة من أخطاء التطبيع بعد التصحيح وهذا كتاب أبي حيان التوحيدي « مثالب الوزيرين » أبي التطبيع إلا أن يجعله مقابل الوزيرين ، فلما صوبته حرفه إلى مثالب . ولا أزعم أني قد بلغت في تحقيق الكتاب غاية ما أتمناه . والفكر في بعض الأحيان يركد فلا يلحظ البديهيات ، ويتمنى المرء بعد ذلك لو أن آلات الطباعة توقفت عن الدوران ، ليدرك ما فات ، وهيئات .

الصابئة

في تفسير الألوسي عند قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ » قال : هم قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائل . ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتأق منها بذواتها ، فزعت جماعة منهم إلى هياكلها ، فصابئة الروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن أحد شيئاً ، فالفرقة الأولى هم عبدة الكواكب ، والثانية هم عبدة الأصنام . وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبادات . والإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة . وقيل : هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ويقرؤون ببعض الأنبياء كيحيى عليه السلام . وقيل : إنهم يقرؤون بالله تعالى ، ويقرءون الزبور ويعبدون الملائكة ، ويصلون إلى الكعبة ، وقيل : إلى مهب الجنوب ، وقد أخذوا من كل دين شيئاً .

أما الزمخشري في الكشف فيقول : إنهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة .

وفي القاموس « الصابئون يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام ، وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار .

ونقل شارح القاموس عن التهذيب أنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون ، قال شيخنا : وفي الروض : أنهم منسوبون إلى صابئ بن لأمك أخى نوح عليه السلام ، وهو اسم علم أعجمي . قال البيضاوى : وقيل : هم عبدة الملائكة . وقيل : عبدة الكواكب ،

(ش)

وقيل : عربى من « صبا » مهموز - إذا خرج من دين ، أو من « صبا » - مُعْتَلًا -
إذا مال ، لميلهم من الحق إلى الباطل .
وقيل غير ذلك .

وفى ابن خلكان ترجمة إبراهيم بن هلال الصابى : وقد اختلفوا فى هذه النسبة ،
فقيل : إنها إلى صابى بن متوشلح بن إدريس ، وكان على الحنفية الأولى ، وقيل :
إلى صابى بن ماري ، وكان فى عصر الخليل عليه السلام . وقيل : الصابى عند العرب
من خرج عن دين قومه ، ولذلك كانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صابئاً لخروجه عن دين قومه .

وفى اللل والنحل : الصابئة قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين أى
الملائكة ، ودعوتهم إلى الاكتساب لا إلى الفطرة التى يدعو إليها الحنفاء .
ومذهبهم أن للعالم صانعاً فاطراً حكماً ، مقدساً عن سمات الحدثان ، والواجب
علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإتباعاً يتقرب إليه بالمتوسطات القربى
لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلاً وحالةً . أما الجوهر فهم
المقدسون عن المواد الجسدية . المبرِّعون عن القوى الجسدانية ، المنزهون عن الحركات
المكانية والتغيرات الزمانية ، قد جنبوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح ،
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وإنما أرشدنا إلى هذا معلنا الأول عاذيمون وهرمس ، فنحن نتقرب إليهم
ونتوكل عليهم ، فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا، وشفعاؤنا عند الله ، وهورب الأرباب ،
وإله الآلهة ، فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب
أخلاقنا عن علائق القوى الشهوية والغضبية ، حتى يحصل مناسبة ما بيننا
وبين الروحانيات ، فنسأل حاجتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم ، ونصبو فى جميع

(ت)

أمورنا إليهم ، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم .

وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياستنا ، وفضايلنا أنفسنا عن درنجات الشهوات استمداداً من جهة الروحانيات ، والاستمداد هو التضرع والابتهاال بالدعوات ، وإقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات ، وتقريب القرابين والذبايح ، وتخفيف البخورات ، وتعزيز العزائم ، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة ، بل يكون حكماً وحكم من يدعى الوحي على وتيرة واحدة .

قالوا : والأنبياء أمثالنا في النوع ، وأشكالنا في الصورة ، يشاركوننا في المادة ، يأكلون مما نأكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا في الصورة ، أناس بشر مثلنا ، فمن أين لنا طاعتهم ؟ وبأى مزية لهم لزم متابعتهم ؟ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون .

وقالوا : الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال ، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال ، يستمدون القوة من الحضرة الإلهية القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية ، فمنها : مدبرات السكواك السبع السيارة في أفلاكها وهي هياكلها ، ولكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح إلى الجسد ، فهو ربه ومدبره ومديره .

وكانو يسمون الهياكل أربابا ، وربما يسمونها آباء ، والعناصر أمهات . ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ، ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر . فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ، ويركب عليها نفوس روحانية ، مثل أنواع النبات وأنواع الحيوان ، ثم قد تكون

(ث)

التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي.
فمع جنس المطر ملك ، ومع كل قطرة ملك ، ومنها مدبرات الآثار العلوية
الظاهرة في الجو ، مما يصعد من الأرض فينزل مثل الأمطار والثلوج والبرد والرياح ؛
وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب ، وما يحدث في الجو من الرعد والبرق
والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الأذنان والهالة والحجرة، وما يحدث في الأرض
من الزلازل والمياه والأبحر إلى غير ذلك .

ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ، ومدبرات الهداية
الشائعة في جميع الكائنات ، حتى لا ترى موجوداً ما خالياً عن قوة وهداية ،
إذا كان قابلاً لها .

قالوا : وأما الحالة ، فأحوال الروحانيات من الرُّوح والريحان والنعمة واللذة
والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الأرباب كيف تخفى ؟

ثم طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتمجيد والتهليل ، وأنسهم بذكر الله
تعالى وطاعته ، فمن قائم ومن راكم ومن ساجد ومن قاعد لا تبدل حالته لما هو فيه
من البهجة واللذة . ومن خاشع بصره لا يرفع ، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن
لا يتحرك ، ومن متحرك لا يسكن ، ومن كروبي في عالم القبض ، ومن روحاني
في عالم البسط : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني
الحض وبين البشرية النبوية .

انظرها في الملل والنحل بتطويل .

(خ)

الوزير

في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٨ الوزير : هو المتحدث للملك في أمر مملكته .
واختلف في اشتقاقه :

ف قيل : مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو المبدأ ومنه قوله تعالى : « كَلَّا لَا وَزَرَ »^(١) . سمي بذلك لأن الرعية يلجئون إليه في حوائجهم .

وقيل : مشتق من الأوزار وهي الأمتعة . ومنه قوله تعالى « وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ »^(٢) . سمي بذلك لأنه متقلد بخزان الملك وأمتعته .

وقيل : مشتق من الوزر بكسر الواو وإسكان الزاي وهو الثقل . ومنه قوله تعالى :
« حتى تضع الحرب أوزارها »^(٣) . سمي بذلك لأنه يتحمل أثقال الملك .

« ومثله ما قاله الثعالبي في كتابه تحفة الوزراء »

وقيل : مشتق من الأزر وهو الظهر ، سمي بذلك لأن الملك يقوى بوزيره كقوة
البدن بالظهر ، وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وأول من لقب
بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح ، وإنما كانوا
قبل ذلك يقولون : كاتب . ثم هو إما وزير تفويض وهو الذي يفوض الإمام إليه
تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده .

وإما وزير تنفيذ وهو الذي يكون وسيطاً بين الإمام والرايا معتمداً على رأى
الإمام وتدييره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة

وفي كتاب تحفة الوزراء للثعالبي : أنه مشتق من الإعانة لأن الوزير يعين الملك
على ما هو بصدد من أعباء السياسة .

(ذ)

وقيل هو فارسي معرب وأصله من « الزور » وهو عندهم اسم للشدة والقوة
فأستعير وعُرب ، والمعنى فيه أنه يشد من صاحب الدولة ويقويه ويُعينه على
ما هو بصدده .

والأظهر أنه : من المساعدة والإعانة .

وروى الثعالبي حديثاً هو : إذا أراد الله بعبد خيراً - أو قال : بالأمر خيراً -
جعل له وزير صدق إن ذكر أعانه ، وإن نسي ذكره . وإذا أراد به غير ذلك جعل
له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه

وأورده برواية أخرى في الصفحة الثالثة : إذا أراد الله بملك خيراً قبض له
وزيراً صالحاً ، إن نسي ذكره وإن نوى خيراً أعانه ، وإن أراد شراً كفه

وفي كتب اللغة : الوزير حَبَّأً الملك - أى جايسه وخاصته - الذى يحمل ثقله
عنه ويعينه برأيه . وفي التنزيل : « وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي »^(١) . قال أبو إسحاق
اشتقاقه في اللغة من الوزر : الجبل الذى يعتصم به لينجى من الهلاك ، وكذلك وزير
الخليفة معناه : الذى يعتمد على رأيه : وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزدرع السلطان
أثقال ما أسند إليه أى يحمل ذلك .

وفي حديث السقيفة « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » .

(ض)

مصادر الكتاب والمقتبسون

أتيحت للصابي في تأليف كتابه أمور جعلته ثقة فيما يروى ، وأول ذلك صفته الرسمية في الدولة التي أظفرتة بالوثائق الرسمية . ففي صفحة ١٥ يقول : « ووجدت عملاً يشتمل على ذكر أحمد بن محمد الطائي وما ضمنه من الأعمال . . . » وفي ص ١٦٦ يقول : « ووجدت ثبتاً بما كان أبو الحسن بن القرات يخاطب به السيدة والأمراء وأولاد الخلفاء والولاة والكبراء . . . » وفي ص ٢٤٥ يقول : « ووقع بيدي ثبت أخرج من ديوان المغرب في أيام الراضي بما أخذه الحسن بن علي بن محمد بن القرات من الخطوط من قبض عليه وصادره في أيام وزارتهم الثالثة . . . » ولا غرابة في أن يتمكن من الاطلاع على الوثائق الرسمية ، فقد اشترك في أرقى المناصب وعمره لم يتجاوز العشرين ، ويدل على ذلك مايقوله في ص ١٧٠ « وعهدى وأنا أوقع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدى في ديوان الإنشاء إلى قضاء الحضرة . . . » ومعلوم أن جده توفي سنة ٣٨٤ وأن هلالا المؤلف ولد سنة ٣٥٩ وصمصام الدولة تولى الملك سنة ٣٧٢ وقتل سنة ٣٨٨ . هـ .

والأمر الثانى الذى وثقه اطلاعه على تاريخ ثابت بن سنان خال جده وقد أرخ ثابت من أواخر القرن الثالث الهجرى إلى سنة ٣٦٠ هجرية ، وهى فترة عاصرها ، أو لقي معاصريها .

والأمر الثالث مارواه أو نقله عن القاضى التنوخى أبى على الحسن مؤلف نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة ، والمستجد من فعلات الأجواد . والتنوخى ولد سنة ٣٢٧ وتوفى سنة ٣٨٤ والأخبار التى رواها شافه أغلب معاصريها .

يضاف إلى هذا أنه اطلع على كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ، وكتاب

(ظ)

الوزراء للصولى . والجهشيارى توفى سنة ٣٣١ والصولى توفى سنة ٣٣٥ ، ومع هذا لم يعجبه الصولى فى تأليفه ، حيث يقول عنه : « لكنه ملاءم بالحشو الزائد ، وكشفه بشعره البارد . . . » انظر صفحة ٤ من هذا الكتاب . وعلى الرغم من تسخيفه للصولى نقل عنه خبرين فى ص ٢٤١ وص ٣٨١ .

وإلى جانب هذا تلقى عن طريق الرواية والسند أخباراً من أناس انصلوا بالدواوين ، وخالطوا الحاكمين ، وتجد ذلك منشأً فى أغلب الكتاب .

أما الناقلون عن كتاب الوزراء للصائبى فآهمهم ياقوت الحموى صاحب معجم الأدباء ومعجم البلدان (ولد سنة ٥٧٤ وتوفى سنة ٦٢٦) وأغلب نصوصه هى من الأقسام الضائعة من الكتاب « انظر ص ٤٥٥ من كتابنا هذا » وفى كتابه معجم البلدان « صريفون » خبر هو فى الوزراء ص ١١ وابن خلكان نقل عنه فى ترجمة أبى الفضل محمد بن العميد . أما فى ترجمته لـ هلال وفى ترجمته لـ على بن الفرات فإنه يذكر كتاب الأعيان والأمائل :

وقد أشار آمدروز إلى أن الصفدى نقل عنه فى كتابه الوافى والوفيات ، كما نيه الأستاذ ميخائيل عواد إلى نصوص منقولة ، وفى خطط المقربرى ، وصبح الأعشى ، وبدائع البدائى ، والنجوم الزاهرة ، والأذكياء لابن الجوزى انظر ص ٤٥٥ .
ونبه الدكتور مصطفى جواد إلى نصوص منقولة ، توجد فى معجم الألقاب وتاريخ ابن التجار .

إن هلال بن المحسن قد أنحفنا بالنوادى فى كتابه الوزراء ، وكان - كما قال فيه مؤلف تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٧٦ - صدوقاً .

عبد الستار أحمد فراج

الوزراء

تُخَفَّهُ الْأَمْرَاءُ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ
لَأَبِي الْحَسَنِ الْهَيْلَالِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعِصَابِيِّ

مَقَرَّةُ الْمَوْفِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد ، فإن أول ما افْتَتَحَ به القولُ فأفلحت مصادره ، وأُعمل به النطقُ فأنجحت ^(١) مقاصده ، وتَوَخَّى به الخَيْرُ فأصابت مواضعه ، وتُرَجَّى فيه الخطُّ فأرجمت بضائعه ، حمدُ الله ذى الحولِ القاهر ، والطَّوْلُ الباهر ، والنعمة السابغة والحجة البالغة ، الذى ابتدأ الصنعة وأحكمها ، وابتدع الحكمة وعلمها ، وخصَّ الإنسان منها بما عَرَفَ به مسالكَ حظِّه ورشده ، ومواقعَ خيره وشرِّه ، فصار معه محجوباً ^(٢) فى أسباب فعله ، ومحجوباً عن البوابِ عذْرُه ، مخيراً فى مجارى سعيه ، ومُخْلِ مع دواعى نفسه .

وصلى الله على من اضْطَفَى من خلقه ، وارتضى لإقامة حقه ، محمد ذى الأصل الشامخ ، والفخر الباذخ ، والقول الناصح ، والعمل الصالح ، الذى هَدَانَا من الضلالة بما أوردَنَا من الدلالة ، وأَنْقَذَنَا من الجهالة بما بَلَّغَنَا من الرسالة ، فقال له رَبُّهُ تبارك وتعالى اسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ ^(٣) .

ولما رأيت المتقدمين من أهل المعرفة قد أشركوا من بعدهم فيما وصلوا إليه من الفائدة بعلوم أدركوها قبلهم ، فحَقَّقُوا بالجمع والتأليف لهم ، وأحاديث سمعوها

(٢) المحجوب : الغلوب بالحجة .

(١) أنجحت : صارت ذات نجاح

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

عَمَّنْ تَقْدِمُهُمْ ، فَخَدَّوْهَا بِالتَّسْطِيرِ وَالتَّصْنِيفِ لِمَنْ لِحَقِّهِمْ ، وَجَدْتُ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ مَا اقْتَفَاهُ الْمُقْتَفُونَ ، وَاقْتَدَاهُ الْمُقْتَدُونَ ، إِذْ لَوْ لَا هَذِهِ الطَّرِيقَةُ لَمَا عُرِفَتْ فَضَائِلُ الْأَخْلَاقِ فَاسْتُخْصِنَتْ ، وَرِذَائِلُ الْأَفْعَالِ فَاسْتُهْجِنَتْ ، وَعَوَائِدُ الْخَيْرِ فَطُلِبَتْ ، وَعَوَاقِبُ الشَّرِّ فَاجْتُنِبَتْ ، وَأَيُّ حَدِيثٍ أَوْقَعَ ، وَذِكْرٍ أَنْفَعَ ، مِنْ الْإِخْبَارِ بِمَجَارِي الْأُمُورِ الَّتِي مَا زَالَ أَرْبَابُ الْمَهْمِ الشَّرِيفَةِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى أَمْثَالِهَا لِيَجْعَلُوهَا لِقَاحًا لآدَابِهِمْ ، وَصَفَاءً لِأَذْهَانِهِمْ ، وَتَذَكُّرَةً لِقُلُوبِهِمْ ، وَرِيَاضَةً لِعُقُولِهِمْ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا وَجْدَانَ أَقْرَبَ ، وَلَا إِدْرَاكَ أَطْيَبَ ، مِنْ أَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ عَفْوً ^(١) مَا كَدَّتْ الْفِطْنُ فِي اسْتِخْرَاجِهِ ، وَبَعَثَتْ الْقِرَاحُ اسْتِنبَاطَهُ ، وَيَعْلَمُ - عَلَى سَلَامَةٍ مِنَ الْخِطَارِ ^(٢) ، وَأَمْنٍ مِنَ الْعِثَارِ - مَا بَانَ الْخَطَأُ وَالصَّوَابُ مِنْ مَجَارِيهِ ، وَاسْتِرْقَابُ الْقَبِيحِ وَالْجَمِيلِ فِي مَطَاوِيهِ ، فَيَهْتَدِي بِذَلِكَ مَهْتَدٌ ، وَيَقْتَدِي مَقْتَدٌ ، وَيَسْتَفِيدُ مُسْتَفِيدٌ ، وَيَسْتَزِيدُ مُسْتَزِيدٌ .

وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ دُوسٍ الْجَهْشِيَارِيُّ ^(٣) جَمَعَ مِنْ أَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ مَا وَقَفَ فِيهِ عِنْدَ أَبِي أَحْمَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ^(٤) ، وَصَنَعَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ ^(٥) فِي مِثْلِ ذَلِكَ كِتَابًا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا كَانَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٦) ، لَكِنَّهُ مَلَأَهُ بِالْحَشْوِ الزَّائِدِ ، وَكَسَفَهُ بِشَعْرِهِ الْبَارِدِ ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا بَعْدَهَا تَمَّ ابْتِدَاءُهَا وَلَا هَمَّ بِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا بُحِثَتْ فِيهِ حُظُوظُ مَنْ قَطَعَ قَبْلَ عَصْرِهِ ، وَوَقَفَا قَبْلَ ذِكْرِهِ ، وَمَا فِي أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْفَضَائِلُ الْمَذْكُورَةُ . وَالْمَنَاقِبُ الْمَأْثُورَةُ ، وَالْأَنَارُ الْمَشْهُودَةُ

(١) النعم من معانيه : خيار الشيء وأطيبه ، والفضل .

(٢) الخطار : المخاطرة .

(٣) توفي سنة ٣٣١ راجع ترجمة له في مقدمة كتابه الوزراء والكتاب تحقيق السقا والاياري .

(٤) قتل سنة ٢٩٦ هـ وزير للسكنى والمقتدر .

(٥) راجع ترجمة له في ابن خلكان توفي سنة ٣٣٥ .

(٦) توفي سنة ٢٩١ هـ وزير للمعتز ثم المكتفي ، له ترجمة في المنتظم ٤٦/٦ .

والأفعال المشهورة : من مثل أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، وأبي الحسن عليّ ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وأبي علي محمد بن علي بن مقلّة^(١) ومن بعدهم من وزراء الدولة العباسية ، ومثل أبي محمد الحسن بن محمد^(٢) المهلبّي ، وأبي الفضل محمد ابن الحسين بن العميد^(٣) ، وأبي القاسم إسماعيل بن عباد^(٤) ، وأبي غالب محمد ابن عليّ بن خلف^(٥) ، ومن قعد مقعدهم بالعراق وفارس والريّ من كُتّاب الأيام الديلميّة ، ومثل السيد الأجل الأوحد العادل أبي منصور بهرام بن مافته^(٦) ، حرس الله مدته ، وواصل سعادته ، الذي تأخر عنهم عصره ، وأبرّ عليهم^(٧) فضله ، وصلى^(٨) بعدهم عهدّه ، وفات جُهدهم عَفْوَه^(٩) . ثم نقول : إنه لو كان التأخر مُقْعِداً عن ذُرْوَةٍ في الخير باسقة ، وغَلْوَةٍ^(١٠) في الفخر سابقة ، ورُتْبَةٍ في الجِدَّة مبلوغة ، وغاية في المجد مرفوعة ، لما جعل الله محمداً صلى الله عليه آخِرَ المرسلين أَوَانًا ، وأذْكَرَهم زمانًا ، وأظهرهم في معجزاته حُجَّةً ، وأعلامهم في جنّاته درجة ، وأجراهم إلى طاعته خُطوة ، وأولاهم بكرامته خُطوة ، ثم نسخ به ما شرعوا ، وفسخ به ما وُضِعوا ، ونقض ما بنّوا ، ودَحَضَ ما قرّروا ، حتى صار دينه المرفوع ، وشرعه المتبوع ، وعَقْدُهُ الشديد ، وبنائوه المشيد ، وقال تبارك اسمه في ذلك : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ

(١) توفي سنة ٣٢٨ راجع ترجمة له في ابن خلكان والتنظيم ٣٠٩/٦ وراجع توليه الوزارات وما نكتب به في حوادث التاريخ من ٣١٦-٣٢٨ .

(٢) توفي سنة ٣٥١-٣٥٢ راجع ترجمة له في معجم الأدباء وابن خلكان .

(٣) توفي سنة ٣٥٩-٣٦٠ راجع ترجمة له في ابن خلكان ومعجم الأدباء .

(٤) توفي سنة ٣٨٥ راجع ترجمة له في معجم الأدباء .

(٥) قتل سنة ٤٠٧ راجع ترجمة له في معجم الأدباء .

(٦) توفي سنة ٤٣٣ انظر ابن الأثير حوادث سنة ٤٣٣ .

(٧) أبر عليهم : غلبهم وفاقهم . (٨) صلى ، معناها هنا : جاء نالها .

(٩) عَفْوَه : فضله ومعروفه . (١٠) غلوة : غاية .

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ^(١) . وإيها يبين مواضع الفضل ، ويقوم معالم العدل ، بالموازنة والقياس . والتطبيق بين الناس والناس ، وإلا فالنوع شامل ، والجنس متشاكل ، والأزمان متقاربة ، والأوقات متناسبة ، وما جعل الله الفضيلة محجوزة عن قوم دون قوم ، محجوبة لأن بابها ممنوع ، ورائدها مدفوع ، وطريق منالها مسدود ، وعقد مرامها مشدود ، بل لأن التَّطَلُّبَ متعب ، والمَسَلَكَ متوَعَّر ، ولذلك قال الأعرابي ^(٢) :

لَا تَحْسِبِ الْجَدَّ تَمَرًا أَنْتَ آكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّيْرَ

ولولا خشونة الممتطى ، وحزونة المرتقى ^(٣) ، وأن ركوب الصعاب أسهل من اكتساب الآداب ، وتكلف المشاق أخف من تهذيب الأخلاق ، لما قلَّ الفاضل وكثر المفضول ، ودقَّ العقل وجلَّ المرسوم . ومع كون الحال في هذه الصورة وتصرفها على هذه الصفة ، فلمقدور بين ذلك ولوج ودخول ، وللتوفيق وقوع وخول ، فكم من رام مجيد أخطأ مرامه ، وراحم مجداً ضلَّ مسعاه ، وبأغ حريص أقعد مبعاه ^(٤) ، ورائد مُشِيح ^(٥) أعجزه منتحاه ^(٦) ، وما تختلف الهمم في اللهب بذاك والصَّابَاة ، وتتفاوت المُنَن ^(٧) في الإدراك والإصابة ، إلا لأن الهمة الشريفة تُحَلِّقُ علواً للضعود ، والمُنة الضعيفة تُسِفُّ دُنُوًا للقصور ، وما زال الفضل زينة رافعة ، والنقص سمةً واضعة . ومن المعلوم السليم من اعتراضات المعترضين ، البعير من مناقصات

(١) التوبة ٣٣

(٢) موفى الحاسنة ١٧٧/٢ والمضنون به على غير أهله ٤٧٢ ونسب لرجل من بني أسد .

(٣) حزونة : غلظ . (٤) أقعد : لم يقدر على النهوض .

(٥) لمشيح هنا : الجاد والخذل . (٦) منتحاه : مقصده .

(٧) المن جمع منة : القوى .

المنافضين ، أن الله تعالى خلق الحيوانات كلها على اختلاف الفطر والأوضاع ، وتباين الصور والأنواع ، خلقاً واحداً في الأشخاص والأشباح ، والأفئدة والأرواح ، ثم خصَّ الإنسان من بينها بالعقل الذي أرشده به إلى معرفته ، وما أَرادَه له من عبادته ، وأوجب له من الطاعة وشكرِ المنَّة مزيداً حاضراً ، وثواباً منتظراً ، وأوجب عليه عن المخالفة وكفر النعمة انتقاماً عاجلاً ، وعذاباً آجلاً : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) . وجعل عطاء الإفضال أكثر ، وعطاء العقل أقل ، لأن مادة الإفضال غزيرة ، ومادة العقل عزيزة .

وقد اختلف في كيفية العقل . فقال قوم : نور من الله مُقتبس ، وقال آخرون : خلق مُستخلص ، واستشهدوا بالحدث الذي ترويه العامة « من أن الله تعالى قال للعقل وقد خلقه : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ . وَأَدْرُ ، فَأَدْبَرَ . فلما فعل ذاك قال : وَعَزَّزِي وجلالي وعظمتي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطي » ، وقال أهل الكلام : هو معارف يجمعها الله تعالى في قلب عبده إذا أخذه بالتكليف يُحَسِّنُ له بها الحسن ويقبِّح القبيح . وإنما سمي عقلاً لأنه يَعْقِلُ عن القبيح ، أى يحبس كعقال الناقة الذي يمنعها أن تسرح . وليس تكليف العقلاء كتكليف الجاهلاء ، ولا آلة الفريقين في الأفعال متوازية ، ولا مؤاخذتهما بالأعمال متساوية ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٢) ، ولو أُوخذ الجاهلون كما يؤاخذ العالمون لكان ذلك جوراً في القضاء ، وحيقاً في الجزاء ، لأن الله تعالى كلَّف كل نفس بحسب قوتها ، وأخذها بما جعله في قدرتها . ولو أن أحداً

غَطَّ غَلَطًا جاهلاً بحكمه ، وأخطأ خطأ خارجاً عن علمه ، لما تعيَّن عليه حُكْمٌ ، ولا تعلق به حَدٌّ . وعلى ذاك ، فمتى كان علم الإنسان أكثر من عقله كان حَتفه في علمه ، أو عقله أكثر من علمه أمكنه به جَبْرٌ عجزه وإتمام نقصه ؛ وما دَبَّرَ العقلُ شيئاً إلا أقام أودَه وعدل مينده ^(١) ، ولا دخل الجهل أمراً إلا حلَّ نظامه وأحال التثامه .

فقد ثبت أن الفضل فرَعُ أصله العقل . ثم تدعو الحاجة مع وجود هذا الأصل إلى بَانَ يُعْطَى أساسه ، ويسقى غراسه ، من أدب يُقتبس ، وعلم يُكتسب ، ورياضة تُصلح ، وتوفيق يُلحق ، فإذا التقى من ذينك فرع وأصل ، واقترن أدب وعقل ، اجتمع بهما قوَى العقل ، ولمع بينهما نور الحزم ، وأمكن رافع البناء أن يرتقى ذِروته ، وغارس الغرس أن يحتفى ثمرته . وقد أعطى الله مولانا من العقل البارِع ، والفضل الرائع ، بالشاهد الشائع ، والدليل الناصع ، من أخلاق الرِّئاسة المجتمعة فيه ، ومجاري السياسة السائرة عنه ، ما جعل النعمة مقسمة بين خاصٍّ له بحقِّ الافراد بها ، وعامٍّ لمن سواه بحكم الاشتراك فيها ، لا جرم أنها تصغرُ على الذِّكر ، وتكبرُ على الفكر ، وتقلُّ على الإخبار ، وتجلُّ مع الاختبار ، وتدعو في تصرف الأحوال إلى الشكر ما بَلَّ ريقُ فمها ، وعلت ساق قدما . فإنه - أدام الله تمكينه - جدَّد معالم من الخير دارسة ، وأعاد معاهد من الكرم طامسة ، وردَّ رسوما من العدل دائرة ، وأنهض أقداما من الأمل عائرة ، وأرانا على العيان والوجدان ما عدمناه على مرِّ الأيام والأزمان ، فقد تعلق به - أطال الله بقاءه - أهلُ القول بالتناسخ إذ حلَّ فيه كلُّ روح زكية ، ونفسٍ كريمة ، وخليقة طاهرة ، وفضيلة ظاهرة ،

وَجُمِعَ بِهِ مَا كَانَ مَتَفَرِّقًا فِي الْأَشْخَاصِ الْمُنْقُودَةِ ، مِنْ مَنَاقِبِ مَذْكُورَةٍ ، وَمَحَاسِنِ مَأْثُورَةٍ ، وَمَسَاحِ مَشْكُورَةٍ ، وَمَعَالٍ مَشْهُورَةٍ :

هَنِيئًا لَكَ الْفَخْرُ الَّذِي قَدْ مَلَكَتَهُ وَمَا لَكَ فِيهِ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
فَأَنْتَ بِمَا اسْتَأْنَفْتَ أَفْضَلَ كَاسِبٍ وَأَنْتَ بِمَا قَدَّمْتَ أَكْرَمَ وَارِثٍ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَهُ غُرَّةً لِلدَّهْرِ لَا تُحْتَفَى فِي جَبِينِهِ ، وَلُمْعَةً ^(١) قَائِمَةً بِتَزْيِينِهِ ،
وَجُنَّةً وَاقِيَةً مِنْ صَرْفِهِ ^(٢) ، وَعَصْمَةً مَانِعَةً مِنْ قَصْدِهِ ، حَتَّى دَعَاهُ الدَّاعُونَ دُونَهُ
فَأَجَابَهُمْ وَلَبَّاهُمْ ، وَاسْتَجَارَهُ الْمُسْتَجِيرُونَ مِنْهُ فَأَجَارَهُمْ وَأَوَّاهُمْ ، وَعَرَّضَ لَهُ الْمُعَرِّضُونَ
فَرَقْدَهُمْ ^(٣) وَأَغْنَاهُمْ ، وَلَوَّحَ لَهُ الْمُلَوِّحُونَ فَأَعْطَاهُمْ وَأَوْفَاهُمْ ، فَطَنَةً ثَاقِبَةً فِي الْمَكَارِمِ ،
وَصَرِيْمَةً ^(٤) مَاضِيَةً فِي الْعَرَائِمِ ، وَإِلْفًا لَاسْتِمَالِ الْجَلِيلِ صَارَ عَادَةً ثَابِتَةً ، وَاسْتِمْرَارًا
عَلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ عَادَ طَبِيعَةً ثَانِيَةً ، وَبَيَّاهُ أَسْأَلَ أَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْهِ ظِلًّا مِنَ الْحِرَاسَةِ
شَامِلًا ، وَيُسَوِّغَهُ فَضْلًا مِنَ السَّعَادَةِ كَامِلًا ، وَيَتَوَلَّدَ فِي كُلِّ مَا أَعْطَاهُ وَأَوْلَاهُ ، بِدَوَامٍ
لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ ، وَتَرَامٍ لَا يَقِفُ أَمْدُهُ ، بِمَجُودِهِ وَمَجْدِهِ .

وَمَا كَانَتْ الْعُلُومُ تُجَلَّبُ إِلَى أَسْوَاقِهَا بِحَسَبِ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ نَفَاقِهَا ، وَتُعْرَضُ
عَلَى خُطَّابِهَا بِقَدْرِ مَا يُلَوِّحُ فِيهِمْ مِنْ قَبُولِهَا . وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي شَرَعْنَا فِي
تَأْلِيفِهِ وَعَمَلْنَا عَلَى تَصْنِيفِهِ ، مُحْتَاجًا إِلَى كُفَيْهِ كَرِيمٍ يُزَفُّ إِلَيْهِ زِفَافُ الْعُرُوسِ ،
وَيُخَلِّدُ ذِكْرَهُ فِي بَطُونِ الطُّرُوسِ ، أَدَّانَا فَضْلُ الْإِرْتِيَادِ ، وَفَرَطُ الْاجْتِهَادِ ،
إِلَى الْخِصْرَةِ الْعَالِيَةِ الْكَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ ، الرَّاغِبَةِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، فَهَدَيْنَاهُ ^(٥)

(١) اللعة من الجسد : بريق لونه .

(٢) الجنة : ما وقى من السلاح . والصرف : النوايب .

(٣) وفدهم : أعطاهم .

(٤) الصرمة : العزيمة .

(٥) هديناه : زفناه .

إليها ، ورجونا نفاقةً عليها ، ومن الله تعالى نستمد التوفيق والتسديد ، وحسن المعونة والتأييد .

ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن عليّ بن محمد بن القرات ، لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن ، ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع ، ومجتمعاً غير مُتقطع ، ونجرب على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولايتهم ، إذ كان الغرضُ سِياقة أخبارهم ومجاري أمورهم إلى غاية مُدّهم وانقضاء أيامهم ، لا ترتيب خُلَفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

على بن محمد بن موسى بن الفرات

أبو الحسن على بن محمد بن موسى بن الفرات ، مولده في يوم الثلاثاء لخمس
ليال خون من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والطالع ^(١) القوس ياء ،
والزهرة فيه ياء ، والقمر في الدلو خ بن ، وسهم السعادة فيه ، كدلب ، وزحل
راجع في السرطان ب لح ، والذنب فيه يزمو ، والشمس في العقرب كه لح ، والمشتري
فيه وكا ، وعطارد فيه ح مو ، والمريخ فيه يح يه .

وبنو الفرات من قرية تدعى بابلي صريفيين ، من النهروان الأعلى ، وكان لهم بها

(١) يقسم الفلكيون القديمي وأصحاب الطالع الأبراج إلى اثني عشر برجاً والكواكب إلى سبعة
فالكواكب هي : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . أما الأبراج فهي :
الأسد والثور والجدى والجوزاء والحمل والحوث والدلو والسرطان والسنبلة والعقرب والقوس
والميزان . ثم يرمزون إلى الدرجات والدقائق بحروف تعادل أرقاماً . والقسم الأول منها يعادل
الدرجات ، والقسم الثاني يعادل الدقائق . ولهم من وراء ذلك حساب يزعمون أنهم يعرفون به
المحظوظ والأحداث . ونجد في هذا الكلام عشرة رموز توضيحها كما يأتي على التوالي ١١ درجة
٦ دقائق ، ١١-٦ ، ٨-٥٢ ، ٢٤-٣٢ ، ٢-٣٨ ، ١٧-٤٦ ، ٢٥-٣٨ ، ٦-٢١ ،
٨-٤٦ ، ١٨-١٥ . هذا وحروف الهجاء في حساب الجمل مرتبة هكذا اب ج د هـ و ز ح ط ي
ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ث خ ذ ض ظ غ : تتوالى الآحاد والعشرات فالثلاث على هذا
الترتيب ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-٢٠-٣٠-٤٠-٥٠-
٦٠-٧٠-٨٠-٩٠-١٠٠-٢٠٠-٣٠٠-٤٠٠-٥٠٠-٦٠٠-٧٠٠-
٨٠٠-٩٠٠-١٠٠٠ فالألف تقابل الواحد والياء تقابل العشرة والكاف تقابل العشرين
والقاف تقابل المائة والراء تقابل المائتين . والفين تقابل الألف ، وهذا وبعض الفلكيين الحديثين
يسمون برج السنبلة برج العذراء . ويسمون برج الجوزاء برج التوأمن . و زمن البروج في السنة الشمسية
في النظام الحديث كما يأتي : برج الجدي ١٢/٢٣ - ١/٢٠ . برج الدلو ١/٢١ - ١٩-٢ .
برج الحوت ٢/٢٠ - ٣/٢١ . برج الحمل ٣/٢٢ - ٤/٢٠ . برج الثور ٤/٢١ - ٥/٢١ .
برج الجوزاء أو التوأمن ٥/٢٢ - ٦-٢١ . برج السرطان ٦/٢٢ - ٧/٢٣ . برج الأسد
٧/٢٤ - ٨/٢٣ . برج السنبلة أو العذراء ٨/٢٤ - ٩-٢٣ . برج الميزان ٩/٢٤ - ١٠/٢٣ .
برج العقرب ١٠/٢٤ - ١١/٢٢ . برج القوس ١١/٢٢ - ١٢/٢٢ .

أقارب يزيدون على ثلاثمائة نفس . وأول من ساد منهم أبو العباس أحمد بن محمد ابن موسى بن الفرات ، وكان حسن الكتابة ، ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال ، متقدماً على أهل زمانه في هذه الأحوال . فحدث محمد بن أحمد بن أبي الأصبع قال : ورد على من أبي العباس بن بسطام كتاباً بالترجمة احتجت إلى عرضه على أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ^(١) ، وهو إذ ذاك وزير المعتضد بالله رحمة الله عليه ، فحضرت مجلسه ، وفيه أبو أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد بن حفص ، وعرضت عليه ما كان ورد ، وأمرني في جوابه بما رسم لي كتبه في مجلسه . فاستدعيت دواقي وجلست وراء مسنده وتشاغل بمسألة أبي أحمد وابن حفص عن أمور الأعمال والعمال والأموال ، فما فيهما من أجابه بما شفاه ، فطلب أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات وهو محبوس يومئذ مع أبي العباس أحمد أخيه ، وقد لحقتهما مكاره ، وعلق أبو العباس بحبال في يديه بقيت آثارها فيهما مدة حياته ، وصودر على مائة وعشرين ألف دينار صح منها ستون ، فجيء به من محبسه يرصف في قيوده ، وعليه جبة دنية وشعره طويل ، فلما مثل بين يديه قال : الله الله أيها الوزير . وجعل يشكو ما أصابه وأصاب أبا العباس أخاه من المكاره . وفرائضه ترعد ، فسكنه عبيد الله بن سليمان وقرّبه ، وأجلسه وخاطبه بما أزال به روعه وخوفه . ثم خاطبه في المسألة عن أمر الأعمال والعمال ، فانبسط أبو الحسن انبساط رجل جالس في الصدر ، وأخذ يقول : « ناحية كذا مبتلغ مالها كذا ، وقد حمل منه كذا وبقى كذا وعاملها مستقيم الطريقة ، وناحية كذا على صورة كذا ، وعاملها غير مضطلع بها وينبغي أن يستبدل به فيها . وناحية كذا على حال كذا ، وعاملها ضعيف وينبغي أن يشد بمشارك أو مشارف ^(٢) » .

(١) توفي سنة ٢٨٨ انظر الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٨٨ .

(٢) المشارف : من يطلع على الأمور من علو أو قرب .

حتى أتى على أمور الدنيا . قال ابن أبي الأصبع : فاطَّلعت فرأيت وجه عبيد الله يتَهَلَّلُ ، ثم قال له : اعتزل واعمل لنا عملاً يشتمل على جميع ما ذكرته لى مخاطبة . واعتزل معه أبو عيسى محمد بن سعيد الدينارى وأملى عليه ذلك وأحضره الثَّبَتَ به ^(١) . ثم سأله فى أمره وأمر أبى العباس أخيه ، وذكر له عظيمَ ما حَلَّ بهما ونيل منهما ، فتقدَّم بفكِّ قيودهما والتوسعةَ عليهما ، ووعدَه بمسألة المعتضد بالله فى بابهما والتلطُّف فى استخلاصهما ، وصرفَه إلى موضعه . وقال لأبى أحمد بن يزيداد وجعفر بن محمد ابن حفص : قوما إلى دواوينكما . والتفت إلى من كان بين يديه وقال : أرايتم مثل ابن القرات ومثل كُتَّابى الذين صرفوه ؟ ! والله لأخاطبنَّ الخليفة فى العفو عن أبى الحسن وأبى العباس وأستعيننَّ بهما ، فإنه لا عوض للسلطان عنهما .

ومضت أيام وخاطب فى معناهما واستوهبهما واستعملهما .

وحدث أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب قال : لما تَوَلَّى أبو القاسم عبيد الله ابن سليمان وزارة المعتضد بالله رحمة الله عليه - والدنيا مُنْغَلَقَةٌ ^(٢) بالخوارج ، والأطاع مستحكمة من جميع الجوانب ، والمواذُ قاصرة ، والأموال معدومة ، وقد استخرج إسماعيل بن بُلبُل خراج السَّوادِ لسنتين فى سنة ، وليس فى الخزائن موجودٌ من مالٍ ولا صِياغة - احتاج فى كل يوم إلى ما لا بدُّ منه من النفقات إلى سبعة آلاف دينار ، وتعذَّر عليه قيامُ وجهها ، وقال لى يوما وهو فى مجلسه من دار المعتضد بالله : يا أبا الفضل قد وردنا على دنيا خرابٍ مُسْتَغْلَقَةٍ ، وبيوت مالٍ فارغة ، وابتداء عَقْدٍ لخليفةٍ جديدٍ الأمرِ ، وبيننا وبين الافتتاح مُدَّةٌ ، ولا بدُّ لى فى كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضرة على غاية الاقتصار والتجزئة ،

(١) الثبت : الحجة والبرهان .

(٢) منغلقة ، يكنى بها عن عسرها .

فإن كنت تعرف وجهاً تُعينني به فأحب أن ترشدني إليه - وكنت أعرف منها وجوهاً بالنصف - فقلت وأنا أحب تخلص بنى الفرات : إن أردت أن أحصل لك ذلك وزيادةً فأطلق ابني الفرات واستعملهما . قال : فنهض ودخل على المعتض بالله وعرفه الصورة وقال : أنا بعيدُ العهد بالعمل ، وابنا الفرات قد خبرا الأعمال ووجوه الأموال ، وعندهما من علمٍ ذاك ما يُحتاج إليهما فيه . فقال له المعتض : وكيف تصلح لنا ريتاهما وقد استفسدناهما وأسأنا إليهما وضادرتاهما ؟ فقال له : إذا أردت أن تصطنعهما وتستصلحيهما صلحاً ونصحاً . فقال له المعتض : ربما اجتمعا عليك وأفسدا بيني وبينك ، والأمر في حبسهما وإطلاقهما إليك . فخرج وعرفني ما جرى ، وأحضر أبا العباس وأدناه وقال له : قد استوهبتك وعملت على اصطناعك والاستعانة بك ، فكيف تكون ؟ قال : أبذلُ وسعى في كل ما قضى حَقَّك وخففَ عنك .

وخرج إليه عبيدُ الله بما هو فيه ، وقصَّ عليه أمره فيما يعانيه ، فقال له : يتقدَّم الوزير بإحضار أحمد بن محمد الطائي وعليَّ بن محمد أخِي - يعني أبا الحسن - وتُفردني وإياهما . ففعل عبيد الله ذلك ، واعتزل أبو العباس وأبو الحسن وخطبا الطائي على أن يُصنَّاه أعمال الكوفة والقصر وباروئهما الأعلى والأسفل وما يجري مع ذلك ، وقرَّرا معه الضمان على أن يحمل من ماله في كلِّ يوم سبعة آلاف دينارٍ ، وفي كلِّ شهر ستة آلاف دينارٍ ، وأخذوا خطَّهُ بالترام الضمان وتصحيح المال على ما تقرَّر من أوقاته ، واستقبلا به في المياومة يومئها ، وفي المشاهرة غدَّها ، وجاءا إلى عبيد الله فسألا إليه الخطَّ . فلما وقف عليه استظير سرورا ، ودخل إلى المعتض وعرفه ما جرى ، فقال له : قد كنت يا عبيد الله أعلم مني بهما ، وما يجب إضاعة مثلهما .

ووجدت عملاً يشتمل على ذِكْرِ أحمد بن محمد الطائى وما ضَمِنَهُ من الأعمال ،
وشرطه على نفسه من حَلِّ مال الضمان مُياومةً إلى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوه
خَرْج المياومة ، وكانت نُسخته :

أصلُ ضمان أحمد بن محمد الطائى فى أول أيام المعتضد بالله - رحمه الله عليه -
أعمال سقى الفرات ودجلة وجوخي وواسط وكسكر وطسايسج نهر بوق والديبين
وكلواذى ونهر بين والراذائين وطريق خراسان مما شرط عليه أداؤه مُياوماً فى بيت
المال من العَين .

ألفى ^(١) ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار .

قسط كل شهر من ذلك - مائتى ألف وعشرة آلاف دينار .

وكل يوم سبعة آلاف دينار .

تفصيل وجوه خَرْج المياومة مما شرط فيه ما قرَّره المعتضد بالله - رحمه الله

عليه - منه :

أرزاق ^(٢) أصحاب النوبة من الرِّجالة ومن برسمهم من البوابين ومن يجرى
تجراهم - من جُملة ثلاثين ألف دينار فى الشهر - ألف دينار . من ذلك البيضان
من الجنائين والبصريين وأصحاب المصافِّ يباب العامة ، ومن على أبواب القواد
المُفْلِحيَّة والديلمة والطَّبْرِية والمغاربة - ويُفْتَتَحُ الإعطاء فى مجلسهم بنحو مائة رجل
من البوابين - سبعمائة دينار .

(١) مجرور على أنه بدل من الضمير فى أداؤه ، وهكذا كل ما يأتى فهو بدل منه حتى يتفق ذلك
مع كل ما أتى فى الأصل بالجُرْأى أداء ألفى ألف وأداء قسط كل شهر من ذلك أداء مائتى ألف .
(٢) نصب على أنه بدل من الضمير الذى فى عمل نصب فى قرره ، أى قرر أرزاق أصحاب
النوبة . . . ألف دينار .

السودان - وأكثرت ممالك الناصر رحمه الله من رعاوة ونوبة ابتيعوا من مصر ومكة . ومنهم الزنج العجم المستأمنون من عسكر الخارجى بالبصرة ممن كان صبر معه وألقى نفسه عليه عند قتله ، وهم عُثْمُ ^(١) قُحَّ يَأْكُلُونَ لحوم الناس والبهائم الميتة ، وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا ، وكانوا منفردين لا يختلطون بالبيضان . ومن رَسْمِهِمْ أن ينوبوا فى مصافِّ باب الخاصة وحوالى القصر ، ولهم وظيفة خُبَزٍ يميزون بها لقلة رزقهم - فى اليوم ثلاثمائة دينار .

أرزاق الغلمان الذين اعتقهم الناصر رحمه الله - ويعرفون بالغلمان الخاصة ، وقد كانت أضافهم فى الجريد ^(٢) إلى الأحرار الذين أيام شهرهم خمسون يوما ليكونوا مختلطين بالقواد والموالى ، فلا يُقدِّرون أنهم مُفَصَّلُونَ عليهم فى زيادة رزقٍ أو نقصان مدة ، وكانت أيام شهرهم فى القديم أربعين يوما فأساءوا الأدب فى بعض الأوقات فى مطالبة كانت منهم ، فخلف أن يجعل أيام شهرهم خمسين يوما ، وفعل وجرى الأمر على ذاك . فلما قام المعتض بالله نقلهم إلى جملة الأحرار وجعل أيام شهرهم ستين يوما ، وفيهم حاجبه وخلفاء الحجاب وعدتهم خمسة وعشرون رجلا ، خمسة ملازمون وعشرون نوبتيون ^(٣) . فإذا وقع سفر قريب أو بعيد أمر جميعهم بالملازمة الدائمة فى المضرب ^(٤) والموكب ، وكان لهم دواب فى الإصطبل فأسقطت علوقها من مال الطمَع ^(٥) من جملة ستين ألف دينار فى الشهر - ألف دينار ^(٦) .

(١) القم جمع أغم وهو من فيه عجمة ولا يفصح فى كلامه .

(٢) الجريد جمع جريدة وهى هنا الصحيفة التى يكتب عليها

(٣) نسبة إلى النوبة بمعنى أنهم يتناوبون . والنسبة غير قياسية

(٤) يراد بالمضرب هنا موضع الإقامة (٥) الطمع من معانيه رزق الجند

(٦) يلاحظ أن شهرهم مدته ستون يوما فى كل يوم ألف فهو ستون ألفا والمراد بشهرهم هو المدة التى يعطون فيها مرتبهم .

فأما ممالك المعتضد بالله فإنه رتب أمرهم على المقام في القصر والحجر تحت مراعاة الخدم الأستاذين ، وسماهم الحجرية ومنعهم من الخروج والركوب إلا مع خلفاء الأستاذين .

أرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين الذين كانت أيام شهرهم خمسين فجعلت تسعين ^(١) - ونسبوا عند ذلك إلى التسعينية . وكان المعتضد بالله عرض جمهور الجند في الميدان الصغير الذي فيه دار الأزعج ^(٢) والأربعيني والمقاصير والسجون ، وجلس لذاك في مجالس وخورنقات ^(٣) على ظهور المجالس والأروقة التي تلى بركة السباع ، ويُرْتَقَى إليها من درجة في حجرة كانت هناك للوضوء ، ولم يكن يدخل الدار الحسينية يومئذ إلا الخدم برسم الخدمة ، وعبيد الله بن سليمان وبدر وراشد ومن رُسمه أن يفلق أبواب البستان في الصحن الحسنى ، ويقف القواد والغلمان بين يديه في الميدان ، ويجلس ككتاب العطاء أسفل بحيث لا يراهم ، ويتقدم القائد ومعه جريدة بأسماء أصحابه وأرزاقهم فيأخذها خادم منه ويصعد بها إلى المعتضد بالله ، ويدعو عبيد الله بن سليمان بواحد واحد ممن فيها ، فيدخل الميدان ويمتحن على البرجاص ^(٤) ، فإن كان يرمى رمياً جيداً . وهو متمكن من نفسه ، ومستقر في سرجه ومصيب أو مقارب في رميه ، علم على اسمه ج وهي علامة الجيد ، ومن كان دون ذلك علم على اسمه ط وهي علامة المتوسط ، ومن كان متخلفاً لا يُحسن أن يركب فرسه أو يرمى هدفه علم على اسمه د وهي علامة الدون . ثم يُحمل بعد

(١) تكة الكلام . تأتي وهي : قسط كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسة دنانير .

(٢) الأزعج : البيت بيني طولاً ، ولعله يريد بذلك أن هذا الميدان به بيت مستطيل .

(٣) الخورنق من معانيه : المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب .

(٤) البرجاص . ضرب من أنواع القروسية يكون على ظهور الخيل .

العرض والامتحان إلى كتاب الجيش ليتأملوا حيلته، ويقابلوا بها ما عندهم من صفة،
لئلا يكون دخيلاً أو بديلاً، فإذا تكامل عرض أصحاب القائد دفعت جريدته التي
فيها العلامات بخط المعتضد بالله إلى عبيد الله بن سليمان ليدفعها من وقتها إلى الكاتب،
ويميز ما فيها من أرباب العلامات، ويُفرد لكل صنف منهم جريدة، وإذا
عمل الكاتب من ذلك ما يعمل، قابل عليه بنفسه لئلا يسم على عبيد الله مغالطة فيه
ثم أخذ الجرائد الميقاتية المجردات وسلم إلى عبيد الله ذات العلامات، وكل هذا
من غير أن يعلم القائد وأصحابه بما يجري منه، ثم يخرج كل جريدة إلى مجلس
قد أفرِد لذلك الصنف، وجعل شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوماً، وسماه
عسكراً الخاصة. وضم المتوسطين إلى بدر ليكونوا في شحنة^(١) طريق خراسان
والأنبار وزاذان ودقوقا وخانيجار، ودعاهم عسكراً الخدمة، وجعل أيام شهرهم مائةً
وعشرين يوماً، وأمر عبيد الله بن سليمان بأن يرسم الطبقة الدون بالخروج إلى أعمال
الخراج للاستحثاث على تحمل الأموال بعد أن يُسقط منهم الرضاة^(٢) والأثبات^(٣)
المساكين للرعية، وأن يُسبب^(٤) أموالهم على النواحي في دفعتين من السنة، ويوفر
عليهم مرافق المسقطين ومنافعهم ومكاسبهم، ويحمل منهم من يكون مع أصحاب
المعاون^(٥) ببغداد وواسط والكوفة، وأمضى من أرزاق التسعينية المختارين ما كان
لهم في أيام الناصر، وأسقط ثمن قضي^(٦) دوابهم وعلوقهم، وهو للدابة في كل خمسة

(١) الشحنة : من أقامهم الملك بضبط المكان

(٢) الرضاة جم راض وهو من يذل الخيل ويعلمها السير

(٣) الأثبات : الوثوق بهم

(٤) سبب الأمر كان سبباً له وفي الأصل بأموالهم . ويراد أن يجعل أرزاقهم مفروضة على الجهات
التي يذهبون إليها بحيث تكون على دفعتين في السنة

(٥) أصحاب معاون هم المرتبون لتقويم أمور العامة أو من يساعدون القضاء والحكام

(٦) القضي يراد به الشعر .

وثلاثين يوماً أربعة دنانير ، والبلغل ثلاثة دنانير ونصف ، وللحمار برسم الرّجالة ديناران ، وأسقط من ثمن جريّاتهم ووظائفهم نصف ورّبع دينار في كل شهر ، فبلغ مال من أمضى من هؤلاء التسعين مائة وخمسة وثلاثين ألف دينار في كلّ طَمَعٍ - قِسطُ كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسة دنانير .

أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة ، وكان عَرَفَهم بالشّهامة والشجاعة من المالك الناصرية^(١) والبُعائية والمسروورية والبكجورية واليانسية والمفلحية والأزكوتكينية والكيغليّة والكنداجيّة واستخلصهم لمواكبه وملازمة داره ، والدخول أوقات جلوسه ، والمقام من أول النهار إلى آخره ، ورسم رشيqa القارئ لمراعاة أمورهم وتَجَرُّ حوائجهم واستخدامهم ، وجعل أيام شهرهم سبعين يوماً من جملة مال طَمَعِهِمْ ، وهو اثنان وأربعون ألف دينار ، بقسط كل يوم ستائة دينار .

أرزاق الفرسان المثبتين في أيامه ، والمميزين ممن ضمّ إلى بدرٍ من عسكر الخدمة على ماتقدم من ذكره ، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً بحسب ما كان أوجبه ابن أبي دُلف وصاحب أذربيجان للجلّيين ، ومال طَمَعِهِمْ ستون ألف دينار ولكل يوم خمسمائة دينار .

أرزاق سبعة عشر صنفًا من المرسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة والقراء وأصحاب الأخبار والمؤدّنين والمنجّمين والنجّامين والفراقين^(٢) والأنصار والحرس والمكوس^(٣) ، والشيعية والسند وأصحاب الأعلام والبوقين^(٤) والمُحرّفين والمُضحكين والطبّالين ممن كان برسم النوبة ، فنقل إلى المشاهرة التي أيام

(١) كل هؤلاء منسوبون إلى أشخاص من المالك الكبار السابقين

(٢) الفراقيون الذين يسعون بالرسائل (٣) الكلمة غير واضحة النقط

(٤) نسبة إلى البوق أى من ينفخون في الأبواق .

كل شهر منها ثلاثون يوماً من جملة ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار بقسط كل يوم مائة وعشرة دنانير .

المرتقة برسم الشرطة بمدينة السلام ، والخلفاء عليهم ، وأصحاب الأرباع والمصالح ، والأعوان والسجاني وأصحاب الطوف والمصريين ^(١) ، ومن في جلتهم من الفرسان الذين ميّزوا وألحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين ، ومن هذه سبيله من الرجال الموكّلين بأبواب المدينة ، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً من جملة ستة آلاف دينار في المشاهرة ، خمسين ديناراً .

أثمان أنزال ^(٢) الغلمان المالك السنيية المقدم ذكرهم مما كان يطلق للخدم الأستاذين [الذين] كانوا عليهم ، والقواد المضموم بعضهم إليهم لقيم كل متقدّم الخبز واللحم لمن في ناحيته ، ويؤكّل عليه من يستجيد الإقامة لهم ويطلب بإدراجها عليهم ، من جملة تسعة آلاف دينار في الشهر ، ثلاثمائة دينار .

نفقات المطابخ الخاصة والعامة والمحابر وأنزال الحرم والحشم ومحابر السودان ، من جملة عشرة آلاف دينار في الشهر ، ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثاً ، من ذلك الخاصة ثمانين ديناراً ، العامة والأنزل مائتين وثلاثة وخمسين ديناراً وثلاثاً .

ثمن وظائف شراب الخاصة والعامة وآلاته ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوامج الوضوء والحمام ، ونفقات خزائن السلاح وما يرّم من الجواشن ^(٣) والدروع ويتخذ من الشّاب والأعلام والمطارد ^(٤) ، ونفقات خزانة السروج

(١) في الأصل الماصرين هذا والماصر . الحازرين الشّيبين ولعله يريد بهم من يقضون المشاجرات .

(٢) الأنزال جمع نزل وهو ما ميّ للضيف من طعام .

(٣) الجواشن جمع جوشن : زرد يلبس على الصدر

(٤) المطارد جمع مطرد وهو الرمح القصير .

وما يُحدّد منها ويُصلّح ، ونفقات خزائن الفرش وثمن الخيش والربح^(١) والحصر والستائر والسرادقات وأجور الجالين والأعوان للسريّر وغير ذلك على ما ثبت من تفصيله في ديوان النفقات ، ويتولى إنفاق جميعه النفقون المرتقون من جملة ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، ليوم مائة دينار .

أرزاق السقائين بالقرب في القصر والخزائن والمطابخ والخازن والدور والحجر ، والخدم ، [في] داخل وفي الرحاب ، ولوضوء الخاص ، ومن يعمل بالزّوايا^(٢) على البغال من الاصطبلات للحرم والبوابين في دار العامّة من جملة مائة وعشرين ديناراً في الشهر ، ليوم أربعة دنائير .

أرزاق الخاصة ومن يجرى مجراهم من الغلمان والماليك دون الأكابر الأحرار ، ومن أضيف إليهم من الحشم القدماء الذين أقرّوا في دار رجاء ، وأمر مؤنس الخادم بالآلا يُستخدّموا في خدم الدار لثلاث يدلو^(٣) على الغلمان المتعلقين بالناصر رحمه الله بقديم حرمتهم ، ولأنه لا معرفة لهم برسوم الخلافة ، وأجروا في المشاهرة على خمسة وأربعين يوماً على ما قرره الناصر عنايةً بهم ورعاية لهم ، ولما ابتاع المعتضد بالله الأتراك العجم ورثتهم في الحجر لم يُلحِقهم بهم ، بل جعل أيام شهرهم خمسين يوماً ، ورسم للأصاغر خمسة دنائير وللأكابر عشرة دنائير ، وزادهم بعد سنتين دينارين فسموا الاثنى عشرية . فلما تقلّد المكتفي بالله وأشفق من أن يميلوا إلى بدّري ، وكان إذ ذاك بفارس ، ألحق من كان له سبعة دنائير بالاثنى عشرية ، وقرّر مال الأكابر على ستة عشر ديناراً وجرى الأمر على ذلك إلى آخر أيامه ، فلما تقرد الوزراء

(١) في الأصل الرخ، هذا والريخ واحد الربخ وهو القنب الضخم ، وبرى أميد روز : أنه الدج .

(٢) الروايا جمع الراوية ومن معانيها : الزادة نسون من ثلاثة جلود يحمل فيها الماء .

(٣) ثلاثا يدلو أي ثلاثا بظهور الدلال ويجترثوا عليهم .

بالتدبير صار قسط كل يوم من مال الخدم مائة وسبعة وستين ديناراً .

أرزاق الحشم الذين شهرهم خمسون يوماً من المستخدمين في شراب العامة وخزائن الكسوة ، والصُّنَّاع من الصاغة والخياطين والقصَّارين ^(١) والأساكفة والحدادين والرفائين والفرائين والمطرِّزين والتجَّادين والورَّاقين والعطارين والمشهرِّين ^(٢) والتجارين والحراطين والأسفاطين ^(٣) وغيرهم ، ومن في خزانة السلاح من الحُرَّان والصُّنَّاع وفي خزانة الشُّروج من مثل ذلك - ولكلِّ خزانة وطائفة صَكٌّ مُفْرَدٌ يكتب من الديوان - من جملة ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، ليوم مائة دينار .

أرزاق الحرِّم صانعيَّ الله من جملة ثلاثة آلاف دينار ، ليوم مائة دينار .

ثمن عُلُوفَةِ السُّكْرَاعِ ^(٤) في الإصطبلات الخمسة وهي : إصطبل الخاص ويشتمل على الخيل والحجورة ^(٥) والشَّهَارَى والبراذين وبغال السروج والقباب والهوارج والفردات والحخير . وإصطبل العامة وفيه دواب الخدم والغلمان والتفاريق والبازيارين . وإصطبل الدواب والحليَّات وما يرد من المروج من المِهَارَةِ الحُرِّمة ويتناع ويهدى ، وفيه يُرْتَبَط ما يحتاج إلى العلاج والمراعاة ، وما يرد من الأسفار وفيه عَقْرٌ وَعَمَزٌ . وإصطبل لبغال الأثقال وتحمّل العُلُوفَات . وإصطبل بقصر الطين في السَّنَاسِيَةِ لِمَبَارِكِ الإبل والجمَّازات ^(٦) - وكان المعتضد بالله يعرض ما في هذه

(١) القصارون هم محورو الثياب ومبيضوها .

(٢) أهلها معرفة أيضاً عن المجمرين أي المبخرين بالطيب أو أهلها تسكون المبخرين .

(٣) نسبة إلى جمع السِّفَط وهو ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .

(٤) السُّكْرَاع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحخير .

(٥) الحجورة : جمع حجر وهي الأنثى من الخيل . والشهاري نوع من البراذين .

(٦) الجمَّاز هو السريع الجري ويوصف به الجمَّار .

الإصطبلات في كل شهر - إلا ما كان من الخاص فإنه جعله قريبا منه ومشدودا في الأواخي^(١) بين يديه - وفي الميدان والريضة والكُدُّ مُتَّصِلًا عليه ، ومتى أَحَدُ قيام من يَقْلُدُه شيئا من ذلك زاده في رزقه ، ومن أَطْلَعَ منه على تقصيرٍ أو إضاعة صرفه واستبدل به . ثم جمع النظر في هذه الإصطبلات للنوشجاني لكفايته وثقته - وأتمَّانَ كسوة الدواب وآلاتها وأدويتها وعلاجاتها وأجور الساسة والمُكَارِيَّة والراضة والبيطرة والوكلاء وغيرهم ، من جملة اثني عشر ألف دينار في الشهر ، ليومٍ أربعمائة دينار .

ما يصرف في ثمن الكُراع والإبل وما يبتاع من الخيل الموصوفة في أحياء العرب ويستبدل به إذا عَطِبَ في العمل من جملة ألفي دينار في الشهر ، ليومٍ ستة وستين دينارا وثلاثي دينار .

أرزاقَ المطبخيين في كل شهر أيامه خمسون يوما من جملة ألف وخمسمائة دينار في الشهر ، ليوم ثلاثين دينارا .

أرزاقَ الفراشين والمجلسيين وخُرَّانَ الفرش وخزان الشمع وأجرة الأعوان والمحالين فيها ، في كل شهر أيامه خمسون يوما ، من جملة ألف وخمسمائة دينار ، ثلاثين دينارا .

ثمن الشمع والزيت من جملة مائتي دينار في الشهر ، ليوم ستة دنانير وثلاثي دينار .

أرزاقَ أصحاب الرُّكَّاب^(٢) والجناثب والسروج ومن يخدم في دوابِّ البريد من جملة مائة وخمسين دينارا في الشهر ، ليوم خمسة دنانير .

(١) الأواخي جمع أخية وهو جبل يدفن في الأرض مثنيا فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .

(٢) الركاب هي الإبل .

أرزاقَ الجلّساء وأكابر المُلّهين ومن كان يجرى تجّراهم في الجلوس إذا حضر ،
مثل أبي العلاء القاسم بن زَرْزَر وَوَزَاد وأبي عيسى ، وأيام شهرهم خمسة وأربعون
يوماً أسوةً بالخدم ، من جملة ألفي دينار ، ليوم أربعة وأربعين دينارا وثلاثاً .

أرزاق جماعة من رؤساء المتطبّبين وتلاميذتهم الملازمين ، مع ثلاثين ديناراً
للمن الأدوية في خِزانة تكون في القصر ، من جملة سبعمائة دينار ، ليوم ثلاثة
وعشرين دينارا وثلاثاً .

أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين ^(١) والفهّادين والكلاّيين والصقّارين
والصيادين ، وثمان الطّم والعلاج للجوارح وأصحاب الحراب والسبّاعين وأصحاب
الشباك واللبايد والفحّالين ومن معهم من الأعوان والحمالين وأصحاب المرور وغيرهم ،
في كل شهر أيامه خمسة وثلاثون يوماً من جملة ألفين وخمسمائة دينار في الشهر ،
ومع القسط من خمسين دينارا لتجديد آلاتها ، سبعين دينارا .

أرزاق الملاحين في الطيّارات ^(٢) والشذاءات والشميريات والحراقات
والزّلاّلات وزواريق المعابر ، من جملة خمسمائة دينار في كل شهر ، ستة عشر ديناراً
وثلثي دينار .

ثمان النّفط والمُشاقّة ^(٣) للنّفاطات ^(٤) والمشاعل ، وأجرة الرجال في خدمتها ، من
جملة مائة وعشرين ديناراً ، أربعة دنانير .

الصدقة التي تُحضر في كل يوم عند صلاة الصبح في خِزّية سوداء ، على
ما كان الناصر رحمه الله رَسَمه . وأمر المعتضد بالله ، رحمه الله ، بعده بتفرقة على من

(١) هم حملة البزاة . (٢) هي وما بعدها أنواع من السفن

(٣) المشاقّة : القطعة من القطن ونحوه

(٤) النفاطة بتشديد الفاء وتخفيفها : نوع من السرج يستضاء به .

في قصر الرضاة من الحرم المحتاجات من قيمة مائتي درهمٍ مُحدَّداً ، في كل يوم خمسة عشر ديناراً .

جاري أولاد المتوكل على الله وأولادهم رجالاً ونساء من جملة ألف دينار في الشهر ، ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلث دينار .

جاري ولد الواثق والمهتدي بالله والمستعين وسائر أولاد الخلفاء ، ومن في قصر أم حبيب ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلث دينار .

جاري ولد الناصر رحمه الله عبد الواحد وأخواته من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلث دينار .

أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء في المساجد الجامعة بمدينة السلام خاصة من جملة ستمائة دينار في الشهر ، عشرين ديناراً .

جاري جمهور بني هاشم من العباسيين والطلبين مما كان الناصر رحمه الله قرَّره لهم من ذلك ، وأوجبه لكل من أولادهم ذكورهم وإناثهم حساباً لكل واحد في كل شهر ديناراً ، وأمر بإطلاقه من ارتفاع^(١) ضيعته المعروفة بنهر الموفق ، واقتصر المعتض بالله - رحمه الله - بهم منه على ربع دينار في كل شهر ، وكانت عدَّتْهم بالحضرة أربعة آلاف نفس ، من جملة ألف دينار في كل شهر ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثاً .

أرزاق عبيد الله بن سليمان مع خمسمائة دينار للقاسم ابنه برسم العرض بالحضرة وكتابة بدر على الجيش من جملة ألف وخمسمائة دينار مشاهرة ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثاً وقبض ذلك سنتين إلى أن عمَّرت ضيعته المردودة عليه ثم وفَّره

(١) يراد بالارتفاع الإبراد والضريبة .

وحمل من فاضل ارتفاع الضيعة مائتي ألف دينار في كل سنة .

أرزاق أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والخزّان والبوابين والمديرين والأعوان وسائر من في الدواوين ؛ وثمان الصحف والقراطيس والكاغد - سوى كتاب دواوين الإعطاء وخلفائهم على مجالس التفرقة وأصحابهم وأعوانهم وخزّان بيت المال ، فإنهم يأخذون أرزاقهم بما يوفرونه من أموال الساقطين وغرم المخّلين بدوابهم ، من جملة أربعة آلاف دينار وسبعائة في الشهر ، مائة وستة وخمسين ديناراً وثلثين .

جاری إسحاق بن إبراهيم القاضي وخليفته يوسف بن يعقوب والد أبي عمر وأولادها عشرة نفر من الفقهاء ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ليوم سنة عشر ديناراً وثلثي دينار .

جاری المؤذنين في المسجدين الجامعين والمكبرين والقوام والأئمة والبوابين وثمان الزيت للمصاييح والخضر والبواري^(١) والماء والخلوق^(٢) ، وثمان الستائر في الصيف والحجاب^(٣) والخزف والعمارة في شهر رمضان من جملة مائة دينار في كل شهر ، ثلاثة دنانير وثلثاً .

نفقات السجون وثمان أوقات المحبسين ومائهم وسائر مؤنهم في جملة ألف دينار وخمسمائة دينار في الشهر ، خمسين ديناراً .

نفقات الجسّرين وثمان ما يبدل من سفنهما والقُلوس^(٤) وأرزاق الجسّارين من جملة ثلثمائة دينار في الشهر ، عشرة دنانير .

نفقات البحارستان الصاعدي - ولم يكن يومئذ غيره - وأرزاق المتطبّين

(١) البواري تعبه الحضر

(٢) الخلق ما يطيب به

(٣) الحجاب جمع حجب وهو الجرة الكبيرة

(٤) القلوس جمع قلس وهو حبل للسفينة ضخم

وَالثَّانِيْن ^(١) وَالْكَحَّالِيْن وَمَنْ يَخْدُم الْمَغْلُوْبِيْنَ عَلَى عَقُولِهِم وَالْبَوَابِيْنَ وَالخَبَازِيْنَ وَغَيْرِهِمْ وَأَتْمَانُ الطَّعَامِ وَالْأَشْرَبَةِ مِنْ جَمَلَةِ أَرْبَعَاةٍ وَخَمْسِيْنَ دِينَاراً فِي الشَّهْرِ ، خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَاراً .

فَتِلْكَ النِّفَقَةُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى مَا يُبَيِّنُ مِنْ وَجُوْهِهَا سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

وَأَجْرَى الْأَمْرَ عَلَى هَذَا سَنَتَيْنِ . ثُمَّ أَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَبَدْرًا بِالْأَيْمُنِ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَوْلِيَاءِ الدَّارَ فِي يَوْمِي الْجُمُعَةِ وَالثَّلَاثَاءِ لِحَاجَةِ النَّاسِ فِي وَسْطِ الْأُسْبُوعِ إِلَى الرَّاحَةِ وَالنَّظَرِ فِي أُمُورِهِمُ وَالتَّشَاغُلِ بِمَا يَخْصِمُهُمْ ، وَلَأنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ صَلَاةٍ وَكَانَ يُحِبُّهُ لِأنَّ مُؤَدَّبَهُ كَانَ يَصْرِفُهُ فِيهِ عَنْ مَكْتَبِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِلْمَظَالِمِ الْعَامَةِ ، وَإِلَى بَدْرٍ أَنْ يَجْلِسَ لِلْمَظَالِمِ الْخَاصَةِ ، وَمَنْعَ مِنْ أَنْ يُفْتَحَ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ دِيْوَانٌ أَوْ يُخْرَجَ شَيْءٌ إِلَى مَجْلِسِ التَّفَرُّقَةِ عَلَى الْجَيْشِ خَاصَّةً ، فَوَفَّرَ مِنْ مَالِهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَسَبْعَاةَ دِينَارٍ وَسَبْعِيْنَ دِينَاراً ، مِنْهَا : مَالُ النُّوبَةِ أَلْفٌ دِينَارٍ ، الْمَالِيكَ أَلْفٌ دِينَارٍ ، التَّسْعِيْنِيَّةُ أَلْفٌ وَخَمْسَاةَ دِينَارٍ ، الْمُخْتَارِيْنَ سِتْمَاةَ دِينَارٍ ، الْجُلَيْيْنَ خَمْسَاةَ دِينَارٍ ، أَصْنَافُ خَدَمِ الدَّارِ مِائَةً وَعِشْرِيْنَ دِينَاراً ، شَحْنَةُ الشَّرْطَةِ خَمْسِيْنَ دِينَاراً ، يَكُونُ ذَلِكَ لثَمَانِيَّةِ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَمَانِيَّةٍ وَثَلَاثِيْنَ أَلْفًا وَمِائَةً وَسَتِيْنَ دِينَاراً ، وَلِسَنَةِ أَرْبَعَاةٍ وَسَبْعَةٍ وَخَمْسِيْنَ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَتِسْعَاةَ وَعِشْرِيْنَ دِينَاراً .

وَرَسَمَ أَنْ يُحْمَلَ هَذَا الْمُؤَقَّرُ إِلَى مُؤَنَسِ الْخَادِمِ لِيَجْعَلَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَةِ لِيُصْرَفَ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمَوْسَمِ وَمَنْ يَخْرُجُ فِي الْغُرُزَاتِ الصَّائِفَةِ وَنَفَقَاتِ الْأَبْنِيَةِ وَالْمَرْمَاتِ وَالْحَوَادِثِ وَالْمِلَمَّاتِ وَالرِّسَالِ الْوَارِدِيْنَ وَالْفِدَاءِ .

(١) مَنْ يَقُومُونَ عَلَى مُؤَنَسِهِمْ .

[وزارة أبي الحسن الأولى]

وكان أبو الحسن بن الفرات يَدْعِي أبا العباس أخاه وينوب عنه إلى أن توفي أبو العباس فتقلد الأعمال رياسة . وولى الوزارة ثلاث دفعات في أيام المقتدر بالله ، فالأولى^(١) منها بعد قتل العباس بن الحسن وزوال فتنة عبد الله بن المعتز .

قال أبو الحسن ثايب بن سنان فيما أرّخه من الأخبار .

لما زالت فتنة عبد الله بن المعتز قلد المقتدر بالله مؤسسا الخادم الشرطة بالحضرة مكان ابن عمرويه ، وأنفذه إلى أبي الحسن على بن محمد بن الفرات بخاتمه ليحضره ويقلده وزارته ، وكان أبو الحسن مُسْتَتِراً عند بعض التجّار من جيران داره بسوق العطش ، فظهر لمؤنس وركب معه إلى دار السلطان ، ووصل إلى المقتدر بالله - رحمه الله عليه - في يوم الأحد لعشر بَقِيْن من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، فخطبه بما سَكَنَ منه وأعلمه تعويله في تدبير الأمور عليه ، وخلع عليه من غدٍ خلع الوزارة ، وركب في موكبه أبو القاسم غريب الخال والحجّاب والأمرأ والقواد والعلمان وسائر الناس حتى صار إلى داره بسوق العطش ، ونظر في الأمور ورَتَّبَ مؤسسا في المعونة ، وأمر جماعة من القواد يطوف البلد لِيَبْلَاوا الإيقاع بأهل الدّعارة ومن يَرَوْنَهُ متعرّضا لنهب دارٍ وأخذ مال ، لأن أصاغر الجند والعوام قد كانوا قصدوا دار العباس بن الحسن ودورا اتصلت بها ونهبوها .

وانتقل أبو الحسن بن الفرات من بعد ذلك إلى ما أقطعه المقتدر بالله إياه من دار سليمان بن وهب بباب المُحَرَّم على دجلة ، وما يجاورها من دار إبراهيم بن سليمان ،

والإصطبل الذي كان للسلطان ، والدور التي كانت في يد داية المكتفي بالله ، ومساحة ذلك مائة ألف وثلاثة وسبعون ألفاً وثلثمائة وستة وأربعون ذراعاً ، وغير ذلك وجده وأنشأ المجالس الجليلة والأبنية الحسنة وعمل للدار مُسْنَةً^(١) مشرفة على دجلة ، وأقطعه المقتدر بالله أيضاً الضياع التي كان المكتفي بالله أقطعها العباس بن الحسن وارتفاعها خمسون ألف دينار ، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر ، وللمحسن والحسين والفضل أولاده ألفاً وخمسمائة دينار أثلاثاً بينهم . وسلم إليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بذر اللاني ، وقرّر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى ، وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما . ثم تكفل بتخليصهما وإبعادهما عن الحضرة وقال للمقتدر : إنهما لم يدخلا في أمر عبدالله بن المعتز ولا حضرا داره وقت البيعة إلا عن ضرورة ، وأخرج محمد بن عبدون إلى الأهواز ، وعلي بن عيسى إلى واسط بعد أن أعطى سوسناً الحاجب خمسة آلاف دينار كفّه بها عن ذكرك علي بن عيسى والإغراء به ، وكتب إلى وكيله بواسطة بخدمته وإقامة ما يحتاج إليه لنفقته ، وأنفذ معه حافظاً من جهته ، ومع محمد بن عبدون خادماً من خدام المقتدر بالله ، ووافقه على منعه من مكاتبه أحد أوقراء كتابه . وجرت أمور أبي الحسن ، والأمور في نظره^(٢) ما ليس غرضنا استيفاءه على سياقته ، وإنما نورد أطرافاً منه وما كان منشوراً مما لم تتضمن التواريخ ذكره .

وكان محمد^(٣) بن داود بن الجراح قد وُزَرَ لعبد الله بن المعتز ودبره . فلما انتقض أمره استتر وأخفى شخصه . وذكر أبو الحسن بن سنان أن موسى

(١) السنة : ما بيني في وجه السيل أو تحبس به المياه

(٢) لعله يريد : والأمور - في إشرافه عليها - شيء ليس غرضنا استيفاءه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٠/٥ .

ابن عيسى كاتب مؤنس الخازن عرض على أبي الحسن بن الفرات رقعة من محمد ابن داود ، فلما قرأها قال : تقول له الاستتار صناعة وجُرْمُك عظيم ، وأمرُك بعدُ طرِي . فتوقَّف إلى أن تَخْلُقَ القصة ، ثم دعنى فإنى أسوق الأمر إلى أخذ أمان الخليفة لك بخطه والإشهاد عليه فى الوفاء به وإظهارك وبلوغ إثارك . فلما عاد موسى ابن عيسى إلى محمد بن داود بذلك ارتاب بقول ابن الفرات ، وشك فيه ، وقدَّر أنه على وجه المغالطة والمدافعة ليستمر عليه الاستتارُ والنكبةُ فقال : أى ذنب لى أحتاج معه إلى زيادة فى الاستظهار ومطالوة الانتظار ؟ ! ومضى إلى سوسن الحاجب ، فلما استؤذن عليه لم يُصَدِّقْ ، وظنَّ أنه رسول منه ، واستثبت حاجبه واستفهمه ، فخرج وعاد وقال : قد حضر هو بنفسه . فعجب من ذلك وأدخله ، وأنهى خبره إلى المقتدر بالله ، فأمره بتسليمه إلى مؤنس الخازن ، فسأله إليه ، فقتله وطرحه على باب سقاية حتى أخذه أهله ودفنوه ، وعرف أبو الحسن بن الفرات خبره فغَمَّ أمره وقال : كان على عداوته لى فاضلاً راجحاً ومتقدِّماً فى الصناعة بارعاً ، وقد جرى عليه من القتل صبراً أمراً عظيماً .

وحدث ^(١) أبو عبد الله زنجى قال : كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات فى أول ما وَزَرَ إذ كتب إليه صاحب الخبر بحضور رجل يقول : إن عنده نصيحة لا يذكرها إلا للوزير فاستدعاه وسأله عما عنده ، فأمرَّ إليه بما لم نَقِفْ عليه ، وتقدم إلى العباس الفرغانى حاجبه بأن يُجلسه فى دار العامة إلى أن يطلبه منه ، ثم أمره بجمع الرجال الذين يرسمه ، ودعا أبا بشر بن فرجويه وقال له : قد حضر هذا الرجل المتنصِّح ، وذكر أنه يعرف موضع محمد بن داود ، وأنه بات الباردة عنده ،

والتمس أن يُنفَذَ معه من يَدُلُّه عليه ويسلمه إليه ، وقد بذلت له ألف دينار عند صحة قوله ، أو نثله بالعقوبة إن كان كاذبا فيه ، فرضى بذلك . فاكْتُبُ إلى محمد الساعة أن ينتقل عن موضعه أين كان ، فإنتى على إنفاذ من يَكْبِسُهُ ويطلبه . ولم يزل ابن الفرات يحثُّ العباس الحاجب في جَمْع الرجال ، وهو يذكُر إنفاذ من يجمعهم على اختلافٍ وتباعدٍ منازلهم ، ويدفع بالأمر ، إلى أن عاد جوابُ محمد إلى أبي بشر يشكر ما فعله ، وبأنه قد تحوَّل من مكانه إلى غيره . فسأل حينئذ العباسَ عن اجتماع من الرجال فقال : خمسمائة نفر . وأمره بأخذ الرجل وأخذهم وقصْدِ الموضع الذى يذكره والاحتياطِ عليه من سطوحه وحوانبه ، وكبسه بعد ذلك وتفتيشه ، والقبض على محمد بن داود إن وجدته وحمله ، وإن لم يجد رَدَّ الرجل معه . فضى العباس ، وعمل ما رسمه له ابن الفرات ، فلم يصادف أحدا ، وعاد والرجل معه ، وأمر ابنُ الفرات بضربه مائتي سوط على باب العامة ، وشهْرَه على جبل والنداء عليه ^(١) . وطالع المقتدر بالله بما فعله فاستصابه . ونُسخَ الرجل الساعى بمحمد بن داود بعد ما لحقه أعطاه ابن الفرات مائتي دينار وحَدَّرَه إلى البصرة وقال لابن فرجويه : ما كذب الرجل في قوله وإنما عاقبناه على شره .

وكان سوسن ^(٢) الحاجب يدخل مع العباس بن الحسن فى التديير ، فلما وَزَرَ أبو الحسن بن الفرات لم يجر هذا المجرى ، فنقل عليه ذلك ، وشاع الحديثُ بأن سوسنا قد عَمِلَ على قتل ابن الفرات فى دار الخلافة وَوَأَقَفَ عليه جماعة من الغلمان الحُجْرِيَّة ، وأشار على المقتدر بالله بإحضار محمد بن عبدون وتقليده الوزارة ، وضمن عنه استخراج أموال كثيرة من ابن الفرات ، وَنَفَذَ بُنَى بن نفيس إلى الأهواز

(١) فى تجارب الأمم ١١/٥ أنه نودى عليه : هذا جزء من يسعى بالباطل .

(٢) تجارب الأمم ١٢/٥ .

على ظاهر يخالف هذا الباطن . وعرف أبو الحسن بن الفرات الصورة بعد حصول
نُبَيِّ بن نفيس بواسطة . فتوصل إلى أن قرر في نفس المقتدر بالله أن سوسناً كان
من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتز والداخلين معه في التدبير عليه ، وإنما قعدَ
أخيراً عنه لما استحجب عبدُ الله بن المعتز غيره . وأودع صدره فيه ما أذن له معه
بالقبض عليه ، فقبض عليه وقتله سرّاً في يومه ، وأنفذ إلى محمد بن عبدون من قبض
عليه في طريقه وحمله إلى الحضرة ، فصادره مصادرة مُجَدَّدة ثم سلّمه إلى مؤنس
الخادم فقتله .

وعرف أبو الحسن ^(١) عليُّ بن عيسى وهو بواسطة ما جرى في أمر محمد
ابن عبدون ، فأقلقه وأزعجه ، وكتب إلى ابن الفرات كتاباً يحلف فيه [أنه] على
قديم عداوته لمحمد بن عبدون ، إلا أنه مع ذلك لا يدع الصدق عن حاله ^(٢) ،
ويقول : إنه لم يكن يسعى على دم نفسه بضمان الوزارة ، وقد كان راضياً بالسلامة
بعد فتنة عبد الله بن المعتز ، وإن سوسناً أسماه وذكره بغير معرفته ولا موافقته .
وخرج من ذلك إلى أن سأله الإذن له في المضي إلى مكة ليسلم من الظنّة وينسى
السلطان ذكره . فأجابه إلى ما طلبه ، وأخرجه من واسط إلى مكة على طريق
البصرة مُرَفَّهاً محروساً . وكان غرضُ علي بن عيسى - فيما ذكر محمد بن عبدون به -
حراسة نفسه ، فوصل كتابه وقد مضى لسبيله .

وكان ^(٣) من جملة الداخلين في فتنة عبد الله بن المعتز أبو عمر محمد بن يوسف
القاضي فأخذ فيمن أخذ وحبس ، وحضر أبوه يوسف وهو شيخ كبير مجلس
أبي الحسن بن الفرات ، وبكى بين يديه بكاء شديداً ، رقّ له منه وسأله حراسة

(١) تجارب الأمم ١٣/٥ (٢) في تجارب الأمم : من فعله .

(٣) انظر الفرج بعد الشدة ١٠٧/١ وقصة الإفراج عن أبي عمر القاضي .

نَفْسٍ وَلَدَهُ أَبِي عُمَرَ وَالتَّصَدَّقَ عَلَيْهِ بِهِ . فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : الْجَنَائِذُ عَظِيمَةٌ ، وَلَا يُمْكِنُ تَخْلِيَتُهُ إِلَّا بِمَالٍ جَلِيلٍ يُطِمَعُ الْخَلِيفَةُ فِيهِ مِنْ جِهَتِهِ . فَبَذَلَ يُوسُفُ أَنْ يُفْقِرَ نَفْسَهُ . وَابْنُهُ طَلَبَا لِبَقَائِهِ . وَتَلَطَّفَ ابْنُ الْفَرَاتِ فِيمَا قَالَهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَقَرَّرَ أَمْرَ أَبِي عُمَرَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَدَّى مِنْهَا تَسْعِينَ أَلْفًا ، مِنْ جُمْلَتِهَا خَمْسَةَ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا كَانَتْ عِنْدَهُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ، وَأَمَرَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِلَازِمَةِ دَارِهِ وَأَلَّا يُخْرِجَ مِنْهَا لَنَا لِئَلَّا يُجْعَلَ لَهُ حَدِيثٌ مُجَدَّدٌ .

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُخْلَدٍ مُدَّةً عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ بِمُودَةٍ بَيْنَ أَسْلَافِهِ وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَالِدِ أَبِي الْحَسَنِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ عَمِّهِ ، وَبِاخْتِصَاصِهِ هُوَ بِهِ ، فَوَجَّهَ أَبُو الْحَسَنِ الْكُتُبَ إِلَى أَصْحَابِ الْمُعَاوَنَةِ فِي الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ بِخَطِّهِ ، فَلَمْ يُظْهَرْ ذَلِكَ لِلْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَلَا ذَكَرَهُ ، وَاعْتَمَدَ التَّقْدِيمَ لَهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ ، وَكَانَ ^(١) سُلَيْمَانٌ قَدْ تَقَلَّدَ لَعْلَى بْنَ عَيْسَى مَجْلِسَ الْعَامَةِ فِي دِيْوَانِ الْخِصَاصَةِ . فَقَلَدَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ هَذَا الدِّيْوَانَ رِثَاسَةً . ثُمَّ إِنْ سُلَيْمَانٌ شَرَعَ لِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي الْوِزَارَةِ ، وَعَمِلَ فِي ذَلِكَ نُسْخَةً بِخَطِّهِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ يَسْعَى فِيهَا بِابْنِ الْفَرَاتِ وَكُتَّابِهِ وَضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَقَامَ لِيَصْلِيَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُتَّابِ فَسَقَطَتْ مِنْ كَمِّهِ ، فَأَخَذَهَا الصَّقْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ ، فَخَمَلَهَا إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ مِنْ وَقْتِهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا قَبَضَ عَلَيْهِ وَحَدَّرَهُ فِي زُورْقٍ مُطْبَقٍ إِلَى وَاسِطٍ ، وَقَدْ أَوْرَدْنَا مُسْتَأْنَفًا مَا فَعَلَهُ مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَمَضَى لِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ

(١) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٦ وتجارب الأمم ١٥/٥ والفرج بعد الشدة ١/ ١١٠ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ .

وأربعة عشر يوماً ، اختلفت عليه الأمور فيها ، وحدثت الحوادث في متصرفاتها
ومجاريها وحضر عيدُ النَّخْرِ من سنة تسع وتسعين ومائتين فاحتيج فيه من النفقات
إلى ما جرت العادة به ، وكانت المواد قد قَصَّرت ، والمُؤَن قد تضاعفت ، وطلب من
المقتدر بالله أن يُعطيه من بيت مال الخاصة ما يصرفه في نفقات هذا العيد ، فتمعه
ذلك ، وألزمه القيام به من جهته ، فأقام على أنه لا وجه له إلا بما يُمكن به ، ووجد
بذلك أعداؤه الطريق إلى الوقعة فيه .

وركب في يوم الأربعاء لأربع خلون من ذى الحجة إلى دار الخلافة وهو على
غاية السكون والطمأنينة ، وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه قبل الوصول
إلى السلطان ، فقبض عليه وعلى محمد بن أحمد الكلوزاني - وكان يكتب بين
يديه - وعلى محمود بن صالح وكان معه من أصحابه ، ومضى القواد للقبض على
أسبابه ^(١) وكتباه قبضوا على عبد الله وأبي نوح ابني جُبَيْر ، وموسى بن خلف
وكان من خواصه . وصار مؤنس الخادم إلى دار الوزارة فوكل بها ^(٢) ، وأشد يلقى
إلى دار ابن الفرات بسوق العطش فأحاط عليها . وتسرَّع الجند والعوام إلى دور
أولاده وأهله فنهبوا وأخربوها وأخذوا ساجها وسقفوها ، وعظم الأمر في النهب
حتى ركب أبو القاسم الخلال بعد العصر في القواد والغلمان وطلبَ النَّهَابَ ، وعاقب
قوماً منهم ، فقامت الهبة ، وسكنت الفتنة .

وأحضر أبو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان واشتُوزر ، وقبض ما كان
لأبي الحسن من الصِّبَاغ والإقطاع والأملاك والعقار والأموال والغلات ، وصحَّ له
ما مقداره ألف ألف دينارٍ عيناً وستمائة ألف دينارٍ سوى الأثاث والراحل

(١) أسبابه يراد بهم أتباعه والمتصلون به . (٢) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

والكرَاع^(١) والجمال ، ولم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله ولا بعده مثل ذلك .
ومما حَدَّثَ^(٢) قبل القبض عليه أن طَلَعَ في شهر رمضان من السنة المذكورة
كوكبٌ ذو ذُؤَابَةِ ، فطَلَعَ آخَرُ مثله في شوال في مطلع الهلال ، وطلَعَ ثالثٌ في
ذِي القعدة في مطلع الشمس ، وأَكْثَرُ النَّاسِ القولَ في ذلك وما يحدثه من حادث ،
فكان زوالُ أمر ابن الفرات .

وزارة أبي الحسن الثانية^(٣)

لما قُبِضَ عليه في اليوم المَقْدَمَ ذِكْرُهُ من سنة تسع وتسعين ومائتين اعتقل في بعض
الحَجَرِ من دار الخلافة ، ولم يزل معروف الخَلْبَرِ إلى جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة ،
فإنه نُقِلَ إلى بعض المواضع المستورة ، وَخَفِيَ أمرُهُ على الناس عامة حتى رَجَعَتِ
الظُّنُونُ فيه . ثم أُخْرِجَ تابوت فيه هارون الشاري - وقد مات - على أنه تابوته ،
فزال الشكُّ في موته ، وصلى عليه أبو الحسن عليُّ بن عيسى ، وظهر بعد ذلك
بقاؤه وحياته .

وكان أبو بشر^(٤) عبد الله بن فرجويه قد سلم من النكبة عند القبض على
ابن الفرات في الوزارة الأولى ، وقام على الاستمرار مدة وزارة أبي علي الخاقاني ووزارة
أبي الحسن علي بن عيسى . وواصل مكاتبة أبي الحسن بن الفرات في محبته على يد
سَوْمَنَةِ الطَّيِّبِ^(٥) وتعريفه الأمور ، وترددت جواباته إليه بما رسمه له من مكاتبة
المتقندر بالله عن نفسه بالظن على أبي الحسن علي بن عيسى ووقوف الأمر على يده ،

(١) الكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) المنتظم ١٠٩/٦ وابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

(٣) ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وتجارب الأمم ٤١/٥ والمنتظم ١٣٨/٦ ، وصلة عرب ٣٢

(٤) راجع تجارب الأمم ٤٣/٥ . (٥) في تجارب الأمم على يد عيسى الخطيب .

وتأخر أرزاق الجند والحواشي في نظره . وكانت رقاعه تصل إلى المقتدر بالله فيقف عليها ابن الفرات فيقرر عنده صحة ما يذكره ويؤرده ، ويهمهم [المقتدر] بصرف على بن عيسى ، فإذا شاور مؤنساً فيه منعه منه ، ووصفه بالأمانة والكفاية عنده ، إلى أن أخرج مؤنس إلى مصر لمحاربة العلوي ، فقام غريب الخال ونصر الحاجب بأمر ابن الفرات ^(١) قياماً تم على علي بن عيسى الصرف معه . ثم كتب ابن فرجويه رقعة يقول فيها : متى صرف علي بن عيسى ورد ابن الفرات أطلق الولد والحرم والخدم ومن بالخضرة من الفرسان برسم التفاريق مثل ما كان يطلقه في وزارته الأولى تماماً وإداراً ، وحمل إلى المقتدر بالله في كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خمسمائة دينار . والتمس وقوف ابن الفرات على رقعته وتعرف ما عنده على ما بذله عنه ، فعرضها المقتدر بالله عليه فالتزم القيام بذلك والوفاء بجميعه وكتب له خطه واستقر أمره . وأطلق في اليوم الذي قبض فيه على علي بن عيسى ، ووصل إلى المقتدر بالله وخاطبه بالجميل ، وقلده النظر في الأمور ، وخلع عليه خلع الوزارة ، وركب ومعه أبو القاسم غريب الخال وبين يديه الحجاب والقواد والقلمان ، ونزل في دار سليمان بن وهب وحضره الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة .

وحمل إليه المقتدر مالا وثيابا وطيبا وطعاما وأشربة وثلجا وكذاك السيدة . وأقام في هذه الدار ثم نقل الدواوين إليها ، وكتب إلى الأمراء والعمال بنحبه وإقرارهم على أعمالهم . ورد المقتدر بالله عليه ما كان قبض عنه وعن أهله وكتابه وأسبابه من الضياع والأموال ، فارتجع ما كان حصل في أيدي الناس القواد

(١) في تجارب الأمم وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن علي بن عيسى لما غاب مؤنس ، فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن علي بن عيسى كتب رقعة بخطه إلى المقتدر . . .

وخواص المقتدر من ذلك ، ووقع بأن يُوغَرَ^(١) حق بيت المال في جميعه بألف درهم في كل سنة على استقبال سنة أربع وثلاثمائة ، ووَقَّرَ جَارِيَّ^(٢) الوزارة ولم يأخذه ، وتقدم بِرَدِّ جَارِي أصحاب الدواوين وكتّابهم وكتّابه إلى ما كان عليه في أيامه الأولى فأضعف ذلك ، وصار جَارِي صاحب ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر . وأقطع زيدان التي كانت مُوَكَّلَة به ضياعاً بنواحي كسكر ومستعالاتٍ بالبصرة لها ارتفاع وافر ، ووقع لجماعة من أصحاب السلطان بتسويغات وإقطاع وحملات^(٣) ، وبسط يده في كل ما فعله من ذلك ، وأدرَّ على المقتدر بالله ما كان وعده به ، وللاُمراء والسيدة من ألف وخمسمائة دينار منسوبة إلى رسم الخريطة ، ونصب ديواناً للمرافق واستوفاهما فيه من العمال والمتصرفين كما تُستوفى الحقوق ، وتَتَبَّعَ ما بقي من ودائع السالمة في نكبتة ، فارتجع منها خمسمائة ألف دينار .

وقدَّمَ عبدَ الله بن فرجويه وعوَّلَ عليه ، وتوفَّرَ على أبي علي محمد بن علي ابن مقلّة ، وأدخله في أموره وأسراره ، وقلده أعمالاً كثيرة ، فكانت مدة أبي الحسن بن الفرات في اعتقال المقتدر بالله خمس سنين وأربعة أيام .

وكان^(٤) عبد الله بن جبير عند مقامه بواسط في أيام علي بن عيسى قد عرف قدر ارتفاعها وما يَتَحَصَّلُ لحامد بن العباس من الفضل في ضمانها ، فلما عاد إلى بغداد وقد وَزَرَ ابن الفرات عَظَّمَ ذلك عنده .

وكان حامد لما انقضت مدة الضمان الذي عقده الخاقاني عليه أخرج عن علي

(١) أوغره مالا : أقطعه إياه . ويريد أنه يتنازل من ماله لبيت المال عن ألف درهم سنوياً فبدأ من سنة ٣٠٤ .

(٢) يعني أنه تنازل عن مرتب الوزارة . (٣) الحملات الكفالات .

(٤) تجارب الأمم ٥٧/٥ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

ابن عيسى الوظيفة^(١) التي كان يحملها في كل شهر ، وطالب بتجديد الضمان .
وكاتب على بن عيسى بأنه محمول على ما كان تقرّر معه ومجرى في الشرائط عليه ،
وله على ما في وثيقته^(٢) ، ولم يثبت الكتاب في الدواوين ، لكن حامداً ركن إليه
وعول عليه .

واستأذن^(٣) عبد الله بن جبير ابن الفرات في مكتبة حامد بما أخرج عليه^(٤) ،
فأذن له ، وكتبه مكتبة أجاب عنها بالاحتجاج لنفسه ، وتردّد من القول ما بسط
ابن جبير معه لسانه فيه . وبلغه فظن أنه عن مؤاطاة من ابن الفرات له عليه ،
وشرع^(٥) فيما يدفع به التأويل عنه .

وكان قسيم الجوهرى يشرف للسيدة أم المقتدر بالله على ضياعها بواسط ،
ويكثر هناك المقام ، ويحضر عند حامد فيبسطه ويتوقّر عليه ، فوافقه على السفارة له
في الوزارة ، وأصعد قسيم وخاطب نصراً الحاجب في ذلك وأطعمه في حامد ، وملا
يده منه ، وعرفه سعة صدره وسخاء نفسه ، وضمن له عنه تصحيح المال الكثير من
ابن الفرات وأشباهه ، وراسل السيدة أيضا .

ووافق هذا القول والسعي سوء رأى نصر الحاجب في ابن الفرات ، وخوفه^(٦)
منه وكثرة الوقعة فيه ، وقول الناس إنه قد قلّد ولده الدواوين ، وأقاربه الأعمال وأخذ
من ودائع القديمة التي الجُملة اتسعت الأقوال فيها وكتبته إلى العمال يحمل المرافق إلى
هارون بن عمران ، وإفراده إياه بذلك وبقبض أموال المصالحين والمصادررين وعدله
بها عن بيت المال . وأن المقتدر بالله طلب من ابن الفرات مالا لبعض مهمّة فنفعه منه

(١) الوظيفة ما يعين من عمل أو رزق أو مقرر معلوم .

(٢) أى له ما تقرّر عليه في عهده . (٣) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

(٤) في تجارب الأمم : أن يكتب حامدا في بعض ما كان أنهاء إليه من ضمان حامد فأذن له
فيه إذنا ضيقا .

(٥) في تجارب الأمم : ولعى قد عرفه من نيته فأنفد من يسفر في الوزارة .

(٦) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

واعْتَلَّ عليه فيه ، فتم بذلك أمرُ حامد ، وروسل^(١) بالإصعاد إلى الحضرة ، وأن يَكْتَبَ على عدة^(٢) أطيار بخروجه في يومه لِيَقْبَضَ على ابن الفرات عند المعرفة بِتَوَجُّهٍ ، فأصعد ، وكتب بخبره ، وعرض الكتاب أبو القاسم بن الحواري على المقتدر بالله ، فلما وقف^(٣) عليه أنفذ نصرًا الحاجب وشفيعًا المقتدرى إلى دار أبي الحسن ابن الفرات حتى قبضا عليه في وقت العصر من يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة^(٤) ، وعلى الحسن ابنه وموسى بن خلف وعبد الله بن فرجويه وعيسى بن جبير وسعيد بن إبراهيم التستري ودولة أم ولد أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنها منه ، وحملوا الجماعة إلى دار الخلافة . واعتقل أبو الحسن وحده عند زيدان والباقون عند نصر الحاجب ، وختم أبو نصر بشر بن علي خليفته حامد ببغداد على جميع الدواوين . وإنما قبض على ابن الفرات في داره لأن الإرجاف قوى بصرفه قوة استوحش منها كتائبه وأصحابه - وكان إذا ركب إلى دار السلطان تفرقوا واستتروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا - وركب في أول النهار وهم على الجملة من الخوف والإشفاق ، وعاد فعادوا على السكون إلى ذلك .

وكانت مدة نظره في هذه الدفعة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يومًا .

ثم وزر الوزارة الثالثة^(٥)

وأخرج من حبسه عند زيدان القهرمانة يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وخلع عليه وعلى أبي أحمد المحسن ابنه ، وقد كان

(٢) في تجارب الأمم : على أجنحة الطير

(١) المنتظم ١٤٧/٦

(٣) تجارب الأمم

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ وتجارب الأمم ٥٦/٥ والمنتظم ١٤٧/٦ .

(٥) راجع تجارب الأمم ٨٥ / ٥ وما بعدها وابن الأثير حوادث ٣١١ والمنتظم ١٧٣ / ٦ .

وصلة عرب ٥٧ - ٦٢

أُفْرِجَ عَنِ الْحَسَنِ مِنْ قَبْلِ وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَرَكِبَا إِلَى دَارِيهِمَا بِسُوقِ الْعِطْشِ وَجَلَسَا لِلتَّهْنِئَةِ ، وَظَهَرَ أَوْلَادُهُمَا وَكُتِّبَ لِهَيْمَاهُمَا وَحَوَاشِيَهُمَا وَأَسْبَابُهُمَا . فَأَمَّا حَامِدٌ ^(١) فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ ابْنَ الْفَرَاتِ أَقْرَهُ عَلَى أَعْمَالٍ وَاسِطَةٍ بِحُكْمٍ مَاشِرُطُهُ الْمَقْتَدِرُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ . وَخَاطَبَهُ بِنَحْوِ مِمَّا خَاطَبَ هُوَ عَلَى بْنِ عَيْسَى بِهِ عِنْدَ خِلَافَتِهِ إِيَّاهُ .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ فِي وَزَارَةِ أَبِي عَلَى الْخَلْقَانِي شَرْطَوْا عَلَى حَامِدٍ فِي ضَمَانِهِ الْأَوَّلِ لِأَعْمَالٍ وَاسِطَةٍ أَنْ يُؤَدِيَ فِي آخِرِ سَنِي ضَمَانِهِ لِمَا يُنْفَقُ عَلَى كَرْمِي ^(٢) الْأَمْهَارِ وَحِرَاسَةِ الْبَزَنْدَاتِ ^(٣) وَالْبُدُورِ وَالْمَعَاوِينَ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ وَأُطْلِقَ فِي ذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ مِنْ سَنِي الْإِعْتِبَارِ عَلَيْهِ . وَكَانَ نَيْفًا وَتَسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ - لِيَتَوَلَّى عُمَلَاءُ السُّلْطَانِ الْإِنْفَاقَ ، وَشَرْطَوْا لَهُ أَنْ يُؤَخَّرَ بِإِعْتِبَارِ أَمْوَالِ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ الْخَاصَةِ الْعَبَّاسِيَةِ - وَبِمَبْلَغِهِ مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ - إِلَى آخِرِ سَنِي الضَّمَانِ لِتَصِيرَ الْجَمْلَةُ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَمَا زَالَتِ الْمَطَالِبَةُ بِذَلِكَ تَتَأَخَّرُ مَعَ تَجْدِيدِ الضَّمَانِ سَنَةً بَعْدَ أُخْرَى .

وَقَلَّدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ أَبَا سَهْلَ النُّوْبَخْتِيَّ أَعْمَالَ الْمُبَارَكِ ، وَأَبَا الْعَلَاءِ مُحَمَّدَ ابْنَ عَلِيٍّ الْبَزَوْفَرِيَّ أَعْمَالَ الصَّلَحِ وَالْمَزَارَعَاتِ ، وَوَافَقَهُمَا عَلَى مَطَالِبَةِ حَامِدٍ بِالْمَالِ الْمَذْكُورِ ، فَطَالَبَهُ النُّوْبَخْتِيَّ مَطَالِبَةَ الْكِتَابِ ، وَسَلَّكَ الْبَزَوْفَرِيُّ مَعَهُ سَبِيلَ الْعَنْتِ وَالْإِرْهَاقِ ، وَتَبَسَّطَ عَلَيْهِ فِي الْمَنَازِرَةِ وَالْخِطَابِ ، ثُمَّ عَمِلَ لَهُ الْأَعْمَالُ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ ابْتِاعَ مِنَ الْمَزَارَعَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَسَافِلِ الصَّلَحِ ضَوَاحِيَ الْجَامِدَةِ فِي أَيَّامِ الْخَلْقَانِي

(١) انظر ترجمة حامد بن العباس في المنتظم ١٨٠/٦ استوزره المقتدر سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٣١١ .

(٢) كرم الأنهار هو الحفر فيها ويريد تطهيرها يقال كرمي التهر : خفر فيه حفرة جديدة .

(٣) البرندات جمع بزند وقد شرحه المؤلف في أخبار علي بن عيسى فقال وتسمى البرندات بمصر جسوراً .

وبعدها ضياعاً جليلاً ، وأخرج عليه من الفضل فيها خمسمائة ألف دينار ، مُكثراً عليه بذلك .

ورأى ابن الفرات تجرّد البزوفرى لما هو متجرّد له من استعمال القبيح مع حامد وعمل الأعمال فيه ، فكاتبه وأحمد ^(١) فعلته ، وأنفذ إليه ^(٢) المؤامرات المعمولة بالحضرة له ، وأمره بمطالبتة والاستقصاء عليه والابتداء بنفقات المصالح والبزندات والبذور والمعاون هو والنوبختى ، وإيقافها على عمارة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

فأجاب البزوفرى بأن حامدا ليس يكتفت إليه ، ولا يُعطى شيئاً من المال ، وقد بدأ بإطلاق ما يريد إطلاقه للمزارعين وأهل البلاد للعارة المستأنفة ، وأدعى شُرُوعه فى ضمان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه غير متمكن منه مع قوّته ، وأن معه أربعمائة غلام كبار يتبعهم آخرون وسبعائة رجل ، وأهل البلاد على مئيلٍ إليه وتعصبٍ له . فغرض ابن الفرات كتابه على المقتدر بالله ، فأمر مُفلحاً الأسود بإنفاذ مائة غلام من الحُجْريّة ومائة راجلٍ من المصافيّة إلى واسط للشدّ من البزوفرى وبسط يده . وقال لابن الفرات : اكتب إليه يائبات خمس مائة راجل يستظهر بهم على أمره . ففعل جميع ذلك .

وكتب ابن الفرات ^(٣) إلى البزوفرى يرسم له التوكيل بحامد عند وصول من أنفذ إليه ، ومطالبتة عاجلاً بالمصالح والبذور ، إذ ليس يأذنُ السلطان فى عقد الضمان مستأنفاً عليه . فأشاع البزوفرى ذلك قبل ورود القوم ، وعرف حامد ^(٤) الخبر فى وقته ، فأظهر ورود كتاب المقتدر بالله عليه بالمبادرة إلى الحضرة ، فضرب البوق

(١) أحمد فعلته : عندما حمدة ورضى فعلها ونصرفه فيها .

(٢) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٤) تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٣) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

وأصعد بكتابه وحواشيه وغلمايه ورَجَّالته ، ومعه ^(١) ثيابه وفرشه وآلته بعد ما أودعه بواسط من ماله ، وسار في السفن والسُميريات ^(٢) ، وأنفذ كُراعاه على الظَّهْر ^(٣) ، فلم يقدر البزوفريُّ على منعه ولا الاعتراض عليه في فعله ، لكنه بادر إلى ابن الفرات بالخبر على الطيور .

فلما عرفه انزعج منه ، وظن أنه عن أصل انطوى ^(٤) عنه ، واستشار ^(٥) الحسن ابنه وخواصَّه فيما يدبر الأمر به ، فقالوا تُنبِئني إلى المقتدر ما كان منه ، وتستعلم ما عنده فيه . ففعل وقال المقتدر : ما كوتب بشيء مما ادَّعى أنه كوتب به ، وتقرر بينه وبين ابن الفرات إيفادُ نازوك إلى المدائن في عدد كثير من الغلمان والرجالة والفرسان للقبض على حامد وأسبابه ، ووقف نازوك على ذلك .

واتصل بحامد انحدارُ نازوك ، فاستتر وتترك سَفَنه وماله وأصحابه ، ووافى نازوك قبض على ما وجده له وحمله ، وأمر المقتدر بالله بتسليم الحسابات إلى ابن الفرات ، والكرايع في الاصطبلات ، وما سوى ذلك إلى الخزائن . ووقعَ الإرجاف ^(٦) بأن المقتدر بالله كاتب حامدا ينكر عليه خروجه من واسط على الحال التي خرج عليها ، ورسمَ له الاستتار ودخول بغدادَ سرًّا ليردَّه إلى الوزارة ، ويسلم إليه الجماعة ، فأشفق ^(٧) أبو الحسن بن الفرات واستتر الحسن والحسين والحسن أولاده وخرَّمهم وكتبَهم .

(١) في تحارب الأمم : وخرج من واسط مع جميع كتبه وحاشيته ورجاله وحمل معه من الفرس والآلات والسكوة جميع ما كان يخدم به بعد أن احتاط في أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقافته بواسط .

(٢) السُميريات نوع من السفن .

(٣) يعني أنه أرسل خيله وبغالته وحماره بطريق البر .

(٤) أي عن أمر دبر خفية عنه لا يعلمه . (٥) تحارب الأمم ٩٥/٥ .

(٦) تحارب الأمم ٩٦/٥ . (٧) أشفق من مغايبها : خاف وحاذر وحرص .

وكانت سعادة^(١) حامد قد انقضت ، ومدته قد انقضت ، فدعاه المقدور إلى قصد دار السلطان في زى الزهبان ، واستأذن على نصر الحاجب ، فلما دخل ورآه قال له : إلى أين جئت ؟ قال : جئت بكتابك . قال : إلى هاهنا كاتبك بالجيء ؟ ولم يقم له ولا وفاء حقه ؛ واعتذر إليه بخوفه من سخط الخليفة متى تجاوز به ما وقف عنده . وراسل نصر مفلحا الأسود بالخروج إليه ، لأن المقتدر بالله كان عند الحرم ، فخرج إليه وقال له : قد ورد حامد على ما تراه من هذه الصورة ، وهو اليوم في موضع رحمة ، وما أولاك باستعمال الجليل معه . وقال حامد^(٢) لمفلح : تقول لأمر المؤمنين أنا أرضى بأن أعتقل في دارك كما أعتقل على بن عيسى ، ويناظرني الوزير والحسن والكتاب بحضرة القضاة والفقهاء والقواد ، فإن وجب على شيء خرجت منه بعد أن أومن على نفسي ، وأمكن من استيفاء حجبي . ويمنع الحسن من مقابلتي على المكارة التي أوقعتها به في طاعة أمير المؤمنين ، فإنه شاب وبسط يده على مثلي - ممن بلغ إلى مثل سنى ووجب له من الحرمة ما وجب لى - غير لائق بعبادات أمير المؤمنين . فأراه مفلح أنه يفعل ، ودخل إلى المقتدر فأورد عليه ضد ما قاله ، وتكلمت السيدة في أمر حامد وأجابته إلى سؤاله . فقال مفلح : متى فعل ذلك لم يتم لابن الفرات أمر مع الأراجيف الواقعة به . فقال له المقتدر بالله : صدقت . وأمره بأن يتقدم إلى نصر بإنفاذ حامد إلى ابن الفرات ، فخرج إليه وعرفه مارسم له . فاستدعى حامد من نصر ثياباً يُغَيِّرُ بها ما عليه ، فامتنع مفلح من الإذن له في ذلك ، وقال : قد أمرنى مولانا بإنفاذه على زية الذى حضر فيه . فلم يزل نصر يشفع له إلى أن أذن في تغييره ، وأنفذه مع ابن الرنداق^(٣) الحاجب .

(٢) تجارب الأمم أيضا .

(١) تجارب الأمم ٩٦/٥ .

(٣) في تجارب الأمم ٩٧/٥ ابن رنداق « براء مهمل » .

فلما دخل على^(١) ابن الفرات قال له : لم جئت ؟ قال بكتابك . قال له : فلم لم تقصد داري ؟ قال : حرمت التوفيق . قال له : لا ولكنك عملتها طائفة فجاءتك طائفة . وذلك أن الطائي ضمن إسماعيل بن بلبل من الموفق وصار إلى داره في زى الفيوج^(٢) ليقم فيها ليلته ويُنجز له من غد ما وعده ، فلما حصل عنده أنفذه إلى إسماعيل في ذلك الزى ، فأوقع به إسماعيل مكروهاً غليظاً ، واستخرج منه ومن كُتّابه مالا جليلاً .

وتقدم^(٣) أبو الحسن بن الفرات إلى أستاذ^(٤) داره بأن يُفرد حامداً داراً يُفْرِشُها فرشاً جميلاً ، ويتقَدَّده في طعامه وشرابه وطيبه تفقداً كثيراً . ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته في أخباره .

أسماء القوم الذين قبض المحسن بن أبي الحسن بن الفرات عليهم
ونكبهم وقتلهم وأبعدهم وما جرى عليه أمر كل واحد منهم

قد ذكرنا من أخبار حامد بن العباس وعلى بن عيسى مالا فائدة في تكريره ، فأما سليمان بن الحسن فقُبِضَ الحسن عليه من ديوان المشرق ، وكان يتولاه مع غيره من الدواوين ، فصادره على ماضح منه خمسون ألف دينار ثم أخرجه إلى فارس . وأما أبو على^(٥) بن مقلّة فكان يتقلد لعل بن عيسى في وزارة حامد زمام السّواد ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تجلّد ولم يستتر ، وحضر مجلسه ، فأعرض عنه إعراضاً

(١) تجارب الأمم ٩٧/٥

(٢) الفيوج جمع فيج وهو رسول السلطان الذي يسمى على رجله أو الخادم

(٣) تجارب الأمم ٩٨/٥

(٤) في تجارب الامم ذكر أنه يحيى بن عبدالله قهرمان داره

(٥) تجارب الأمم ٩١/٥

غض به من محله ، ولم يَقْبِضْ عليه مراعاة للمودة بينه وبين أبي القاسم بن الحواري .
فلما قُبِضَ على ابن الحواري أنفذ الحسن أبا غانم كاتبه حتى قبض على ابن مقلة وقيدته ،
وقد شرحنا حديثه في أخباره .

وأما أبو القاسم ^(١) على بن محمد الحواري فإنه تأخر عن تهنة ابن الفرات في صدر
نهار يوم الجمعة ، وراح إليه في آخره ، وأطال عنده ، وآنسه ابنُ الفرات وشاوره
في أموره ، وخَلَا به خُلوة طويلاً اعتمد فيها سكون نفسه ، وراسله ^(٢) ابنُ الفرات
فتحقق بخدمته وأظهر السرور بولايته مع ما اعتقده باطناً من مخافته ، وقد كان ^(٣)
أصحابُ ابن الحواري أشاروا عليه بالاستتار عن ابن الفرات وقالوا له : إن الخليفة لم
يَكْتُمْكَ أمره وما عزم عليه من تقليده - مع ما يعرفه من العداوة بينكما - إلا لسوء
رأى فيك . فلم يقبل ذلك وقال : لو كان الأمر على ما قلتم لقبض عليّ قبل إخراجي
إياه وإظهار أمره ، وما أرى أن أنكّب نفسي بسوء الاستشعار مني ^(٤) .

لكنه ستر حرمة وولده واستظهر بعض استظهارٍ في رَحْلِهِ وماله .

وركب ^(٥) ابنُ الحواري إلى دار السلطان وحضر ابنُ الفرات وأذن له ولم
يُوْذَن لابن الحواري . فاستوحش من ذلك ، ثم صَرَفَ الأمر إلى أن ابنُ الفرات
قد شَرَطَ على المقتدر بالله أن يُجَرِّيه على رسمه في وزارته الثانية ، فإن ابن الحواري
لم يكن يصل معه ظاهراً وإنما كان يصل سراً . فلما خرج ابن الفرات من حضرة
المقتدر بالله وجلس في الدار التي أفردت له للنظر في أمر القواد والخواشي دخل معه

(٢) يريد أنه جاره في الكلام وواقفه

(١) تجارب الأمم ٩١/٥

(٣) تجارب الأمم ٩١/٥ - ٩٢

(٤) الاستشعار هنا من قولهم استشعر الخوف : جملة شعار قلبه

(٥) تجارب الأمم ٩٢/٥

ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في ما كان يُخَاطَبُ^(١) عليه ، وقال له : قد غيّبتُ عن مجارى الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بما كان على بن عيسى قَرَرَّ عليه أمر الحاشية ، وأريد أن تنبهني وترشدني وتعاونني وتعاظدني ، وتستعمل في ذلك ما تقتضيه المودة . فقال له : السمع والطاعة . ووعدته بالإخلاص في المناجحة ، وفاوضه ابن الفرات حديثاً طويلاً ونهض قبل أن يستتمه ، ونزل إلى طيَّارِه^(٢) ونزل ابن الحواري معه وأحمد بن نصر البازيارُ ابن أخيه ، ومحمد بن عيسى صهره ، وعلى بن مأمون الإسكافي كاتبه ، وعلى بن خلف أخو محمد بن خلف صهره ، فأكرم جماعتهم وأخذ يحادثهم ويضاحكهم إلى أن صعد من طياره إلى داره ، ووصل إلى بعض الأروقة ثم أَمَرَ إلى العباس الفرغانى حاجبه سرّاً أمره فيه بالقبض عليهم ففعل ، واعتقلهم في بعض الحَجَر ، واستدعى شفيعا اللؤلؤى ، وأنفذه إلى دار ابن الحواري وأمره بحفظها وحراستها ، وأنفذ إلى إصطبلاته بمن قاد دوابه وبغاله وساق جماله إلى إصطبلات السلطان ، ونقل فاخر ثيابه وفرشه وآلانه إلى الخزان ، ووصى ابن الفرات قهرمان داره بإحسان مراعاة ابن الحواري في مأكوله ومشروبه . ثم راسله مع عبد الله بن جبير وغيره في تقرير أمره ، وواقفه على أعمالٍ مُحمِلت له قبل القبض عليه ، فسأل أن يُوسَّطَ بينه وبينه أبا بكر بن قرابة ، وكان [ابن قرابة] متحققاً^(٣) بآبن الفرات في هذا الوقت وبآبن الحواري من قبل ، فوسطه ذلك ، وتقررت مصادرة ابن الحواري خاصّةً من دون كتابه وأسبابه على سبعمائة ألف دينار ، يُعَجَّل منها مائتين وخمسين ألف دينار ويُحتَسَبُ له عن ثمن المأخوذ منه بمخمين

(١) في تجارب الأمم : وشاوره في جميع أموره .

(٢) الطيار نوع من السفن .

(٣) يريد بهذا التعبير أنه متصل به واثق من مكاته عنده .

ألف دينار ويؤدّى الباقي في أربعة وعشرين شهرا بعد أن حلف أن قيمة للأخوذ منه ثلاثمائة ألف دينار .

واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار ليقوم بمال التعجيل ، فأطلق وأزيل التوكيل عن دوره وسلم الباقي فيها إلى أحمد بن نصر .

وتسلم ^(١) الحسن بن أبي الحسن بن القرات من بعد ذلك ابن الحواري قصفه صفعا عظيما في دفتات وضربه بلقاروع . ثم أخرجه إلى الأهواز في طيارٍ خدّمه غير مُقيّد ، وأخذ معه الحبشيّ المستخرج . وحدر أيضا في هذه الجلة سليمان بن الحسن وأبا علي بن مقلّة ، فلما وصلوا إلى البصرة وتوجّها منها إلى الأهواز طرح الحبشيّ ابن الحواري في الماء منكمّحا وشدّ رجله في شِكَاتٍ ^(٢) الطيار وهو سائر وبلغ موضعا يعرف بالمنارة أسفل الأُيُلة بفرسخ فأخرجه ، وقد بقي فيه أذن رمق فخنقه غلمانُ سُودان كانوا معه ودقّوه ، وحمل سليمان وابن مقلّة إلى الأهواز .

وأما ابن حماد الموصلي فإن ابن القرات كتب إلى محمد بن نصر بالقبض عليه وحمله إلى الحضرة ، فصرف ابن حماد ذلك وهرب ، فوجد في عمرٍ ^(٣) يقارب بلد فأخذ وحلّ إلى محمد بن نصر فضربه ضربا أثمّنه ، لعداوة كانت بينه وبينه ، ثم أخذته ، فسلّمه الحسن ^(٤) وأمر ابن أبي عمر كاتبه وابن حبشي المستخرج بصفعه ، فأوقما به فلم يرض بذلك حتى أحضره بين يديه وصفه على رأسه إلى أن خرج الدم من فيه ومات في ليلته . وخاف الحسن إنكار المقتدر بالله ما جرى في أمره فأظهر أن محمد ابن نصر أخذته مشغنا بالضرب خلف عما ناله منه .

(١) تجارب الأمم ١١٣/٥

(٢) شكات الطيار يريد بها المشبكات البارزة من السفينة .

(٣) العمر من معانيه البيعة والكيفة .

(٤) تجارب الأمم ٩٣/٥

وأما علي بن الحسن الباذيني ، وكان رجلاً مُتَسَلِّماً ^(١) ، وتقلد ديوان الضياع المقبوضة في أيام علي بن عيسى ، فقبض عليه المحسن وصادره على أحد عشر ألف دينار . وأعاد المكروه عليه فبلح ^(٢) في يديه ، وأيس من حصول شيء منه . وأخرجه إلى الموصل فلم يزل مقبياً بها إلى أن وزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني .

وأما أبو المنذر النعمان بن عبد الله فقد كان تاب من خدمة السلطان ، ولبس الخفّ والطيلسان ، وحضر مجالس الوزراء بهما كما تحضر مشايخ الكتاب إلا أنه كان متحققاً بحامد بن العباس وعلي بن عيسى ونصر الحاجب . فلما تقلد ابن الفرات الوزارة في هذا الوقت لم يجد عليه مُتَعَلِّقاً ولا مُتَسَلِّقاً ، وكان يحضر مجلسه فيكرمه ، وخاف النعمان على نفسه منه لما كان يشاهده من المحسن وإقدامه على ما يُقَدِّم عليه فالزم نصراً الحاجب وثلّ القهرمانة ، وكان يروح إليهما في أكثر العشيات ويقيم عندهما إلى أن تمضي قطعة من الليل . فاتفق أن خرج في بعض الليالي من دار ثلّ القهرمانة ومعه إبراهيم حاجبه فراه أحد أصحاب الأخبار الذين لابن الفرات ، فكتب إليه بخبره ، وبأنه سمعه يقول لبعض العمال المُعْطَلِّين وقد لقيه في طريقه : ما عندك من الأخبار ؟ فقال : كثرة الأراجيف بابن الفرات . فقال له النعمان : على أن يكون الوزير من ؟ قال : أنت أو محمد بن علي المادرائي أو عبد الله بن محمد الخاقاني ، والأقوى في الظنون أنت . فقال له : ومن لهم بأن أساعدهم على ذلك .

فلما قرأ ابن الفرات هذا الفصل سلمه إلى المحسن ، وأمره بإحضار النعمان وأن

(١) الذي دخل الإسلام فصار مسلماً .

(٢) جاء في حاشية أحد مخطوطات الكتاب ما يأتي : بلغ الرجل وبلغ « بتشديد اللام » إذا أعيا وأصله من بلغ الترى إذا بيس ، والمراد به هاهنا أنه لم يبق عنده ما يدفع به عن نفسه أذى المطالبة . اهـ ، هذا ومن معاني بلغ : أفلس .

يعرض عليه ولاية الأعمال بالأهواز وفارس ، فإن استجاب حمله معه ليكتب له الكتب ويخرج إلى عمله ، وإن امتنع أوقفه على الفصل وقال له : ليس يصلح للوزير ولا لى مقامك بالحضرة ، فأخرج إلى حيث تختار من غير إخراج ولا توكيل . فأحضره الحسن وخاطبه بذلك فامتنع من العمل ، فأقرأه حينئذ الفصل من رقعة صاحب الخبر ، وتقدم إليه بالخروج إلى حيث يريد ، فاختر واسط ، وانحدر إليها حينه ^(١) . فلما دخلها قصده العمال والتناء ^(٢) هناك ، ولقوه وأكرموه وعظموه . وكُتِبَ إلى ابن الفرات بذلك ، فكتب إلى محمد بن على البرزوفى بالقبض عليه ، فقبض عليه فى يوم جمعة من المسجد الجامع ، وطالع ابن الفرات بحاله ، فرسم له مطالبته بما بقى عليه من مَالٍ مُصَادَرَتِهِ فى وزارته الثانية وهو سبعة عشر ألف دينار . ففعل البرزوفى ذلك وأدّى النعمان سبعة آلاف دينار .

وأما أحمد ^(٣) بن محمد بن بسطام فكان مصاهراً لحامد بن العباس ومتقلداً بهز سِيرَ والرومقان وإيفار ^(٤) يقطين فى وزارة على بن عيسى . فلما رأى ما الناس فيه مع الحسن بن الفرات استتر عند الشاه بن ميكال ، وعرف الحسن خبره فكبسه وأخذهُ وقرر عليه ثلاثمائة ألف دينار ، وطالبه مطالبة زاد فيها ، حتى أخرجهُ من نعمته وضيعته ^(٥) ، ثم عمل على إخراجهِ إلى واسط عند قُرْبِ مُؤَنَسٍ واستيحاشه منه ،

(١) فى الأصل نفسه .

(٢) التناء جمع تانى . والتانى هو المقيم بالمكان .

(٣) انظر تجارب الأمم ٩٣/٥ وذكر أنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس .

(٤) الإيفار أن يقطع الأرض بغير خراج . وجاء فى حاشية بعض مخطوطات الكتاب ما يأتى : الإيفار تسوينغ السلطان الأرض من شاء من غير أن يؤدى ما عليها .

(٥) فى تجارب الأمم . استخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطه بمائتى ألف دينار ، بعد مكروه غليظ .

وكتب له بولاية بعض النواحي فخاف وقوع حيلة عليه بذلك ، فاستتر استتاراً ثانياً حتى زال أمر ابن الفرات .

وأما إبراهيم أخو علي بن عيسى فإنه كان ملازماً لمنزله في أيام حامد وعلي ابن عيسى ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تأخر عن تهنئته ، فوقّع إليه ^(١) توقيعاً جليلاً أمره فيه بالمصير إليه ، فجاءه من وقته ، وقبض عليه وطالبه بأحد عشر ألف دينار ، بقيت عليه من جملة خمسين ألف دينار صادرة عليها في وزارته الثانية . فاحتج إبراهيم بأن القنديل بالله وضعها عنه ، وأظهر توقيعاً معمولاً في اللواوين شاهداً على قوله ، فلم يقبل ذلك منه ، وطالبه حتى أدى المال ، فلما أداه أحضره مجلسه ، وواقفه على أمور كانت في نفسه عليه منذ أيام العباس بن الحسن ، وصادته مصادرة مُجدّدة على عشرين ألف دينار ، ثم سلمه إلى الحسن فأوقع به مكروهاً شديداً إلى أن وفي القيمة ، ثم نفاه إلى البصرة ، وسلمه إلى ابن أبي الأصغ عاملياً ، فقيل : إنه سمه فات .

وأما عبيد الله أخوه فإنه كان جليلاً في منزله ، فأنفذ الحسن من جملة إليه في محفّة وطالبه وأوقع به مكروهاً كرّره إلى أن ضمنه أبو الحسين بن روح وجماعة بما قرره عليه . فلما أداه أخرجه إلى الكوفة .

وأما أبو علي عبد الرحمن فإنه استتر بعد القبض على أبي الحسن أخيه ، فلم يُعرف له خبرٌ مع شدّة الطلب له ، والحرص على حصوله .

وأما أبو الحسن علي بن مأمون الإسكافي كاتب ابن الخواري فصور على مائة ألف دينار ، وأدى بعضها ، وتلف تحت المكروه .

(١) في الأصل فوقع عليه .

وأما أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل فكان بفارس ، وكتب الحسن إلى جعفر بن محمد العامل هناك بالقبض عليه وعلى زيد بن إبراهيم عامل كرمّان ، ومصادرتهما على مال حدّه له ، فإن أذعنّا وإلا أشخصهما إلى الحضرة ، فافتديا أنفسهما بما التمس منهما إشفافا من إنفاذهما إلى الحسن .

وأما أبو زنبور^(١) الحسين بن أحمد المادرائي فكان ضامنا لمصر والشام في أيام حامد فتنكر له أبو الحسن علي بن عيسى وصرفه بأبي الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوهاب كاتبه ووليّ أبو الحسن بن الفرات فأقرّ أبا الحسين على نظره وكاتبه بحمل أبي زنبور إلى الحضرة ، وكان بدمشق ، فأنفذه إلى مؤنس المظفر وهو بحلب ، وأنفذ ابن الفرات رائقا خادما السيدة حتى حمله من حلب إلى بغداد ، ووصل فاعتقله ابن الفرات اعتقالا جيلا . ثم جمع القضاة وأصحاب الدواوين وأخرجه إلى مجلسه ، وقد حضر الحسن وأبو العلاء بن سنجلا كاتبه على ديوان المغرب وأحضرا أعمالا عملاها له ، ووقعت المناظرة له على أبوابها ، فالزمه ابن الفرات منها ألف وأربعمائة ألف دينار ، ثم استكثرها فحط منها سبعمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بالباقي وعرضه على المقتدر بالله فأحمدَ فعله فيه ، وزاد^(٢) ابن الفرات في مراعاة أبي زنبور وإحسان عشرته لأنه كان يسترجله ويستجلده ، وسامه أن يواجه علي بن عيسى بأنه أرفقه^(٣) في أيام تقلده ديوان المغرب وبعد ذلك في وزارته ، فاستعفاه . فقال له ابن الفرات : فلم واجهتي^(٤) بأمره وليس تواجهه بأمرى . فقال له : ما أجدت عاقبة تلك الحال ولا استحسنها لي أحد ، مع الظاهر من إساءة الوزير إلى تسليمه إياي إلى ابن بسطام

(١) انظر تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٢) تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٣) أرفقه هنا يراد بها أنه نفعه بأموال .

(٤) راجع هذه المواجهة فيما سيأتي وتجارب الأمم ٦١/٥ .

و بسط يده على [في أيام وزارته الثانية] ^(١) فكيف تستحسنون لي الآن معاملة
على بن عيسى بالقيح على ماله عندي من الجليل القديم ؟ فأمسك ابن الفرات عنه .
وقدم ^(٢) محمد بن علي المادرائي من مصر ، ولم يكن تقلد في وزارة حامد عملا ،
فتوخر على أموال تلزمه وبقايا عليه في وقت شركته للحسين بن أحمد ، فاحتج لنفسه
احتجاجا قال له ابن الفرات في آخره : فلست بأعلم وأعرف من الحسين بن أحمد ،
وقد أورد أكثر مما أوردت ، فلم يدفع ذلك عنه ما وجب عليه . وأخذ خطه طوعا
بألف ألف ومائة ألف دينار . وكتب عليه بها كتاب دين المقتدر بالله في نجوم ^(٣)
ثبتت ، وأشهد على نفسه القضاة والشهود فيه .

وكان الحسن ^(٤) بن الفرات يكرم محمد بن علي ويتناول له إذا حضر عنده ،
وأطلقه إلى داره رعاية لما ذكر أنه حمله إليه من أموال كثيرة وجواهر ثمينة وخدم
رُوقَة ^(٥) وسلم محمد بن علي والحسين بن أحمد إلى مؤنس المظفر عند خروجه إلى الرقة
ليستوفي منهما ما تقرر عليه أمرهما ويصرفه في نفقات رجاله .

وكان مؤنس ^(٦) المظفر عند تقلد أبي الحسن بن الفرات الوزارة في هذه الدفعة
غائبا في الغزو . فلما عاد كثرت الحديث بإنكاره ما جرى على الكتاب وغيرهم من
أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنه ، وما كان من وفاة حامد مسموما وأن أكثر
الفرسان التفاريق المقيمين بالحضرة قد عملوا على أن ينضموا إليه لتزوج لهم أرزاقهم
به ، فثقل ذلك على ابن الفرات ، وركب بعد أسبوع من قدوم مؤنس إلى المقتدر بالله

(١) زيادة من تجارب الأمم ليتضح بها الكلام والكلام فيه يكاد يتفق مع الأصل .

(٢) تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٣) النجوم يراد بها الأقساط . (٤) تجارب الأمم ٩٥/٥ .

(٥) الحمد الروقة هم الحسان ، يستعمل لفظ روقة للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد .

(٦) تجارب الأمم ١١٥/٥ .

وخلا به ، وعرفه ما عليه مؤنس من اجتذاب الجند إليه ، وأن ذلك إن تمَّ غلب على الأمر وصار أمير الأمراء ومدَّ يده إلى الأموال وأقلَّ مُراعاة الخدمة واحتشام الخلافة . وأغراه به إغراء شديدا وخوفه منه تخويفا كثيرا .

فلما ركب مؤنس إلى المقتدر بالله قال له بمحضر من ابن الفرات : ما شيء أحب إليَّ من مقامك ، عندى لأنتى أجمع فى ذلك بين الأنس بقرب دارك ، والتبرك برأيك والانتفاع بمكانك ، ولكن أرزاق الفرسان التفاريق عظيمة ، وما يمكن إطلاقها ولا النصف منها على إدرار ، ولا يطيعون فى الخروج إلى بعض الجهات ، وإذا أقت طالبوا بالانضواء إليك ، فإن أُجيبوا لم يف ما يُحصل من أموال السواد والأهواز وفارس والمشرق بنفقات الحضرة ومال من يجمع معك ، وإن لم يُجابوا شغبوا وافتتن البلد . ثم إنك إن أقت لم يُرج مال ديار مُضرَ وريبعة والشام ، ووقفَ مقررَّ على المادرائين ، والصواب أن تخرج إلى الرقة ، فإنها واسطة أعمالك وعمل الخراج والمعاون بمصر والشام يهابونك ويراقبونك ، ويحملون الأموال مراعاة لك وخوفا منك ، ويستقيم أمرُ المملكة بذلك .

وأمره بالشخص إلى هناك من وقته فى سائر من يرسمه .

وكان المتكلم عن المقتدر بالله ابن الفرات . فعلم مؤنس أنه أمرٌ قد تقرَّر برأيه وتدييره وعلى حكم ما يعتقده من عداوته ، فقال : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، إلا أنتى استأذن فى المقام بقية شهر رمضان ، فإذا أفطرت وعيَّدت سرت وتوجهت . فقال له : افعل .

فلما عيد ركب إلى ابن الفرات لوداعه ودخل إليه فقام له قياما تاما ، واستغفاه مؤنس من ذلك فلم يُغفهِ وحلف عليه أن يجلس معه على المصلى فامتنع . وسأله مؤنس فى عدة أمور فوقع له بها وأجابه إلى جميعها ، ونهض فأراد ابن الفرات

القيام له عند نهوضه فأقسم عليه برأس الخليفة أن لا يفعل، وسار إلى الرقة.

وأما نصر^(١) القشورى الحاجب فإن ابن الفرات لما فرغ من إخراج مؤنس وإبعاده عن الحضرة عدل إلى أمره، وكثر على المقتدر بالله الأموال في جنبه، وأعلمه عِظَم ضياعه وارتقاعه ومراقبته ومنافعه وما يصل إليه من أعمال المعاون الرسومة بولايته، فأجابه إلى القبض عليه، وتسليمه إليه دون شفيع [المقتدرى]^(٢). وقد كان القول منه فيهما جميعا.

وعرف نصر ما جرى في بابه، فلجأ إلى السيدة، ومضى في بعض أيام نوبته إلى منزله واستتر، وكلمت السيدة المقتدر بالله في أمره وقالت له: قد أبعد ابن الفرات مؤنسا وهو سيفك، ويريد أن ينكب نصراً وهو حاجبك، ليمكن من مجازاتك على ما فعلته من إزالة نعمته وهتك حريمه. فياليت شعري من يكون عونك عليه مع ما قد ظهر من شره وشر المحسن ابنه وأخذها الأموال وقتلها النفوس؟ فوعدها بالدفع عن نصر، وراست السيدة نصراً بالظهور والحضور، فأمن وأنس، وعاد إلى خدمته.

واستأنف التذلل لابن الفرات وابنه. وما ترك ابن الفرات الواقعة فيه، والإغراء به حتى قال للمقتدر بالله: ما ضيع عليك الأموال التي أنفقتها على محاربة ابن أبي الساج^(٣) غيظه، لأنه عاداه وأوحشه من أجل غلام له كان يتولى أعمال أرمينية، فصرفه ابن أبي الساج، فأفسد رأيك فيه حتى جرى ما جرى.

فلما^(٤) كان في بعض أيام حضر صاحب لأبي طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) تجارب الأمم ١١٧/٥.

(٢) أى أذن له في القبض على نصر ولم يأذن له في القبض على شفيع المقتدرى.

(٣) انظر - يوسف بن أبي الساج حوادث ٣٠٤ تاريخ ابن الأثير.

(٤) تجارب الأمم ١١٧/٥.

— أحد القواد المضمومين إلى ابن أبي الساج — عند ابن الفرات ، فعرفه أن كتاب أبي طاهر ورد عليه بأن يوسف ^(١) بن أبي الساج واقع أحمد بن علي فقتله وأخذ رأسه وحمله مع جثته إلى بغداد . وركب المحسن إلى المقتدر بالله واستأذن عليه ، فأوصله مفلح الأسود حيث لم يحضر نصر الحاجب ، وبشره بالفتح وقرأ عليه الكتاب الوارد به ، وعرفه أن نصرا يكره ذاك ، فلهذا طواه عنه وكتبه إياه .

ولم يبعده ^(٢) بعد هذه الحال أن وجد المقتدر بالله رجلاً أعجمياً واقفاً على سطح مجلس من مجالسه ، وعليه ثياب ديبقية ^(٣) . ومن تحتها ثياب صوف ومعه مخبرة ومقلمة ، وأقلام وسكين وورق وسويق . فأخذ وسئل عن أمره فقال : ما أخطب إلا صاحب الدار . فقيل : قل ما عندك . قال : ما يجوز . وأخرج إلى أبي الحسن ابن الفرات ، فقال : أنا أقوم مقام صاحب الدار ، فقل ما عندك . فقال : ليس يجوز إلا خطاباً في نفسه ^(٤) . فرُفق به فلم يغن الرفق . وحمله الخدم حينئذ وضربوه ضرباً عنيفاً ، فعدل عن الكلام بالعربية إلى قوله بالفارسية : « ندانم » ^(٥) ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها في كل ما يخاطب به ، وأخرج بعد أن مات تحت العقوبة إلى رجة الجسر ، وصلب هناك ^(٦) وضرب بالنار .

وتحدث الناس بأن ابن الفرات دسّه ليؤم المقتدر بالله أن نصراً الحاجب أراد الاحتياط عليه به .

(١) انظر ذلك في ابن الأثير حوادث ٣١١ وورد شرح الخبر بذلك في ٣١٢ كما ينظر تجارب الأمم ١١٩/٥ .

(٢) ذكرت القصة في ابن الأثير حوادث ٣١٢ والمنتظم ١٨٧/٦ وتجارب الأمم ١١٨/٥ .

(٣) نسبة إلى ديبق كانت تصنع بها ثياب حسنة .

(٤) زاد تجارب الأمم : ومأثته عما أحتاج إليه .

(٥) فسرهما ابن الأثير فقال معناها : لا أدري .

(٦) في تجارب الأمم : فصلب ولم عليه جبل من قتب ومشاقة ولطح بالنفط وضرب بالنار .

وخطب^(١) ابن الفرات نصرا الحاجب بحضرة المقتدر بالله في أمر هذا الرجل فقال له : ما أظنك ترضى أن يجري عليك في دارك مثل ما جرى على دار أمير المؤمنين ، وأنت حاجبه ، مما لم يتم على أحد من الخلفاء ، ولا شك أن الرجل صاحب أحمد بن علي أخى ضلوك لأنه مجمى ، فإما أن يكون أحمد بن علي واطاك على أمره قبل قتله وأنفذه فورد في هذا الوقت ، أو تكون دستته لثقتك بأمر المؤمنين خوفاً على نفسك منه ، فمعلوم أن ابن أبي الساج عدوك وأنت صديق أحمد بن علي . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري لم أفعل بأمر المؤمنين وهو مصطنع مثل ذلك ، لأنه أخذ أموال^(٢) وضياعي وحسني خمس سنين ؟ قال المقتدر بالله لنصر : دع هذا ، فلو تم على بعض العامة ماتم على لكان عظيماً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن الفرات يقف أمري ، ويسعى على بقيق أثري ، ويؤخر أرزاق الرجالة المصافيصة الذين برسمي - وكانوا عشرة آلاف رجل - فأجابه ابن الفرات جواباً استوفاه ، وبين الزيادة فيما ينصرف إليه على ما كان يقبضه نظراؤه . وقال للمقتدر بالله : إن أمر أمير المؤمنين أن أخرج أرزاقه وأرزاق أولاده وعلمائه وفوائده ومراققه وما كان يُقام لأمثاله من الحجاب في أيام الناصر والمعتضد والمكفي فعلت . فتقدم إليه بذلك ، وواقف ابن الفرات الكتاب عليه ، وضعت نفس نصر الحاجب وكانت السيدة تشد منه ، وتواصل خطاب المقتدر بالله في معناه ، واندفع^(٣) أمره إلى أن ورد الخبر في يوم الجمعة لثمان بقين من المحرم

(١) تجارب الأمم ٥ / ١١٨

(٢) يعرض بذلك إلى أن ابن الفرات هو الذي حبسه الخليفة وهو الذي يدبر ذلك . وفي تجارب الأمم : ليت شعري أدبر على أمير المؤمنين لأنه أخذ أموالاً وهتك حرمة أو قبض ضياعي أو حبسني خمس سنين ؟ وفي ابن الأثير : لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعتني من التري إلى الترياً لعماسي في قتله من صادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه .

(٣) الذي في تجارب الأمم وهو أوضح ٥ / ١١٩ واندفع عنه الكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاج .

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة بأن أبا^(١) طاهر بن أبى سعيد الجنبى أخذ الحاج بالهيبير وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كشمرد ونحريرا العمري وأحمد بن بدر عم السيدة وشفيعاً خادمها وفلقلاً وجماعة من الحرم والخدم ، ومات الكثير من الناس بالعطش والخفا والرُّجْلَة^(٢) فانقلبت بغداد فى جانبها ، وخرجت النساء إلى الطرقات مُسَوِّدَاتِ الوجوه مُنْشَرَاتِ الشعور يصرخن ويلطمئن ، وانصرف إليهن حُرْمٌ من نكبه وقتله ابنُ الفرات . ففَجَحَتِ الحالُ قُبْحاً شديداً . وتقدَّم ابنُ الفرات^(٣) إلى نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة لِزَمَّ^(٤) العامة ومنع الفتنة . وضعفت نفسُ ابنِ الفرات بهذه الحادثة ، وركب فى آخر نهار يوم السبت إلى المقتدر بالله ، وشرح له الصورة على ما أورده الزنجيُّ سابقُ الحاج ، واستدعى المقتدر بالله نصراً الحاجب ، وأدخله فى الخطاب والمشاورة ، فانبسط لسان نصيرٍ على ابنِ الفرات وقال : الساعة تقول ما الرأى بعد أن زعزعت أركانَ المملكة ، وأطمعت الأعداء بإبعاد مؤنسٍ عن الحضرة ، ومن يدفع الآن هذا العدوَّ إن حاول بالسلطان أمراً ؟ وأشار على المقتدر بالله بمكاتبة مؤنس واستقدامه ، فأمره بذلك .

فلما خرجا سأل ابنُ الفرات نصراً ألا يكتب إلى مؤنس شيئاً إلا بعد نفوذ كتابه ، فوعده بالتوقف وعداً لم يَفِ به . وأنفذ الرسل من وقته ، وكتب إليه ابنُ الفرات عن المقتدر بالله بالانكفاء^(٥) إلى الحضرة . ووئب العامة إلى ابنِ الفرات ، ورجحوا طيَّاره بالأجر^(٦) ورجعوا ابنه الحسن وهو فى موكبه على الظَّهْرِ^(٧)

- (١) انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج، والمنظم ١٩٨/٦

(٢) الرجل المشى على الأرجل .

(٣) تقدم إليه بكنا طلب إليه أن يفعله وأمره به

(٤) أى اكبح جماحهم كأنه يربطهم ويشدهم .

(٥) أى بالرجوع إلى دار الخلافة . (٦) الأجر : الطوب المحروق بالنار .

(٧) وهو راكب على جواد أو ما أشبهه .

وذكروها في الطرق والأسواق بالدعاء عليهما . وبرز ياقوتُ إلى مضاربه بباب الكُناس للتوجه إلى الكوفة ، ومنعَ القرمطى منها إن حَدَّثَ نفسه بورودها . ثم وردت الكتب والأخبار بانصراف القرمطى إلى بلده بما أخذه من الأموال والأمتعة والأحمال والأسارى ، فرُدَّ ياقوت وكثر الإرجاف بابن الفرات وابنه الحسن . فكتب^(١) إليهما المقتدر بالله رقعة تتضمَّن التسكينَ منهما ، واليمينَ على حسن اعتقاده فيهما ، وما هو عليه من الثقة بموالائهما والإحسان لخدمتهما ، وأمرُهما بإظهارها لأهل الحضرة وإنفاذ نسخها إلى عمال المعاون والخراج .

وركب أبو الحسن وابنه الحسن إلى المقتدر بالله في يوم الأحد ثمانِ بقين من صفر ، فأصلح^(٢) بينهما وبين نصر الحاجب ، وأمرهم بالتضاfer على ما فيه صلاحُ الدولة ، وورد هلال بن بدرٍ برسالة مؤنسٍ إلى المقتدر بالله . فوَصَّلَ وأدَّاها وسمع جوابها ، وعاد به إلى مؤنس من غير أن يَحْضُرَ ابنُ الفرات ، ووافق دخول مؤنس في أول شهر ربيع الأول ، فخرج نصرُ الحاجبُ والأستاذون ووجوه القواد والعلماء لاستقباله .

ثم دخل يوم الأحد لسبع خلون منه . ثم بدأ بدار المقتدر من وقته ، وخدم وانصرف إلى داره ، فركب ابنُ^(٣) الفرات إليه للسلام عليه ، ولم يفعل مثل ذلك أحدٌ من الوزراء قبله ، وأوْذِنَ مؤنسُ به ، فخرج إلى باب داره واستعفاه من الصعود فلم يُعَفِّه ، وصعد وهنأه بمورده ، ونهض لينصرف ، فخرج مؤنس معه إلى أن نزل إلى طياره وقبَلَ يده ، وسأله العود إلى موضعه ففعل . وركب أبو العباس بن المقتدر بالله إليه أيضاً فخرج حافيا حتى نزل إلى طياره . وصار ابنُ الفرات وابنه الحسن

(٢) تجارب الأمم ١٢٢/٥

(١) تجارب الأمم ٢٤/٥

(٣) تجارب الأمم ١٢٢/٥

من غد وهو يوم الاثنين إلى دار المقتدر بالله ، ووصلا إليه وخاطباه بما أراداه وَوَلَّيَا
للانصراف ، فعاد المحسن وحده وقال للمقتدر بالله : قد عرفت يا أمير المؤمنين ضيقَ
المال وكثرة النفقات ، وهاهنا وجوه ثلاثمائة ألف دينار تصحُّ في مدَّةٍ قريبة ، فإن
أذنت في استخراجها استخرجت . فقال : قد أذنت لك . وخرج فلحق أباه . فلما
أرادا ^(١) الخروج من الصحن التسعيني أقعدهما نصرُ الحاجب في مجلس بالقرب ،
وراسل الغلمانُ الحَجْرِيَّةُ المقتدر بالله في القبض عليهما على لسان مفلح الأسود ، فدخل
وأدى إليه ذلك . ثم قال له : إنَّ في صرف الوزير بقول هذه الطائفة خطأ في التدبير
وإطامعا للغلمان . فأمره بأن يخرج ويقول لنصر حتى يصرفه ، ويقول للغلمان : إننا
نفعل فيما راسلتمونا به ما يجري الأمر فيه على محابكم . فلم يُقدِّم مفلح على الخروج
إلى نصر بهذا الجواب ووقف عند الستر وقال : ينصرف الوزير .

فتكلم الغلمانُ كلاما كثيرا حتى أنفذ إليه مفلح من وعدهم عن الخليفة بلوغ
مرادهم ، فحينئذ أذن نصر للوزير في الانصراف . فذكر بعض من كان معهما أنهما
لم يزالا يمشيان في الممرات مشيا سريعا حتى نزلا إلى طيارها ، وقدا إلى دار الوزير
وصعدا . وسارَّ المحسن أباه سِرًّا طويلا . ثم خرج ومضى إلى داره فجلس فيها ساعة
حتى نظر في أمره واستتر .

وجلس ابنُ القرات ينظر في الأعمال وبين يديه جماعة من كتابه . ثم قام
إلى دور حُرَّمه فأكل عندهم . وخرج وقت العصر فتشاغل بالوقوف على ما ورد ،
وأمر ونهى على رسمه من غير أن يبين فيه خوف أو زوال عن العادة ، وبات

تلك الليلة على هذه الجملة ، فحدث ^(١) بعض خواصه أنه سمعه في آخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدمه خير له أم وراؤه
وبكر من غد فجلس لأصحاب المظالم . قال أبو القاسم ^(٢) بن زنجي : فبينما هو في قراءة رقاعهم واستماع ظلامتهم إذ وردت عليه رقعة لطيفة مختومة ، لم أعلم في الوقت ممن هي ، ثم عرفت أنها كانت من مفلح ، وتلتها رقعة أخرى من كاتب مفلح ^(٣) ، فلما وقف عليها أمسك قليلاً ، ثم دعا أبا زكرياء يحيى الدقيق قهرمانه فأسر إليه مالا أدرى ما هو ، فانصرف . وقال لأبي إسحاق المدبر : خذ قصص المتظلمين واجمعها لتعرضها الليلة على وأوقع فيها وتفرقها عليهم من غد .

ونفض من مجلسه إلى دور حرمه وتفرق الناس ولم يبعد أن وافى نازوك ومعه سلاح ، ويده دُبُوس ^(٤) ، وتلاه يلبق على مثل هذه الصورة ، ومع كل واحد منهما خمسة عشر غلاماً . فلما لم يروه هجموا على دار حرمه ، وأخرجوه حاسراً ، وأنزلوه في طيار ، وحمل إلى دار نازوك ، وقُبِض معه على الفضل والحسن ابنيه ، وعبد الله بن جبير وسعيد بن إبراهيم التستري وأبي غانم سعيد بن محمد كاتب الحسن وابن هشام وأبي الطيب الكلؤذاني .

ومضى ^(٥) نازوك ويلبِق إلى مؤنس فعرفاه الخبر ، وقد خرج إلى باب الشماسية للتنزه ، فأنحدر معه هلال بن بدر ، وجماعة من القواد ، وسار يلبق إلى دار نازوك وأخرج

(١) تجارب الأمم ١٢٥/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر القبض على الوزير ابن القرات .

(٢) تجارب الأمم ١٢٥/٥ .

(٣) في تجارب الأمم : من رجل يجري مجرى الجند - كان ملازماً لدار السلطان .

(٤) الدبوس : عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكرة .

(٥) تجارب الأمم ١٢٦/٥

ابن الفرات وابنيه وكتبابه إلى شاطئ دجلة . فلما شاهداهم العامة رجوهم . وأنزل مؤنس ابن الفرات معه في طياره ، فأظهر السرور بحصوله في يده ، ورفع مؤنس وخاطبه بمجمل وعاتبه مع ذلك عتاباً كثيراً بحضرة الناس ، فتذلل له وخاطبه بالأستاذية . فقال له : الآن تخاطبني بالأستاذية وبالأمس تخرجني إلى الرقة على النفي^(١) والمطر ينزل على رأسي ؟ ! وتقول لمولانا أمير المؤمنين إنني أسعى في فساد مملكته ؟

وانحدر به إلى دار السلطان وأصعد به إليها . وسلم ولداه وكتبابه إلى نصر الحاجب . واجتمع^(٢) القواد إلى مؤنس ونصر وقالوا : إن اعتقل ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا بأسرنا إلى المصلي وشعبنا .

وزادوا في القول وأكثروا ، فاستدعى المقتدر بالله مؤنساً ونصراً واستشارها ، فأشارا بإخراج ابن الفرات من الدار وتسليمه إلى شفيع اللؤلؤى ليكون عنده ويسكن القواد إلى ذلك . فاستدعى شفيع وسلم إليه .

ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني في الوزارة ، على ما ذكرناه في أخباره^(٣) .

واتهى^(٤) الأمر في ابن الفرات إلى أن تقدم المقتدر بالله بتسليمه إلى الخاقاني فتسلمه في يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وسلم معه الدقيق قهرمانه ، ورد الخاقاني منظر ابن الفرات إلى ابن بُعد شر^(٥) ، فأخذ من

(١) في الأصل على البقر . وفي تجارب الأمم ١٢٦/٥ تخرجني على سبيل النفي إلى الرقة والمطر يصب ، هذا وقد تكون الكلمة أيضاً محرفة عن النفر « بفتح فسكون » وهم الذين ينفرون معك

(٢) تجارب الأمم ١٢٧/٥ (٣) انظر أيضاً تجارب الأمم ١٢٧/٥

(٤) تجارب الأمم ١٢٧/٥ - ١٢٨

(٥) هو أبو العباس كاتب الخاقاني كما في تجارب الأمم ١٢٨/٥ .

ودائع أقرّ بها مائة وخمسين ألف دينار . ثم أوقع به مكروها كان سببا لتقاعده عن أداء شيء بعده . ومضى هارون بن غريب - وكان موكّلاً به - إلى المقتدر بالله فقال له : إن ابن الفرات ممن لا يُدْعَن بمال وينقاد إلى أداء بالقبيح ، وقد جنى الخاقانيّ جناية كبيرة بتسليمه إياه إلى ابن بعد شرّ حتى خرّق به ^(١) وعسفّه . فتقدم المقتدر بالله إلى الخاقانيّ بأن يجعل مطالبة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب ، وكان ابنُ بعدِ شرّ قد ضيق على ابن الفرات في مطعمه ومشر به ، واقتصر به على خبز خشكار ^(٢) وقنّاء وماء الهواء . فحمل إليه الخاقانيّ طعاما واسعا جميلا وفاكهة وتلجا كثيرا ، واعتذر إليه مما جرى وحلف أنه لم يعلم به .

ثم راسله ^(٣) مع خاقان بن أحمد بن يحيى ومحمد بن سعيد حاجبه وقال له : الرأي أن تقرّ بأموالك ولا تُتَلَج ^(٤) السلطان فتؤكّد سوء رأيه فيك . فأجابه بما قال فيه : لستُ أيها الوزيرُ حَدَثًا تَخْدَعُنِي ، ولا غِرًّا فتحتال عليّ ، وما أقولُ إنني ما أقدر على المال ، لكنني إن وثقتُ لنفسي بالسلامة والخلاص ، وأعطاني الخليفة أمانه بخطه ، وأشهد لي فيه الوزير والقضاة والغلمان . وسأمنني إما إلى مؤنس النظفّر ، وإن كان عدوى ، أو إلى شفيع اللؤلؤي ، قرّرتُ أمري وأعطيت مالي . فأما أن أكون على ما أنا عليه ويراد مني المال فذلك ما لا أفعله .

فأعاد الخاقانيّ ^(٥) مراسلته : بأنني لو قدرت على التوثق لك توثقتُ ، ومتى قلتُ في هذا المعنى قولاً عاداني خواصُّ الدولة ولم تنتفع أنت ، وقد ردّ أمير المؤمنين أمرَك إلى هارون بن غريب ، وهو قريبه وثقتُه . ولمعمرى إنه عدوك ، ولكن العدو ربما رقى في مثل هذه الصورة ، والصواب أن تُدارِيه وتلاطفه .

(١) خرّق به : ارتكب معه أفعال الحق . وعسفّه : ظلمه .

(٢) الخبز الخشكار : هو غير النقي من رده . (٣) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

(٤) لاجه : تهادى معه في الحصومة . (٥) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

وحضر هارون^(١) دار الخاقاني واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بُعْدِ شَرٍّ بحضرته . فلما خرج من القول إلى الإسماع^(٢) زبره هارون^(٣) وقال له : تريد أن تستخرج المال من ابن الفرات على هذا الوجه ! وأقبل على ابن الفرات وقال له : أنت أعرف بالأمور من أن تُعرِّفَهَا^(٤) . والخلفاء لا يُبَلِّغُهُمْ كُتَابُهُمْ ووزراؤهم إذا سخطوا عليهم ، والرأي لك ، غَيَّرَ ما أنت فيه . فقال : أشر على أيها الوزير ، فإن الرأي عازبٌ غنى^(٥) مع حصولي فيما أنا حاصل فيه . ولم يزل معه في مقابلة ومراوضة إلى أن أخذ خطه بألفي ألف دينار يُعَجِّلُ منها الربع ، على أن يحسب له من الربع بما صنع من ودائعه بإقراره وغير إقراره منذ وقت القبض عليه ، ويُطلق في بيع ما يستبيع من ضياعه وأملاكه وينقل إلى دار شقيق اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان ، ويطلق أبو الطيب كاتبه ليتصرف له في أموره ، وتطلق له الدَّوَاةُ ليكتب من يريد أن يكتبه ، ويؤذن لمن يبتاع شيئاً من أملاكه في الوصول إليه .

وصار هارون بن غريب بالخط إلى المقتدر بالله فعرضه عليه . واتفق أن وجد ابنه الحسن ليلة الجمعة الحادية عشرة من ربيع الأول ، فقبض عليه ، ومحل إلى دار الوزارة بالمُخَرَّم . وكان^(٦) من شرح الحال في أخذه أنه لجأ في استتاره بعد القبض على أبيه إلى حماته حنزابة^(٧) والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، فكانت تحمله كل يوم بُكَرَةً إلى المقابر في زِيِّ النساء ، وتعيده إلى المواضع التي تثق بها ، فمضت به

(١) تجارب الأمم ١٣٠/٥

(٢) إلى الإسماع : إلى الكلام السكروه ، وفي تجارب الأمم : فبدأ ابن بعد شر يسمعه السكروه

(٣) زبره : منعه ونهاه (٤) في تجارب الأمم : أنت أعرف بالأمور من كل من يخاطبك

(٥) عازب غنى : أي غائب .

(٦) ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر قتل ابن الفرات وولاه الحسن ، وتجارب الأمم ١٣١/٥

(٧) في ابن الأثير : حنزابة .

بكرة يوم الخميس على هذه السبيل إلى مقابر قریش ، فأُست مساءً بعدَ عليها معه الوصولُ إلى دواخل الكرخ ، فوصفت لها امرأةٌ كانت معها منزلَ امرأةٍ تعرفها وتأنمها ، ولا زوج لها لأنه توفى قبل ذلك بسنة ، حملته حِزَابَةٌ ومعه جماعةُ نساءٍ إلى هذه المرأة التي ذُكرت لها وهي غيرُ عارفةٍ بها ، ودخلت الدار وقالت : معي امرأةٌ عاتقٌ لم تنزوج ^(١) وقد انصرفت من مأتمٍ وضاق عليها الوقت ، وسألتهَا أن تُفردَ لها موضعا . فأفردت لها بيتا في صُفَّةٍ ^(٢) ، وأدخلت الحسن إليه وردَّت الباب عليه ، وحلست النسوة معه في البيت ، ووافت جاريةٌ سوداءُ للقوم بسراج فتركته في الصُفَّة ، وجاءت حِزَابَةٌ إلى الحسن بسويقٍ ^(٣) ليشر به وقد نزع ثيابه . وأطلعت الجارية السوداءُ فرأته من غير أن تشعر بها حِزَابَةٌ ، وعلمت أنه رجل ، فخذت مولاتها بذلك ، فلما تصرَّم الليلُ قامت مولاتها إلى الموضع سرا حتى شاهدته .

وكان من سوء الاتفاق أن كانت المرأةُ زوجةَ محمد بن نصرٍ وكيل أبي الحسن على بن عيسى على ثقافته ، وكان الحسنُ طلبه فحضر ودخل ديوانه ، ورأى ما يعاملُ الناس به من المكاره ، فمات فزعاً من غير أن يكلمه الحسن أو يوقع به مكروها . فضضت المرأةُ في الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى نصرٍ الحاجب ، وشرحت له الصورة . وأنهاها نصرٌ إلى المقتدر بالله . فتقدم بالبعثة إلى نازوك بالركوب إلى الموضع والقبض عليه . فركب من وقته وكبسه وأخذه . وضربت الدِّبَادِبُ ليلاً ^(٤) عند وصوله حتى ارتاع الناس لأصواتها ، وظنوا أن حادثاً حدث

(١) المرأة العاتق : هي التي أول ما أدركت أو بين الإدراك والتعنيف .

(٢) الصُفَّة : بيت مسقوف بالجريد ونحوه .

(٣) السويق : من معانيه الخمر . وفي تجارب الأمم : بسويق وسكر والسويق معناه أيضاً

الذيق الناعم .

(٤) الدِّبَادِب : الطبول ، جمع دبداب سمي بذلك لصوته .

من جهة القَرَمَطِي . وَوُجِدَ الْحَسَنُ فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ، وَقَدْ قَصَّ لَحِيَّتَهُ ، وَخَضَبَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَلَبَسَ قَمِيصًا مُعَصْفَرًا . فَأَوْقَعَ بِهِ ابْنُ بُعْدِ شَرٍّ مِنْ وَقْتِهِ مَكْرُوهًا عَظِيمًا ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ ، يُوْدِي الرَّبْعَ مِنْهَا مَعْجَلًا .

وحضر من غد هارون بن غريب ، وخاطبه على إظهار ماله ، فوعده بتذكُّر ودائعه والدلالة على مواضعها ، وناله مكروه عظيم في يومين فلم يُذعن بدوهم واحد . وقال : لا أجمع بين ذهاب نفسي ومالي . وأعيدت مخاطبته ومطالبته بِمَخْضَرٍ مِنْ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَشَفِيعِ اللُّؤْلُؤِيِّ . وَجُدُّدُ الْمَكْرُوهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ هَارُونَ : هَبْكَ لَا تَقْدِرَ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَمَا تَقْدِرُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ؟! قَالَ : بَلَى إِذَا أَتَمَّهْتُ وَأَزِيلَ عَنِّي الْمَكْرُوهَ . فَقَالَ لَهُ : نَحْنُ نُحْمِلُكَ وَنُرَقِّفُكَ ، فَاصْبِرْ خَطَّكَ بِأَنْتَ تُوْدِي مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ . فَكَتَبَ وَقَالَ : فِي مَدَّةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا .

فلما قرأ ذلك هارون قال له : كَأَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَعِيشَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا : فَخَضَعَ الْحَسَنُ وَقَالَ : أَفْعَلْ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْأَمِيرُ . فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ أَنَّكَ تُوْدِيهَا فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ . فَارْتَجَعَ الرَّقْعَةَ لِيَكْتُبَ بَدَلًا مِنْهَا ، فَلَمَّا حَصَلَتْ فِي يَدِهِ خَرَقَهَا وَأَكَلَهَا . وَضُرِبَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَأَثَّرَ جَسَدُهُ بِالطَّبَرَزِينَاتِ ^(١) عَلَى أَنْ يَكْتُبَ غَيْرَهَا فَلَمْ يَكْتُبْ . فَقُبِدَ حِينَئِذٍ وَغُلِّقَ ، وَأُلْبِسَ جَبَّةَ صُوفٍ وَجَبَّةَ شَعْرٍ ، وَأُعِيدَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَعُذِّبَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمْ يُعْطَ دَرَاهِمًا وَاحِدًا . وَتَشَاغَلَ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَلْقَانِيُّ بِوَفَاةِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ أَبِيهِ ، فَوَقَفَ الْأَمْرُ فِي مَطَالِبَةِ ابْنِ الْفَرَاتِ .

فلما كان ^(٢) يوم الأربعاء لستَ بقين من شهر ربيع الأول حضر مؤنسٌ

(١) الطبرزينات : الفئوس وهي جمع طبرزين وكذلك في معناها الطبر .

(٢) تجارب الأمم ١٣٣/٥ .

المظفر ونصره الحاجب الأستاذان ^(١) والقضاة والكتاب في مجلس الوزير أبي القاسم الخاقاني وأحضر ابن الفرات ، وناظره الخاقاني ، فلم يكن من رجاله ، وكاد ابن الفرات أن يأكله . وكان من قوله له : أغللت ضياعك في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار .

فقال : قد كانت الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين ، هي أيام وزارته وأيام نظره مع حامد فما ارتفع له منها ^(٢) أربعائة ألف دينار . فإذا أغللتها أنا في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار فقد ادّعى لي المعجز بذلك . فقال له : قد أضفت إلى حق الرقبة ^(٣) حقوق بيت المال . فقال : ما يتمكّن أحد أن يستتر مافي البواوين ، فانظروا ارتفاع النواحي السلطانية في أيامي ، وارتفاعها في أيام علي بن عيسى وحامد ووزارة أبيك التي دبرتها أنت ، فإن كان ارتفاع نقص في أيامي لزممتي الحجة ، أوفي أيامكم عرف أثري . ومع هذا فقد علم الخالص والعام ماجرى في وزارة أبيك من الشغب حتى أخرج أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة خمسمائة ألف دينار أنفقها في الجيش على يد شفيع اللؤلؤي . وما فعله علي بن عيسى من إسقاط ^(٤) الناس وحطهم من أرزاقهم ، وما فعلته أنا في نظري ^(٥) من توفية الحاشية جميع استحقاقها مع زيادات تكلفتها وتحملتُها لأحب أمير المؤمنين إلى خدمته وأولياء دولته .

وخوِطب على أمر من قتل من المصادرين ، فقال : ليس يخلو الأمر من أن

(١) في الأصل والأستاذان . وفي تجارب الأمم : حضر الأستاذ مؤنس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب .

(٢) في تجارب الأمم إلا أربعائة ألف دينار .

(٣) الرقبة الحراسة والتحفظ أو هو المال الذي لا يورث عن أصل ويريد بهذا أنه أضاف أموال

بيت المال إلى ماله . وفي تجارب الأمم : فقد أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك

(٤) يريد بإسقاط الناس أنه يحو أسماءهم من كشوف الرواتب

(٥) يريد بنظره إشرافه

يقال إني قتلتهم فأنا مقيم بالحضرة ، والمُدَّعى قَتْلُهُ بِالْبُعْدِ مِنْهَا ، أو إني كتبت بقتلهم فَعُمَّالُ الْمَعَاوِنِ ثَقَاتُ^(١) السلطان ، وُعَمَّالُ الْخِرَاجِ وَجُوهُ الْمُتَصَرِّفِينَ ، وقد حَكَمْتُهُمْ عَلَى نَفْسِي فِيمَا يَقُولُونَهُ . أو كانت الدعوى على المحسن ابني فأنا غير ابني . فقال له ابْنُ بُعْدٍ شَرٌّ : إِذَا قَتَلَ ابْنُكَ فَأَنْتَ قَتَلْتَ . فقال ابْنُ الْفَرَاتِ : هَذَا غَيْرُ مَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه : « هَذَا ابْنُكَ . فقال نعم . فقال : إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ » ومع ذلك فإنه في أيديكم فسولوه فَإِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ قَوْدٌ^(٣) بادعاء قتل في بَلَدٍ نَأَى عَنْهُ^(٤) ، ويقال . إِنْ غَيْرُهُ تَوَلَّى الْقَتْلَ فِيهِ ، فَاحْكُمُوا بِمَا تَرُونَ .

فتحير القوم في الجواب . وقال عثمان^(٥) بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصير الحاجب : إِنْ رَأَى الْأُسْتَاذُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : حَيْثُ كُنْتَ تَقُولُ لِمَنْ تَطَالِبُهُ : إِنْ أَدَيْتَ وَإِلَّا سَلَّمْتُكَ إِلَى الْحَسَنِ . أَمْ كُنْتَ تُسَلِّمُهُ لِيَسْقِيهِ السُّوَيْقَ وَالشُّكْرَ أَوْ لِيُعَذِّبَهُ ؟ وَمَنْ أَطْلَقَ الْعَذَابَ عَلَى النَّاسِ فَقَدْ أَطْلَقَ إِتْلَافَ نَفُوسِهِمْ ، لِأَنَّهُ قَدْ يَتَلَفُ الْإِنْسَانُ مِنْ مِقْرَعَةٍ وَاحِدَةٍ . فقال له نصر ذلك ، فقال له في الجواب : الْخَلِيفَةُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَوَلَّى الْحَسَنَ ، وَهُوَ ضَمِنَ لَهُ مَا ضَمِنَهُ بِوَاسِطَةِ مُفْلِحٍ وَغَيْرِهِ مِنْ ثِقَاتِهِ ، وَأَنَا إِذَا ذَاكَ مَحْبُوسٌ ، وَكُنْتُ أَحَبُّ الرَّفَقِ بِالنَّاسِ فَأَنَاظِرُهُم بِالْقَوْلِ ، فَإِنْ أَدْعَنُوا وَقَارَبُوا قَارَبْتُهُمْ وَقَبِلْتُ عَفْوَهُمْ ، وَإِنْ ائْتَمَعُوا سَلَّمْتُهُمْ إِلَى مَنْ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَيْدَهُ اللَّهُ بِتَسْلِيمِهِمْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مُؤَنَسٌ : كَأَنَّكَ تُحِيلُ عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي قَتْلِ النَّاسِ ! فَقَالَ : إِنَّهُ مَا أَمَرَ

(١) في تجارب الأمم : فعَمَّالُ الْمَعَاوِنِ وَثَقَاتُ السُّلْطَانِ وَعَمَّالُ الْخِرَاجِ وَجُوهُ الْمُتَصَرِّفِينَ

(٢) الْأَنْعَامُ ١٦٤ ، الْإِسْرَاءُ ١٥ ، وَنَافِلُ ١٨ ، وَالزُّمَرُ ٧ .

(٣) الْقَوْدُ : الْقَصَاصُ

(٤) في تجارب الأمم : قَوْدٌ بِادْعَاءِ قَتْلِ فِي مَوْضِعٍ نَاءٍ عَنْهُ يَقَالُ فِيهِ إِنْ غَيْرُهُ تَوَلَّى قَتْلَهُ

(٥) تجارب الأمم ١٣٤/٥

بقتل أحد غير ابن الحواري فقط . ثم قال له : الخليفة أيده الله يقول : سَلِّمْتُ إِلَيْكَ قوماً بئالِ ضمنتَهُ لي ، فأما وَفَيْتَنِي المَالَ أَوْ رَدَدْتَ عَلَيَّ القومَ . فاضطرب ابن الفرات من هذا القول وقال : أما المَالُ فصَحَّ في بيت المال ، وأما الرجال فماتوا حتف أنفهم ، فقال له مؤنس : هب لك عذراً في كل شيء ، أي عذر لك في إخراجي إلى الرِّقَّة حتى كأني من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين ؟ قال : فأنا أخرجتك ! فقال : فمن ؟ قال : مولاك . في السفط^(١) الخيزُرَانِ - المكتوب عليه بخطي : مَا يُحْتَفَظُ به من المهمات - رقعةً بخط الخليفة ، أطال الله بقاءه ، إلى يشكو فيها أفعالكَ وقتاً بعد وقت ، وفتحك البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة ، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج .

فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحته فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكى من مضمونها . فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها ، فاعتاظ المقتدر بالله على ابن الفرات ، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط ، فعاد وأقامه بين الهنبارين^(٢) وضربه خمس درر^(٣) وقال له : أذعن يا هذا بالمال ، فكتب له خطه بعشرين ألف دينار .

وأخرج^(٤) الحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يُعْفَ^(٥) بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستغنى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم قد استقتلوا^(٦) وما ينقادون ولا يذعنون . فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع

(١) السفط وعاء كافئة أو الجوالق . أو هو ما يباع فيه الطيب وما أشبهه .

(٢) الهنباران : حجران . (٣) الدرر جمع درة وهي السوط .

(٤) تجارب الأمم ١٣٥/٥ .

(٥) أعفاه بمحقة : وفاه إياه . وفي تجارب الأمم : لم يذعن بشيء .

(٦) استقتلوا : استسلموا للقتل وعرضوا أنفسهم له .

نازوك المكاره بالحسن حتى تدوّد بدنه ولم يَبْقَ فيه فَضْلٌ لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس^(١) فلم يُعطِ شيئاً ، ولا صَحَّ للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقرَّ بها الحسن بن شبيب العتي تبرّعاً ، وواجه المحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذي كان والدي أسنده إليَّ وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويُفَرَّق في أهله . ومنها ألف دينار اجتمعت من ثمن فرش وثياب صِحَاح ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرَّت بها دنانيرُ ورهبان جاريتنا زوجة الحسن ، فإنهما كانتا ممن قبضَ عليهما وضربهما ابنُ بُعدٍ شرّاً ضرباً مبرّحاً فلم تُقرأ بغير ذلك . واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي ؟ فقال : لم أترك تَدْيِيرَ أمرهما^(٢) ، ولما رأيا أن قد سلّما إلى أصحاب السيوف وعُدِلَ بهما عن الكتاب خافا القتل وضنّا بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية ، وللمحسن أيام لم يَطْعَمَ فيها طعاماً ، وإنما يشرب الماء شرباً قليلاً ، وهو في أكثر أوقاته مَغْشَى عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فليُحْمَلَا إلى داري . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخاقاني : قد وفق الله رأى أمير المؤمنين .

وخرجوا من بين يديه . فقال الخاقاني لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حُمِلَ وابنه إلى داره ورُقِّها وأُمِنَا على نفوسهما أدياً مالا كثيراً . ولعلهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر . وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نُقِلَ ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة

(١) القلوس : الحبال الغليظة جمع قلس .

(٢) في تجارب الأمم : فقال : لأنه لم يترك والتدبير « يعني أنه لم يترك له تدبير الأمر معها » .

خلعوا الطاعة ، وأن يَثْبُتُوا على هذا القول ثبات النظار^(١) وقوة العزيمة ، وإلا فإن حصل ابنُ الفرات عند السلطان وأدَّى ماله وتوثَّق لنفسه ضَمِنَ الجاعةَ منه^(٢) ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسنا ولم يَصْفُ عِشْنَا . وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحَجَرِيَّة وموافقتهم على ذلك . وقام يَلْبَقُ باستحلاف قَوَادِ مؤنس .

فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقنذر بالله وقالوا : إن لم يُقْتَل ابنُ الفرات وابنه خَلَعَ الأولياء كلُّهم الطاعة . فقال لهم : دعوني حتى أفكر . وجدَّ هارون بن غريب خاصَّة . وأرادتِ الجاعةُ من الخاقاني التجريد في ذلك فقال : ما أدخل في دم . والذي أشرتُ به أن يُمنَعَ من حمله إلى دار السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتلُ على الملوك ضَرُّوا عليه^(٣) ، ولم يُمَيِّزُوا فيه .

وقُدِّم إلى^(٤) ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقتُ الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أَفْطِر الليلة . واجتهد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول في غدٍ لا محالة . فقيل له : نعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيتُ البارحة في النوم أبا العباس أخى وقال لى : « أنت تَفْطِرُ عندنا يوم الاثنين الذى هو غد . وما قال لى في النوم شيئاً إلا صَحَّ ، وغدُ يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسن^(٥) صلوات الله عليه .

(١) النظار : هو النصارى والتعاون .

(٢) أى أنه تعهد أن يصادر من أموالهم قدر ما معلوما .

(٣) ضرى بالشئ : تعوده وأولع به . (٤) تجارب الأمم ١٣٧/٥ .

(٥) في تجارب الأمم : الحسين .

وانحدر الناس في يوم الاثنين إلى دار السلطان فلم يصلوا ، وكتب هؤلاء الرؤساء إلى المقتدر بالله رقعة بأنه إن تأخر قتلُ ابن الفرات وابنه عن يومهم جرى مالا يُتَلَفَى . وأشاروا ^(١) إلى ما عَظَّمُوا الأمر فيه .

فوقع إلى نازوك بأن يركب إلى موضعهما ويضرب أعناقهما ويحمل رأسيهما . فقال نازوك : هذا أمر لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر بالله الأستاذين أنخذلوا بأداء رسالة عنه إليه في هذا المعنى ، فخرجوا وأدوها ، فامتنع وقال : لا بد من المشافهة بذلك ، فأمر بأن ينصرف ويعود على خلوة ، فمضى وعاد ، فأوصله المقتدر بالله حتى سمع قوله .

وكان ابن الفرات يُراعى الخبر ، فلما عرف انصراف الناس ونازوك سكن قليلا ثم قيل له : قد عاد نازوك . فخاف وأيقن بالهلاك ، وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم ، وجلس في الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلا فيها ، وأنفذ عجيبا خادمه - ومعه جماعة من السودان - حتى ضربَ عنقَ الحسن ابنه وجاء برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه ، فارتاع لذلك ارتياعا شديدا . وعرض ^(٢) هو على السيف . فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس إلا السيف ؟ راجعُ أمير المؤمنين في أمرى فإننى أقرّ بأموالى وودائعى وعندى جوهر جليل . فقال له نازوك : جلّ الأمر عما تُقدّر . ثم أمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأسُ الحسن إلى دار السلطان مع عجيب خادمه فغرقا في الفرات وطُرحت جثتاها في دجلة .

ومضى ابنُ الفرات عن إحدى وسبعين سنة وشهور ، والحسنُ عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت مدة وزارته الثالثة سنة واحدة .

(١) في الأصل : فأشاروا .

(٢) ابن الأثير حوادث ٣١٢ وتجارب الأمم ٥/١٣٨ .

وذكر أبو الطيب الكلوزاني كاتب ابن الفرات قال : رأيت في منامي وأنا في الاعتقال كأن مؤنسا المظفر قد دخل إلى موضعي وفي يديه عشرة خواتيم ، فصوصها ياقوت أحمر وواحد منها لطيف في البنصر ، فقال لي : قد قُتل ابنُ الفرات ووالله ما أردتُ قتله ، وإنما قيل لي فيه وأمسكتُ وسُقتلُ كُلُّنا بالسيف ، وأولُّنا جعفرُ المقتدر بالله ، ولا يسلم منا من السيف إلا نصرته الحاجب فإنه يموت مسموما . قال : فبألته عن الخواتيم فقال : هي عدد سني وِلايتي . قلت : فلم هذا الواحد الصغير ؟ فقال : إنه لا يُسمُّ سنة . فعاش مؤنسُ بعد هذه الرؤيا دون عشر سنين وقُتل بالسيف ،

قد مضت سياقة أمر ابن الفرات
ونحن تتبعه بما عرفناه من أخباره منشورا

حدث أبو الفتح عبد الله بن محمد المروزي الكاتب قال :
حدثني بعض الشيوخ الكتاب أن أبا الحسن بن الفرات قال لأبي منصور ابن جبير كاتبه : أيُّنا أكفى أنا أو عليُّ بن عيسى ؟ فقال : الوزير أكفى وأضبط . قال : دعني من استعمال التَّقيَّة واسلُكْ معي سبيل الحقيقة . قال : إن أردت أن تحبُر ما عندي وتسبُر^(١) عني فاجلني آمنا في قولي . قال له : أنت آمن قال : إذا حضر عليُّ بن عيسى بين يدي خليفة فأراد أن يكتب سِرا كتب وأسحى^(٢) وختم وخرط^(٣) ولم يحتج إلى مُعين ، وأنت تستدعي زنجيا ليكتب ،

(١) سبره . اختبره وجربه .

(٢) أسحى الكتاب : شده بسجاة ، وهي ما يشد به .

(٣) خرطه وضعه في الحريطة وهي وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه .

وللزنجي صاحب دواة فقيراً^(١) فيخرج السرفيا بين ذلك . فقال له : فضلت علياً علينا . قال : لم أفضله ولكن يكون^(٢) كاتبك .

وقيل : إنه^(٣) لما خلع على أبي الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع قيراط في كل من^(٤) ، وزاد سعر القراطيس لكثرة استعماله لهما ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحد من داره في وقت عشاء إلا ومعه شمعة منوية^(٥) ودرج^(٦) منصوري ، وأنه سقي في داره في ذلك اليوم واللييلة أربعون ألف رطل ثلجا .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الشاهد قال : حدثني الكاتب النصراني الملقب بظُر أم الدنيا قال :

قال أبو الحسن بن الفرات : أصلُ أمور السلطان محرقة^(٧) فإذا تمت واستحكمت صارت سياسة .

وحدث أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال : حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عن حدثه أنه :

سمع أبا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سبي الرأي فيه :

(١) في الأصل ولزنجي صاحب دواة يقرأ .

(٢) كذا بالأصل ولعلها : انظر من يكون كاتبك . أو : ولكن تصون كاتبك .

(٣) انظر ابن الأثير ذكر قتل ابن الفرات وتجارب الأمم ١٢٠/٥ .

(٤) المن ١٨٠ مثقالا والقيراط جزء من أربعة وعشرين من الدينار أو جزء من عشرين منه .

(٥) الشمعة المنوية حوالى رطلين نسبة إلى المنا وهو مقدار رطلين .

(٦) قد يكون مراداً به ما يكتب فيه فيسكون ضبطه بفتح فسكون وقد يراد به الوعاء الصغير يدخر فيه الأشياء فضبطه بضم فسكون .

(٧) المحرقة المحق .

ويحك يا أبا جعفر ما قصّة لك في رغيّف^(١)؟ قال : ما أعرف لي قصة فيه . قال
لتصدّقني فإنه خير لك . قال : نعم ، إن أمي كانت امرأة سالحة ، وعودتني منذ يوم
وُلدت أن تجعل تحت رأسي عند نومي في كل ليلة رغيفا فيه رطل ، فإذا كان الصباح
تصدّقت به ، فأنا أفعل ذلك إلى هذه الغاية . فقال ابن الفرات : ما سمعت بأعجب
من هذه الحال . اعلم أنني من أقبح الناس رأيا فيك ، وأشدّهم انحرافا عنك ، لأمر
أوجبت ذاك ، منها ومنها ؛ وعدد بعضها . وكنت مفكرا منذ أيام في القبض عليك
ومصادرتك . فإذا أويت إلى فراشي رأيت في منامي كأنني قد استدعيتك لأقبض
عليك فتمتنع عليّ وتحاربني ، وأتقدّم بمحاربتك ، فتخرجُ إلى من قد أمرته
بمحاربتك ويبدك رغيّف كالترس تدفع به السهام فلا تصيبك ، وأنتبه ، وإذا قد
أخبرتني بأمر هذا الرغيّف فأشهد الله تعالى أنني قد وهبتُ كلّ ما في نفسي عليك ،
وعدتُ لك إلى أجل نية ، وأحسن طويّة . فاسكنْ وانسط . فأكب أبو جعفر
على يديه ورجليه يقبلهما .

وحدث^(٢) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي ، في أيام عطلته وكبر سنه
ولزومه بيته ، قال : عرّضتُ على أبي الحسن بن الفرات رقعة في حاجة لي ، فقرأها
ثم وضعها بين يديه ولم يوقع فيها ، فأخذتها وقت [و] أنا أقول متمثلاً من
حيث^(٣) يسمع :

وإذا طلبتُ إلى كريم حاجةً فأبى فلا تعقّد عليه بحاجب^(٤)

(١) انظر المنتظم ١٩٢/٦ والفرج بعد الشدة ١٥٩/١ طعة الصناديق ١٩٣٨ .

(٢) القصة في المستطرف طبع بولاق ١٣٨/١ الباب الثاني والعشرون في اصطلاح العروف
وإغاثة اللهوف

(٣) في الأصل : لم يسمع . والتصوب من السياق والمستطرف .

(٤) الشعر في المستطرف كما ورد البيت الثاني في المتعل ١٠٥ منسوباً لمالك بن أسماء بن خارجة .

فلربما منع الكريم ومابه بخل ولكن شؤم جد الطالب
فقال وقد سمع ماقلته : ارجع يا أبا جعفر بغير شؤم جد الطالب ، ولكن إذا
سألتونا الحاجة فعاودونا ، فإن الله تعالى يُقَلِّبُ القلوب ، هاتِ رقعتك ، فأعطيته إياها
فوقع بما أردتُ فيها .

ولما طهر المقتدر بالله بعض ولده في سنة خمس وثلاثمائة . أنفذ إلى الوزير أبي الحسن
ابن الفرات ثلاث موائد ، استدارة المائدة الكبيرة منها خمسون شبراً ، يحملها حاملون
بدُهُوق^(١) ، ورِيمَ أَنْ تُدْخَلَ من باب الدار التي ينزلها ، فضاقت عنها ، حتى قُلِعَ
وَوُسِّعَ الموضع . وحُمِلَ إليه في عشي هذا اليوم تختان ، فيهما ثوبٌ وشي منسوج
بالذهب ، وثوبٌ أخضر ، وثلاثة أثوابٍ بيضاً وصينية ذهبٍ فيها دنانيرٌ ولوز وجوز
وفستق وبندق ، وما يجري هذا المجرى من الأصناف ، وجميعه من ذهب ، وقدره
خمسة آلاف دينار .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل زنجي . قال : حدثني أبو صلح
مفلح الأسود خادم المقتدر بالله قال :

- كان أبو القاسم سليمان^(٢) بن الحسن عند تقاده وزارة المقتدر بالله يكثر ذكر أبي
الحسن على بن محمد بن الفرات بحضرة المقتدر بالله والطعن عليه ، وتبين من المقتدر بالله
الشكر لما يسمعه منه ، فلما كان في بعض الأيام عاد سليمان بن الحسن ذكر
ابن الفرات والوقعة فيه ، فقال له المقتدر بالله :

أَقِلُّوا عليهم لا أبأ لأبيكم من اللوم أو سدُّوا المكان الذي سدُّوا
قال : فتأملتُ سليمان وقد امتنع لونه وما أعاد بعدها ذكره .

(١) الدهوق : الخشب يحمل عليه .

(٢) تقلد الوزارة أول مرة للمقتدر سنة ٣١٨ هـ بعد القبض على ابن مقله .

وحدث أبو علي زكريا بن يحيى الكاتب قال : كنت في ديوان السَّوَادِ في وزارة أبي الحسن بن القرات الثانية في يوم ثلاثاء ، وكان أكثر الكتاب يُخْلَوْنَ بالحضور فيه ، وأصحابُ المجالس في مجلس الوزير أبي الحسن المظالم ، فوافى فراتق^(١) وقال لميمون الخازن : قال لك الوزير أحضرنى جماعة جازرة والمدينة العتيقة لسنة أربع ومائتين ، فأخذها وركب بغل فراتق حتى لحق بالمجلس ، فلما انصرف ميمون وأبو الحسين الصقر بن محمد وأبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني تحدّثوا أن زكريا بن يحيى بن شاذان عرض خراجاً في أمر قطيعة بَرَاكَزَ المباركة كان أبو القاسم الكلوزاني أخرجه من مجلسه ، ووقع الكتاب أسماءهم عليه على الرسم في ذلك الوقت ، وعليه توقيع أبي منصور عبد الله بن جبير صاحب مجلس الأصل . فقال الوزير أبو الحسن : أصح ما في هذا الخرج من ذكر هذه القطيعة سنة أربع ومائتين وهى على حَكٍّ ؟ لست أمضيه . فقال زكريا بن يحيى بن شاذان لأبي القاسم الكلوزاني : أخرجه . فتأمل الكلوزاني ذكر السنة ، فوجد تحت اسم الضيعة : هذه اللفظة على حَكٍّ ، بخط دقيق^(٢) فقال : ما أعرف حَكًّا ، وهذا خط عبد الله ابن جبير . فاعترف عبد الله بن جبير بخطه وقال : لما وجدت الاسم على حَكٍّ حكيت^(٣) الصورة . وأقام أبو القاسم على أنه لاحق هناك ، وحلف بأيمان غليظة لا يخرج له منها إلا بالطلاق والعناق وما شاكلهما على ذلك . فتقدم بإحضار ميمون الخازن والجماعة ، فلما تصفّحها الوزير وجد الحَكَّ وواقف الكلوزاني عليه . فحجل وتميّر . وقتش الوزير التفصيل إلى أن انتهى إلى باب المبيع ، فكان حاصل برّاكَزَ المباركة مما بيع مُصَابَرَةً ونُسِبَتْ إلى القطيعة . فلم الوزير ومن حَضَرَ أَنَّ الحَكَّ في

(١) الفرانق ساعى البريد .

(٢) يعنى أنه وجد كتابة بخط دقيق تنص على أن هذه اللفظة على حَك .

(٣) حكيت الصورة . يعنى أنه ذكر ما وجدته وأثبت أنها عكوكه ، ويرى الأستاذ ميخائيل عواد أنها حككت الصورة .

الصدر على سبيل حيلةٍ ممن رَفَعَ ذِكْرَ الحَكِّ . وانصرف الكلوذانيُّ مسروراً ومن نُسب إليه الحَكُّ مغموماً . ووقع لابن شاذان بامضاء القطيعة .

وحدث أبو منصور فرخان شاه بن إسحاق : أنه كان يوماً مع أبي الحسن على ابن الحسن بن هبنتي القنائي بحضرة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات وهو وزير في الدَفْعَةِ الأخيرة ، فدخل إليه أبو بكر بن قرابة ، وجلس ودناً منه وسارّه بما لم نسمعه حتى نفّض أبو الحسن يده وأبعده وقال له جاهراً بالقول : أتقول لي : لا يُوحِشُكَ شيءٌ بلغك عن امرأة ؟ ! والله لو علمتُ أنني إذا ذُكِرتُ لملك الروم وبين يديه بطارِقَتُهُ ، وملك التُّركِ وحواليه عُدَدُهُ لم ترتعد فرائصهما لما قعدت هذا المقعد ^(١) ! أتخوفني من كلام امرأة ؟ غنى بذلك السيدة أم المقتدر بالله . فلما خرجنا من حضرته أقبل عليّ أبو الحسن وقال لي : سمعتَ الكلام ؟ قلت : نعم . قال : هذا آخر عهد الوزير بالحياة . فما مضت مُدَيِّدَةٌ حتى قبض عليه .

وقال أبو الفضل بن حمد : دخل أبو الحسن عليّ بن محمد بن نصر بن بسّام عليّ أبي عليّ بن مَقْلَةٍ إلى ديوان الدار في وزارة أبي الحسن بن الفرات الأولى . فقال له أبو عليّ : قال لي الوزيرُ : قد تغيّرَ شعْرُ عليّ بن محمد . فأخذَ قَلَمًا من دَوَاتِهِ وكتب في رقعة شيئاً ، ودفعها إليه ، وسأله أن يعرضها عليّ ابن الفرات وكان فيها :

قالوا تَغَيَّرَ شعْرُهُ عن حاله فالسوقُ كاسِدةٌ بغيرِ تِجَارِ
أما الهِجَاءُ فقد عَرَانِي كَثْرَةً واللدُّحُ قَلَّ لِقِلَّةِ الأَخْرَارِ

وحدث أبو القاسم قريب بن قريب قال : رفع الفراجلة ^(٢) إلى أبي الحسن

(١) هكذا في الأصل ، ولعل صواب الجملة : لم ترتعد فرائصي ولو قعدت هذا المقعد .

(٢) الفراجلة : هم السعاة وناقلا الرسائل .

ابن الفرات : أن رجلاً من اليهود ادّعى أن معه كتاباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بإخراج الكتاب ، فلما قرأه قال : هذا مزور ، لأن خَيْرَ افتُتِحَتْ بعد تاريخ كتابك بسبعة وستين يوماً ، ولكننا نَحْتَمِلُ عنك جزيتك إعظماً لحقٍّ مَنْ لُجأت بالاعتصام به . قال أبو القاسم قريب : فرُجِعَ إلى كُتُب التاريخ فوجد الأمر كما ذكره ابنُ الفرات .

وقال أبو الحسن بنُ الفرات في مجلسه وفيه خواصه وقد جرى ذِكرُ السَّوَادِ : لم تُسمَى السَّوَادُ سواداً ؟ فذكر كلُّ واحد ما عنده . فقال : ليس كذلك ، إنما سُمِّيَ السَّوَادُ لأنَّ العربَ لما جاءتْ في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأُشرفت عليه ، ونظرت إلى مثل الليل من النخل والشجر والزرع والمياه قالت : ما هذا السَّوَادُ ؟ فسُمِّيَ سواداً لذلك . والعرب تقول : سَوَادُ الأرض وبياضها ، فالسَّوَادُ : العامرُ . والبياضُ العامرُ ^(١) .

وحدث أبو عمر بن الأَطروش قال : كنت بحضرة أبي الحسن على بن الفرات يوماً وهو جالس للقواد ، فعرضَ أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر بن الخياط رقاعاً كثيرةً ، فوقع فيها ، حتى بلغ إلى بعضها فقرأها ووضعها بين يديه ، فعاوده أحمدُ فيها ، فقال : يا هذا ، إن كان بيني وبين علي بن عيسى ما يعرفه الناسُ فإني لأدع الصدقَ عنه وقولَ الحقِّ فيه حيّاً كان أو ميتاً . عليُّ بنُ عيسى لا يُطْلَقُ يَدَهُ بمثل هذه التوقيعات في أموال السلطان ، ولا يتَجَوَّرُ ، مع المألوف منه في الاستقصاء والاحتياط وتجنُّب ما يعيبه . وقد أمسكتُ عن أن أقول هذا القول حتى أحوجتني إليه .

وأؤمى إلى أن التوقيع مُزَوَّرٌ . فحجل ابن الخياط وقام .

(١) العامر : الأرض الحراب .

والاجمع بين أبي الحسن بن الفرات وحامد بن العباس وعلي بن عيسى في دار
السلطان ، وعلي بن عيسى كالسكة^(١) المحمّاة على ابن الفرات ، لأنه قرر في نفس
المقتدر بالله مكاتبتة الجنائي^(٢) وحملة الألف^(٣) إليه ، بدأ ابن الفرات فقال لعلي
ابن عيسى : يا أبا الحسن ، بعد السنّ والوزارة والرئاسة والاستشهاد في الأطراف
بالكفاية وعلوّ المنزلة صيرت عوناً لهذا ! - يعني حامدا - قال علي بن عيسى :
فكنت كمنار صبّ عليها الماء فما ناطقته بحرف . فقال له أبو القاسم بن الحواري -
وكان يحطّب في^(٤) جبل حامد - : وأيّ عيب في هذا ؟ الجماعة خدّم السلطان
يتصرفون على ما رآه لهم وأمرهم به ، ومنازلهم في الخُصوص عنده غير منقوصة ولا
مخطوطة . فقال ابن الفرات لحامد لمّا أمسك علي بن عيسى : أيها الوزير ، متى
رأيت وزيراً ضمن النواحي ، وخرج يطوف على الغلات ، ووكل خدّمة الخليفة
وعلم سرّه وتديير العامّة والخاصة إلى ضده ، اللهم إلا أن يكون اشتاق إلى وطنه
وداره ؟ - يُعرّض بأنّ له مالاً مستوراً يريد مراعاته - فتحيّر حامد وأمسك . فلما
أمسكوا قال ابن الفرات : لأيّ شيء جُمعنا . فقال حامد : لتبين للسلطان
خياناتك . فتبسم وقال : فبيّن - بارك الله عليك - فإن كفايتك^(٥) حسنة . قال :
كنت ترّ تفق^(٦) من العمال . قال : أنت أحد عمّالي فإن كنت ارتفعت منك
أو ساحتك بفضل في يدك أو حقّ ترك لك فاذا كر ما يجب عليك ردّه ليلزمني
أرّش^(٧) الجناية في المساحة به والخيانة فيه .

(١) السكة : الحديدة التي يشق بها الأرض .

(٢) الجنابي : هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي .

(٣) الألف : الهدايا ، جمع لطف .

(٤) يقال حطّب في جبل فلان : يراد به أنه أعانه ونصره .

(٥) في الأصل : كتابتك .

(٦) يعني أنه كان يأخذ منهم أموالاً على سبيل الإهداء رشوة له .

(٧) الأرّش : الدية .

فأخذ حامد في السفه والشتيمة وابن الفرات مُطَرِّقٌ يتبسم . وأمر القوم
بالانصراف ، فخرج عليُّ بنُ عيسى وهو يقول : ما كان أغنانا عن هذا الاجتماع .
فحدث مؤنس بن عبد الكريم قال : قال لي الحسن بن علي بن الفرات :
كاتبْتُ أبي وهو محبوس وأشرت عليه بأن يَضْمَنَ حامداً وعلى بن عيسى وأسبابهما
فامتنع ، وقد كان المقتدر بالله يعرض ذلك عليه فيأبى . وقال لرسولي : العافية أعي
لي ، قد استرختُ وأمنتُ وعَلَّتْ سِنِّي مع ذلك ، وتعرّضني لما قد استرحتُ منه
جَهْلٌ . فلما خاطبه ابنُ الحواري بما خاطبه به أَحْفَظُهُ ^(١) فضمّن القومَ على أن
لا يُعَارِضَ فيهم ، وخرج ففعل الحسنُ ابنُه الأفاعيلَ المشهورة ، وقتل ابن
الحواري وغيره . فلما قبض عليه قام في نفسه أنه مقتول وقال لشفيع وقد تسكّله :
قل لأُمير المؤمنين : إن آمنتني وحميتني أعطيتك ما لا كثيراً وجوهراً خطيراً وأشياء
نفيسةً ذخرتها ، وإن سلمتني إليهم لم أعطك والله حبه واحدة . فلم يُورد شفيعُ
هذه الرسالة على المقتدر ، لشيء كان في نفسه على ابنِ الفرات . فلما أمر بتسليمه
إلى ابنِ بُعْدِ شَرٍّ قال لشفيع : يا أبا الغصن ، ليس بيننا إلا عبور دجلة والوفاء بأحد
الضمانين . فوقى بما قال ، ولم يُعْطِهم شيئاً .

وكان المكتفي بالله أمرَ العباس بن الحسن أن يُجَرِّدَ جيشاً إلى الحاجِّ ، فإذا
انصرفوا وحصلوا بالكوفة طلبَ حينئذ زكرويه ^(٢) . فقال له العباس : إلى رجوع
الحاجِّ ربما يكنى الله مؤؤنته . وجلس العباسُ في داره وعنده وُجوهُ الكتّاب
والقواد ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا ، وإني أشرت بترك طلب

(١) أَحْفَظُهُ : أَعْضُهُ .

(٢) لعله هو يحيى بن زكرويه القرمطي كما في المنتظم ٣٨ / ٦ ، ٤٣ فإنه هو الذي كان في أيام
المكتفي الذي تولى الخلافة سنة ٢٨٩ وقد قتل المصريون يحيى بن زكرويه على باب دمشق في سنة ٢٩٠ .

زكرويه ، فإن الله سيرج منه قبل وقتِ الحاج . فماترون ؟ فكلُّ صَوَّبَ رأيه ، وأبو الحسن بنُ الفرات ساكتٌ لا ينطق . فقال له العباسُ : ما عندك يا أبا الحسن . قال : أَلَّا تُخَالِفَ أميرَ المؤمنين ، فإنَّ ما رأى صواب كان توفيقا ، وخطأ كان على رأيه دون رأيك ^(١) .

فأقام على رأيه الأول وكان من الوقعة بالحاجِّ ما كان ^(٢) .

وكان الحسين بن حمدان ورد إلى باب الشَّاسِيَّة ليدخل إلى حضرة المقتدر بالله ، فوقف أبو الحسن بنُ الفرات على أنهم يُريدون القتْلَ به . فكتب إليه مبتدئا : قرأتُ كتابَكَ تذكُرُ عَلَتِكَ بالنُّقْرِس ، وَالْخَلْمُ تُوَافِيكَ بِمَكَانِكَ . ففهم المعنى وتعالل ، فوجَّه إليه بِالْخَلْمِ وَوَلَّى دِيَارَ رُبَيْعَةٍ وَغَيْرَهَا .

وقال أبو بكر بن قراة : شَكِيَّ إلى أبي الحسن بن الفرات عاملُ قُطْرُبُل وإغفاله عَمَلَ الْبَزَنْدَاتِ ^(٣) . فَوَقَّعَ إليه : ينبغي أن تراعى العمل قبل الوقت للوقت ، وفي الوقت للوقت .

قال : وسمعتَه يقول : العامل في أوَّلِ سنة أعمى ، وفي الثانية أعور ، وفي الثالثة بصير .

قال : وجاراني يوما ذِكْرَ أَبِي عَلِيٍّ بن مقلَّة وسِعَايَتِهِ به ، فقال لي : سبيلُ كلِّ عاقل أن يتَّحَايَ هذا الرجلَ وَلَا يَقْبَلَهُ ، فقد كان جرى مثل أمره في أيام

(١) يريد أنه إن كان أصاب في رأيه فذلك توفيق من الله وإن كان خطأ فهذا رأى الخليفة دون رأى العباس .

(٢) انظر أمر الوقعة في كتب التاريخ حوادث ٢٩٤ والمنظم ٥٩/٦ .

(٣) البزندات : الجسور .

إسماعيل بن بلبل ، وذلك أنه كثرت شكوى المعتمد إلى أخيه الموفق من إسماعيل ، فأراد الموفق أن يقضي حقه بصرف إسماعيل إلى أن يسكن ما في نفس المعتمد ، فقال له : اخرج إلى ضياعك يَكُوْنِي وَأَقِم فيها مدة شهرٍ معزلاً للعمل ، ثم عد بعد ذلك . وقد كان مكانه الحسن بن مخلد . فاستخلف الحسن أبو نوح ، وكان أبو نوح يكتب إسماعيل بن بلبل بأخبار الحسن ، فلما عاد إسماعيل إلى الوزارة حضره أبو نوح ، وجعل يخاطبه مخاطبة مانوس به . وإسماعيل يلوي وجهه عنه . فلما خلا به أقبل عليه وقال له : إن الحال التي قدّرتها قربتك مني هي التي نفرتني منك ومنعتني الثقة إليك ^(١) ، لأنك إذا لم تصلح لمن اصطنعك ورفعك وقدّك من العمل أكثر مما قدّتك لم تصلح لي ، وما أحبُّ كونك بحضرتي ولا اختلاطك بخاصّتي . فاختر بريد ناحية تشاكل طبعك .

فاختار بريد ماء البصرة ، فقلّده إياه .

وقال أبو الحسن بن قراية : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول لكتابي نُجَح وقد سأله تضمينه الصّدقات بفارس : إنما يُرغب في عقد الضمان على تاجرٍ مَلِيٍّ ^(٢) ، أو عاملٍ وفِيٍّ ، أو تانيءٍ ^(٣) غنيٍّ . فأما أصحابُ الحروب فعقدُ الضمان عليهم ومطالبُهم بالخروج من أموالها تستدعي منهم العصيان ، وخلع طاعة السلطان .

قال : وسمعتُه يقول : من وازن من الكُتّاب الحاسبة ، وأوضح الحجّة في المكتبة ، وألزم العاملَ الواجب في المعاملة ، كان حقيقاً بما انتسب إليه .

(١) المعروف أنه وثق به . ولكنه ضمنها معنى الركون : أي الركون إليك .

(٢) اللّي : القنّدر النقي .

(٣) في الأصل نان . ويجوز أنها خفت همزتها ، والنانيء : المقيم بالسكان .

قال : وسمعت يقول : العِمَارَةُ بالرَّغْبَةِ ، وَحِفْظُ الْعَلَّةِ بِالرَّهْبَةِ . فَقَلَّ اسْتِخْرَاجُ^(١) وَقَعَ فِي أَيَّامِ عِمَارَةٍ إِلَّا أَبْطَلَهَا . وَقَدْ كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى يَكْتُبُ إِلَى الْعُمَّالِ فِي أَيَّامِ الْعِمَارَةِ : أَغْلِقُوا أَبْوَابَ دَوَابِنِ الْخِرَاجِ ، وَاصْرِفُوا الْمُسْتَخْرِجِينَ مِنْ حَضْرَتِكُمْ .

قال : وسمعت هشام بن عبد الله يقول : كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ إِلَى نُجَيْشٍ — وَقَدْ أَفْذَأَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَادِرَائِيَّ مُتَقَلِّدًا لِلْخِرَاجِ بِدَارِ الْبُجُرْدِ ، مِنْ عَمَلِهِ : السِّيفِ تَابِعٍ وَالْقَلَمِ مُتَبَوِّعٍ ، وَقَلَّ سَيْفٌ غَلَبَ الْقَلَمَ إِلَّا كَانَ دَاعِيَةَ الْخِرَابِ .

ولما قدم عبيد الله بن سليمان من الجبل في أيام المعتض بالله رحمه الله عليه صار إليه أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في عَشِيِّ يَوْمٍ ، فوجداه يُمَيِّزُ أَعْمَالًا وَكُتُبًا ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَانُونٌ عَظِيمٌ يَحْرِقُ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَدَفَعَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ إِضْبَارَةَ ضَخْمَةٍ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ هَذِهِ الْإِضْبَارَةُ وَقَائِعٌ وَسَعَايَاتُ بَكَ وَبَأَخِيكَ مِنْ أَسْبَابِكَا وَثِقَاتِكَا وَصَنَائِعِكَا وَرَدَتْ عَلَى الْبَلْبَلِ ، فَجَنَّتْهَا لَكَ لِتَعْرِفَ بِهَا مَنْ يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَرَسَ مِنْهُ ، وَتُعَامَلَ كُلٌّ وَاحِدًا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

فَأَكْثَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي شُكْرِهِ وَالِدَعَاءِ لَهُ ، وَبَدَأَ أَبُو الْحَسَنِ يَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْإِضْبَارَةِ ، فَاتَّهَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَقَالَ : لَا تَقْرَأْ شَيْئًا مِنْهَا . وَأَخَذَهَا فَطَرَحَهَا فِي الْكَانُونِ وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقْبِلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى مَا وَهَبَهُ لِي مِنْ تَفَضُّلِ الْوَزِيرِ بِمَا يُوجِبُ الْإِسَاءَةَ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى قِرَاءَةِ مَا يُوحِشُنِي مِنْ أَسْبَابِي ، وَيُخْرِجُ عَلَيْهِمْ إِسَاءَةً مِنِّي .

فلما نهضنا قال عبيد الله بن سليمان : أَرَدْتُ التَّفَرُّدَ بِمَكْرُمَةٍ فَسَبَقَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَيْهَا وَزَادَ عَلَيَّ فِيهَا .

قال وحدثني ابن الأجرى صاحب ابن الفرات قال : كنت لا أكاد أحضر

مجلس الوزير أبي الحسن إلا ليلاً ، فحضرت يوماً نهراً لأمر سألني ابن أبي البغل ، فوجدت عنده الحسن ابنه ، فلم أخاطبه بشيء خوفاً من بواده وشره ، حتى نهض وخلا المجلس ، فقلت له : ابن أبي البغل يعلم محلي من الوزير ، وصار إلى البارحة ليلاً فقال لي : لم أجد من آمنه على نفسي غيرك ، وقد قصدتك لتستأذن لي الوزير في الخروج إلى عبّادان لأقيم بها وألبس الصوف وآمن على نفسي . قال : وإذا الحسن قد عاد ، فأمسك أبو الحسن حتى قام ، ثم قال : قد عرفت ذنبه إلا أنه قد لزمك ذِمّاه ^(١) ، ومن لزمك ذِمّاه التزمناه ، لأنك واحد منا ، وغير منفصل عنا ، فلا تُعلمن بهذا أحداً ، وهذا صكّ على ابن فلانة بثلاثة آلاف درهم فيجعلها نفقته . قال : فأخذت الصكّ وخطّه بالإذن له ، وعدت إلى الدار فوجدت ابن أبي البغل قد صعد السطح ، وألقى نفسه في خربة تجاورنا ومضى . فعدت إلى الوزير وحدثته بالصورة ، فأخذ الصكّ وأمر بطلبه وقال : والله لو قتل أولادى جميعاً ثم دخل دارك لكان ذلك أماناً له وحققاً لدمه .

وحكى أن ابن الفرات اجتاز يوماً في بعض الطرق ، فاتفق أن سار تحت ميزاب ^(٢) ، فوقع عليه منه ما لوّث ثيابه وسرّجه ودابته ، فوقف في الطريق ، وأنفذ إلى داره من يُحضّره خِلعة ثياب أخرى ، فراه رجل عطّار كان في الموضع ، فقام إليه ، وسأله أن يدخل إلى منزله ويقيم فيه إلى أن يعود الرسول بالثياب . ففعل وأقام عنده ، وخلع ما كان عليه ، وتنظف بالماء مما كان أصابه ، وأحضره الغلام الثياب فلبسها ، ثم سأله العطّار أن يأذن له في إحضار بخور يتبخّر به ، فأذن له ، وركب أبو الحسن . ومضت الأيام ، فلما ولي الوزارة كانت حال العطّار قد اختلت

(١) الذمام : الحرمة والحق

(٢) الميزاب : القناة يجري فيها الماء .

وَرَزَحَتْ^(١) ، فقالت له زوجته : لومضيتَ إلى الوزير وتعرّفتَ إليه بخدمتك كانت له^(٢) لرجوتَ أن ينظر في أمرك نظراً تغيّره حالك . فأعرض عن قولها واستبعد الأمل مما ذكرته ، ثم أثلّت عليه في القول ، فمضى ودخل دار أبي الحسن وتعرض له إلى أن رآه فأمسك وانصرف ، فعرف زوجته ماجرى ، فأشارت عليه بالعود ، فعاد ومعه رقعة يستميحه^(٣) فيها ، ولم يزل حتى وجد فرصة منه فعرضها عليه ، فلما وقف عليها قال : سل حاجةً تُقضى لك ، واتفق أن صار إليه من خاطبه في أمر كاتبٍ للعيال^(٤) كان محبوساً ، وسأله مسألة الوزير إطلاقه ، وضمن له خمسة آلاف دينار في خاصّه ، وللوزير عشرين ألف دينار على يده^(٥) ، وللحواشي خمسة آلاف دينار ، ووافقه على تعديل^(٦) المال عند بعض التجار بالكُرخ . فلما توثّق منه قصد الوزير ومعه رقعة بالصورة ، فأمره بحمل المال ليُطلق له الرجل ، فحمل المال ، فلما حصل في الدار منعه بعض الخدم من إدخاله إلى الخزانة إلى أن يؤذن في قبضه . وعرف الوزير أمره ، فتقدم إلى العطار أن يُفرّق ما للحاشية عليهم ويأخذ جميع الباقي لنفسه . وأمر بإطلاق كاتب العيال ، فاستعظم العطار ذلك وملاً قلبه ، ورأى قدره يصغر عن مثله ، فقال للوزير : يُقنعني من هذا كلّ ألف دينار أُعير بها حالي . وأجعلها رأس مالى ، فقال له : خذ الجميع عافاك الله ولا تُكثّر على في الخطاب . فخرج من حضرته وصار إلى أبي أحمد الحسن ، وعرفه الحال ، وأنه يقنعه اليسير مما أعطيه ، وأوّمى إلى حالي الباقي إليه ،

(١) يريد بقوله رزحت أنها ضعفت جداً كما يروح الرجل بأن يسقط وياصق بالأرض ولا يستطيع التماسك هزلاً وتعباً وقد تكون الكلمة : رزح « بتشديد الزاى يقال رزح الرجل ترزيحاً » إذا ضعف وذهب ما بيده .

(٢) أى بخدمتك التى كانت له (٣) يستميحه : يسأله العطاء

(٤) هكذا هي في الأصل ولعلها محرّفة عن العيال

(٥) يده : معروفه . وقد يكون المراد أن يؤدى هذا المتوسط بنفسه العشرين ألف دينار

إلى الوزير .

(٦) يقصد بتعديل المال أن يقيمه ويضعه عند بعض التجار .

فقال له أبو أحمد : يأمر لك الوزير بشيء وأصانعك عليه ! خذ المال وانصرف .

ولأبى الحسن بن الفرات :

خَلِيلِيَّ قَدْ أَمْسَيْتُ حَيْرَانٌ مُوجِعًا وَقَدْ بَانَ شَرِيحُ^(١) لِلشَّبَابِ فَوَدَّعَا

وَلَا بَدَّ أَنْ أُعْطِيَ اللِّدَاذَةَ حَقَّهَا وَإِنْ شَابَ رَأْسِي فِي الْهَوَى وَتَصَلَّعَا

إِذَا كُنْتُ لِلْأَعْمَالِ غَيْرَ مُضَيِّعٍ فَمَا حَقُّ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُضَيِّعَا

وحدث أبو علي بن مقلة قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول دفعاتٍ :

مَا بَخِلْتُ شَيْءَ قَطُّ إِلَّا تَدَمَّتْ عَلَيَّ تُخْلِي بِهِ .

ولابن بسام في أبي العباس أحمد وأبي الحسن عليّ أبنَيِ الفرات :

لِي أَحَدَانِ لِدُنْيَايَ^(٢) وَآخَرَتِي وَلِي عِلْيَانِ فَانْظُرْ مِنْ أَعْدَدُ لِي

مِنْ خَاتَمِ الْمُلْكِ أَضْحَى وَسُطَّ خِنْصَرِهِ وَمِنْ عَلَا كَتَفِيهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ

فَلِلشَّفَاعَةِ حَسْبِي أَحْمَدٌ وَعَلِيّ^(٣) وَلِلْمَعِيشَةِ حَسْبِي أَحْمَدٌ وَعَلِيّ^(٤)

مِنْهُمْ يَأْتِنِينَ مَا حَاوَلْتُ يَسْهَلُ لِي كَمَا يَأْتِنِينَ إِنْ قَصَّرْتُ يُغْفَرُ لِي

تَشَبَّثْتُ رَاحَتِي مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةٍ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالتَّامِيلِ وَالْوَجَلِ

وَلَهُ أَيْضًا فِي هَجَائِهِمْ :

يَا رَبَّ إِنَّكَ عَدْلٌ عَلَى الْبَرِّيَّةِ شَاهِدٌ

بَنُو الْفَرَاتِ ثَقَالٌ وَكُلُّهُمْ لَكَ جَاحِدٌ

ثَلَاثَةٌ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا ثَقِيلٌ وَبَارِدٌ

يَا رَبَّ إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ ثَقِيلٍ فَوَاحِدٌ

ولعبد الله بن المعتز إلى أبي العباس بن الفرات :

(١) شرح الشباب أوله ووريده أنه (٢) يصح أن تعد أيضاً فيقال دنياي .

(٣) أحمد وعليّ هما سيدنا محمد رسول الله وعليّ بن أبي طالب .

(٤) أحمد وعليّ هما ابنا الفرات .

يادهرُ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى رَأَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَاتَّرُّكُهُ لِي
 قَدْ كَانَ لِي ذَا مَشْرَبٍ طَيِّبٍ حِينَ فَشِيبَ الْآنَ بِالْحَنْظَلِ
 عَيْنٌ أَصَابَتْ وَدَّهَ لَا رَأَتْ وَجْهَ حَبِيبٍ - أَبَدًا - مُقْبِلِ
 إِنْ كَانَ يَرْضَى لِي بِذَا أَحَدٍ فَلَيْسَ يَرْضَى لِي بِهَذَا عَلِيٍّ
 وللبحرِيِّ فِي أَبِي الْعَبَّاسِ :

كُرمُ أَنْجَزِ الْمَوَاعِيِدَ حَقًّا رَدَّ فِيهَا نَسِيئَةَ ^(١) الْوَعْدِ تَقْدَا
 كَمَا قُلْتُ أَعْتَقَ الْمُدْحُ رِقِّي رَجَعْتَنِي لَهُ أَيَّادِيهِ عَبْدَا

وحدث ^(٢) أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت : أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات يحدث قال : كان النهيكيُّ العامل قد لازم أبا القاسم عبيد الله بن سليمان في نكبته ، فلما ولي الوزارة قلَّده بأدروبا ، وكان يتقلدها حلةُ الْعَمَّال . ولقد سمعت أبا العباس أخى يقول : من استقلَّ ببادوريا استقلَّ بديوان الخراج ، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة ، وذلك لأن معاملاتها مختلفة وقصبتها الحضرة ^(٣) ، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقواد والكتّاب والأشراف ووجوه الناس ، فإذا ضبط اختلاف المعاملات ، واستوفى على هذه الطبقات صلح للأموال الكبار . قال أبو الحسن بن الفرات : فأقام النهيكي في عمالة بادوريا نحو سنتين ، تقلد فيها عبد الرحمن بن محمد بن يزداد ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ديوان الخراج في أيام عبيد الله بن سليمان ، فلما أطلقت أنا وأبو العباس أخى من الاعتقال ، وتقلد أخى ديوان الخراج والضياغ ، وخلفته عليهما . عاملنا النهيكي ، فكنا إذا كاتبناه برفع الحساب لم يجيبنا ، وإذا خاطبناه بشيء في أمر العمل لم يحفل بنا ، إذلالاً

(١) النسيئة : التأخير .

(٢) نشوار المحاضرة ١٦/٨ .

(٣) في نشوار المحاضرة : وأنها عرصة الملائكة .

بمكانه من الوزير وعقته ، وكان عفيفا ، فلما طال ذلك منا ومنه شكواه إلى الوزير ، فوكل به من لازمه حتى رفع حسابه لعدّة سنين ، وتشاغل بعمل مؤامرة ، فلم أجد عليه كبير تأوّل . وحضرنا بين يدي الوزير لمناظرته ، وقد كنتُ صدّرتُ أوّل باب من المؤامرة بأنه فصل تفصيلاً لثمن الغلّة المبيعة جملته على موجب التفصيل أكثر من الجملة التي أوردتها بألف دينار ، فقال : أتتبع . فتتبع إلى أن صحّ الباب . فقال : وماذا يكون ؟ هذا غلطٌ من الكاتب في الجملة . فبدأتُ أكلّمه . فأسكتني أخى ، وأقبل على الوزير فقال : أيها الوزير ، صدق . هذا غلط في الحساب ، فالدينارين في كيس من حصّلت ؟ فقال الوزير : صدق أبو العباس ، والله لا وليت عملاً ياليس . ثم أتبعْتُ هذا الباب بباب آخر ، وهو ما رفعه ناقصاً عمّا كتب به من كيل غلّة عند قسمتها ، فلما توجهتُ عليه الحجة قال : أريد كتابي بعينه ، فبدأتُ أكلّمه ، فأسكتني أخى وقال : هذا أيها الوزير طعنٌ على ديوانك ، ونسخُ الكتب الواردة والنافذة شاهدٌ عدل . فقال : صدق يا عدو الله . وأمر بحرقه فحرق . وما برحنا حتى أخذنا خطّه بثلاثة عشر ألف دينار فأهلكناه بها ، وما عجل كبير عملٍ بعدها .

وحدث^(١) أبو الحسين قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : ناظرت الجهمّ أحدَ العمال على مؤامرة قد عملناها له ، وكنت أنا وأخى نأخذ خطّه بباب باب ، فلما كثُر ذلك قال لى سراً : ليس العملُ في الخطّ ، العملُ في الأداء ، وستعلمون أنكم لا تحضّون منى على شيء ، فسمعتُه أنا وسمعه الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ، لأننا كنا في مجلسه ، فقال له : أعِدْ ما قلت . فاضطرب . فقال : لا بدّ أن تُعيدَه . فأعاده . فقال : إذن لا تلى لى والله عملاً أبداً ،

قم عافاك الله إلى منزلك . خَرَقَ يا غلامُ المؤامرة . فَخَرَّقَتْ في الحال ، وانصرف الجَهْظُ ، وما صَرَفَهُ الوزير بعد ذلك . وشاع حديثه فتحاماه الناس كلُّهم ، وهلك جوعاً في منزله حتى بلغنى أنه احتاج إلى الصَّدَقَةِ .

وحدث ^(١) أبو الحسين قال : حدثني سليمان بن الحسن بن مخلد قال : قال لي ناقدُ خادمٍ أبي وثِقَتُهُ وكان يتولى نفقَتَهُ : ما رأيت أجسَرَ من مولاي على أخذ مال السلطان ، ومن ذلك أتى بكرَّتُهُ يوماً وقد لبس سَوَادَهُ لِمِصْيَ إلى دار المعتضد على الله ، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأَزمَةِ والتوقيع وبيت المال ، فقلت له : قد صَكَّكَ عَلَى ^(٢) البارحة للعاملين بألف وستائة دينار ، وما عندى منها حَبَّةٌ واحدة . فقال لي : يا بغيض ، تُخاطبني الساعة ! أين كُنْتَ عن خِطَابِي البارحة لأوجه وجهاً ما لها ^(٣) ؟ ولكن اتبعني إلى دار السلطان . فبعثته ، ودخل إلى المعتمد مع الوزير عبيد الله بن يحيى ، ودخل معهما أحمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج . فلما خرج قال : امض إلى صاحب بيت المال فخذْ منه ما يدفعه إليك . فظننته قد استسلف شيئاً على رِزْقِهِ ، ومضيت إليه ، فأعطاني ثلاثين ألف دينار ، فاستكثرت ذلك ، وعلمت أنه ليس من الرزق ، وحمَلُها إلى الدار وعَرَفْتَهُ خبرها . فقال لي : أَطْلِقْ منها ^(٤) ما وَقَعْتُ به إليك ، واحفظ الباقي ، فليس يَتَّفَقَ في كُلِّ وقتٍ مثلُ ما اتَّفَقَ . ومضى للحديث أيامٌ ، ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد - وإليه إذ ذاك عِدَّةُ دواوين - وجماعةٌ من الكُتَّاب ، فأكلوا وناموا وانتبهوا ، فإذا كاتب من كُتَّاب أحمد بن صالح بن شيرزاد يستأذن

(١) نشوار المحاضرة ٢٢/٨

(٢) صك عليه صكا : كتب عليه كتاب الإقرار بالمال وغير ذلك .

(٣) في الأصل : لأوجه وجه ملهم . وفي نشوار المحاضرة : لأوجه لها وجهاً .

(٤) في نشوار المحاضرة : أنفق .

على مولاى ، فأذن له ، وقام إلى مجلس واستدعاه إليه ، فسمعتة يقول له : أخوك أبو بكر يقرأ عليك السلام - يعنى أحمد بن صالح - ويقول : أنت تعرف رضى مع صاحب بيت المال ، وأن محاسبته فى سائر الأموال إلى ، وإذا تمت ثلاثون يوماً وجئت حاجي إلى الخازن فحمله مع صاحب بيت المال إلى ديوانى لينتظم دستور الختمة بحضرتى ، ونحن فى ذلك منذ عشرة أيام ، حتى تكملت الختمة ولم يبق إلا ثلاثون ألف دينار ، ذكر صاحب بيت المال أنك خرجت إليه من حضرة الخليفة وأمرته بحملها إلى خادمك ناقد ، ولست أدري فى أى جهة صرفت ولا ما الحجّة فيها . فأجابه مولاى بغير توقف وقال : أخى أبو بكر والله رقيق ، أسأل أنا الخليفة فى أى شيء صرف ما استدعاه إلى حضرته ؟ يجب أن يكتب فى الختمة : وما حمل إلى حضرة أمير المؤمنين فى يوم كذا وكذا ثلاثون ألف دينار . قال : فقام الكاتب خجلاً ومرّ ذلك فى الحساب على هذا ، وما تنبه عليه أحد :

قال أبو الحسين ^(٢) وقال لى سليمان بعقب هذه الحكاية : وما رأيت لهذه القصة شبيهاً إلا ما فعله أبو الحسن بن الفرات فى وزارته الأولى ، فإنه نصب يوسف ابن فنحاس ^(١) ، وهارون بن عمران الجهمد ، فلم يدع مالا لابن المعتز والعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل فى الفتنة ، وما صحّ من مال المصادرين وغيرهم ممن يجرى مجراهم إلا أجراه على أيديهما دون يدى صاحبي بيت مال الخاصة والعامة ، وأفرد ابن فرجونه كاتبة بمحاسبتهما والاستيفاء عليهما ، فكان يحاسبهما ولا يرفع إلى الدواوين شيئاً من حسابهما . فلما كان فى السنة التى قبض عليه فيها كتب

(١) نشوار المحاضرة ٢٣/٨ .

(٢) فى المطبوع : فيجاس أو بنجاس . والتصويب من نشوار المحاضرة .

كتاباً عن نفسه إلى مؤنسٍ صاحب بيت المال ذكر فيه أنه حُوسِبَ يوسفُ ابن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من كيت وكيت - حتى استغرق الوجوه - وكان الباقي قبلهما بعد الذي حُمل إلى حضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وصُرف في مهماتٍ أمر بها هو والسادة أيدهم الله ، من الورق ألف ألف وأربعمائة وسبعون ألفاً وخمسمائة وستة وأربعون درهماً . وأمره بقبض ذلك منهما وإيراده بيت المال الخاصة ، فقبضه مؤنس منهما ، ومضى الأصل كله لا يُعرف في أي شيء صُرف ، وكان مبلغه فيما ظنّه الكتّاب - وكانوا يتعاهدونه ^(١) - نحو ألف ألف دينار . وفاز ابنُ الفرات بالمال ، ولم يُقَمْ به حُجةٌ عليه .

قال أبو الحسين ^(٢) : فحدثني أبي بعد ذلك قال : لما قلّدي أبو الحسن على ابن عيسى في وزارته الأولى ديوانَ الدّارِ الجامع للدّواوين ، أمرني بإحضار هذين الجهذين ومطالبتهما بحتماتهما لِمَا كان حصل في أيديهما أيام وزارة ابن الفرات الأولى من الجهات المقدم ذكرها . فاستدعيتهما وطالبتهما ، فأحالاً على أن ابن الفرات أخذ حسابهما ، وأعلتُ عليّ بن عيسى بذلك ، فأمرني بحبسهما وتهديدهما ، ففعلت . وأحضراني حساباً مُسَوّداً لم يكن منتظماً ولا مُتسِقاً ، ولم أزل أُلطفُ بهما حتى أقرّا بأنهما وصل إليهما من فضل الصّرفِ ما ورد على أيديهما وأنفقاه مائة ألف درهم ، وقرّرتُ ^(٣) عليهما عشرة آلاف دينار ، وأخذت

(١) كذا في الأصل ونشوار المحاضرة واصل منها أنهم يراجع بعضهم بعضاً في ذلك ويسائل كل منهما الآخر عنه مرة بعد مرة .

(٢) نشوار المحاضرة ٢٤/٨ .

(٣) في نشوار المحاضرة : لمعطتها عشرة آلاف دينار .

حطَّهما بها ، فلم يقنع أبو الحسن عليُّ بن عيسى بذلك ، وأخذها من يدي ، وسلمهما إلى حمد بن محمد ، وكان إليه ديوان المغرب ، وأمره بأن يتتبع أمرهما بنفسه ، من غير أن يُعرِّفَ ما أخذتُ خطَّهما به ، فنظر حمد في ذلك ، ولم يجد في الحساب إلا إحالات على : حُجِّل إلى الخليفة والسادة ، وشيء انصرف في خاصِّ نفقات ابن الفرات . فقال له حمد : هذا مال مسروق والقوم معهم حجة بالبراء وما عليهم طريق . وقد كان ابن الفرات أجلد من أن يدعهم يفوزون بحِجَّةٍ من المال .

قال ^(١) أبو الحسين : قال أبي : فردَّهما الوزير أبو الحسن إليَّ وقال : اجتهد في إلزامهما مائتي ألف درهم . فقلت : لا يمكن ذلك . فقال : اعمل على أنك طالبتَهما بمَرْفِقٍ ^(٢) لنفسك يكون تنمة المائتين . فقلت : إذا فعلتُ هذا فأى شيء يحصل لي ؟ قال خذْ منهما ^(٣) عشرين ألف درهم وألزمهما مائة وثمانين . فخرجت وجددتُ بهما حتى ألزمتُهما ذلك ، وأخذتُ لنفسى ما أعطانيه . فلما فرغتُ أخذتُ لهما خطَّه بالبراء . فقال لي أبو الحسن عليُّ بن عيسى : سأرسيك موضعى أنا من العمل ، فإن للرئيس في كل أمر موضعا لا يقوم فيه أحد مقامه . فأحضرهما إلى حضرته وأنا بين يديه وقال لهما : تريدان منى أن أزيل عنكما تبعَةً إن لم أزيلها بقيتُ عليكما وعلى ورثتكما أبداً ، ولست أفعل ذلك إلا بعِوضٍ قريب لا ضرر فيه عليكما ، وهو أنتى أحتاج في مُسْتَهْلٍ كل شهر إلى مال أطلقه في ستة أيام ، منه للرجالة ما يبلغه ثلاثون ألف درهم ^(٤) . وربما لم يتَّحَ لي في أول يوم من الشهر ولا في ثانيه ، وأريد أن تُفَرِّضاني في أول كلِّ شهر مائة وخمسين ألف درهم ، وترتجعانها من مال الأهواز في مدة أيامه ^(٥) ؛ فإنَّ جَهْدَةَ ^(٦) الأهواز إليكما ، ويكون هذا المال سَلْفاً واقفاً لكما أبداً .

(١) نشوار المحاضرة ٢٥/٨ (٢) المرفق : ما انتفعت به

(٣) في الأصل : يحصل لي مال خدمتهما والتصويب من نشوار المحاضرة

(٤) في نشوار المحاضرة : دينار (٥) في نشوار المحاضرة : في مدة الشهر

(٦) الجهد : الناقد العارف بتميز الجيد من الردى . ويراد من الجهد هنا مهنة الصراف

وأضيف إلى هذا المالِ الوظيفة^(١) التي على حامد وتَرَدُّ في كل شهر وهو عشرون ألفَ دينار فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأول^(٢).

فتأبَّيَّا ساعةً ، ولم يفارقهما حتى استجابا . فقال لي عليّ بن عيسى : كيف رأيت^(٣) ؟ قلت : ومن بني بهذا غير الوزير ؟ قال : وكان عليّ بن عيسى إذا حلَّ للمال وليس له وجه استسلف من التجار - على سنانج وردت من الأطراف لم تحلَّ^(٤) - عشرة آلاف دينار بريح دائقٍ ونصف فضة في كل دينار ، يلزمه في كل شهر ألفان وخمسمائة درهم أرباحاً^(٥) ، فلم يزل هذا الرسمُ جارياً على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامها مدة ست عشرة سنة .

وحدث^(٦) أبو الحسين علي بن هشام قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الحسن ابن الفرات قال : دخل عليّ المقتدر بالله يوماً وأنا في حبسه ، والوزير إذ ذاك حامدُ ابن العباس فقال لي : أتعرف الحسن بن محمد الكرخي ؟ قلت : نعم . قال : أيُّ إنسان هو ؟ قلت : عامل ، وله محلٌّ من الصناعة ، وهو من صنائعي ووجوه عمالي ، وقد تقلدَ لعبيد الله بن سليمان قبلي ، وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي ، ومن بيتٍ معروف . فقال : قد كتب إلى يخطبُ الوزارة ويضمُنُ حامدا وعليّ بن عيسى . فقلت له : ولا كُلَّ هذا يا أمير المؤمنين . وإنما أطمعه فيما طلبه بلوغ حامد من مثله ما بلغه^(٧) . ولعمري إن الأمر قد وهَنَ بحامد ، وإن هذا الرجل أجودُ حساباً

(١) الوظيفة يراد بها ما يقرر عليه .

(٢) في نشوار المحاضرة : النسط الأول من التوبة فيخف عن ثقل ثقل

(٣) في الأصل : كيف وأنت . والتصويب من نشوار المحاضرة .

(٤) أي لم يحسن ميعاد دفعها .

(٥) وجه ذلك أنه يستسلف بريح مقداره درهم عن كل أربعة دنانير ، إذ أن الدرهم = ٦ دنانير . والدينار بريحه دائق ونصف فقسمة عشرة آف على أربعة = ألفين وخمسمائة درهم

(٦) نشوار المحاضرة : ٦٣/٨ .

(٧) في نشوار المحاضرة : وإنما طمع في الأمر لما رأى حامدا قد تقلد الوزارة ولعمري إنها قد انضمت بتقلده وطمع فيها كل أحد .

وأعفُ لساناً وأشدُّ وقاراً منه ، وليس لأنه فوق حامد ترشَّح لهذه المنزلة . ولا لأنَّ الغِلَط وقع في أمر حامدٍ وجَبَ أن يُسلَّك في مثل هذه الطريقة ، وعلى أنه قد غلِطَ في تقديره أنه يَصُلِّح لصَرَفِ حامد - لأنَّ حامداً قديماً الرئاسة في العِمالة ^(١) وله حالٌ عظيمة ، ونعمة كبيرة ، ومروءة ظاهرة وهيبةٌ معروفة ، وسنُّ في ذلك وقُدِّمةٌ ^(٢) ، وكان نشأ بعيداً عن الحضرة ، فلم تُسَنِّفْ أخلاقه وأفعاله إلا بعد الوزارة ، وفيه سعة صدرٍ وسخاء نفسٍ يُطَيِّبان كثيراً من معاييه ، وتركُ الأمر في يده ويدٍ على بن عيسى أولى - فإن هذا لا يقارب على بن عيسى ، ولا يلحق أحد كتَّابه ، وإني لأقول الحق فيهما على عداوتهما لي .

فأضربَ المقتدر بالله عن الحسن بن محمد ثم تَمَّ التديُّرُ لأبي الحسن بن الفرات ، وصُرِفَ حامد ووَزَرَ ^(٣) ، فحين جاءه الحسن بن محمد ، وتذكر ما جرى بينه وبين المقتدر بالله في بابه هابةً وتصورَ بُعْدَ هِمَّتِهِ وَتَقَلُّبَ رَأْيِ المقتدر بالله من حال إلى حال ، فأحبَّ إبعاده ، فقلَّده الموصل وأعمالها ، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد ، فانتفع الحسن بما حصل في نفس ابن الفرات .

قال ^(٤) أبو الحسين : فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات ، وهو يعمل ، وأنا مع أبي ، والمجلس حافل ، إذ قرأ كتاباً ورد من صاحب البريد بالموصل يذكر أن أبا أحمد الحسن هذا قد قَسَطَ ^(٥) في الأعمال ، ومدَّ يده إلى المال ، وزاد في إظهار المروءة ، وركب باللبود ^(٦) الطاهرية ، وبين يديه عِدَّةٌ حُجَّاب ، وخلفه جماعة

(١) العِمالة : حرفة العامل . وفي نشوار المحاضرة : العمال .

(٢) القُدِّمة : السابقة في الأمر . (٣) أي وتولى ابن الفرات الوزارة .

(٤) نشوار المحاضرة ٦٤/٨ .

(٥) قسط : جار . وفي نشوار المحاضرة بسط .

(٦) اللبود جمع لبْد وهو ما يوضع على الفرس . واللبود الطاهرية لعلمها نسبة إلى طاهر بن الحسين وأنها كانت في مظهر رائع .

غللمان ، حتى أنه يسير بينهم في موكب . وأنه وصل معه من البغال والجمال والزواريق التي تحمل أثقاله شيء كثير ، وهذا إنفاق وتوسع لا يقتضيه الرِّزْق ^(١) وإنما هو من الأصول . فرمى بالكتاب إلى أبي القاسم زنجي ، وكان إذ ذاك حَدَثًا يَحْطُّ بِحَضْرَتِهِ . وقال له : وقع عليه : يُجَابُ بأنه نَفَعَ الرَّجُلَ من حيث أراد الإضرار به ، لأنه إذا كان في مثل هذا الصقع عامل ذو وجهة وَجَمَلٌ ومروءة صَلَحَ أَنْ يَتَقَلَّدَ للسلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكر من عملها حالا ^(٢) .

ثم أقبل على من في مجلسه وقال : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان أن النوشجاني صاحب البريد رفع إلى المعتضد بالله بأن الأخبار شائعة ببغداد بأن حامد ابن العباس لما دخل فارس متقلداً لها كان معه مائتان وخمسون بغلا ، عليها رَحْلُهُ وأثقاله ، ومعه عدد كثير من الغلمان والهاشية وَسَلَّمَ إِلَى الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ كتاب النوشجاني بذلك ، فقرأته وتَحَيَّرَتْ ، وخفت أن يكون قد أنكره وَقَدَّرَ أَنْ حَامِدًا قَدْ اجْتَنَحَ الْمَالَ وَاصْطَلَمَهُ ^(٣) ، وقال لي : يا أبا القاسم - وقد كان كَنَاءً - قرأت هذا الكتاب ؟ قلت : نعم . قال : قد سرتني ما قد ظهر من تَجَمَّلِ حامد ومروءته و [ما] قام بذلك في نفوس الرعية من هيئته ، فكم رزقه ؟ فقلت . ألفان وخمسمائة دينار في كل شهر . قال : اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مؤونته .

ثم قال ^(٤) أبو الحسن بن الفرات عَقِيبَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ : وقد فعل المعتضد بالله قريبا من هذا مع أبي العباس أحمد بن بسطام ، فإن المعتضد طالبه بالعجز في

(١) الرزق يريد به هنا ما يقرر له من أجر معلوم . وفي نشوار المحاضرة : وإن هذا مالا يحتمله رزقه وإنما هو من الأصل .

(٢) في نشوار المحاضرة : صلح أن يبادر به السلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكر على عملها أمراً لأن هذه النواحي لا تصلح إلا لمن كان حسن التجميل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل ...

(٣) اصطلمه : استأصله

(٤) نشوار المحاضرة ٦٥/٨ .

ضمانه واسطاً وجسه في دار ابن طاهر ، وقرر عليه سبعين ألف دينار يؤديها ، وكان يُصحِّها ^(١) على جميل ^(٢) وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه والمؤكدون به من قبل المعتض بالله . فكتب النوشجاني : فيه بأنه كان يفرق في أيام ولايته عشرين كراً ^(٣) حنطة في كل شهر على حاشيته والفقراء والمساكين والمستورين من أهل معرفته ، وأنه فرق ذلك في هذا الشهر على عادته . ودافع بأداء ما عليه من موافقته ^(٤) ودخل عبيد الله بن سليمان على المعتض فأقرأه ^(٥) الرقعة وقال : قد سرّني فعل ابن بسطام وقيامه بمروءته ومعروفه وجعلنا بأن لم يظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، وأحوجه إلى تغيير رسمه ^(٦) فيما كان يُطلّقه ويبرّ به ، فكم بقي عليه ؟ قلت : بضعة عشر ألف دينار . فقال : اتركها عليه وارزده إلى عمله ، وعرفه إحمادي ما كان منه . ففعل عبيد الله ذلك .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يحدث قال : لما طال حبسى عقيب الوزارة الثانية تبينت أن المقتدر بالله لا يفرج ^(٧) عن ابن الحواري . وإن علم أنه من أكبر أعدائي . ولا يُحِبُّني إلى تسليمه إلى في جملة خصومي ، فتلطّفت لإفساد رأيه بأن راسلت المقتدر بالله قبل أن يُطلّقتي بأربعة أشهر وعرفته أن أولادي في إضاعة وفاقة ، وسألته إطلاق مائة وخمسين ألف درهم لي ، أحل

(١) يصحها : يصلح حسابها .

(٢) في نشوار المحاضرة : على جميل وهو يوكل به من قبل المعتض في دار ابن طاهر وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويفضون المال فكتب النوشجاني

(٣) السكر : مكال قيل إنه أربعون أردبا .

(٤) في نشوار المحاضرة : وهو مع ذلك يحاطل بأداء ما عليه .

(٥) في نشوار المحاضرة : فأراه .

(٦) في الأصل : وجعلنا بأن لم يظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، والوجه إلى تغيير رسمه . . . وفي نشوار المحاضرة : وقد جعلنا بما قد فعله حين لم يظهر أن ما قد ألزمناه أحوجه إلى الزوال عن عادته في المعروف .

(٧) يريد أنه لا يتركه لي . من قولهم أفرج القوم عن السكان : انكشفوا عنه وتركوه .

إلى كل واحد الثلث منها لإصلاح أمره والقيام بمؤوته ، وأردّ العوّض عنها بعد شهر من ثمن أمتعة قد بقيت عند قومٍ من أصحاب ودّاعى . فقال : هذا قدر يقبّح أن نمنعه إياه مع كثير ما أخذناه من ماله ، احمِلُوا إليه ذلك ، مُخْمِلٌ إِلَى . وراسلت السيدة وطلبت منها خمسين ألف درهم ، فكانت تلك سبيلها ^(١) ، وجمعت الجميع ودفعته إلى أم كلثوم قهرمانتى ، وأمرتها أن تتنازع به دنانير جُددًا حسانا وتجيئنى بها . ففعلت . وكانت من عادة المقتدر بالله إذا صام يوم الخميس أن يدخل إلى الحجرة التى أنا محبوس فيها ، يقعد عندى ويحدثنى من وقت العصر إلى وقت المغرب . فلما كان يوم الخميس قبل وقت حضوره صَبَبْتُ الدنانير بين يديّ ، فدخل وقال : ماهذا يا أبا الحسن ؟ قلت : أما يرى مولانا أمير المؤمنين كثرة هذه الدنانير ، وحُسْنَهَا ؟ قال : بلى ، فكم مبلغها ؟ قلت : سبعة عشر ألف دينار . قال : ولأى شىء هى بين يديك ؟ قلت . اقترضت ذلك المال من أمير المؤمنين ومن السيدة وزيدان ، وصرفته فيما أردتُ صرفه فيه ، واستدعيت ما كان لى مُودَعًا من أمتعة وصياغاتٍ ممّن هو عنده ، فأنفذه إلى لِمَا ظهر لهم من تفضل مولانا علىّ ، وزال بذلك طمَعُهُمْ فىّ ، وبعته وحصلتُ ثمنه هذا لأرُدّه على من اقترضته منه . فقال : ما أقبح هذا ! أترانا نبخل عليك بما أطلقناه لك مع ما أخذناه منك مما رأينا تعويضك عنه وردّك إلى أفضل ما كانت منزلتك عندنا عليه ؟ فتبسّمت . فقال : مم تبسمك ؟ قلت : والله يا أمير المؤمنين ما طلبتُ المال الحاجة إليه فإن فى بقيّة حالى ما يُغنى عنه ، وإنما أردتُه لأصرفه بالدنانير ، وأضعه بحضرتك ، فتشاهده وتعلم أن ابن الحواري الخائن يرتزق من مالك فى كلّ شهر مثل مبلغه ، ويقتطع مع ذلك كذا ، ويأخذ كذا .

(١) أى أنها أمرت بحملها إليه كما فعل المقتدر .

وذكرت معايبه ومساوئه . قال : فرأيته قد استعظم الحال ، وكثر في عينه المال ، ولم ينهض من مجلسه حتى وعدني بتسليم ابن الخواري إليّ ولم يقبل هو ولا السيدة ولا القهرمانة عوضاً ما أعطونه إلا بعد جهدٍ وسؤال .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : كنا على مائدة أبي العباس أحمد بن عبيد الله الخصبى^(١) في وزارته ، فجرى ذكرُ عليّ بن عيسى وابن الفرات فقال : كان ابنُ الفرات نافذاً في عمل الخراج وتدير البلاد وجباية المال وافتتاح الأطراف ، وألقى من عليّ ابن عيسى في سياسة الملك . وكان عليّ بنُ عيسى كثير التدبّر شديد التّصوّن عفيفاً عن المال ، وله مذهب في الترسل لا يلحقه فيه أحدٌ ولا ابنُ الفرات . والتفت إلى أبي عبد الله زنجي وكان حاضراً فقال له : ما عندك في هذا يا أبا عبد الله ؟ فقام قائماً وقال : من عادتي أيها الوزيرُ إذا صحبت وزيراً أن أحصى محاسنه وأذكرها ، فأما مساوئه فلا أخطرها مِنّي بالآ ، ولا أجرى بها لساناً ، وعلى ذلك فإن أذن الوزيرُ في الجواب قلت ما عندي . قال : قل . فقال : كانت يد أبي الحسن بن الفرات تحوّه لفساد خطّه ، وكان يعمل النسخ بأجل كلام وأحسنه ، ويخرجها إلى فأحررها ، والبارحة كنت أميرُ شيناً فمرت بي ثلاث نسخ بخطّه ، إن أمر الوزيرُ بإحضارها ليتبين له موقعه من الترسل أحضرتها . فقال : افعل . وأنفذ غلامه ليحضرها ، وتشاغلنا بالآ كل . فلما انقضى ونهض الوزيرُ وغسل يده ونام ، جلس زنجي في مجلسه من الدار على انتظار النسخ حتى حملت إليه فقرأتها ، ولم أزل أكرر النظر فيها . وكانت إحداها نسخة كتاب منه إلى مؤنس في أمر عليّ بن عيسى وهي : آثارُ عليّ بن عيسى - أعزك الله - فيما تولاه من الأعمال ، وجرى على يده

(١) ولي الوزارة المقتدر في سنة ٣١٢ بعد صرف أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخافاني الذي تولى الوزارة بعد القبض على ابن الفرات بعد وزارته الثالثة .

من الأموال ، تَدُلُّ على عجزه وإضاعته ، وتَبْطُل ما يَدَّعيه من صناعته وكفايته .
ولما صرفتُ عَمَلَه عَمَّا وَلَّوه ، وطالبتهم بما اقتطعوه ، أَعْفَوُا^(١) بِمَالٍ جَزِيلٍ قَدْرُهُ ،
عَظِيمٍ خَطَرُهُ ، متجاوزٍ مبلغُهُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وانضاف إليها ما تَوَفَّرَ مما كانوا
يفوزون به من الارتفاقات^(٢) ، ويستثنونه في العقود والمقاطعات ، وهو أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ ، وما وجب على الحسين بن أحمدَ ومحمد بن عليٍّ المادرائيين من خراج ضياعهما
بمصرَ والشَّامِ في سِنِي ولايته ، فاستدركه عليُّ بنُ أحمدَ بنِ بسطامٍ وهو ثَلَاثُ مِائَةِ
أَلْفِ دِينَارٍ ، فتحصَّلَ الجَمِيعُ أَلْفَ أَلْفٍ وَسَبْعَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَحُلَّ مِنْهُ إِلَى حَضْرَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - سِتُّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَإِلَيْكَ أَعْرَكَ اللَّهُ لِلنَّفَقَةِ عَلَى
الْقَادَةِ النَّافِذَةِ لِحَارِبَةِ يَوْسُفَ بْنِ دِيُوْدَاذَ مَعَ صِلَاتِ الْمُسْتَأْمِنَةِ^(٣) وَأَرْزَاقِهِمْ
خَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأُطْلِقَ الْبَاقِي لِقَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَأَجْنَادِهِ وَخَوَاصَّهُ
عَوَضًا عَمَّا كَانَ عَلَى بَنِي عِيسَى حَظَّهُ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ ، وَوَضَعَهُ مِنْ مُجَلَّةٍ اسْتَحَقَّاقَتِهِمْ ،
فَكَثُرَ الشَّاكِرُ ، وَسَكَنَ وَأَمِنَ الْنَافِرُ ، وَصَلَحَتِ الْأَحْوَالُ ، وَانْبَسَطَتِ الْأُمَالُ .
وَلَمَّا قَرَبَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ يَوْسُفَ أَفْرَجَ^(٤) عَنِ الرِّىِّ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَزَالَ
عَنِ أَهْلِهَا كُلِّ جَوْرٍ وَعُدْوَانٍ ، وَعَمَّرَتْ تِلْكَ النُّوَاحِيَ بِعَقَبِ خَرَابِهَا ، وَاسْتَوْسَقَتْ^(٥)
الْأُمُورُ بَعْدَ اضْطِرَابِهَا ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ الْمَعِينُ . وَقَدْ تَوَفَّرَتْ - أَعْرَكَ اللَّهُ - مَعَ ذَلِكَ
مِنِّي عَلَيْهِ الْعِنَايَةُ ، وَلِحِقَّتْهُ الصِّيَانَةُ ، فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَضِيَاعِهِ وَحَالِهِ ، تَرَفُّعًا
عَنْ مَجَازَاتِهِ عَلَى أَفْعَالِهِ ، وَجَرِيًّا عَلَى عَادَتِي فِي أَمْثَالِهِ . وَاللَّهُ أَسْأَلُ مُعَوْنَتِي عَلَى الْجَمِيلِ

(١) يريد أنهم وفوه المال من قولهم أعفاه بحقه وفاه إياه .

(٢) الارتفاقات ، يراد بها الانتفاعات والاستعانات .

(٣) المستأمنة : الذين يطلبون الأمان . (٤) أفرج : انكشف عنها وتركها .

(٥) استوسقت الأمور : انتظمت .

الذى أعتقده وأنويه ، وتوفيقى لما يُحِبُّه ويرُضيه ، إنه أهل الفضل ومُؤليه ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

ونسخة الأخرى وكانت إلى أبى العباس أحمد

ابن بسطام عند تقلده ^(١) الوزارة الأولى :

بِعَمُّ الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدد في سائر أوقاته ، وتتوكد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه ، وناصرة لأوليائه ، والله يُعينه على أداء حقها ، والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من جلة الكتاب والقواد ووجوه العلم والأجناد ، حسدوا أبا أحمد العباس بن الحسن رحمه الله على محله في الدولة ومنزلته ، وما قام به لأمير المؤمنين أيده الله من عقد بيعته ، فسعوا في إتلاف مهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبد الله بن المعز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين وشيعته ، وحسن لهم الخروج عن طاعته ، فكثروا ومرقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف الفتنة وأظهروا أعلامها ، وأضرموا نيرانها ، وتفرّد الحسين بن حمدان بأبى أحمد فقتله ^(٢) ، وثنى بفاتك المعتضدى فأتلفه ، وقصد المارقون دار الخلافة حتى وصلوا إلى جدرانها ، وأحرقوا عدة من أبوابها ، ووفق الله الخدم والأولياء المصافية والعلماء الحجيرية لحاربتهم ومنازلتهم ، فانصرفوا مغلولين ، واجتمعوا إلى عبد الله فعاقبوه وبايعوه ، وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووازره ^(٣) محمد بن داود على ضلالتة . وما صحّحهم من غلمان

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/٥

(١) أى عند تقلد ابن الغرات .

(٣) وازره : أعانه .

أمير المؤمنين - أدام الله عزه - وخاصته وذوى البأس من رعيته من حسن دينه ،
 وخلص يقينه ، فتحصنوا بالإبعاد في الحرب ، لِمَا خافوه من شدة الطلب ، وأسير
 جماعة من كتاب عبد الله وخواصه ، منهم محمد بن عبدون ، وعلي بن عيسى ،
 ومحمد بن سعيد الأزرق ، ويمن الكبير ، ووصيف بن صوارسكين ، وسرخاب
 الخادم ، وعلي اللثي ، ومحمد الرقاص وأبناء دميانة ، والمعروف بأبي المنى ، ومحمد
 ابن يوسف ، وحملوا إلى دار أمير المؤمنين - أيده الله - فحصلوا في أعظم بُوس ،
 وأضيق جُبوس . ولما تحمدت النائرة ، وسكنت الفتنة النائرة ، استدعاني
 أمير المؤمنين - أدام الله تأييده - فأوصلني إلى حضرته ، وخصني ببرّه وتكرّمته ،
 وفوّض إليّ تدبير مملكته ، ورعاية خاصته وعامته ، واعتمد عليّ في حياطة مُلكه
 ودولته ، وقدّني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع عليّ خِاماً ألبسني بها إجلالا
 وقدرا ، وجالا وفخرا ، وعدتُ إلى داري مغمورا بإحسانه ، مُثَقَلا بأبائيه وامتنانه .
 وأسأل الله معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاء وإرادته بمنّه وقدرته .

وكان أوّل ما بدأتُ به الجِدّ في طلب عدوّ الله عبد الله بن المعتز ، إلى أن هَيَأَ
 الله الظفرَ به على يدِ صافي^(١) مولى أمير المؤمنين ، بعد أن تنصّح في الدلالة على
 موضعه خادم مشهور الديانة ، مذكور الصيانة يُعرف بسوسن الجصاصي ، فأوجبت
 الحال إطلاق صِلَةٍ لسائر الأولياء وافرة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة عليهم متشاغل ،
 وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أحمد مجاريها . وأفضل المحابّ فيها ، والحمد لله
 رب العالمين .

والأحوال - أعزك الله - بيننا توجب مشاركتك ، وتقضى مُساهمتك ، وقد

(١) توفي سنة ٢٩٨ وكان إليه أمر دار الخليفة وصاحب الدولة كلها «المنتظم» ١٠٨/٦ .

قَلَدْتُكَ الخِرَاجَ وَالضِّيَاعَ الْعَامَّةَ وَالْمُسْتَحْدَثَةَ بِمَصْرٍ وَنَوَاحِيهَا ، وَالْكُورَ ^(١) الْجَارِيَةَ فِيهَا ، لِمَا أَعْرَفَهُ مِنْ كِفَايَتِكَ وَمَخَالِصَتِكَ ، وَأَثَقَ بِهِ مِنْ مُنَاصَحَتِكَ ، وَكَتَبْتُ بِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بِتَسْلِيمِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ، وَأَعْلَمْتُهُ اعْتِمَادِي فِيهَا عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ بِصِنَاعَتِكَ وَكِفَايَتِكَ تَسْتَعْنِي عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّبْصِيرِ ، وَتُوفِي عَلَى الظَّنِّ بِكَ وَالتَّقْدِيرِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَكُتِبَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لَثْمَانِ لَيَالٍ خُلُوفَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَمِائَتِينَ .

ونسخة الثالثة وكانت إلى ابن بسطام

في صرف سوسن عن الحِجَابَةِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ

عَوَّادُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - فِيمَنْ يُشَاقُّهُ وَيُنَاوِيهِ ، تَوَفَّى عَلَى غَايَةِ مَحَابَّةٍ وَنَهَايَةِ أَمَانِيهِ ، فَلَيْسَ يُظْهَرُ أَحَدٌ عَصِيَانَهُ وَبِيدِيهِ ، أَوْ يَجَاهِرُ بِهِ أَوْ يُخْفِيهِ ، إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وَأَهْلَكَهُ بِعَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ ^(٢) ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . وَبِمَنْ نَكَتْ وَغَدَرَ ، وَفَسَقَ وَمَرَّقَ ، وَطَغَى وَبَغَى ، وَكَاشَفَ وَخَالَفَ ، سَوَّسَنَ الْحَاجِبُ ، فَإِنَّهُ كَانَ لِدَمِ أَبِي أَحْمَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ السَّافِكِينَ ، وَفِي مُعَاوَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ عَلَى فِتْنَتِهِ مِنَ الْمُشْمَرِينَ . وَكَانَ يُظْهَرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَوَالِيَهُ وَنَصْرَهُ ، وَيُضْمَرُ عِدَاؤُهُ وَغَدْرُهُ ، وَيَسْعَى فِي إِفْسَادِ مُلْكِهِ وَدَوْلَتِهِ ، وَيُوحِشُ وَجُوهَ غُلَامَانِهِ وَخَاصَّتِهِ ، إِلَى أَنْ عَاجِلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - بِسُطُوتِهِ ،

(١) الكور جمع كورة وهي البقعة التي تجتمع بها المساكن والقرى ويراد بها ما يشبه المراكز والمديريات .
(٢) الاصطلام : الاستئصال .

وأزال عن الدولة - حرسها الله - ما عراها من مَعَرَّته ، وقدَّ مكانه من وثق بدينه وأمانته ، ونصيحته ومخالصته ، فاستوسقت الأمور ، واستبشر الجمهور ، وارتفع الأولياء وانقمع الأعداء ، والله يُخَيِّرُ^(١) لأمير المؤمنين فيما يُبْرِمه ويُمضيه ، ويوفِّقه لما يُحِبُّه ويرضيه بحوده ، ومجده ، وكرمه ومجده ، إنه فعَّال لما يُريد .

هذه - أعزك الله - حالُ الباغيين والمارقين ، والطاغيين والناكثين ، ومن نفَّره المُهْلَّة ، وتفسده الغفلة ، وتزله^(٢) قدَّما ، ويعصى مولاه ، فإن العاقبة للمتقين ، والدائرة على المجرمين ، والسلامة في طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

وقال أبو الحسين بن هشام : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُملى جواباً لبعض العمال على ظهر كتاب : وَرَدَ منه بجملة عشرة آلاف دينار ، فكان ما أحسن ولا قارب الإحسان ، ولا أنا بالراضى بشيء من أمره ، ولا بالمؤخر عنه ما يكرهه إن أقام على ما هو عليه ، وأين عشرة آلاف دينار مما يجب عليه حمله ؟ لِيُكْتَبَ إليه في ذلك أغلظ كتاب وأفظعه ، وليُعرَفَ أني إن استفسدته بعد استصلاحه إليه أنسيته ما سلف مما جرى عليه ، فليَحْتَرِ نفسه ما يراه أَصْلَحَ لها إن شاء الله .

وحدث أبو الحسين قال^(٣) : حدثني أبو القاسم سليمان بن الحسن قال : حضرت مناظرة أبي محمدٍ حامد بن العباس وأبي الحسن علي بن عيسى وأبي علي الحسين ابن أحمد المادرائي الملقب بأبي زنبور ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان ذلك بدار الخلافة ، وحضر نصر الحاجب والقواد والقضاة ، وأخرج ابن الفرات وعليه قميصان ورِدَاة ، فلما توسَّط المجلس سلَّمَ سالماً عاماً وجلس ، فكان ذلك أوَّلَ

(١) خار الله لي في الأمر : جعل لي فيه خيرا (٢) تزله : تزلقه

(٣) راجع تجارب الأمم ٦١/٥ وما بعدها .

استخفافه بالقوم ، فأقبل عليه حامدٌ وقال له : مددتَ رجليك ، وأطمعت في المال نفسك ، وعولت على القبرمانة - يعني زيدان - في الشفاعة لك ، والمدافعة عنك وظننت أنه يُقنَعُ منك بثلاثمائة ألف دينار ونيف ، أقررتَ بها من ودائعك . نريد أن نحاسبك على ما أغللت في ثمانية عشر شهراً من ارتفاعك ، وما انضاف إلى ذلك من رزقك ، وحق بيت المال في ضياعك التي رفعت عن نفسك لنفسك بأنك أوغرته^(١) ، وخسبائة ألف دينار قد حصر من ثقاتك من يوافقك على أنك ارتجعتها من ودائعك التي بقيت لك بعد نكبتك الأولى فكتمتها السلطان - أعزه الله - بعد عيذك له بالصدق عن جميع مالك ، فإذا فرغنا من ذلك عدنا إلى مراقبتك .

فقال : أما استغلال ضيعتي فلا مطالبة تتوجه عليّ به ، وقد ردّها أمير المؤمنين عليّ . وأما حق بيت المال الذي أوغرنيته فالحال واحدة فيه . وأما الودائع فلم يكن بقي لي مالم أصدق عنه فيما تقدم . وأما الثقة الذي أشرت إليه في موافقتي ، فالثقة لا يكون ساعياً لحق ويكفي عن باطل .

فقال له : قد علمنا أنك تحسن المناظرة ، ويطول لسانك بالأقوال المجالّه ، هذا موقف يحتاج فيه إلى وزن المال ، ولا تغترّ بالصيانة عن المكروه ، فإنني قد شرطت على أمير المؤمنين - أعزه الله - تسليمك إليّ ، فاحفظ نفسك مادمت في ظله قبل أن أبسط عليك من المكاره ما لا تثبت له .

قال له ابن الفرات : للمكاره تبسط على من أخذ أموال السلطان وفاز بها ، وضمن ضمانات باطلة بفتاوى الفقهاء والكتّاب ، وحصل الفضل الكبير منها ، ولولا إشفائك من ذلك لما تعرّضت لما لا تحسنه وفضحت نفسك ، وهتكت المملكة بالدخول فيه .

(١) أوغرته : جعلها لك الخليفة بدوت خراج : يقال أوغر الملك لرجل أرضاً وأوغره أرضاً : جعلها له من غير خراج .

فقال له حامد : ما هذا التَّبَسُّطُ يا عاضَّ كذا من أبيه ، حتى كأنك الوزير ونحن بين يديك .

فقال ابنُ القرات : دار أمير المؤمنين تُصان عن الشُّخف ، وحضور هؤلاء القوادِ القضاة يمنع عن الفُحْش . فياليت شعري يا حامدُ ما الذى غرَّكَ ؟ وليس ما أنت فيه بَيِّدراً ^(١) تَقْسِمُهُ ، وأَكَّاراً تَشْتُمُهُ وتُحَلِّقُ لحيته وتُضَرِّبُهُ ، وعاملاً تَذْبِجُ دَابَّتَهُ وتُعَلِّقُ رأسها فى عنقه ، فإنما هذه الدارُ وهذا المجلسُ دارُ ومجلسُ الخليفةِ اللذان منبها يَشِيعُ العَدْلُ فى أقطار الأرض ، وإنما مُكِنَّتَ من مُناظرتي ، ولم تُجْعَلْ لك سبيلٌ إلى عِرْضِي ، ولولا أُنْتَى أَتَصَوَّنُ عن فِعْلٍ مثلك لا تَقْتَصِصْتُ فى القول والشَّمَمِ منك ، ومع إمساكى فقد وجب اِخْدُءُ عليك فيما أطلقت به لسانك . فأقبل على بنُ عيسى على حامدٍ وقال له : يدْعُنِي الوزيرُ - أعزَّهُ اللهُ - حتى أناظَرَهُ ، وقال لأبى الحسن بن القرات : يا أبا الحسن - أعزَّكَ اللهُ - تَعْرِفُ هذا ؟ - وأومى إلى أبى زُنْبُور .

فقال : ما أُنْكِرُهُ من سوء ^(٢) .

قال : هو أبو على الحسين بن أحمد المادرائى عامل مصر الذى قَصَدْتَهُ وأَقْرَبْتَهُ . وَخِدْمَتُهُ معروفةٌ فى رَدِّهِ مصر على السلطان دفعاتٍ . فكيف لا تعرفه ؟

فقال : لِمَ يُنْكِرُ عَلَىَّ أَنى لم أَثْبِتْهُ ؟ فإن عهْدى طويل به ، وكنت أعرفه يكتب لعامل نهر جُوَيْرَ بعشرين ديناراً فى الشهر . ثم سَحب الطولونيين العصاة ، فَعَظُمَتْ حاله ونعمته معهم ، ولم أره إلى وقتى هذا .

فقال على بن عيسى لأبى زُنْبُور : وَاقِفْهُ على ما ذَكَرْتَ .

(١) البيدر : الوضع الذى يدرس فيه القمح ونحوه وهو الجرن والجرين .

(٢) يعنى أنه لا يعرفه ولكن عدم معرفته له لم تكن بسبب ما أنكره من سوء كان منه .

فقال : نعم .

وأقبل على ابن الفرات وقال : تولَّيتُ لك أعمالَ أجنادِ الشام سوى جُنْدِ
فِئسَرين والعواصمِ ، فطالبَتني من المَرْفِقِ ^(١) بما كنتُ أحمله إلى العباس
ابن الحسن قبلَكَ ، وهو عشرةُ آلافِ دينارٍ في كلِّ شهر . وأخذتَ ذلكَ لمدَّةِ
وزارتك الأولى ، فكان المبلغُ أرْبَعائةٍ وأربعين ألفَ دينارٍ . ثم إنك نصبتَ
في وزارتك الثانية ديواناً للمرافق ، واستخرجتَ هذا المالَ وأوردته في جملةِ مرافِقِ
حمَلتها إلى أمير المؤمنين .

فأمسك ابن الفرات ساعة ، حتى قال نَصْرُ الحاجبِ بعُجُومته : تَكَلَّمِي
يا قرمطية .

فقال له : أمسك يا أبا القاسم عما لا ينفعك ولا يضرُّني . وقال لأبي زنبور :
ليس يخلو ما تدَّعيه من حالين ، إما أن يكونَ حملُك للمالِ مع رُسُلٍ أو بسفاحٍ ^(٢)
تُجارٍ على تُجارٍ ، فإن كان مع رسلٍ فأخضِرْهم أو أخضِرِ القُبُوضَ التي كُتِبَتْ
على أيديهم ، أو بسفاحٍ فالقُبُوضُ مع أربابها .
فقال أبو زنبور : هذا شيء لا يُكْتَبُ به قُبُوض .

فقال : إذا كان ذلكَ كذلكَ وجب أن تجعلَ بدلاً من أرْبَعائةِ ألفٍ أرْبَعَةَ
آلافٍ ألفٍ لتكونَ الحال فيه واحدة .

ثم أقبل على علي بن عيسى فقال : حُكِمَ اللهُ ورسوله في الدعاوى معروفٌ ،
وأرجو ألا يُخْرِجَنِي أميرُ المؤمنين فيه عن الإنصافِ . ثم قال لأبي زنبور : قد وُلِّيتَ

(١) المرفق : ما ينتفع به

(٢) السفاح جمع سفتجة وهي أن تعطى ما لا لرجل فيعطيك خطأ بذلك يمكنك من استرداد ذلك
المال من عميل في مكان آخر « يشبه التحويل » .

لأبي الحسن - وأومى إلى علي بن عيسى - الشام أربع سنين ، فإن كنت حملت إليه هذا المرفق في هذه المدة فهو عليه ، أو لم تفعل فهو عليك لاعتراك بوجوبه . فقال له أبو زنبور : هذا لا يلزمني ، ولكن هاهنا مال الاستثناء بمصر ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة ، وقد أخذت منه في وزارتك الأولى سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار .

فقال له ابن الفرات : قد وليت أيضا مضر لأبي الحسن أربع سنين ، وحكم ذلك فيما يتوجه على أبي الحسن أو عليك حكم ما قبله . والآن هاهنا ثمانمائة ألف دينار واجبة لأمير المؤمنين - أعزه الله - ومن الواجب أن تخرجها إليه منها .

فقال له علي بن عيسى : أنا معروف الطريقة ومكشوف الرأس من مثل هذه الأسباب - وكشف عن رأسه - .

قال : وكان المقتدر بالله قريبا من الموضع فسمع ما جرى . فقال ابن الفرات : ومن هاهنا - بارك الله عليك - مغطى الرأس ؟ ولو تكلم الناس كلهم في هذا الموضع لوجب لك ألا تتكلم .

فقال : لم يا أبا الحسن ؟ - أعزك الله - .

قال : لأن لهذا الرجل - يعني أبا زنبور - ومحمد بن علي ابن أخيه بمصر والشام من الضياع مسافة مائة فرسخ^(١) في مائة فرسخ ، وما أخذت من حق بيت المال منها في وزارتك درهما واحدا . فمن ترك على قوم حقوق بيت المال لم يأخذ المرافق منهم ؟ ثم التفت إلى شافع اللؤلؤي - وإليه البريد - وقال له : أنت ثقة أمير المؤمنين ، وقد تعين على هذا الرجل - يعني أبا زنبور - ما يلزمه الخروج منه

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع .

بإقراره واعترافه أو إقامة حُجَّةٍ مُبَيِّنَةٍ منه ، فَأَنَّهُ إلى أمير المؤمنين ذلك ، وطالِبُهُ به .
وأقبل عليه حامد وقال له : قد أخذت في التموهيات ، وعوّلت - يا ابن الفاعلة -
على دفع الحق بالمباهات .

قال له : وأى شيء في يدك من الحق حتى أدفعه يا حامد ، تَحْمِلُ إلى السلطان
مائتين وأربعين ألفَ دينار في كل سنة من واسطَ ، وتدّعي أن الخاقانيّ الألبه
المتخلفَ ضَمَّنَكَ ثَمَنَ الحاصل من زَرْعٍ لم يُزْرَعْ . ثم تعترفُ بأنك تُعِلُّ ضَمَانَ هذه
الناحيةِ سَبْعِمِائَةِ ألفِ دينار ، وتُسْتَعُ بذلك ، أو ليس هذا الفعلُ شَاهِدَ عَقْلِكَ
وصانِعَتِكَ ومقدارِكَ في دينك وأمانتِكَ ؟ وقد رضينا بهذا الشيخ - يعني على
ابن عيسى - في كَشْفِ أَمْرِكَ وتأَمُّلِ ما عليك ، فَإِنَّ شُغْلَ السلطان باستيفاء
ما يلزمك - مما دَخَلْتَ في الوزارة لِتُدْفَعَهُ عن نفسك لَمَّا أَرَدْتُ استخراجَه منك -
أَعُوذُ عليه وَأَنْفَعُ له .

فَشَتَمَهُ حامدُ شَتْمًا مُسْرِفًا ، وأمر أن تُنْتَفَ لِحِيَّتُهُ ، فلم يُقَدِّم عليه أحد حتى
مدَّ حامدُ يَدَهُ إلى لِحِيَّتِهِ - وكان جالسا بالقرب منه - فأخذ منها خُصْلَةً ، وصاح
ابن الفرات : أوه . وضرب أبو زنبور يده إلى الدواة وكتب بأنه يضمن استخراج
مائة ألف دينار من ابن الفرات في مُدَّةِ ثلاثين يوما إذا سَلَّمَ إليه بعد ما أداه إلى هذا
الوقت . فقال له ابن الفرات : يكون عليك ألفُ ألفٍ وثلاثمائة ألفِ دينار بالمواقفة
لك في هذا المجلس ، ثم تدفعها بأن تَصَمَّنِي بأَقْلٍ من نصفها ؟ إن ذلك من أَطْرَفِ
الأُمُور ، وأعجب السياسة !

فقال حامد : وأنا أَصَنَّكَ بسبعائة ألف دينار عاجلة في عشرة أيام ، إذا
سَلَّمْتَ إلى .

وكتب حامد وأبو زنبور خطَّهما بما بَدَلَا فيه . واستدعى حامدُ مُرْشِدًا الخادِمَ ،

وسلم إليه الخططين ، وأمره بعرضيهما على المقتدر بالله ، فدخل وعاد وقال : أمير المؤمنين يقول : أنا أعلم أن عليه وعنده من الأموال أكثر مما قلتاه وضمتاه . وأنا أدرى كيف أستخرجها منه ، وأقابله على تقاعده بي . ومكايده إياي ، فأما أن أضمنه وأسأله فلا حاجة بي إلى ذلك .

ثم أقيم من المجلس إلى محبسه ، فما وقعت للجماعة عينٌ عليه بعد ذلك .
قال أبو الحسين بن هشام : فلما ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة حكى هذا المجلس على هذه السّياقة ، وزاد فيها أن علي بن عيسى قال له : ما اتّقيت الله في تقليدك ديوان جيش المسلمين رجلاً نصرانياً ، وجعلت أنصار الدين وحماة البيضة ^(١) يُقبّلون يده ويمتثلون أمره .

فقلت له : ما هذا شيء ابتدأته ولا ابتدأته ، وقد كان الناصر لدين الله قلّد الجيش إسرائيل النصراني كاتبه . وقلّد المعتضد بالله مالك بن الوليد النصراني كاتب بدر ذلك .

فقال علي بن عيسى : ما فعلاً صواباً .

فقلت : حسبى الأسوة بهما وإن أخطأ على زعمك . ولعمري إنك لا ترى أمانتهما ، ولا تعتقد طاعتهما ، فلذلك لا تقتدى بأرائهما ، ولا ترتضى بأفعالهما ، ومع هذا فما وجدتُ لي رُوْحين إذا مضى أحدهما بقي الآخر ^(٢) .

قال : ما أرَدْتَ بهذا القول ؟

قلت : وجدتُ العباس بن الحسن قد قلّد محمد بن داود بن الجراح ديوان

(١) حاة البيضة : يريد بهم حاة الإسلام .

(٢) يعنى أنه له روح واحد وإيس له روحان فيستطيع أن يخطر بأحدهما ، وهذا الروح يذكر ويؤنث .

الجيش ، فطعم في الوزارة ، وسعى على العباس حتى قتله ، وخلع أمير المؤمنين - أعزه الله - وأجاس عبد الله بن المعتز . فخِفْتُ أن يَمِّمَ على وعلى الدولة مائمه منه . قال : ثم صحت ، وأنا أعلم أن الخليفة يسمع : يا أمير المؤمنين ، قد اجتمع هؤلاء يريدون قتلى خوفا من علمي بمساوئهم ، وما في ذمهم من الأموال التي تلزمهم ، كما اجتمع الكتَّابُ في أيام المتوكل جدك على نجاح بن سلمة حتى قتلوه ، ولي عليك حقُّ حرمةٍ وخدمة ، فأخزُسْ نفسي . وبارك الله لك في مالي . قال : فما استوفيتُ القول حتى خرج الخدم وحملوني فردوني إلى موضعي ، ولم أجمع مع واحد منهم حتى جلستُ هذا المجلس .

وحكى أبو الحسن ثابت بن سنان أن أبا زنبور لم يقيم من مجلسه الذي ناظر ابن الفرات فيه حتى قال له ^(١) : إن أقررت على نفسك مصادرة التزمتُ عنك خمسين ألفَ دينار . فلما خرج قال له عليُّ بن عيسى ونصرُ الحاجبُ وابنُ الحواري : دخلت إلى الرجل لتناظره وخرجت من عنده وقد بدلتَ مَرَفَقًا مُصَانَعَةً ^(٢) . فقال : نعم ، أدخلتموني إلى رجل قال [لي] بعضكم لما دخلتُ إليه : انظر لمن تُخاطب [و] قال آخر : انظر بين يديك [قال آخر] ^(٣) الله الله في نفسك . فلم أجد أقربَ إلى ^(٤) الصواب مما فعلتُه . قال : فلما تقلد ^(٥) ابنُ الفرات الثالثة ^(٦) قبض على ولدٍ لأبي زنبور وأخذ خطه بخمسة وعشرين ألفَ دينار كانت واجبةً عليه للسلطان ، وأخرَ مطالبته بها إلى أن وافى أبوه من الشام ، ثم قال له وعدتني في المجلس الذي ناظرته في فيه بحمل خمسين ألفَ دينار ، وقد كُنتَ مالكَ أمرك في أن تفعل أولا تفعل ،

(١) تجارب الأمم ٦٣/٥ . (٢) في تجارب الأمم : وصانعه .

(٣) الزيادات من تجارب الأمم . (٤) في الأصل : من والتصويب من تجارب الأمم .

(٥) تجارب الأمم ٦٣/٥ .

(٦) في تجارب الأمم : أنه لما تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة .

وهذا خَطُّ ابْنِكَ بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَلَا لَكَ فِي دَفْعِهَا عَنْهُ وَقَدْ رَدَدْتُهُ إِلَيْكَ مَكافَأَةً عَمَّا عَمِلْتَ وَبَذَلْتَ .

ووجدت في هذه الحكاية من الزيادة أن حامداً قد كان أحضر أبا علي^(١) ابن مقله معه لمواقفة ابن الفرات على ما استخرجه من ودائعه في وزارته الثانية ، فلما طلبه وجده قد انصرف ، وراسله بالعود فقال : أنا أكتب خطي . وأشهدُ على نفسي بجميع ما تُريدُه مني ، فأما أن أواجه ابنَ الفرات به فما لي وجهٌ يُثبِتُ على ذلك . فكان هذا الفعلُ سببَ سوءِ رأيهِ [فيه]^(٢)

وحدث أبو الحسين بن هشام . قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد ابن عبد الحميد كاتب السيدة يحدث أبي في يوم عيد الأضحى من سنة ست وثلاثمائة قال : لما صحَّ عند أبي الحسن بن الفرات فسادُ أمره عند المقتدر بالله ، وتامُّ التدبير عليه في صرفه وتقليدِ حامدٍ استدعاني وخلا بي وقال : أنت عارفٌ بخدمة هذه المرأة وما فيه صلاح رأيها ، وأريد أن تكلِّفَ في استمالتها واستعطافها حتى تُبْطِلَ ما دبره أعدائي علىَّ وأشير^(٣) علىَّ بما أفعله في أمري . فقلت له : قد دبرَ عليك تدبيرٌ لا ينحلُّ سريعا ، وجنيتَ على نفسك في هذه الدفعةِ ثلاثَ جنایاتٍ لا يمكن تلافِي الخطأ فيها . فقال : وما هي ؟ قلت : أوَّلُها أنْ صرَفْتَ أصحابَ الدواوين والعُمَّالَ والصُنْفِيقِينَ وأصحابَ البُرْدِ والخَرَاطِيطِ وأكثرَ القضاةِ وبعضَ المَعَاوِينَ . وقلَّدْتَ أصحابك وذوى عناياتك ، فصاروا أعداءك وسعاةً عليك ، وقال الناسُ : إنك قلَّدْتَ للعناية لا للكفاية ، وحتى قال الخليفة : ما كان في هؤلاء المتصرفين من يصلح للإقرار على عمله .

(١) تجارب الأمم ٦٢/٣ .

(٢) في تجارب الأمم : فنفظ ذلك على حامد ونكر لابن مقله منذ هذا اليوم .

(٣) في الأصل وأشير وصحها محقق الطبعة الأولى : وتشير .

وثانيها : أنك أخذت توقيع الخليفة برّد أملاكك وضياعك عليك ، وقد تفرق أكثرها [في] أهل الدار والقوادِ والخواصّ فانزعّت ذلك من أيديهم ولم تُعوّضهم عنه . وقد أنفق أكثرهم النفقات العظيمة عليه ، وانضاف هؤلاء إلى أولئك وصارت كلمتهم واحدة في السعي عليك .

وثالثها : أن حلفت للخليفة - وأنت في حبسه قبل أن تقلدت من وزارته ماتقلته - أنه لم يبق لك وديعة ولا ذخيرة إلا وقد صدقته عنها ، ثم قعدت في ولايتك تطالب بالودائع ظاهرا ، وتستخرجها شائعا ، فكيف يمكن إصلاح فساد هذه أسبابه ؟ ولكنني أشير عليك برأى إن قبلته أئحذته . قال : وما هو ؟ قلت تُقسطُ عل نفسك وكتّابك وعمّالك مالا يُقارب النصف من أحوالهم ^(١) وتحمله إلى الخليفة فترضيه به ، وأعقد لك مع السيدة عقداً يقوم بأمرك معه ، وأحلفها عليه يمينا تسكنُ النفس إلى مثلها . وأنت وهم قادرون على الاعتياض فيما تعطونه على مهل . فقال : أمّا هذا الرأي فقد أشار به على جماعة من أسباني ، منهم موسى بن خلف وابن فرجويه ، وأبو الخطاب ، وهشام . - قال أبو الحسين : وإنما حدث ابن عبد الحميد أبي بهذا الحديث لتعلقه بذكره - فخطأت جميعهم فيه ، وقد كنت عندى بعيدا من الخطأ ، وقد شاركتهم فيه الآن . فقلت : وكيف ؟ . قال : ما بذل قط وزير ولا كاتب ولا عامل بذلا على وجه المصادرة في ولايته إلا كان من أكبر دواعي الطمع . وأكثر أسباب الحجة عليه ، لأن أعداءه يقولون قد بان الآن كثرة ماله وحاله بما بذله عفوا من نفسه ووراء ذلك أضعافه . ويكون هذا القول مسموعا مقبولا ، ويستم ما يتم وإن يُدافع يوماً ومُدّة ^(٢) وقد مضى المال

(١) لها أيضا : من أموالهم .

(٢) أى أنه لا بد أن يتم عليه ما يدير مهما دافع عنه ، سواء كان ذلك بعد يوم أم مدة ، ويضيع المال بلا فائدة .

ضائعا . ومع هذا فأى شيء أَقْبَحُ بى - مع عُلُوِّ هَمَّتِي وكثرة نعمتي - من أن أنسى أصحابا وعَمَلا - يَلُون بولايتي وَيُنْكَبُونَ بنكبتى ويتصرفون بتصرفي ويتعطّلون بعطّلتى - ثم أزيلَ نِعَمَهُم وأحوالهم بيدى وفى أياي ؟ القتلُ والله أَهْوَنُ من ذلك .

ف عجبت من كبر نفسه وعِظَمِ كَرَمِهِ ، وانصرفت ، فقبض عليه بعد أيام .
وحدث أبو الحسين قال . دخلت مع هشام والدى إلى أبى جعفر أحمد بن إسحاق ابن البهلول القاضى عَقِيبَ عِيدٍ لأهنته به ، فتطاولا الحديث ، وقال له والدى فى عُرْضِهِ : قد كنتُ أكتب الوزير - يعنى ابن الفرات - فى ^(١) محبسه وأُعرفه ما عليه القاضى من موالاته ومشاركته والتألم من محنته ، ومواصلة الدعاء بتفريجها عنه ، وهو الآن على شُكْرِ للقاضى واعتداد به . فلما سمع ذلك صرف من كان فى مجلسه وخلّوا . وقال له القاضى : ليس يخفى على ما أراه فى عين الوزير ونظره من التغير والتشكر ، وإن كان ما نَقَصْنِي من مَنَزِلَةٍ ولا عَمَلٍ ^(٢) ، وبالله أحلف لقد لقيت حامد بن العباس متلقيا بالمدائن لما أصدد للوزارة ، فقام إلى فى حرّاقته ^(٣) قياما تاما ، وأقبل على وسألتنى عن خبرى وقال : هذا أمرُك ولولدك ، وستعرف ما أفعله فى زيادتك من الأعمال والأرزاق ، ثم لقيته يوم خلع عليه فتطاول لى ، فلما فعلتُ فى أمر الوزير بحضرة أمير المؤمنين ما فعلته عادانى [و] لم يُعِرْنِي طَرْفَهُ من بعد ، وتخوّفته حتى كفانى الله أمره بتفرد على بن عيسى بالعمل ، وتشاغله هو بالضان وسقوط الحاجة إلى لقائه ، ومالى إلى هذا الوزير ذنبٌ يوجب انقباضه عني ، واستيحاشه مني إلا أننى

(١) فى الأصل إلى

(٢) يعنى أنه مع هذا لم ينقصه شيئا من المنزلة والعمل

(٣) الحرافقة نوع من السفن فيها مرامى نيران يرى بها العدو .

سَلَّمَتُ الْوَدِيعَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَافَعَتْ عَنْهَا بِغَايَةِ مَا أَمَكَّنْتَنِي الْمَدَافِعُ بِهِ ، مَعَ مَا أَتَى بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ مِثْلِي الْكَذِبُ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى جَاءَ ابْنُ حَمَّادٍ كَاتِبُ مُوسَى بْنِ خَلْفٍ وَأَقْرَبُ بِهَا عَلِيٌّ ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ حَمَلَتْهَا إِلَيَّ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ كَلِّمَهَا ، وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَسْلِيمِهَا . وَقَدْ فَعَلَ أَبُو عُمَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ عَنْده ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِهِ وَوَضَعَهُ فِي أَكْيَاسٍ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ نَفْسِهِ وَكَتَبَ [عَلَيْهِ] عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(١) . فَلَمَّا عَادَ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ : إِنْ الْوَدِيعَةَ بَعَيْنَهَا عِنْدِي ، وَإِنَّمَا غَرِمْتُ مَا غَرِمْتُهُ مِنْ مَالِي ، تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَتَنَفُّقًا عَنْده ^(٢) . وَمَالِي مِنَ الْمَالِ مَا لِأَبِي عَمْرٍ ، وَلَا عِنْدِي مِنَ الْاسْتِحْلَالِ مِثْلُ مَا عَنْده ، وَلَا جَرَتْ عَادَتِي أَنْ أَقْدَحَ فِي أَمَانَتِي وَمُرُوءَتِي بِمِثْلِ فَعْلِهِ . وَالْآنَ فَأُرِيدُ أَنْ تَسْتَلَّ سَخِيمَةَ الْوَزِيرِ وَتُصْلِحَ قَلْبَهُ ، وَتَذْكُرَهُ بِحَقِّ الْقَدِيمِ عَلَيْهِ ، وَمَقَامِي لَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الْمَقَامَ الَّذِي قِمْتُهُ ، فَإِنْ مِثْلَهُ يَرَعَى وَيُرَاعَى . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَفْعَلُ وَأَتَلَطَّفُ ؟ وَقَدْ اخْتَلَفْتَ الْأَقْوَالَ فِيمَا جَرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَإِنْ رَأَى الْقَاضِي أَنْ يَشْرَحَهُ لِي . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ كُنْتُ أَنَا وَأَبُو عَمْرٍ وَحَامِدٌ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَفِي الْجُلُوسِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ الَّذِينَ يُعَادُونَ الْوَزِيرَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَيَنْحَرِفُونَ عَنْهُ ، إِذْ أَحْضَرَ ^(٣) حَامِدُ الرَّجُلَ الْجَنْدِيُّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ وَجَدَهُ رَاجِعًا مِنْ أَرْدَبِيلَ إِلَى قَزْوِينَ ، وَمُتَرَدِّدًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَصْبَهَانَ وَالْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُ أَقْرَبَ لَهُ عَفْوًا أَنَّهُ ^(٤) رَسُولُ ابْنِ الْفَرَاتِ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ فِي عَقْدِ الْإِمَامَةِ لِرَجُلٍ مِنَ الطَّالِبِينَ الْمُقِيمِينَ بِطَبْرِ سِتَانٍ ، وَأَنَّ الشَّرُوعَ وَاقِعٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ ، وَمُسِيرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ إِلَى بَغْدَادَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرَّبَ عَاوَنَةُ ابْنَ الْفَرَاتِ

(١) يَعْنِي أَنَّهُ دُونَ فَوْقِ الْمَالِ الْمَوْضُوعِ فِي الْأَكْيَاسِ اسْمُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَرَاتِ .

(٢) تَنَفَّقًا : أَيِ تَرَوَّجًا لِحَالِهِ عَنْده .

(٣) تَجَارِبُ الْأُمَمِ ٦٠/٥ - ٦١ وَمُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ تَرْجُمَةُ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ الْبَهْلُولِ ٨٩/١ - ٩١ .

(٤) عَفْوًا أَيِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَبَادِرَةٍ .

ومهدله من أمر الحضرة ما يجب تمهيدُه . وقال حامدٌ للرجل : اصدُق عما عندك . فذكر مثل ما ذكره حامدٌ عنه ، ووصفَ أن موسى بنَ خلف اختارَه لابن الفرات لأنه من الدعاء إلى الطالبين ، وأن موسى قد كان مضى في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من ذلك .

فلما استتمَّ الرجل قوله اغتاض الخليفة غيظاً شديداً بأن في وجهه ، وأقبل ^(١) على أبي عمر فقال : ما عندك فيمن فعل هذا واستجاره ؟ فقال : لئن كان فعله لقد ركب عظيماً ، وأقدم على أمرٍ يضُرُّ بالمسلمين جميعاً ، واستحقَّ كذا - بكلمةٍ عظيمةٍ لا أحفظها - . قال أبو جعفر : وتبيَّنتُ في وجه عليٍّ بن عيسى كراهيةً لما يجري وإنكاراً لهذه الدَّعْوَى وهُزْواً بما قيل فيها ، فقويتُ بذلك نفسي ، وعطف الخليفةُ إلىَّ فقال : ما عندك يا أحمد فيمن فعل ما سمعته ؟ قلت : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يُفَعِّينِي عن الجواب . قال : ولم ؟ قلت : لأنه ربُّما أغضبَ مَنْ أَنَا مُحْتَاجٌ إلى رِضاه ، وخالفَ رَأْيَه وهَوَاه ، واستضرَّرتُ بذلك ضرراً أتأذَى به . قال : لا بد من أن تقول . فقلت : الجواب ما قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ^(٢) » . ومثلُ هذا الأمر الكبير لا يُقبَلُ فيه خبرُ الواحد ، والعقلُ يمنع من قبولِ مثله على ابن الفرات ، لأن من المحال أن يَرْضَى بِبِيعَةِ ابن أبي الساج ، ولعلَّه ما كان يُؤَهِّلُه لِحِجَابَتِهِ ^(٣) في أيام وزارته . ثم أقبلتُ على الرجل فقلت له : صِف لي أُرَدِّيلَ أعليها سوراً أم لا ؟ فلا شك في معرفتك بذلك مع ما ذكرته من دخولك إيها . واذكر لي بابَ دارِ العِمَارَةِ هل هو حَدِيدٌ أَوْ مُلَبَسٌ ^(٤) أَمْ خَشَبٌ ؟

(٢) سورة الحجرات الآية ٦

(٤) ملبس : أى أنه خشب مكسو بحديد .

(١) تجارب الأمم ٦١/٥

(٣) في الأصل : « لحجته » .

فلجّج في كلامه . وقلت له : ما كُنْيَةُ ابن محمود كاتب ابن أبي الساج ؟ فلم يعرف ذلك . وقلت : فأين الكتب التي معك ؟ قال : لما أحسست بوقوعي في أيديهم رميتُ بها إشفافاً من أن يجدوها معي فأعاقب . فقلت : يا أمير المؤمنين هذا رجل جاهل مُكْتَسِبٌ أو مدسوس من عدوٍّ غير مُحَصِّل . فقال عليُّ بنُ عيسى : قد قلتُ ذاك للوزير فما قبل مني ، وليس يُخَوِّفُ هذا فضلاً عن أن يُنْزَلَ به مكروهٌ إلا وقد أقرَّ بالصورة . فأقبل الخليفة على نذير الحرّمي وقال له : بحق عليك إلا ضربته مائة مِرْقَعَةٍ أَشَدَّ ضَرْبٍ إلى أن يَصْدُقَ - وإنما عدل بهذا الأمر عن نصر الحاجب لِمَا كان يعرفه من عداوته لابن الفرات - قال : فأخذ الرجلُ من حضرة الخليفة لِضَرْبٍ على بُعْدٍ . فقال : لا ، لا ، ها هنا . فضرب بحيثُ يشاهده دون خمس مَقَارِعَ . فقال : غُرِرْتُ وَضُمِنْتُ لى ضماناتٍ فكذبتُ ، ووالله ما رأيتُ أُرْدِيْلَ قطُّ . وَطُلِبَ أَبُو مَعَدٍّ نِزَارُ بن محمد الضَّبِّيُّ صاحبُ الشرطة فكان قد انصرف . وقال الخليفة لعلي بن عيسى : وَقَّعْ إليه بأن يضربه مائة سوطٍ وَيُنْقَلَهُ بالحديد وَيَطْرَحَهُ فِي الْمَطْبِقِ ^(١) . فوالله لقد رأيت حامدا وقد كاد يسقط الخزالا وانكسارا ووجلا وإشفافا . وخرجنا وجلسنا في دار نصر الحاجب وانصرف حامدا ، وأخذ عليُّ بن عيسى ينظر في أمورٍ كُلِّمَ فيها ، وأَخَّرَ أمر الرجل حتى قال له ابن عبدوس حاجبه : قد أَتَقَدَّ بِدَبْرِ ^(٢) المضروب المتكذِّب . قال أبو جعفر : فقلت : هذا رجل قد جهل ، وغنّني إذ كنتُ سبياً لما لحقه ، فإن أمكنك أن تُسْقِطَ عنه المكروه المُسْتَأْنَفَ أو بعضه كان لك فيه أجر . فقال : لعن الله هذا . وأىُّ أَجْرٍ في مثله ؟ ولكنني أَقْتَصِرُ به على خمسين مِرْقَعَةٍ وَأُعْطِيهِ من السياط . ثم وَقَّعَ

(١) المطبق : سجن تحت الأرض .

(٢) أَتَقَدَّ : أرسل والدبر من معانيه الموت ، أى أرسل بموته .

بذلك إلى نِزَارٍ وانصرف . وقد صار حامدٌ من أشدَّ الناس حَقًّا على وعداوةٍ لى .
وحدث أبو الحسين على بن هشام قال : لما وَزَرَ^(١) أبو الحسن بن الفرات
وزارته الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المُقابلة في ديوان الخِصَّة من قِبَل
على بن عيسى ، وهو صاحبُ الديوان إذ ذاك ، فقلده الديوان بأُسْرِهِ ، وأقام يتقلده
سنتين . واتفق أن قام في بعض العَشِيَّات يُصَلِّي المغرب ، فسقطت من كُمِّهِ رُقْعَةٌ
بخطه فيها سِعايةٌ بابن الفرات وأسبابه ، وسَعَى لابن عبد الحميد كاتبِ السيدة
في الوزارة ، فوقعَتْ في يد أحد الحواشي ، فحملها إلى ابن الفرات ، فلما وَقَفَ
عليها قَبَضَ عليه من وقته ، وأنفذه في زَوْرَقٍ مُطْبِقٍ إلى واسط ، فصودر
هناك وُضِرَ .

ثم رفع صاحبُ البريد إلى ابن الفرات في جملة رُفُوعه أن أم سليمان ماتت
ببغداد ولم يَخْضُرْهَا وَلَدُهَا ولا شَاهَدَتْهُ قبل موتها ، فاعْتَمَ بذلك وهزَّتْه الرَّعَايَةُ
لأنَّ كَتَبَ إليه بخطه كتاباً أَقْرَأَهُ سليمانُ من بعده فحفظته وهو :

مَيَّزْتُ - أكرمك الله - بين حَقِّكَ [و] جُرْمِكَ ، فوجدتُ الحقَّ يُوفِي على
الجُرْمِ ، وذكرت من سالف خِدْمَتِكَ [في المنازل]^(٢) التي فيها رُبِيتَ ،
وبين أهلها غُذِيتَ ، مائنانِي إليك ، وعطفني عليك ، وأعادني لك إلى أَفْضَلِ
ما عهدتَ ، وأجل ما أَلِفْتُ ، فَتَقْ - أكرمك الله - بذلك واسْكُنْ إليه ، وعوِّل
في صلاح ما اختل من أَمْرِكَ عليه . واعْلَمْ أَنِّي أراعي فيكَ حقوقَ أَيْبِكَ التي تقوم
بِتَوْكُّدِ^(٣) السبب مقام اللُّحْمَةِ والنَّسَبِ [و] تُسَهِّلُ ما عَظُمَ من جنائيتك ، وتَقَلِّلُ

(١) القصة في تجارب الأمم ١٥/٥ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ والفرج بعد الشدة ١١٠/١
وابن الأثير حوادث ٢٩٦ .

(٢) زيادة من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٣) في الفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة بتوكيد .

ما كثر من إساءتك ، ولن أدع مراعاتها ^(١) والمحافظة عليها ، إن شاء الله ، وقد قلّدتك أعمال دَسْتَمِيسَانَ لسنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن حبش ^(٢) بحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّد هذه الأعمال وأظهر فيها أثراً حميداً يبين عن كفايتك ، ويؤدّي إلى ما أحبه من زيادتك إن شاء الله ^(٣) .

وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال ^(٤) : حدثني أبو الحسين علي بن هشام قال : كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن بن الفرات في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثمائة في وزارته الثانية فسمعتّه يتحدث ويقول : دخل إلى أبو الهيثم العباس ^(٥) بن محمد بن ثوابة الأنباري في محبسى في دار المعتذر بالله وطالبني بأن أكتب له خطي بثلاثة عشر ألف دينار . فقلت : هذا مالٌ ماجرى على يدي للسلطان في طول أيام ولايتي فكيف أُصدر على مثله ؛ قال : قد خلعت بالطلاق على أنه لا بد أن تكتب بذلك . فكتبت له بثلاثة عشر ألف ألف ، ولم أذكر درهما ولا ديناراً . فقال اكتب ديناراً لأبرأ من يميني فكتبت وضربت عليه وخرقت الرقعة ومضعتها وقلت : قد برت يمينك ولا سبيل بعد ذلك إلى كتب شيء . فاجتهد ولم أفعل ، ثم عاد إليّ من غد ومعه أم موسى القهرمانه ، وجدّد مطالبتي وأسرف في شتمى ، ورماني بالزنا ، فخلعت بالطلاق والعِتَاق وتَمَام الأيمان الغموس أننى ما دخلت في محذور من هذا الجنس منذ نيّف وثلاثين سنة ، وسمتّه أن يحلف

(١) في الأصل مراعاتك . والنصوب من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٢) في الأصل غير واضحة ، وفي نشوار المحاضرة : حبش . وفي الفرج بعد الشدة : جيش .

(٣) في الفرج بعد الشدة عقب هذا الكلام : قال أبو الحسين : وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط .

(٤) تجارب الأمم ٨٨/٥

(٥) مات محبوساً سنة ٣٠٣ : انظر صلة عريب ٥٩ .

يمثل يميني على أن غلامه القائم على رأسه لم يأتِه في ليلته تلك . فأنكرت أم موسى هذا القول ، وغطت وجهها حياء منه . فقال لها ابن ثوبة : هذا رجل بطر بالأموال التي معه ، ومثله مثل المزيّن مع كسرى ، والحجّام مع الحجاج بن يوسف . فستأمرين السادة في إنزال المكروه به حتى يُذعن بما يراد منه - وكان قوله : السادة ، إشارة إلى المقتدر بالله والسيدة والدته وخاطف ود ستنويه أم ولد المعتضد بالله ^(١) ، وهم إذ ذاك مُستولون على التدبير لصغر المقتدر بالله - فقامت أم موسى وعادت وقالت لابن ثوبة : يقول لك السادة : قد صدقت فيما قلت ويدك مطلقة فيه .

قال ابن القرات : وكنت في دار لطيفة ^(٢) ، والحُرُّ شديد فتقدم بتنجية البوارى ^(٣) عن سمائها حتى نزلت الشمس إلى صحنها ، وإغلاق أبواب بيوتها ، فصلت في الشمس من غير أن أجد مُستظلاً منها ، ثم قيّدني بقيدٍ ثقيل ، وألبسني جُبّة صوف قد نُفِعَتْ في ماء الأكارع ^(٤) ، وغلّني بغلّ ، وأقفل باب الحجرّة وانصرف ، فأشرفت على التلف . وعددت على نفسي ماعاملت الناس به ، فوجدتني قد عملت كل شيء منه ، من مصادرة ونهب وقبض ضياع وحبس وتقييد وتضييق وإلباس جباب الصوف ، وتسليم قوم إلى أعدائهم وتمكينهم من مكروههم ، ولم أذكر أنني غلّمت أحداً ، فقلت : يانفس هذه زيادة . ثم فكّرت أن النّسيّ كاتِب الطائي ضَمِنِي من عبيد الله بن سليمان ، فلم يُسلمني إليه وسلّمه إلى فلمّته إلى الحسن العلوف المستخرج ، وكان عسوّفاً ، وأمرته بتقييده وتعذيبه ومطالبتة بمال حدّته له ، وألّط ^(٥)

(١) في الأصل : المقتدر والتضويب من تجارب الأمم ٩٠/٥ .

(٢) في تجارب الأمم حجرّة ضيقة . (٣) البوارى : الحصر .

(٤) الأكارع جمع كراع . واهل يريد أنه نفقه في مرقة إذ تكون فيها أدهان ودسم لترداد الحرارة عليه .

(٥) ألط الفريم : منع من الحق .

ولم يؤدّ ، فتقدّمتُ بَعْلَهُ ثم ندمت بعد أن غلّ مقدار ساعتين . وأمرتُ بإنزال الغلّ عنه . وتجاوزتُ الساعتين وأنا مغلول ، فذكرتُ أمراً آخر ، وهو أنه لما قُربَ سَبْكَرى ^(١) مأسوراً مع رسول صاحب خراسان كتبتُ إلى بعض عمال الشرق بمطالبتِهِ بأمواله وذخائِرِهِ . فكتبَ بإطاطِهِ وامتناعِهِ ، فكتبتُ بأن يُنَلَّ ، فوصل الكتابُ الأولُ وغلّ ، وتلاه الثاني بعد ساعتين فحلّ .

فلما تجاوزتُ ^(٢) عنى أربع ساعات سمعتُ صوتَ غلمانٍ مجتازين في الممر الذي فيه حجرتي ، فقال الخدمُ الموكّلون : هذا بدر الحرّمي [و] هو صنيعتك . فاستغثتُ به وصحتُ : يا أبا الخير ، لي عليك حقوقٌ ، وأنا في حالٍ أتمنى معها الموت ، فتخاطب السادة وتذكّرهم حرّمتي وخدمتي في تثبيت دولتهم لما قدّ الناسُ عن نصرتهم ، وافتتاحي البلدان المأخوذة ، واستيفائي الأموال المنكسرة ، وإن لم يكن إلاّ مواخذتي بذنب يُنقِمُ عليّ فالسيفُ فإنّه أروح . فرجع ودخل إليهم وخاطبهم ورقّهم ، وأمروا بحلّ الحديدِ كلّهُ عنى ، وتغييرِ لباسي وأخذِ شعري ، وإدخالِي الحِمَامَ وتسليمي إلى زيدان ، وراسلوني : بأنك لا ترى بعد ذلك بُؤساً . وأقيمتُ عند زيدان مُكرّماً إلى أن رُدِدْتُ إلى هذا المجلس .

قال أبو الحسين : ثم ضرب الدهر ضربةً فدخلتُ إليه مع أبي في الوزارة الثالثة وقد غلب الحسن على رأيه وأمره . فقال له أبي : قد أسرف أبو أحمد في مكارِهِ الناسِ حتى أنه يضرب من لو قال له : اكتب خطّك بما يريدُه منه لكتبَ بغير ضرب . ثم يوافق المصادِر على الأداء في وقتٍ بعينه ، فإن تأخّر إيرادُ

(١) سبكرى : هو غلام الصفار وكان من الخارجين على الخليفة وانظر القبض عليه في ابن الأثير حوادث ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٢) تجارب الأمم ٩٠/٥ .

الرَّوْزِ بِهِ^(١) ، أعاد ضربته . ومع هذا الفعل شناعةٌ مع خُلُوه من فائدة . فقال له أبو الحسن : يا أبا القاسم ، لو لم يفعل أبو أحمد ما يفعله بأعدائنا ومن أساء معاملتنا لما كان من أولاد الأحرار وكان نسلَ هوانٍ . أنت تعلم أنني قد أحسنت إلى الناس دفعتين فما شكروني ، وسعوا على دمي . ووالله لأسلكنَّ بهم ضدَّ تلك الطريقة . فلما خرجنا من حضرته قال لي أبي : سمعتَ أعجبَ من هذا القول ؟ إذ كنا لم نسلم مع الإحسان نسلم مع الإساءة ؟ فما مضى إلا أيامٌ يسيرة حتى قبض عليه وجرى ما جرى في أمره .

قال القاضي أبو علي التتوخي قلت لأبي الحسين بن هشام : قد عرفنا خبر المزيّن مع كسرى وهو أنه جلس ليصلح وجهه فقال له : أيها الملك ، زوّجني بنتك ، فأمر بأن يقام ، فأقيم . وقيل له : ما قلتَ ؟ فقال : لم أقل شيئا . ففعل به ذلك ثلاث دفعات . فقال الملك : لهذا المزيّن خطبٌ ، وأحضر أهل الرأي فأخبرهم بحاله . فقال جميعهم : ما أنطق هذا المزيّن إلا باعثٌ بعثه من مالٍ وراء ظهره . فأنفذ إلى منزله فلم يوجد له شيء . فقال الملك : احفروا مكان مقعده عند خدمته لي ، فيخبر فوجد تحته كنزٌ عظيم . فقال الملك : هذا الكنز كان يخاطبني .

ثم قلت لأبي الحسين : فهل تعرف خبر الحجام مع الحجاج ؟ قال : نعم . بلغنا أن الحجاج احتجّم ذات يوم ، فلما ركب الحجام على رقبته قال له : أحبُّ أيها الأمير أن تحبرني بخبرك مع ابن الأشعث ، وكيف عصا عليك . فقال له : لهذا الحديث وقتٌ آخرٌ ، وإذا فرغت من شأنك حدّثتك . فأعاد مسأَلته وكرّرها ، والحجاج يدفعه ويعدّه ويحلف له على الوفاء له . فلما فرغ ونزع الحجام عنه ، وغسل الدّم ، أحضر الحجام وقال له : إنا وعدناك بأن نحدّثك حديثاً

(١) الروز مصدر راز ما عنده روزا : طلبه وأراده ويكون المعنى فإن تأخر إيراد ما طلبه .

ابن الأشعث معنا ، وحلفنا لك ، ونحن مُحدِّثوك : يا غلام ، السَّيَّاطُ . فَأُتِيَ بِهَا ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ فِجْرَدَ وَعَلَّتَهُ السَّيَّاطُ ، وَأَقْبَلَ الْحَجَّاجُ يَقْصُ عَلَيْهِ قِصَّةَ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِأَطْوَلِ حَدِيثٍ . فَلَمَّا فَرَّغَ اسْتَوْفَى الْحَجَّامُ خَمْسَمِائَةَ سَوْطٍ ، فَكَادَ يَتَلَفُ . ثُمَّ رَفَعَ الضَّرْبَ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَفَّيْنَاكَ بِالْوَعْدِ ، وَأَيَّ وَقْتٍ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْأَلَ خَبَرَ نَا مَعٍ غَيْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ أَجْبِنَاكَ .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو الحسين بن هشام قال : حدثني أبو علي بن مقالة قبل وزارته قال :

عزم أبو الحسن بنُ الفرات في وزارته الأولى يوماً على الصَّبَوحِ ^(١) من غد ، وكان يومُ الأحد من رَسْمِهِ أَنْ يَجْلِسَ لِلْمَظَالِمِ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَتَشَاغَلُ نَحْنُ بِالسَّرُورِ ، وَنَصْرِفُ عَنْ بَابِنَا قَوْمًا كَثِيرِينَ قَدْ قَصَدُوا مِنْ نَوَاحٍ بَعِيدَةٍ وَأَقْطَارٍ شَاسِعَةٍ مُسْتَضْرِحِينَ مُتَظَلِّمِينَ ؟ فِهَذَا مِنْ أَمِيرٍ ، وَهَذَا مِنْ عَامِلٍ ، وَهَذَا مِنْ قَاضٍ ، وَهَذَا مِنْ مُتَعَزِّزٍ ، وَيَمْضُونَ مَغْمُومِينَ دَاعِينَ عَلَيْنَا . وَاللَّهِ مَا أَطْلُبُ نَفْسًا بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَرَى أَنْ تَجْلِسَ أَنْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ سَاعَةً وَمَعَكَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدٍ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْمَظَالِمِ وَتَسْتَدْعِي الْقِصَصَ وَتَوْفَعًا مِنْهَا فِيمَا يَحْجُوزُ تَوْقِيعُكَ فِيهِ ، وَتُقَرِّدًا مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوفِي عَلَيْهِ ، وَتُخَضِّرَانِيهِ لِأَوْقَعٍ فِيهِ ، وَيَنْصَرِفَ أَرْبَابُ الظُّلَامَاتِ سَرُورِينَ ، وَأَتَهَيَّأُ يَوْمِي بِذَلِكَ . فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . وَبَكَرْتُ مِنْ غَدٍ فَقَالَ لِي : أَخْرِجْ وَاجْلِسْ عَلَى مَا وَاظَفْتِكَ عَلَيْهِ . فَخَرَجْتُ وَمَعِيَ ابْنُ رَشِيدٍ وَجَلَسْنَا وَوَقَعْنَا فِي جُمْهُورٍ مَارُفِعٍ إِلَّا عَشَرَ رِقَاعٍ كَانَتْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى وَقُوفِهِ عَلَيْهَا تَوْقِيعُهُ بِحُطَّةٍ فِيهَا ، وَكَانَ مِنْهَا رَقْعَةٌ كَبِيرَةٌ ضَخْمَةٌ تَرْجُمُهَا : الْمُتَظَلِّمُونَ مِنْ أَهْلِ رُودِ مِسْتَانَ وَهَرْمُزْ جَرْدٍ — وَهِيَ نَاحِيَتَانِ مِنَ السَّيْبِ الْأَسْفَلِ وَجُنُبَلَاءُ ، وَكَانَتَا إِذْ ذَاكَ

(١) الصبوح : الشرب أو الأكل صباحاً .

في إقطاع السيدة . وقد رت أنها في ظلامه من وكيلها في تغيير رسمه ونقص طسق^(١) .
 فجعلتها فيما أوردته ، وعُدت إلى أبي الحسن فعرفتته ما جرى . فأخذ الرقاع ، ولم يزل
 يُوقّع فيها إلى أن انتهى إلى هذه الرقعة ، فقرأها ووجهه يربد^(٢) ويصفّر ، وينتقل
 من لون إلى لون ، فضاقت صدرى وندمت على ترك قراءتها وقلت : لعل فيها أمراً
 يتهمني فيه ، وأخذت ألوم نفسي على تفریطى فيما فرطت فيه . وفرغ منها ،
 فكتمنى ما وقف عليه فيها وقال : هاتوا أهل روزستان وهرمزجرد . فصاح
 الحجاب دفعات ، فلم يحب أحد ، وقام وهو مهموم منكسر ، ولم يذأ كِرنا بأمر
 أكل ولا شرب ودخل بعض الخبج ، وتأخر أكله ، وزاد شغل قلبى ، وقلت
 لخليفة لساكن صاحب الدواة - وكان أميا - : أريد رقعة لابن بسام الشاعر ،
 عليها خرج لأقف عليه ، ولم أزل أخدعه حتى مكنتى من تفتيش ما هو مع الدواة ،
 ولو كان ساكن حاضراً لما تم لى ذلك . وأخذت الرقعة فإذا هى رقعة بعض أعداء
 ابن الفرات ، وقد قطعته فيها بالثلب^(٣) والطنن وتعدد المساوى والقبايح ، وهدده
 بالسعاية ، وقال فيما قاله : قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك وأهلك وأقاربك
 وكتائبك وحواشيك ، واطرحت جميع الناس ، وأقلت الفكر فى عواقب هذه
 الأفعال ، وما ترضى لمن تنقم عليه ما تنقمه بالإبعاد وتشيت الشمل حتى تؤدعهم
 الحبوس وتفل وتصنع . وختمها بأبيات هى :

لو كان ما أنتم فيه يدوم لكم	ظننت ما أنافيه دائماً أبداً
لكن رأيت الليالى غير تاركة	ماساء من حادث أوسر مطرداً
وقد سكنت إلى أنى وأنكم	سنستجد خلاف الحالين غداً

(١) الطسق : مقدار معلوم من الخراج . (٢) يربد : يتغير لونه إلى الربة وهى الغبرة .

(٣) الثلب : السب .

قال وبطل صبح أبي الحسن ، ودعانا وقت الظهر فأكلنا معه على الرَّسَم ، ولم أزل أبسطه وأقول له أقوالاً تُسْكِنُه ، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه غُبوقاً^(١) ، ومضى على هذا اليوم أربعة أشهر وقبض عليه ، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى . فلما خلع على أبي عليٍّ محمد بن عبيد الله بن خاقان جلسنا نتحدث وتذاكر أمور ابن الفرات . فقال لي ابن عبد الأعلى : كنت جالسا في سوق السلاح أُنْتَظَرُ جَوَازَ الخاقانيِّ بالخَلْع لأقوم إليه . وأهنته ، فانفق معي رجلٌ شابٌ حسنُ الهيئة ، جميلُ البزَّة ، وحدثني أنه صاحبُ لأبي الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل ، وأنه أنفذه من أصبهان قاصداً حتى دَسَّ إلى ابن الفرات رُقعةً على لسان بعض المتظلمين ، فيها كلُّ طعنٍ وثلبٍ ودعاءٍ وسبٍّ وتوعُّدٍ وتهديدٍ وفي آخرها شعر . فقلت له : على رِسْلِكَ هذه الرُقعة على يدي جَرَتْ ووصلت إلى ابن الفرات ، وخرج الحديث مُتَقَابِلَا .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبي يقول لأبي عليٍّ بن مقلة في أول وزارته الأولى - وقد جلس مجلساً نقض فيه الأعمال وبان منه فضلُ كِفَايَةٍ واستقلال - : العَمَلُ في يد الوزير أيده الله ذليل . فقال : على هذه الحال نشأنا يا أبا القاسم ، وأخذناها عن كانت الدنيا والمملكة يَطْرَحَانِ الأثقال عليه فنهض بها - يعني أبا الحسن بن الفرات - ثم قال أبو علي : لقد رأيته جالسا في الديوان للمظالم ، والوزيرُ إذ ذاك القاسمُ بنُ عبيد الله ، فتظلم إليه رجل من رَسَمٍ ثَقَلَه عليه الطائِيُّ وغيره رَسَمًا له قديماً خفيفاً ، ويسأل رَدَّه إلى ما كان عليه أوْلاً . وهو يقول : قد سُمِّتَنِي أَنْ أُبْطِلَ رسماً قرَّره أبو جعفر الطائِيُّ - رحمه الله - في محله من العدل والثقة والبصيرة بأسباب العارة ، وقد درَّت عليه الأموال ، وصَلَحَتْ

(١) الغبوق: ما يشرب في الليل وهو خلاف الصبح.

الأحوال، وأحده الجمهور، واستقامت عليه الأمور. وهذا سَوْمٌ إِغْنَاتٍ. وَيَكْتُبُ بِحَمَلِهِ عَلَى مَا رَسَمَهُ أَبُو جَعْفَرٍ.

ثم رأيت مرة ثانية مُتَظَلِّمًا آخر من رَسْمٍ ثَقِيلٍ خَفَّفَهُ الطَائِيُّ لِعِلْمِهِ بِأَن الضَّيْعَةَ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَهُ، وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِيهِ وَيَسْأَلُ إِجْرَاءَهُ عَلَى رَسْمِ الطَائِيِّ فيقول له : يَا بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَيْسَ الطَائِيُّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ أَوْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَوْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِينَ نَقَتْنِي آثَارَهُمْ وَمُنَحْنِي أَفْعَالَهُمْ. وَإِنَّمَا الطَائِيُّ ضَامِنٌ عَمَلٍ، رَأَى مَا رَأَاهُ حَظًّا لِنَفْسِهِ، وَمَا يَلْزِمُ السُّلْطَانَ تَقْرِيرُهُ، وَأَنْتَ مُعْنِتٌ فِي تَظَلُّمِكَ. وَيَكْتُبُ بِأَن يُجْرَى عَلَى الرَّسْمِ الْقَدِيمِ الثَّقِيلِ. وَيُخَاطَبُ كَلًّا مِنَ الرَّجُلَيْنِ بِلِسَانِ غَيْرِ اللِّسَانِ الْآخَرِ شُحًّا عَلَى الْأُمُودِ وَحَفْظًا لَهَا.

وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال ^(١) : اجتمعتُ مع أبي علي بن أبي عبد الله ابن الجصاص ^(٢)، فرأيت شيخاً حسنَ المحاضرة، وحدثني قال : حدثني أبي قال : لما وَلِيَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْقُرَاتِ إِحْدَى وَزَارَاتِهِ قَصَدَنِي قَصْدًا قَبِيحًا، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيَّ ثَائِبًا مُتَنَقِّصًا، وَرَسَمَ لِلْعَمَالِ حَطَّ ضِيَاعِي وَنَقَصَ مَعَامِلَاتِي، وَأَدَامَ الْغَضَّ مِنِّي وَالْكَسْرَ بِجَاهِي، وَوَسَّطَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَبَذَلْتُ لَهُ بِذَلًّا فِي مِثْلِهِ مَا صَلَحَتِ الْقُلُوبُ، فَأَقَامَ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَقَمْتُ عَلَى احْتِمَالِهِ، إِلَى أَنْ زَادَ الْأَمْرُ، وَسَمِعْتُ حَاجِبَهُ يَقُولُ وَقَدْ وَلَّيْتُ عَنْهُ : أَيُّ بَيْتٍ مَالٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؟ أَيُّ أَلْفِ أَلْفٍ دِينَارٍ مَا لَهَا مَنْ يَأْخُذُهَا ؟ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْلَ قَوْلُ صَاحِبِهِ، وَأَنْتَى مِنْكَوْبٌ عَلَى يَدِهِ. وَكَانَ عِنْدِي فِي الْوَقْتِ مَا قَدَرَهُ وَقِيمَتُهُ سَبْعَةُ آلَافٍ أَلْفِ دِينَارٍ مَالًا وَجَوْهَرًا سِوَى بَاقِي الْمَمْلُوكَاتِ، فَضَاقَتْ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَشْفَقْتُ إِشْفَاقًا شَدِيدًا، وَسَهَرْتُ أَكْثَرَ

(١) القصة في كتاب أخبار الحقي والمغفلين ص ٣٣ - ٣٥.

(٢) انظر ترجمة أبي عبد الله الحسين بن الجصاص في المنتظم ٢١١/٦ وفوات الوفيات.

للى مُفَكِّراً في تدبير أمرى . ثم عَنَّ لى الرأى آخرَ الليل إلى أن ركبْتُ إلى ابنِ القرات ، فوجدت بابهُ مُعلَقاً لم يُفَتِّحْ بعدُ فدَقَّقْتُهُ . فقال البوابون : من الطارق ؟ فقلت : ابنُ الجصاص . فقالوا : الوزير نائم وما هذا وقت وصول . فقلت : عَرَّفُوا الحِجَابَ أننى حضرت في مُهمٍّ ، فعرفوهم . فخرج إلىَّ أحدُهم وقال : الساعةَ تَنَبَّهْ ، تَجَلِّسْ ساعةً وتدخل . قلت : الأمرُ أهمُّ من ذلك . فدخل وعَرَّفَهُ ما قُلْتُ له . وخرج بعد ساعة وأدخلنى من دارٍ إلى أخرى حتى وصلتُ إلى مرقدِهِ ، وهو على سريرِهِ ، وحواليهِ خمسون فرَّاشاً كأنهم حَفَظَةُ ، ووجدته مُرتاعاً من قولى ، وقد ظنَّ حُدُوثَ حادثة ، وأننى جئتُه برسالة الخليفة .

فلما رآنى رفعنى وقال لى : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قلت : خيرٌ ، وما حدثتْ حادثة ، ولا معنى رسالة ، وإنما حضرت في أمرٍ يخصُّ الوزير ويخُصُّنى ، ولم يَحْزُ إِبْراده إلا على خلوةٍ تامَّة . فسكن ثم قال لمن كان حوالِيهِ : انصرفوا . فمضوا وقال : هاتِ . قلت : قصدتُني أيُّها الوزيرُ أعظمَ قصد ، وشرعتُ في هلاكى وزوالِ نِعْمَتى من كلِّ وجه ، وليس من المُهِجَةِ والنَّعْمَةِ عِوَض . ولعمرى إننى قد أسأتُ في خِدْمَتِكَ ، وحرُمتُ التوفيقَ في معاملتك ، إلاَّ أن فى بعض هذه المقابلةِ بَلاَغاً وكِفايةً ، وما تركتُ باباً في صلاح قلبك إلا طرقتُهُ ، ولا أمراً في استعطاف رأيك إلا قصدتُهُ ، ووسَّطت بينى وبينك فلانا وفلانا ، وبُذِلَ لك كذا وكذا ، وأنت مقيم على أمرِكَ في أذيتى ، وما حيوانٌ أضعفُ من السَّنُورِ ^(١) ، وإذا عاثتُ في دُكَّانٍ بَقَالَ ثم مَلَكَها ولزِمَها ولزَّها إلى زواية ليخُنُقَها وثَبَّتَ عليه ، وخدشتُ وجهه ، وخرَّقتُ ثِيابه ، وطلبتُ الخلاصَ بكلِّ ما تَقْدِرُ عليه ، وقد وجدتُ نفسى معك في هذه المنزلة ، ورأيتُها كالسَّنُورِ التى هى على هذه الصورة . فإن صَلَحْتَ لى ، وفعلت ما تقتضيه الفتوةُ

والمروءة معي ، وإلا فعلى وعلى - وحلفت له أيماناً مغلفة - لأقصدن الخليفة الساعة ،
ولأحولن إليه ألفي دينار عينا من خزانتي ، فلا يصبح إلا وهي في يديه ،
وأنت تعلم قدرتي عليها ، ولأقولن له : خذ المال ، واستوزر فلانا ، وسلم ابن الفرات
إليه . نعم ، ولا أذكر له إلا من يقبكه قلبه ، ويكون فيه نفاذ وحرارة لسان
ومحرقة ، ما يتعدى هذه الصنفه أحد كتابك ^(١) فيسلمك والله في الحال حرصا على
المال ، ويراني المتقصد بمنزلة من أعطى ماله في قضاء حقه وبلوغ غرضه ، فيخدمني
ويتدبر بتديري ، ويتسلمك فيتهى في مكروهك إلى حد يستخرج به المال
منك ، ويردّه على ، وحالك تحمله ، ولكنك تفتقر بعده ، فأكون قد حرصت
نفسى ، وشفيت غيظى ، وأهلك عدوئى واسترجعت مالى ، وازددت محلا بصرف
وزير وتقليد وزير .

فلما استوفى قولى سقط في يديه وقال : يا عدو الله ، أو تستحل ذلك منى ؟
قلت : لست عدو الله ، ولكنى أستحل السعى على من يريد هلاكى وإزالة
نعمتى فقال : أو أى شئ ؟ قلت : تحلف لى الساعة بما أستحلفك به ، على أن
تكون معى لا على ، وأن تجرّينى على رؤوسى ، وتخرّس ضياعى ، وترفع منى ،
وتعتقد الجليل فى ولا تسعى لى فى سوء ، ولا تمكّن منى أبدا ظاهرا أو باطنا ،
وتفعل كلّ ما تؤمننى به . فقال : وتحلف لى أيضا على إخلاص النية ، واعتقاد
الطاعة ، واعتماد المؤازرة والمظاهرة ^(٢) . فقلت : أفعل ^(٣) . وعلمنا نسخة يمين

(١) فى كتاب الحق : وأذكر له أقرب من يقع فى نفسى أنه يجب إلى تقليده من له وجه مقبول
ولسان عذب وخط حسن ، ولا أعتد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال
حاضرا فيسلمك فى الحال ويرانى المتقصد .

(٢) المظاهرة : المناصرة .

(٣) فى الأصل فقال : والتصويب من السياق ومن أخبار الحق .

حَلَفَ وحلَفْتُ بها على الشرائط المقدَّم ذِكْرُهَا . وقال لى بعد ذلك : لعنك الله فما أنت إلَّا إبليس ، والله لقد سَحَرْتَنى وعَظُمْتُ مع ذلك فى نفسى ، وخَفَّتْ ثَقَلًا عن قلبى ، ولعمرى إن المقتدر بالله لا يفرِّق بين موقعى وغَنَائى وكفائتى ، وبين أخصِّ كُتَّابى مع الطمع الحاضر والمالِ المبدول ، فليكن ما جرى مُنْطَوِيًّا . فقلت : سبحان الله . فقال : إذا كان من غد فادخل إلى مجلس العموم لِتَرى ما أَعَامِلُك به . فقمتم وقال : يا غلمان ، بين يدى أبى عبد الله . فخرج بين يدىَّ نحو مائتى غلام وعدت إلى دارى .

ولما طلع الفجر جثته عند الإصباح ، وقد جلس فى المجلس العام ، فرفعنى على كُلِّ مَنْ بحضرته ، وقرَّظنى تقرِّظًا كثيرًا ، ووصفنى وصفًا جميلًا ، حتى علم الحاضرون صلاح رأيه ، وأمر بإنشاء الكتب إلى سُحَمَال النواحي بِصِيَانَةِ ضِيَاعى ، وإِعْزَازِ وكلائى ، وإمضاء رسومى ، وَوَقَعَ إلى كُتَّاب الدواوين بإبطال مائبت فيها من الزيادة على ، ونَقَصِ معاملاتى ، فدعوت له وشكرته ، وقت ، فقال : يا غلمان ، بين يديه . فخرج الحُجَّاب يَحْمِلُونَ سيوفهم ، والناسُ يشاهدونهم ، ورجع جاهى واستقامت أمورى . فما حدثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال القاضى أبو على : فقال لى أبو على بن الجصاص عند استتمامه لهذا الحديث : فهل فِعْلُ أبى ما فَعَلَهُ ^(١) مما يليق بما يقال فيه ويُحكى عنه ؟ قلت : لا . قال : فكانت له فى تلك المقالات والمحافاة المروية - إن كانت حقا - أغراضٌ غيرُ معروفة ^(٢) .

(١) ما فعله : أى الذى فعله . وفى أخبار الحمقى : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات .

(٢) يذكر ابن الجوزى فى أخبار المغفان ص ٣٣ أنه ما كان إلا من أدهى الناس ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريبا مما يحكى عنه « أى من أنواع الحق والغفلة » لسلامة طبع فيه ولأنه كان يجب أن يصون نفسه عندهم بصورة الأبله لأنمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء .

وحدث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضى : أن رجلاً^(١) اتصلت
عُطْلته ، وانقطعت مادته ، حَمَلَ نفسه على أن زَوَّرَ كِتَاباً من أبى الحسن بن الفرات
إلى أبى زنبور النادرانى عامل مصرَ فى معناه مُتَضَمِّناً لِلْوَصَاةِ به ، والتَّأْكِيدِ فى
الإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وخرج إليه فلقيه ، وارتاب أبو زنبور بأمره لتغير
الخطاب فيه عما يَمُهِدُه ، وزيادة تأكيده على ما جرت به العادة فى مثله ، وأنَّ الدُّعاء
للرجل فى الكِتَابِ أكثر مما يقتضيه مَحَلُّه . فراعاه مراعاةً قريية ، ووصله بصلة قليلة ،
وارتبطه عنده على وعدٍ وعدة به ، وكتب إلى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد
عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستثبته . وقرأ ابنُ الفرات الكتاب المزور فوجد فيه
ذِكْرَ الرَّجُلِ بأنه من أهل الحُرُمَاتِ به ، والمَوَاتِ لديه ، وما يقال فى ذلك ، ويُتَبِعُهُ
مما يعود بمعرفة حَقِّه واعتماد نفعه . وعرضه على كُتَّابِهِ وأصحابه ، وعرفهم الصورة فيه ،
وتعجب منها وقال لهم : ما رأى فى أمر هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : يُؤَدَّبُ بالضرب
والحبس . وقال آخرون : تُقَطَّعُ إبهامه لئلا يُعَاوِدَ مثل هذا التزوير . وقال أحسُّهُم
مَحْضُراً : تُكْشَفُ لأبى زنبور قِصَّتُهُ ويُتَقَدَّمُ إليه بطرده وحرمانه مع بعد شقِّته .
فقال لهم ابن الفرات : ما أبعدكم من الخيرية : وأنفروا طباعكم عن الحرية . رجلٌ
توسَّلَ بنا ، وتحمل المشقة إلى مصر فى تأميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صنْعِ الله
ورزقه بالانتساب إلينا تكون ، أحسنُ أحواله عند أجلكم محضراً تكذيب ظنِّه
وتحبيب سَعْيِهِ ! والله لا كان هذا أبداً . ثم أخذ القلم ووقع بخطِّه على ظهر الكتاب
المزور : هذا كتابى ، ولست أعرفُ لِمَ أنكرت أمره واعترضتكَ شبهة فيه ؟ وليس
كلُّ من خدَمنا وأوجب حقَّ علينا عرفته . وهذا رجلٌ تحرَّم بحِدْمَتى ، أيام استتارى

(١) النسخة فى المتنظم ١٩١/٦ ونشوار المحاضرة ٢٣/١ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات
على بن محمد .

ونكبتى ، وما أعتقده فيه أكثر مما تضمنه الكتاب من وصف ما عندى له . فَأَحْسَنُ
تَقْدِيرَهُ ، وَوَفَّرَ رِفْدَهُ ، وَصَرَّفَهُ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ ، وَتَصَلُّ إِلَيْهِ فَوَائِدُهُ .

ورده إلى أبي زنبور من يومه .

فلما مضت مدّة طويلة دخل على أبي الحسن بن الفرات رجل ذو هيئة وبرة جميلة ،
وأقبل يدعوله ويُثْنِي عليه ويبكى ويُقَبِّلُ الأرض بين يديه ، فقال ابنُ الفرات :
من أنت بارك الله عليك ؟ - وكانت هذه كلمته - . قال : صاحبُ الكتاب المُرَّورِ
إلى أبي زنبور الذى صحَّحه كَرَّمَ الوَزيز وتفضَّله ، صنع الله به وصنع . فضحك
ابن الفرات وقال له : كم وصل إليك منه ؟ قال : أوصل إلى من ماله وتقسيط قسْطَه
وعَمِلَ صَرَفِي فِيهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال ابنُ الفرات : الحمد لله ، الزَّمانُ فإِنا
نُعَرِّضُكَ لِمَا يَزِدُّادُهُ صَلاَحُ حَالِكٍ . ثم اختبره وامتحنه فوجده كاتباً سديداً . فاستخدمه
وأكسبه مالاً جزيلاً .

وحدث أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى الكاتب
قال : حدثنى غير واحد من كتاب الحضرة أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات
المكتفى بالله جمع كتابه وخواصه وخلا بهم وشاورهم فيمن يُقَلِّدُه الخلافة . فأجمعوا
وأشاروا على العباس بعبد الله بن المعتز إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك . فقال له
العباس : لم أمسكت ولم تورّد ما عندك ؟ فقال : هو أيها الوزير موضع إمساك . قال :
ولم ؟ قال : إنه وجب أن يَنْفَرِدَ الوزير - أعزّه الله - بكل واحدٍ منا فيعرف رأيه وما عنده .
ثم يجمع الآراء ويختار منها بصائب فكره وثاقب نظره ماشاء . فأما أن يقول كلُّ
واحد رأيه بحضرة الباقيين فربما كان عنده ما يسلك سَبِيلَ التَّقِيَّةِ ^(١) في كتمانهِ وطَيْئِهِ .
قال : صدقت والله ، قم معى ، فأخذ يده ودخلا وتركوا الباقيين بمكانهم . فقال له

(١) التقيّة: الاحتراص وما يتق به الشر بأن لا يظهر ما في نفسه .

ابنُ الفرات : قرَّرتَ رأيك على ابنِ المعتز ؟ قال : هو أكبرُ منِّي يُوجد . قال : وأى شيءَ تعملُ برجلٍ فاضلٍ متأدِّبٍ قد تحنَّك وتدرَّب وعرف الأعمالَ ومعاملاتِ السَّواد وموقعَ الرِّعيَّةِ في الأموال ، وخبرَ المكييلَ والأوزانَ وأسعارِ المأكولاتِ والمستعمَلاتِ ، ومجاريِ الأمورِ والمتصرَّقاتِ ، وحاسبَ وكلاءه على ما تولَّوه ، وضايقهم وناقشهم ، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسبابَ الخيانة والاقتطاع التي يَدْخُلُ فيها غيرهم ، فكيف يَتِمُّ لنا معه أمرٌ إن حَمَلَ كبيراً على صغير ، وقاس جليلاً على دقيق ؟! هذا لو كان ما بيننا وبينه عامراً وكان صدرُهُ علينا من الغيظ خالياً ، فكيف وأنت تعرف رأيه ؟

قال العباس : وأى شيء في نفسه علينا ؟ قال : أنسيتَ أنه منذ ثلاثين سنة يكتبك في حوائجهِ فلا تقضيها ، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها ، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تُنكر ، ويتوسَّل في الوصول إليك ليلا فلا تأذن ، وكل رقعة جاءتكَ بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبتَه إلى مراده فيها . وكل قد جاءني منه ما هذه سبيلُهُ فلم أراع فيه وُصُولاً إلى ما يريد إيصاله إليهِ . وهل كان له شغل عند مُقامِهِ في منزله وخلوته بنفسه إلا معرفة أحوالنا والمسألة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا ؟ هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجَدِّه ، وأنه مظلوم منذ قُتِلَ أبوه ، مهضومٌ مقصودٌ مضغوط ، فكيف يجوز أن نُسَلِّمَ إليه نفوسنا فنُتَحَرَّسَ (١) ، فضلاً عن أموالنا ؟

فقال العباس : صدقتَ والله يا أبا الحسن ، فمن يُقَلِّدَ وليس هاهنا أحد ؟! قال : تُقَلِّدُ جعفر بن المعتضد ، فإنه صبي لا يدرى أين هو ، وعامةُ سروره أن يُصَرَّفَ من المكتب ، فكيف أن يُجَعَلَ خليفة ويُمَلِّكَ الأعمالَ والأموالَ وتدير النواحي

(١) تحرس واحترس هما بمعنى .

والرجال؟ ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر قد انغرست محبتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه. قال: فكيف يجوز أن يبايع الناس صبياً أو يقيموه إماماً؟ فقال له: أمّا الجواز، فمتى اعتقدت أنت أو نحن إمامة البالغين من هؤلاء القوم؟! وأما إجابة الناس، فمتى فعل السلطان شيئاً فعورض فيه، أو أراد أمراً فوقف؟ وأكثر من ترى صنائع المعتضد، وإذا أظهرت أنك اعتمدت في ذلك مراعاة حقه، واقرار الأمر في ولده، وفترقت المال، وأطلقت البيعة، وقع الرضا، وسقط الخلاف. وطريق ما تريده أن توافق بعض أكابر القواد وعقلاء الخدم على المضي إلى دار ابن طاهر وحمله إلى دار الخلافة، وأن تستر الأمر إلى أن يتم التدبير، وإن اعتاص معتاص مد بالعتاء والإحسان. فقال العباس: هذا هو الرأي.

واستدعى في الحال مؤنساً مولى المعتضد، وأورد عليه مذهب فيه إلى الجنس الذي أشار به أبو الحسن في الوفاء للمعتضد، ورعاية ما كان منه في اصطناع الجماعة، ورسم له قصد دار ابن طاهر، وحمل جعفر إلى دار الخلافة والسلام عليه بها. ففعل، وماج الجند ففرق فيهم مال البيعة، ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد وتم التدبير. فلما زال أمر العباس، وكان من قتله^(١) ما كان، وانتظمت الأمور بعد قتل ابن المعتز، وتقلد أبو الحسن الوزارة، صارت ثمرة هذا الرأي له، وكان يقف بين يدي المقتدر بالله وهو صبي قاعد على السرير، فيخاطب الناس والجيش عنه. فإذا انصرفوا أمرت السيدة بأن يعدل بأبي الحسن إلى حجرة، فيجلس فيها، ويخرج المقتدر فيقوم إليه فيقبل يده ورأسه، ثم يقعد ويقعد في حجره كما يفعل الناس بأولادهم. وتقول له السيدة من وراء الباب: هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قلده

الخلافة أولاً وثانياً . تعنى ماتقدم من مشورته على العباس به وبتقليده الخلافة ، ومن بعد إزالة فتنة ابن المعتز . فيقول ابن الفرات : هذا مولاي وإمامي ورب نعمتي وابن مولاي وإمامي . وبقي على ذلك مدة وزارته الأولى ، وتمكن أبو الحسن من الخزائن والأموال وفعل ماشاء وأراد .

قال أبو محمد الصلحي : قال لنا أبو علي بن مقلة ، وقد جرى ذكرُ ابن الفرات : يا قوم ، سمعتم بمن سرق في عشرِ خطواتِ سبعمائة ألف دينار ؟ قلنا : كيف ذلك ؟ قال : كنت بين يدي ابن الفرات في وزارته الأولى ، ونحن في دار الخلافة نقرر أرزاق الجيش ، ونقيم وجوه مال البيعة ، ونرتب إطلاقه ، وذلك عقيب فتنة ابن المعتز . فلما فرغ مما أراده ، وخرج فركب طياره ، وبلغ نهر الملعى . فقال : إنا لله ، إنا لله ، قفوا . فوقف الملاحون . فقال لي وقع إلى أبي خراسان صاحب بيت المال بحمل سبعمائة ألف دينار تضاف إلى مال البيعة وتفرق على الرجال . فقلت في نفسي : أليس قد وجهنا وجوه المال كله ؟ ماهذه الزيادة ؟ ووقعت بما رسمه ، وعلم فيه بخطه ، ودفعه إلى غلام وقال : لا تبرح من بيت المال حتى تحمل هذا المال الساعة إلى دارى . ثم سار . قال : فحمل إليه بأسره ، وسلم إلى خازنه ، فعلمت أنه أنسى أن يأخذ شيئاً لنفسه في الوسط ، ثم ذكر أنه باب لا يتفق مثله سريعاً ، ويحتمل ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير ، فاستدرك من رأيه ما استدرك ، وتنبه من فعله على ما تنبه .

وحدث أبو محمد الصلحي قال . حدثنا جماعة من كتّاب أبي الحسن بن الفرات وخواصه قالوا :

عاد أبو الحسن من الموكب يوماً ، فجلس بسواده ^(١) مغموماً يفكر فكراً

(١) بسواده يعنى بذلك السواد الذى كان شعار العباسيين إذ أن ملابسهم الرسمية كانت سوداء .

طويلاً. فشغل ما رأينا منه قلوبنا ، وظننناه لحادث حدث ، فسالنا عن أمره ، ودافعنا ،
والحنا عليه ، فحجزنا ، وقال : ما هنا إلا خير وسلامة . فقام ابن جبير ، وكان
من بيننا مشهوراً مدلاً . فقال : تأمر أيها الوزير بأمر ؟ قال : إلى أين ؟ قال : أستر
وأستر عيالي ، وسبيل هؤلاء الذين بين يديك أن يفعلوا مثل فعلى . قال : ولم ؟
قال : تعود من دار الخلافة وأنت من الغم الظاهر في وجهك على هذه الصورة ،
ونسألك عن أمرك فحكمتنا ، ولم تجرِ عادتك بذلك معنا ، هل وراء هذا إلا
القبض والصرف ؟ فقال له : اجلس يا أحمق حتى أحدثك السبب . جلس . وقال :
ويحكم ، قد علمت أننى أشكو إليكم نقصان هذا الرجل - يعنى المقتدر - دائماً
وشدة تلؤمه ^(١) واختلاف رأيه ، وإننى أحب منذ مدة أن أزوره وأعرف قدر
ذلك منه ، وهل هو فى كل الأمور أو فى بعضها ، وفى صغارها أم فى كبارها ؟ فقلت له
اليوم فى أمر رجل كبير - ولم يسمه ابن الفرات - : يا أمير المؤمنين إن فلانا
قد فسد علينا ، وليس مثله من أخرج عن أيدينا . وقد رأيت أن أقلده كذا ،
وأقطع وأسوغه كذا - وأكثرت - لتستخلصه بذلك ، وتستخلص نيته ،
وتستديم طاعته ، ولم يحز أن أفعل أمراً إلا بعد مطالعتك ، فما تأمر ؟ قال : افعل .
ثم حدثته طويلاً وخرجت من أمر إلى آخر ، وقرب وقت انصرافى فقلت له :
يا مولانا ، عاودت الفكر فى أمر فلان فوجدت ما نعطيه إياه مما استأذنت فيه
كثيراً مؤثراً فى بيت المال ، ولا نأمن أن يطمع نظراؤه فى مثل ذلك ، وإن أجنبناهم
عظمت الكلفة ، وإن منعناهم فسدوا ، وقد رأيت رأيا آخر فى أمره . قال :
ما هو ؟ قلت : أن قبض عليه ونأخذ نعمة ونخلد الحبس أبداً . قال : افعل .
فقلت : واويلاده كذا والله تجرى حالى معه . يقال : إن ابن الفرات الكافى

(١) التلوم - تكلف اليوم أو تتبع الداء ليعلم مكانه . وقد تكون الكلمة أيضا محرفة عن تلونه :
أى قلبه وتغيره من حال إلى حال .

الناصح ، وهو وَطَّأَ لك الأمر ، وأقامك في الخلافة وهو . . . فيقول : نعم .
وَيَقْرُبُنِي وَيُقَدِّمُنِي ، ثم يقف غدا بين يديه رجلٌ فيقول : قد سَرَقَ ابن الفرات
الأموالَ ، ونهب الأعمالَ ، وفعل وصنع . والوجهُ أن يُقبَضَ عليه ويُصرَفَ ويُقَيَّدَ
ويُحبَسَ ، وَيُقَلَّدَ وزيرٌ آخرٌ . فيقول : نعم . ويفعل ذلك بي . ثم يُعاوَدُ ويُقال له :
لا يجوز أن يُوحَشَ ابنُ الفراتِ وَيُسْتَنْقَى ، ولا يُؤْمَنُ أن يُسْتَفْسَدَ وَيُتْرَكَ ،
والصوابُ قَتْلُهُ ، فيقول : افعلوا . فأهلك .

قال : واستشعر هذا فكان على ما قدره . وقد تواترت هذه الحكاية
عن جماعة عنه .

ومما ذكر عن ابن الفرات أنه كان يقول : تمشية أمور السلطان على الخطأ
خيرٌ من وقوفها على الصواب . ويقول أيضاً : إذا كانت لك حاجةٌ إلى الوزير
فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوانِ أو كاتبِ سره فافعل ، ولا تبُلِّغْ إليه فيها .
وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو علي بن مقله قال :
كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات في التحرير أيام خلافته ^(١) أبا العباس أخاه
على ديوان السَّوَادِ بِحَارَى ^(٢) عشرة دنانير في كلِّ شهر ، ثم تقدَّمت حاله فأرزقني
ثلاثين ديناراً في كلِّ شهر ، فلما تقلَّد الوزارة جعل رزقي خمسمائة دينار في الشهر ، ثم
أمر ^(٣) بقبض مافي دور القوم الذين بايعوا ابن المعتز . فحُمِلَ في الجملة صندوقان ،
فسأل : هل علمتم ما فيهما ؟ قالوا : نعم . جرائدُ بأسماء من يُعاديك ويُدبِّر في زوال
أمرِك . فقال : لا يفتحان . ثم دعا بنارٍ ، دعاءً كرَّره وصاح فيه ، وأحضرها الفراءشون

(١) أي أيام قيامه بالعمل نيابة عن أخيه .

(٢) أي بأجر قدره عشرة دنانير .

(٣) تجارب الأمم ١٣/٥ ، ١٤ ، وابن خلكان ترجمة ابن الفرات والفقرى ٢٣٤ .

فَأُجِبَتْ . وتقدم بطرحهما في النار على ما هما فلما أُحْرِقَتْ ^(١) أقبل على من كان حاضرا وقال : والله لو فتحتها وقرأت ما فيها لفسدت نِيَّاتِ الناس كلهم علينا ، واستشعر الخوفُ منا ، ومع فِعْلِنَا ما فعلناه طويينا الأمور بهذا ، فهدأت القلوب واطمأنت النفوس ، ثم قال لي - يقول هذا أبو علي بن مقله - : قد آمن الله والخليفة - أعزّه الله - كلٌّ من بايع ابنَ المعتز ، فاكتب الأمانات للناس جميعا وحتّى بها لأوقع فيها ، ولا تَرُدْ أحداً عن أمانٍ يطلبه ، فقد أفردتك لذلك ، لأنه بابٌ مَكْسَبٍ كبير . وقال لمن حضر : أَشِيعُوا قَوْلِي وتحدّثوا به بين الخاصِّ والعامِّ ليأنس المستوحشُ ، ويأمنَ المستترُّ . قال أبو علي : فحصل لي في كُتُبِ الأمانات مائة ألف دينار أو نحوها .

وحدث مُحدث أن التزويرات كثرت على أبي الحسن عليّ بن عيسى عند صرفه وتقلّد أبي الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة ، وزاد الأمرُ فيها : فوقع ابنُ الفرات إلى أصحاب الدواوين توقيعا نسخته :

قَدْ نُسِخَ لَكُمْ - أكرمكم الله - آخِرَ هذا التوقيع كِتَابٌ وَرَدَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أطال الله بقاءه - فيما انتهى إليه من حالِ توقيعاتٍ في أيدي الناس بخطِّ علي بن عيسى ، بزياداتٍ ونَقْلِ وفَلَكٍ وإثباتٍ ، فأمر - أعلى الله أمره - بتركِ إمضاء شيء منها ، فانتسخوا هذا التوقيع في مجالسكم ، وامثلوا ما أمر به فيه ، ولا تُنفذوا توقيعا من عليّ بن عيسى بخطِّه وتسويغٍ واحتمالٍ أو نقلٍ جارٍ ، وتحرّوا من إيقاع حيلة في ذلك أو في شيء منه إن شاء الله .

ونُسَخَهُ كِتَابُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ فِي آخِرِهِ :

أُمْتَعَنِي اللَّهُ بِكَ وبالنعمة عندك ، انتهى في الخبرِ حالُ توقيعاتٍ كثيرةٍ زُوِّرَتْ

(١) أي فلما أُحْرِقَتْ الجرائد .

على أنها بخطَّ عليِّ بن عيسى ، وظهرت في الدواوين بزيادات لقوم في أرزاقهم ، فرأيتُ ألاَّ تُمَضَّى يا أبا الحسن - أمتعني الله بك - توقيعاً من عليِّ بن عيسى في زيادة ولا نقلٍ ولا إثبات ولا في شيء يجري هذا المجرى إلا ما كتبت به جامعاً^(١) حتى إذا اجتمعت عندك الجوامع ، عَرَضْتَ عليَّ في كلِّ ثلاثة أشهر ما يجتمع منها لأقف عليه وأمر برأي فيه . فاعمل - مَتَّعَنِي اللهُ بِكَ - بذلك ، ولا تخالفه ، وعَرِّفْنِي امثالك إياه إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال : كنتُ بحضرة أبي الحسن بن الفرات في وزارته الأولى ، وهو جالس يعمل ، إذ رَفَعَ رأسه ، وترك العمل من يده ، وقال : أريد رجلاً لا يُؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعني حقَّ الطاعة فَأَنْفِذْهُ فِي مُهِمِّي لِي ، فإذا بلغ فيه ما أَرُسُّمُهُ لَهُ أَحَسَنْتُ إِلَيْهِ إِحْسَانًا يَظْهَرُ عَلَيْهِ وَأَغْنَيْتَهُ . فَأَمْسَكَ مِنْ حَضَرٍ . وَوَثَبَ رَجُلٌ يُكْنَى بِأَبِي مَنْصُور أَخُ لَابْنِ أَبِي شَيْبٍ حَاجِبِ ابْنِ الْفَرَاتِ فَقَالَ : أَنَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ . قَالَ : وَتَفْعَلُ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ وَأَزِيدُ . قَالَ : كَمْ تَرْتَزِقُ ؟ قَالَ : أُرْتَزَقُ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَقَعُوا لَهُ بِالضَّعْفِ . وَقَالَ : سَلْ حَوَائِجَكَ . فَسَأَلَهُ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : خُذْ تَوْقِيْعِي وَامْضِ إِلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ ، وَأَوْصِلْهُ إِلَى كَاتِبِي الْجَمَاعَةِ وَطَالِبَيْهِمَا بِإِخْرَاجِ مَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، وَطَالِبِهِ بِأَدَاءِ الْمَالِ ، وَأَتْلِفْهُ إِلَى أَنْ يُسْتَخْرَجَ جَمِيعُهُ ، وَلَا تَسْمَعْ لَهُ حِجَّةً ، وَلَا تُثْمِّلْهُ الْبَتَّةَ .

فخرج وأخذ من رَجَالَةِ الْبَابِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَقُلْتُ : لِأَخْرَجَنِّ وَأَمِضَنَّ إِلَى الدِّيْوَانِ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأُولُ إِلَيْهِ الْحَالُ . فَخَرَجْتُ ، وَصِرْتُ إِلَى الدِّيْوَانِ - وَهُوَ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِفَتْحِ الْقَلَانْسِيِّ - فَدَخَلَ أَبُو مَنْصُورَ هَذَا إِلَى الصُّقْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ،

(١) أي قائمة تجمع فيها ذلك .

وعبيد الله بن محمد الكلوزاني ، وهما صاحبا المجلس شريكة ، فلم يجد الكلوزاني ووجد الصقر بن محمد ، فأوصل إليه التوقيع وقال له : أخرج ما على ابن الحجاج . فقال : عليه من باب واحد ألف ألف درهم ، فطالبه بذلك إلى أن تفرغ بالعمل بسائر ما يلزمه ^(١) . وكان محمد بن جعفر من عمال أبي الحسن على بن عيسى . قال : فأحضر ابن الحجاج وشتته واقترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ويخضع له . ثم أمر بتجريدته وإيقاع المكروه به فأوقع ، وهو في ذلك كله يقول : يكفي الله . ثم أمر أبو منصور بنصب دقل ^(٢) ، فنصب ، وجعل في رأسه بكرة فيها جبل ، وشدت فيه يد ابن الحجاج ، ورفع إلى أعلى الدقل ، وهو يستغيث ويقول : يكفي الله . فما زال معلقاً وأبو منصور يقول له : المال المال . وهو يسأله خطه وإنظاره إلى أن يوافق الكتاب على ما أخرج عليه ، وهو لا يسمع منه ، وقد قعد تحت الدقل واختلط وعضب من غير غضب اعتماداً لأن يبلغ ابن الفرات فعله . فلما صجر قال لمن يمسك الجبال : أرسلوا ابن القاعة - وعنده أنهم يتوقفون ولا يفعلون . فأرسلوه لئلا يراه عليه من الحدة والغضب . ووافى ابن الحجاج إلى الأرض ، وكان بديننا سمينا ، فوقع على عنق أبي منصور فذقه ، وخر على وجهه ، وسقط ابن الحجاج مغشياً عليه . فحمل أبو منصور إلى منزله في تحمل فمات في الطريق ، ورد ابن الحجاج إلى تحبسه وقد تخلص من التلف . وعجب من حضر مما رأى . وكتب صاحب الخبر بالصورة إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها أعظم مورد . وبكرت عرفان زوجة ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى

(١) يعني أنه طالبه بالدلائل على ذلك وبالبيانات الثبته لهذا المال فقام بذلك وأعهده .

(٢) الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة ويمد عليها الصراع ويراد هنا أنه نصب هذه الخشبة في البر لا في سفينة .

أوصلها إلى ابن الفرات ، فقررت أمره على مائة ألف دينار سلمت بعضها جعدة^(١) وقراها من طسوج^(٢) كوثي ، ونجم^(٣) الباقي ، وأطلق ابن الحجاج . وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات : أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطعني :

وحدث محمد بن عبيد الله بن جعفر بن الحسن بن الجنيد قال : حضرت أبا العباس أحمد بن محمد بن محمد بن بُعْدَ شَرٍّ ، وبين يديه أبو الحسن بن الفرات في المَكْرُوه وهو يقول : يا قوم بمن أسأت ؟ ولِمَنْ ضُرِبْتُ ؟ فقال له : فَمَنْ قَتَلَ حامداً والتُّعْمَانَ وابنَ الحَوَارِي ؟ فقال : ما خرج حامد من دارى إلا صحيحاً ، ولقد كنت أطعمه من طعامي ، وأسقيه من شرابي ، وألبسه من ثيابي ، وأبخره من بخوري . وأما النعمان فذُكِرَ ما لَسْتُ أعرفه في أمره . فأما ابنُ الحَوَارِي فَكَلُوا هذا الفتى - يعني المُحَسِّنَ - عنه ، فلعله يُورِدُ حَجَّةً أو يُظْهِرُ خُطُوطاً تُبْرِئُ ساحته منه . وأنا قلتُ للخليفة : قد أطلقت يد هذا الغلام في مطالبة الناس ، وقد تخطى إلى مافيه وهنَّ على الملكة ، فأمرني بترك الاعتراض عليه .

وحدث أبو عمرو بن^(٤) الجمل النصراني كاتب شفيع اللؤلؤي قال : لما قبض على أبي الحسن بن الفرات في الدفعة الثالثة من وزارته امتنع القواد من اعتقاله في دار الخلافة إشفاقاً من أن يرأسل المقتدر بالله ويستعطفه ويستميله ويحتال عليه ويخدعه ، واستقر الأمر على تسليمه إلى شفيع اللؤلؤي ، فلما حُلَّ إلى داره وصعد الدَّرَجَة من شاطئ دجلة لم يُمَسِّكْ أحداً بيده ، فجعل يعلّق بالدَّرَجِ ويصعد . ثم أقبل على شفيع

(١) جعدة : لعلها لاقليم أو مدينة أو صوابها جندة

(٢) الطسوج : أشبه بالقرية .

(٣) نجم : قسط .

(٤) في تجارب الأمم ١٢٧/٥ : المعروف بالجمل . وفي ١٢٨/٥ ، ١٢٩ الملقب بالجمل .

— وأنا حاضر — فقال : يا أبا الفُصن ، ما هكذا عاملتَ غيري؟ فقال له : كان غيرك أتقى
 لله منك — يعني أبا الحسن علي بن عيسى — قال : فأفرده شفيح^(١) بحبسٍ له ، ودعا
 طبَّاحه سرًّا وقال له : استزِدْ فإن ابنَ الفراتِ ملكٌ ، فاستزاد له ، وفرَّغ من
 الطعام . فقال لى شفيح : ادخل إليه واغْرِضْ عليه الطعام ، فدخلت وأذنته فقال :
 على كُلِّ حالٍ يا كُلُّ القومِ زادَهُمْ على البؤسِ والنِّعماءِ والجَدَنانِ
 هاتِ الطعامَ . فقدم إليه ، فأكل أَكْلاً مُستوفًى منه ، وسقى ماءً مثلوجاً ، فلم
 يَسْتَبِرِدْهُ ، فاستزاد من الثلج حتى صار مائعاً ، ثم شربه ، وقال لى^(٢) : من قُلِّدَ
 الوزارة ؟ قلت : أبو القاسم الخاقاني . قال : نَكِبَ السلطانُ لا أنا . فمن قُلِّدَ ديوانَ
 السواد ؟ قلت : أبو الفرج بن حفص^(٣) . فتبسّم وعجب وقال : رُمِيَ بحجره . فمن
 تقلد الدواوين الباقية ؟ قلت : تقلد المالكى^(٤) ديوانَ المغرب ، والمصرى^(٥) ديوانَ
 المشرق ، وابنُ هُبْنِي^(٦) القنَّائى دواوينَ بيت المالِ والخاصةِ والمستحدثةِ وضياعك ،
 وعبد الوهاب الخاقاني الأزمّة ، وصُلِحَ ديوانُ النفقاتِ . فقال : لقد أيدَ الوزيرُ
 — أعزه الله — بالكفّاءة . ثم قال لى : أريد الاجتماع مع أبا الفُصن . فقلت : هو ناظم .
 فقال أُنْبِئْهُ وعَرِّفْهُ أن بيننا مُهِمًّا أريد بحجراته إياه . فأنبهته وعرفته ما قال . فقال :
 ما أحبُّ لقاءه ، ولكن تعرّف ما عنده ، فعدتُ إليه واعتذرتُ وسألته عما يريد .
 فقال^(٧) : قل له عَرِّفْ أميرَ المؤمنين — أيدَهُ الله — عني أننى لا أدعُ نصْحاً والياً
 ومنكوباً ، وأننى حاسبتُ هارون بن عمران الجُهَيْدَ البارحةَ بحاسبةٍ تولّاها هشامُ
 صاحبُ بيت المالِ ، فكان الباقي عنده من أموال المصادرين مائة ألفٍ وخمسةً
 وخمسين ألفَ دينارٍ ومائتين — ذَكَرَهَا ابنُ الفراتِ — ورُبَّمَا عدَلَ بها الخاقانيُّ

(٢) فى تجارب الأمم : محمد بن جعفر بن حفص

(٤) محمد بن يعقوب المصرى

(٦) تجارب الأمم ١٢٨/٥ .

(١) تجارب الأمم ١٢٩/٥

(٣) يحيى بن مقيم المالكى

(٥) إسحاق بن على القنَّائى

عن بيت مال الخِصَّة وادَّعى أنه أثارها^(١) واستراح إلى تمثية أمره بها ، وهي لأمر المؤمنين خاصة .

وكتب شفيع إلى المقتدر بالله بذلك عنه ، ونفَّذ بالرقعة مع قيصر خليفته . فعاد جوابُ المقتدر بالله بحطه إلى شفيع بأن يُبَادِر بنفسه إلى دار الخاقاني وَيَقْبِضَ على هارون بن عمران ، ويأخذَ المالَ من يده ، ولا يُمكن الخاقاني منه . ففعل شفيع ذلك ، والخاقاني لم يعلم بعدُ بما عند هارون الجهمذ . وكانت هذه الحال من أوَّل ما حير به الخاقاني وأدهشه ، وحلَّ المالُ إلى بيت مال الخِصَّة وصُحِّح فيه .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثني أبو الحسن سعيد بن سنجلا الكاتب . قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجي الكاتب قال^(٢) : كنت بحضرة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الأخيرة ، وقد رسم لي كتب كتاب عنه في مهم من أمور السلطان ، فأنا متشاغل به ، وقد شاع أمرُ مؤنس ونفوذ الكتاب إليه وهو بالزقة في الورود إلى الحضرة ، وابنُ الفرات شديدُ الإشفاق من القصة حتى استؤذن لأبي الهواء نسيم الخادم ، وهو من خواص الخدم وجلتهم ودخل ، فلما جلس أومى إلى التخلّي لتأدية رسالة ، فنهض من كان في المجلس وبقيت وحدي مُقشَّعراً من الجلوس ، وأخذوا في السَّرارِ والخطاب ، وأكْمَشْتُ^(٣) على ما في يدي من الكتاب حتى فرغت ثم قمت . فقال لي : اجلس . فجلستُ .

وأظهر ابن الفرات ما كان يُسرُّه ثم قال : بيننا يا أبا الهواء حقوقٌ تلزمك أن تُراعيها . وأنت قليلُ التَّراسُلِ فيما بيني وبين السادة ، وأريد أن أحملك رسالة

(١) يريد بقوله أثارها أنه أظهرها من قولهم أثار الأرض : قلبها فأظهر باطنها ، وفي تجارب الأمم : حتى لا يوهمه الخاقاني أنه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها أن تنفق من بيت مال العامة .

(٢) انظر تجارب الأمم ١٢٣/٥ - ١٢٤ .

(٣) أكشت : أسرعت ، يقال أكش في السير وغيره أسرع .

تؤدّيها كما أقولها . فقال : أيها الوزير . إن كانت جميلة فعلتُ ، وإن كان فيها غلظةٌ فليس في عادتِي إلا إعادةُ ما يَحْسُن . فقال : لا بُدَّ من أن تُوردها على حالها وتحمِّل لي ما في ذاك من مشقّة . وقال : تقول للسادة : أتمّ تعلمون ما كان مني في ابتداء هذا الأمر ، فإن الخاصَّ والعامَّ اعتزلوكم جانبا ، وأفرجوا عنكم إفراجا كليا غيري ^(١) ، فإني أفت على طاعتكم ، وتفرّدتُ بنُصرتكم ، وكان غايَةُ أُملي وتقديرِي المَقَامَ على ما كنت عليه أتولاه من ديوان السواد ، لا تُشرُهُ نفسي إلى غيره ولا يدور في فكري تجاوزُهُ ، فأخذتموني بتقليدِ هذا الأمر والقيام به ، ولم تُفارقوني حتى أُجبتُ إليه ، وجَدَدْتُ في الأمر إلى أن انعقد وتوَكَّد ، وعاديتُ كُلَّ أَحَدٍ في رضاكم حتى استوسقتُ لكم الأمور ، وتكاملت في حياطة دولتكم التدبير ، وفتحتُ لكم فارسَ وما يليها ، ووَفَّرْتُ عليكم الأموال ومرافقها ، وكَدَدْتُ ديني وديناي فيها ، فلما قام لكم الأمر وعلا مَنَارُهُ ^(٢) واستحصفت ^(٣) لكم الطاعة من بُعدت ودنّت دارهُ ، نكبتُموني فهتِكْت حُرْمَتِي وسُلِبْت نعمتي وقُبِضْتُ ضيعتي ؛ ثم أعدتُموني ، فما حُلْتُ ^(٤) عما عهدتموه مني ، ولا فارقت ما كنتم تحمدونه وتصفونه عني . ثم أوقعتم بي إيقاعا ثانيا ، فاستوعبتم بقيّة النعمة ، وأتيتم على الأصل والتتمة ، وجذبتموني إلى هذه الدفعة الثالثة ، فقد علمتم ما كان مني في استخراج الأموال ، وإصلاح الأحوال ، والاستقصاء على جميع من خدمكم من الكتّاب والعُمَّال . ووالله لا لحفتي مكروه في هذه الدفعة في

(١) أي انكشفوا عنكم وتركوكم نركا تاما إلا أنا فإن بقيت معكم .

(٢) في الأصل : على نياره . وقد تكون أيضا نياره وهو جمع نير وهو لجة الثوب لكن السجع مع ما بعدها من قوله ودنّت داره ، المعنى أيضا ، يقارب ما أثبت .

(٣) استحصفت : استحكمت .

(٤) فما حُلْتُ : فما تفرّدت .

نَفْسٍ أَوْ وَلَدٍ وَلَا حَالٍ إِلَّا وَلِحَقِّكُمْ مِثْلُهُ ، وَإِنْ تَمَادَى أَمَدُهُ ، مِنْ اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ ، فَاعْمَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

وما زال يكرر هذا وأشباهه حتى عَرَفَهُ نَسِيمٌ ووعاه وانصرف . وألقى ابن الفرات ذَقَنَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَلِحِيَّتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : سَمِعْتَ مَا كُنَّا فِيهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . وَمَا كَانَ لِيَأْجُرِي وَجْهَهُ ، وَالْقَوْمُ مَكْنُوكٌ وَاسْتَنَامُوا ^(١) إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ زِيَادَةً عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا . فَقَالَ : دَعْنِي مِنْ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَيَصِحَّحَنَّ مَا قُلْتُ . وَأَخْبَرَكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى بِخَبَرِ طَرِيفٍ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى ابْنِ عِيسَى ، مَا لَهَوْتُ عَنْهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ ، فَإِنَّهُ يَتَصَوَّرُ لِي فِي النَّوْمِ وَالْيَقِظَةِ ، وَيُعْطِرُنِي فِي الشُّغْلِ وَالْخُلُوةِ ، وَأَنَا أَخْبِرُكَ بِهِ :

لَمَّا بَلَغَ ^(٢) الْمَكْتَنَفِيُّ بِاللَّهِ آخِرَ أَمْرِهِ ، كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ يَجْلِسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ آخِرَ النَّهَارِ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْعَمَلِ جَارَانَا خَبَرَ الْمَكْتَنَفِيَّ بِاللَّهِ وَعِلَّتَهُ ، وَأَسْنَأَ مِنْ عَافِيَتِهِ ، وَشَاوَرَنَا فِيمَنْ يَقُومُ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، فَلَا يَسْتَقِرُّ الرَّأْيُ عَلَى شَيْءٍ يَعْتَمِدُهُ ، إِلَى أَنْ تَكْمُلَ الْيَأْسُ مِنْهُ . فَنَحْنُ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا النُّهُوضَ حَتَّى قَالَ : قَدْ انْقَضَى أَمْرُ الْخَلِيفَةِ ، وَمَا نَفْتَرِقُ إِلَّا بَعْدَ تَقَرُّرِ الرَّأْيِ عَلَى مَنْ يَقَعْدُ مَقْعَدَهُ ، فَمَا عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ أَنْ نَعْدِلَ عَنْهُ يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَنُلْزِمَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَتَتَصَرَّفَ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . وَنَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ . فَقَالَ لَعَلَى بْنُ عِيسَى : مَا تَقُولُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ فِي الْإِسْلَامِ ، نَحْنُ جَمِيعًا صَنَائِعُ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - ثُمَّ هَذَا الْخَلِيفَةُ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرُ الدِّينِ فَقُلْتُ هَذَا شَيْخًا قَدْ فَهِمَ الْأُمُورَ وَعُرِفَ بِصَوَابِ الرَّأْيِ وَالتَّنْذِيرِ بِعِمَارَةِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحِجِّ الْبَيْتِ الْعَمُورِ ، وَيَقِيمُ الْحُدُودَ ، وَمَنْ إِذَا قُلْتُ :

(٢) انظر تجارب الأمم ٢/٥ .

(١) استناموا : ركنوا .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، صَدَّقَ قَوْلَكَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . قَالَ ابْنُ الْفَرَاتِ : فَعَارَضْتُ قَوْلَهُ بِأَنْ قُلْتَ لِلْعَبَّاسِ : قَلَّدَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْأَمْرَ مِنْ يَكُونُ فِي حِجْرِكَ ، وَيَتَدَبَّرُ بِرَأْيِكَ ، فَتَسْلَمُ نِعْمَتُكَ وَاعْتَمَتْنَا مَعَكَ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : رَأْيِي لِرَأْيِكَ تَبَعٌ يَا أَبَا الْحَسَنِ . وَنَهَضَ وَانْصَرَفْنَا .

فَلَمَّا حَصَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَرَاتِ قَبِضَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بَنِي عَيْسَى عَلَى يَدَيْهِ وَقَالَ : بَيْنَنَا شَيْءٌ . فَوَقِفْتُ مَعَهُ ، وَابْتَدَأَ يَحْلِفُ يَمِينًا أَغْرَقَ فِيهَا وَأَبْلَغَ عَلَى أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَرَأْيَهُ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ وَإِعْزَازِ دِينِهِ وَإِصْلَاحِ شُؤْنِهِ . ثُمَّ حَلَفَ عَلَى أَنِّي مَا أَرَدْتُ أَنَا اللَّهُ بِمَا قُلْتُهُ وَأَشْرْتُ بِهِ ، وَقَالَ : كَيْفَ اسْتَجَزْتَ أَنْ تَجِيءَ إِلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ — يَعْنِي الْعَبَّاسَ — فَتُسَاعِدَهُ عَلَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ بِهِ ، وَبُيْعِدَ مِنَ الْحَقِّ ، وَيَزِيدَهُ تَسْلُطًا وَجُرْأَةً عَلَى الظُّلْمِ ؟ ! فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — مَا نَعْمَلُ إِلَّا لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ جَاءَ مَنْ يَعْرِفُ أَسْعَارَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ لَمْ نَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِنَا وَنِعْمَانَا . قَالَ : فَقَالَ لِي مَجِيئًا : وَاللَّهِ لَئِنْ تَمَّ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا وَانْتَضَمَ لَا بُلَى بِالْحَنَّةِ فِيهِ غَيْرُكَ ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعُ .

فَضَى مَا مَضَى بِمَا فِيهِ ، وَصَلَّيْتُ بِمَا صَلَّيْتُ بِهِ مِنْهُ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَصِحَّ قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بَنِي عَيْسَى وَلَا يُبْعَدُ ، لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ ، وَمَنْ أَرَادَ غَيْرَهُ خَذَلَهُ ، فَمَا يَخْلُوفُ كَرِي مِنْ قَوْلِهِ وَخَاصَّةً فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ .

وَحَدَّثَ هَارُونَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَانِي الْكَاتِبُ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْقَاسِمِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كُتَّابُ الدَّوَاوِينِ ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ تَوْقِيعٌ مِنَ الْمَكْتَفَى بِاللَّهِ يَعْرِفُهُ فِيهِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ لِلتَّصِيدِ ، وَيُرْسِمُ لَهُ إِفَادًا مَنْ يُصْلِحُ الطَّرِيقَ وَإِعْدَادَ الْعُلُوفَةِ وَالْمِيرِ^(١) وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ

(١) المير : المؤن والعلوفة جمع العلف : ما تطعمه للدواب .

للعسكر . فرمى به إلى أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، لأنه ممّا كان يجرى في ديوانه ، وقال له : اكتب في هذا المعنى بما يؤكّده ، وأضف إليه منشوراً لتستحث المطالبة والإجماع ، ومشاهدة ما يجرى عليه الحال . فقال : نعم - أعز الله الوزير - وجعل التوقيع تحت فخذ ، وطلب دواة ، فحضرت وتركت بين يديه ، وأخذ يُكرّر النظر في كُتُبٍ قد أُخرجت إليه متعلّقةً بديوانه ، ومضت ساعة . فقال له القاسم : كتبت الكتب ؟ قال : نعم . والتفت فقال : ادعوا زنجياً الكاتب لئنشئ نسخ ذلك ويحرّرها فإنه أعرفُ برسوم المناشير ، فضحك القاسم بن عبيد الله ثم أقبل على أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : الأمر يا أبا عبد الله مُهِمٌّ لا يَحتمل التأخير ، ومُنشئُ أبي الحسن غير حاضر ، ولعله يَحْتَبِس . وقال لابن الفرات : ادفع إليه التوقيع ليكتب في المعنى بما يتضمّن . قال : فأخذ أبو عبد الله التوقيع وكتب سريعاً بأبلغ عبارة وأشد استيفاءً ووَصاةً . وخجل ابنُ الفرات . ولم تكن كتابته مُقَصِّرةً ولا بلاغته متأخرة ، ولكنَّ يده كانت تخونه وتَقَعُدُّ به .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : سمعت بعضَ شيوخ الكتاب يقول : كان أبو الحسن عليّ بن عيسى مُعظِّماً لصناعة الكتابة ، محافظاً على مكانه منها ، مُتَحَدِّراً من عيب يلحقه فيها ، وكانت المنافسة واقعة بين أبي الحسن بن الفرات وبينه في الأعمال والمنازل والكتابة والصناعة ، فاتَّفَقَ أن يعمل عليّ بن عيسى مؤامرة لعامل يُعْنَى به أبو الحسن بن الفرات ، وأخرج عليه فيها مائة ألف دينار ، واعتقد موافقته عليها وإلزامه إياها . ثم أحضره وأراه المؤامرة وقال له : قف عليها واذكر ما عندك في كل باب منها ، فإن كانت لك فيه حجة تُسْقِطُهُ وإلا التزمته وأدّيته . فقال : أريد أن أقرأها قراءة تأمُّلٍ ، وأنظرَ فيها نظرَ تَصَفُّحٍ ، وما يكون ذلك إلا

في منزلي عند خلوتي بنفسى . فقال : خذها . فأخذها وجاء إلى أبي الحسن بن القرات ، فشرح له صورته ، وسأله النظر في المؤامرة ، وتلقيته الجواب عن كل باب منها . فقرأها ابن القرات وقال للعامل : لولا أن على بن عيسى قد سها فيها سبها ظاهراً ربماً خلصك لما سقط منك درهم واحد مما أخرج عليك ، وذلك أنه صدّر المؤامرة بباب خراج عليك فيه فضل الكيل في غلات ناحيتك ، وأنت لم تُورده ، وحصل عليك صدراً كبيراً من المال عنه ، ثم ذكر بعد ذلك في باب آخر أنك اقتطعت من غلات المقاسمة ما لم تُورده ، وأقام الشاهد عليك فيه ، وألزمك ما لا جزيلاً عنه . وقد كان من قانون الكتابة أن يبتدئ بذكر الاقتطاع من أصول الغلة . ثم يجعل فضل الكيل مؤخراً ، فإذا صدّر فضل الكيل فقد صحّ به الأصول ، وهذا غلط فاحش وخطأ ظاهر غير مُحيل ^(١) ، والصواب أن تمضي إليه وتخلو به وتقول له : تحلّك في الصناعة لا يقتضى مافعلته في هذه المؤامرة ، وقد سهوت فيها سهواً قبيحاً وهو كذا وكذا ، وأنا معك بين أمرين ، إما أن أكشف للناس خطأك فعليك فيه ماتعرفه ، وليس يكون ما يلحقك من القباحة بأقل مما تتناولني به من النكبة ، وإما أن تفضلت بطي هذا الأمر وستره وإبطال المؤامرة والإمساك عنها ولك من ذلك مرفق ^(٢) أحمله إليك . فإن إشفاقه على جاهه ، وكرهاته ما يقدح في صناعته ، ورغبته في المرفق ، يحمله على إبطال المؤامرة .

قال العامل : فضيت سحرّاً إلى داره ، فلما رآني قال : ما عملت في المؤامرة ؟ فقلت له : ينناشي أقوله سراً ، ودنوت إليه فقال : ماهو ؟ فأوردت عليه ما كان ابن القرات علمه به ، ونشرت المؤامرة ووقفته على الموضع ، فحين شاهدها وتاملها وجم

(١) غير محيل أى غير آت بالمحال . ولعلها محرفة عن : غير محتمل .

(٢) مرفق : منفعة .

وَجُومًا شَدِيدًا وَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ وَفَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْمَرْفِقَ ، وَأَسْقَطَ عَنْكَ الْمُوَامِرَةَ ،
فَإِنْ أَكْبَرَ الْأُمُورَ عِنْدِي فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنْ وَقَفْتَ عَلَى غَلْطِي وَتَقَطَّطَ^(١) مُسْتَأْنِفًا مِنْ
مِثْلِهِ ، وَاللَّهُ بَيْنِي^(٢) وَبَيْنَ ابْنِ الْفَرَاتِ ، فَإِنْ هَذَا مِنْ تَعْرِيفِهِ وَتَوْقِيفِهِ وَإِلَّا فَلَسْتُ مِنْ
يَتَنَبَّهُ عَلَى مَا هَذِهِ سَبِيلُهُ .

وَنَهَضَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ كَفَيْتُ الْأَمْرَ ، وَزَالَتْ عَنِّي الْمُوَانَةُ وَالْمَطَالِبَةُ ، وَرَبِحْتُ
الْمَرْفِقَ الَّذِي كُنْتُ عَلَى التَّزَامِهِ ، وَعَدْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ ، وَحَدَّثْتُهُ
بِالْحَدِيثِ فَضَحِكَ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْأَزْرَقِ
قَالَ : لَمَّا حَجَّلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ الثَّالِثَةِ رَأَى ابْنَ الْفَرَاتِ وَهُوَ
مُقْبِلٌ إِلَيْهِ فَبَدَأَ يَكْتُبُ كِتَابًا ، وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى وَهُوَ كَلِمَتِ خَوْفٍ وَجَرَاعٍ ، فَوَقَفَ
قَائِمًا وَابْنُ الْفَرَاتِ يَكْتُبُ ، وَعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَالْحَاضِرِينَ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ ، وَبَقِيَ وَاقِفًا
نَحْوَ سَاعَةٍ إِلَى أَنْ فَرَّغَ ابْنُ الْفَرَاتِ مِنْ كِتَابَتِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اقْعُدْ بَارَكَ اللَّهُ
عَلَيْكَ . فَأَكْبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَيْهِ يُقْبَلُ يَدُهُ وَيَقُولُ : أَنَا عَبْدُ الْوَزِيرِ وَخَادِمُهُ
وَصَنِيْعَتُهُ الْقَدِيمُ ، وَصَنِيْعَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَخِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ صَاحِبًا
وَلَا أَسْتَاذًا غَيْرَهُ . فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ وَأَنْتَ فِيهِ صَادِقٌ ، وَإِنِّي لِأُرْعَى لَكَ حَقٌّ
خَدَمْتُكَ الْقَدِيمَةَ لِي وَلِأَخِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمَا عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا طَاعَةُ
السُّلْطَانِ مَا أَفْسَدْتُ صَنِيْعَتَنَا عِنْدَكَ .

وَقَرَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَادِرَةِ مَا قَرَّرَهُ ، وَعَمِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْفَرَاتِ عَلَى قَتْلِ
عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، فَلَمْ يَدْعُهُ أَبُوهُ . وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى نَفْيِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْخُصْرَةِ ،
وَاخْتَارَ هُوَ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْحِجَّ وَالْمَجَاوِرَةَ . وَخَرَجَ بَعْدَ أَنْ ضُمَّ

(١) لعلها أيضا معرفة عن : ونفطنت . (٢) في الاصل والله ما بيني

إليه مَوَكَّلُون ، ووصاهم الحسن بِسْمِهِ في الطريق إن تمكنوا أو قتلِهِ بِمَكَّة ، وعرف
 عليُّ بن عيسى ذلك فتنحَّز في مأكله ومشربه . ووصل إلى مَكَّة رجُلٌ يُعرف
 بأحمد بن موسى الرازي ، وكان داهيةً ذامرًا وحُبثٌ ، وقد اصطنعه عليُّ بن
 عيسى في وزارته ، وقلَّده القضاء هناك . فلما اجتمع عليُّ بن عيسى معه حدَّثه بِحدِيثِهِ ،
 وسأله إعمالَ الحيلة في تخليصه وحراسة نفسه ، فتلطف في ذلك بأن واضع ^(١) أهل
 البلد - وقد كانوا قدَّموه وأطاعوه - على أن اجتمعوا وثاروا بالموَكَّلِينَ ، وخاف
 أن يجرى ما يلحقه فيه إثمٌ وإنكار من السلطان ، فطرح نفسه عليهم حتى
 خلَّصهم وأخرجهم ليلاً إلى بغداد ، بعد أن أعطاهم نفقةً . وأقام بِمَكَّة .

وقد كان أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات في خلافة عبيد الله بن سليمان
 على الأمور عَمِلَ ديواناً سماه ديوان الدَّار ، وجمع إليه سائر الأعمال ودبَّره بنفسه
 وكتَّابه ، واستناب أخاه أبا الحسن عليُّ بن محمد بن القرات فيه ، واصطنع كُتَّاباً
 قدَّمهم بِمَجَالِسِهِ ، منهم أبو الحسن عليُّ بن عيسى ، وأبو عبد الله محمد بن داود بن
 الجراح عَمَّهُ ، فكانا يجلسان بِحضرة أبي الحسن ، ويأمرها وينهاها ، ويُسمِّيانه
 أستاذنا ، على رَسْمِ أصحاب الدواوين إذ ذاك .

وجرى الأمر على هذا الترتيب إلى أن عزم المعتضد بالله على إخراج المكتفي
 بالله إلى الجبل ، ومعه عبيد الله بن سليمان ، والخروج بنفسه إلى آمدٍ والثغور ، ومعه
 القاسم بن عبيد الله ، فقال عبيد الله لأبي العباس بن القرات : أريد كاتباً يصحبني
 ويتصفَّح أعمال كلِّ بلد نفتحهُ ويُقرِّر معاملاته على ما يدُلُّ عليه الديوان القديم
 من رسومه . فقال : ذلك محمد بن داود . وإليه من ديوان الدار مجلسٌ ما فُتِحَ من

(١) في الأصل وضع . واضعه في الأمر وافقه فيه على شيء وواضعه الرأي أطلع كل منهما
 الآخر على رأيه .

أعمال المشرق ، وفيه الحُشْبَانَاتُ العتيقة . وقال القاسم : وأنا أريد آخر يكون
معي إلى المغرب . فقال : يكون عليّ بن عيسى .

وخرج محمد بن داود وعليّ بن عيسى في جملة عبيد الله والقاسم . فَتَفَقَّ (١) محمدٌ
عَلَى عبيد الله وَقَرَّبَ منه واختصَّ به ، ورأى من فضله وصناعته ما أعجبه ، وانتهى
أمره معه إلى أن رَوَّجَه عبيدُ الله بِنْتَه ، وانتزعَ مجلسَ المشرق من ديوان الدارِ
وجعله ديواناً مُفَرِّداً [و] قلَّده محمد بن داود رئاسةً . وحصلتْ لعلّ بن عيسى حُرْمَةٌ
بالقاسم ، وشاهد من كفايته وسداده وكتابته ونفاذه ما عَظُمَ به في عينه ، فقدَّمه
وتوفَّرَ (٢) عليه . وفعل مثل فعل أبيه مع محمد بن داود في انتزاع مجلس المغرب من
ديوان الدار وتقليده عليّ بن عيسى رئاسةً ، ولم يَجْعَلْ لأبي العباس بن الفرات بعد
ذلك عليهما يداً . وكان قولُ عليّ بن عيسى لابن الفرات ما قاله من أننى عبدك
وصنيعتك وعبدُ وصنيعة أبي العباس أخيك . وقبولُ ابن الفرات ذلك منه وتصديقه
إياه فيه ، على هذا الأصل .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : كان أخى أبو إسحاق إبراهيمُ
ابن عيسى يتقلد أعمال الزَّابِ الأعلى في أيام عبيد الله بن سليمان خلافةً لأبي الحسن
عليّ بن عيسى ثُمَّ رئاسةً ، فصَرَفَه (٣) بمحمد بن محمد بن حمدون (٤) بن سليمان
الواسطي عنها ، قال : فحدثني ابن حمدون هذا قال : أحضرني أبو العباس أحمد
بن محمد بن الفرات فقال لى : قد صرفتُ إبراهيم بن عيسى بك ، وأريد أن تعتقله
وتُضَيِّقَ عليه . واتفق أن حضر أبو عبد الله محمد بن داود مُسَلِّماً عليه ، وقد عرف

(١) تفق : راج عنه . (٢) توفّر عليه : تفرغ له .

(٣) صرفه بفلان عزله وولى هذا الفلان مكانه .

(٤) في الأصل ابن الحسن . والتصويب بما سيأتى في أخبار علي بن عيسى ومن سياق الكلام .

الخبر، فقال له ^(١) : تتقدم - أعرك الله - إليه في إمضاء مقاطعتي وإجمال معاملتي .
قال : فقال لي ابن الفرات : أبو عبد الله من قد عرفت محله من الوزير أبي القاسم
ومنا ، فاعمل بصنيعته في جميع إرادته . فلما انصرف أبو عبد الله قال لي : إياك
أن تمضي مقاطعته ^(٢) أو تدع الاستقصاء عليه في مسأجه ^(٣) ، ووكل بطلته
حتى تستوفي حق بيت المال منها على واجبه وتماه وكاله ، وإبطال مظالمه .

قال : فورد على من ذلك أعظم مورد ، وتبينت به ما في نفسه على
آل الجراح ، وشخصت إلى العمل ، فما دأبت أبا إسحاق ، وطالبته بأن يجيئي
في كل يوم ، فغلظ ذلك عليه ، وهو لا يعلم ما تقدم به ابن الفرات في أمره ،
واتصلت كتب ابن الفرات إلى بالحث على ما وصاني به والتأكيد فيه اتصالاً
طويته عن أبي إسحاق ، ولم أذكره له وذلك في سنة سبع وثمانين ومائتين ومضت
الأيام . فلما تولى أبو إسحاق الإشراف على أعمال واسط كنت أدخل إليه فيقل
الإقبال على ، ويظهر الانحراف عني ، حتى خفت أذيتي في ضيعتي ، فحنته في بعض
الأيام ، ومعى بعض ما كان ابن الفرات يكتبه إلى في يابه . فلما خلا وجهه ^(٤)
دنوت منه وقلت له : قد تبينت منك إغراضاً وسوء رأي ، ولا شك أن ذلك
لما كان مني إليك ، وقد علم الله نياتي كانت عنك ، وحراستي إياك مما كنت
أطالب به فيك ، ومن الدليل على صدق هذه الكتب . وأخرجتها إليه وقرأتها
عليه . فلما وقف على ما فيها أكبره وأعظمه ، وبسط عذري فيما عاملته به ، وعاد
إلى ما أحبه . وكان تقلد أبي إسحاق الإشراف على واسط بعد أن تقلد أعمال

(١) يعني أن محمد بن داود قال لأحمد بن الفرات : اطلب من محمد بن محمد بن حمدون أن يكرمني
في تنفيذ أعمال وحسن معاملتي .

(٢) المقاطعة : ما يقرر له من هبة أو أجر وما أشبه ذلك .

(٣) مسأجه : ما يتساهل فيه أو ما يسمح له به جمع مسمح .

(٤) خلا وجهه يعني به أن الناس انصرفوا من عنده .

الراذائين . وكاشف ابني الفرات فيما اقتطعاه واجتذباه من الضياع السلطانية ، وحسن أثره عند القاسم بن عبيد الله ، فنقله إلى الإشراف على أعمال واسط نقلا كان من سببه أن كان القاسم سيء الرأي في أبي العباس بن الفرات . فقال لأبي الحسن علي بن عيسى : قد كثرت ضياع ابني الفرات بنواحي واسط ، واستضافا إليها ضياعا سلطانية ، وصارا يأخذان لمصالحهما نحو عشرين ألف دينار في السنة ، وأريد رجالا حصيفا أرد إليه الإشراف على هذه النواحي وأعوّل عليه في كشف ضياع ابني الفرات ، وإثارة الفضل ^(١) الذي في أيديهما ، وآمن عنده محابة لها وخوفا منها ، فهل في أهلنا من يصلح لذلك ؟ فوصف له أبا إسحاق بالشهامة والاستقلال ، واستحضره وقلده ، وانحدر وجدّ في النظر والكشف ، وواصل كتب الكتب بما وقف عليه وعرفه ، وعمل الأعمال بما أثاره واستدركه ، فكان من ذلك عمل ما يقبضه وكلاء ابن الفرات لمصالح ضياعهما بواسط ، وهو زيادة على عشرين ألف دينار في السنة ، وعمل آخر لما اقتطعاه من ضياع السلطان وأضافاه إلى أملاكهما ، وهو ثيّف وثلاثون بيدراً ، منها بيدّر يعرف باليهودي ، ارتقاعه نحو الخمسين ألف درهم . وعاد إلى الحضرة وعرض الأعمال على القاسم ، فقال له : تواقف ابن الفرات على أعمالك هذه ؟ فقال : ما عملتها لأسترها وأخاف المناظرة عليها . فأحضره وقد حضر أبو العباس بن الفرات ، وواقف في المجلس موافقة ألزمه فيها ما لا كثيراً ، فرأى القاسم من أبي إسحاق صرامة عجيبة ، وتبين ابن الفرات من القاسم إنكاراً همته ^(٢) نفسه معه .

(١) يريد بذلك تبين الزيادة التي استوليا عليها .

(٢) همته : شغلته وأقلقته .

قال أبو علي عبد الرحمن ، فحدثني بعض أصحابنا قال : لما انصرف أبو العباس بن
الفرات من هذا المجلس إلى منزله ، وهو مُتَخَنٌ^(١) ، وجد أخاه أبا الحسن يعمل .
فقال له : يا أبا الحسن ما فارقتنى حتى هَتَكْتَنِي وَنَكَبْتَنِي ، أقرأ هذا العمل . ورمى
إليه بعمل المصالح وقال له : إذا كانت نفقات مصالحنا عشرين ألف دينار فأى شيء
نقول للسلطان والوزير والناس في الارتفاع والاستغلال ؟ ! ثم أعطاه العمل بالصَّيَّاعِ
المستضافة . قال : هذه الظَّامَةُ الكبرى والفضيحة العظيمة . قال عبد الرحمن : وَهَمَّ
القاسم بن عبيد الله بالقبض عليهما والإيقاع بهما ، فتدافع الأمر بظهور صاحب الخال^(٢)
والتشاغل بِخَطْبِهِ والخروج إلى المغرب^(٣) في طلبه . فلما عادوا لم تطل المدة حتى توفي
القاسم بن عبيد الله وأبو العباس بن الفرات في آخر سنة إحدى وتسعين ومائتين
ثم ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة^(٤) فقصد أبا إسحاق ونفاه إلى الصافية ،
ووزر أبو الحسن علي بن عيسى بعد ذلك^(٥) وصُرف ، وعاد ابن الفرات^(٦) فنسكب
أبا إسحاق وصادره على خمسين ألف دينار استخرج منها ثلاثين ألف دينار .
وأقام أبو إسحاق في منزله وامتنع من العمل بعد ما لَحِقَهُ . فلما تقلد أبو الحسن بن
الفرات الوزارة الثالثة^(٧) أعاد القبض عليه وطالبه ببقية المصادرة ، ثم بمثلها^(٨) فأداه
ثم بمثلها دفعة ثالثة بعد مكروه عسفه به ، وأخرجه بعده إلى البصرة ، وسلمه إلى ابن
الأصبغ عاملها ، فيقال إنه سمه ، ومضى لسبيله^(٩) .

-
- (١) يريد بالمتخن هنا أنه مرهق مكدود تشبهاً بمن أثخنه الجراح أي أوهنته وأضعفته .
(٢) هو الحسين بن زكرويه أخو يحيى بن زكرويه انظر ابن الأثير حوادث . ٢٩ وفيه أنه سمى نفسه
أحمد ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البرارى وغيرهم فاشتدت شوكته وأظهر شامته في وجهه وزعم أنها
آيته . . . ثم تسمى المهدي أمير المؤمنين وقد قتل صاحب المال أو صاحب الشامة في سنة ٢٩١
(٣) يريد بالمغرب ما كان غربي العراق لأن صاحب الشامة كان في بلاد الشام .
(٤) كانت أول وزارة له في سنة ٢٩٦ كما تقدم (٥) كانت وزارته الأولى سنة ٣٠١
(٦) الوزارة الثانية كانت سنة ٣٠٤ (٧) كانت الوزارة الثالثة سنة ٣١١
(٨) في الأصل : بمثلها وكذلك التي جاءت بعدها (٩) يريد أنه توفي .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : كان سببُ العداوة بين أبي الحسن بن الفرات ومحمد بن عبدون أنه غلب على العباس بن الحسن واختصَّ به فسعى في صرف أبي الحسن بن الفرات ونسبته لقبيحٍ قديمٍ كان بينه وبينه ، واستمال محمد بن عبدون أبا عبد الله محمد بن داود بن الجراح عمي فقال معه ، وساما أبا الحسن علي بن عيسى أخى الدخولَ معهما فامتنع ، وجرت في ذلك خطوبٌ طويلة باطنة وظاهرة . وتجرد محمد بن عبدون - بِفَضْلِ شَرٍّ وحسدٍ كانا فيه - في مكروه ابن الفرات وطالب العباس بإطلاع المكتفى بالله على خياناته واقتطاعاته وما تأثَّل^(١) من حاله بذاك وعَظُمَ من نعمته ، وساعده محمد بن داود على أمره . قال عبد الرحمن : فأذْكرُ ، وقد صار أبو الحسن بن الفرات في بعض الأيام إلى أخى أبي الحسن علي بن عيسى في داره ، فقام إليه وأكرمه ، وجعل ابنُ الفرات يشكو إليه ما يلاقيه من محمد بن عبدون ، ويُعرِّضُ بمحمد بن داود عمي ، وأخى يسترجع ويقول له : يكفيك الله ثم قال له أخى : أما أنا فقد عرفت إخلاصى لك ، وما يرانى الله تعالى مُساعداً فيما يسوءك ، وأما عمي فالأمر معه قريب ، وسأرُدُّه وأكفيك ما تخافه منه ، ومع هذا فدبّر أمرَكَ تديراً يُصلحه مع صاحبنا وصاحبك . فقال له : أشرْ على ياسيدى . فقال : استعطفِ الوزير . قال : قد فعلتُ . قال : زدْ ، وليس بكثير أن تغرَمَ في هذه القصة^(٢) خمسين ألف دينار ، وإن احتجت إلى مالى في ذلك فهو بين يديك . فتكرَّه وقال : أريد التَّوَقُّعَ منك . فقال له أخى : ما تجِدُ عندى خِلافاً عليك إلا أن اليمين غيرُ مُباركة وما بنا إليها حاجةٌ ، وفي الأقوال الصادقة والآراء الصافية غنى وكفاية . وقام فأنصرف .

قال عبد الرحمن : ووافى ابنُ عبدون في بعض الأيام إلى أبي الحسن أخى ، فلما

(١) تأثَّلَ تَجَمَّعَ وتَأَصَّلَ .

(٢) لعلها أيضاً معرفة عن القضية .

جلس قال له : قد فرغنا من أمر الرجل إن كانت منك مساعدة . فقال :

اللَّهُمَّ غَفِّراً . وقمنا ، وخلّوا وتحذّثا . ثم نهض ابن عبدون ، وعذت أنا وإبراهيم بن أيوب الكاتب إليه ، فوجدناه مُقَطَّباً واجها . فقال لنا مبتدئاً : ما أعجب مانحن فيه ! نعوذ بالله من البغي وجواله . ثم قال : وإفاننا هذا الرجل - يعني ابن عبدون - يُريد أن يلقّتنا عن ديننا ، وذَكَرَ أن الخليفة قد استجاب إلى صرف ابن الفرات إن تولّيت ديوانه ، فقلت له : يا هذا ، إن صرفت ابن الفرات ازددت بصرفه رزقاً وأجلاً ، وإن لم أصرفه نقصني الله مما قرره لي ؟ قال : لا . قلت : فإن تركتموني أدبّر هذا الأمر معكم وأقوم بما إني منه ، وإلا لزمتم منزلي وأرحت نفسي . فانصرف متنكراً متسخطاً وقال : هذا الأمر يُراد .

ومضى ابن الفرات إلى العباس فأعطاه وأرضاه . وقد كان قال للمكتفي بالله : إن حال ابن الفرات قد عظمت ، وأنا آخذ منه خمسين ألف دينارٍ أردّها في بيت مال الخاصّة ، وأبقى عليه صدراً من نعمته . فقال له : نعمه ابن الفرات لي ، ومتى أردتها أخذتها ، وما يُمكنني إنشاء كاتبٍ مثله واصطاعه والرفع منه حتى يكون حاله الحال الذي يُظنّ فيه .

وكان ما قاله المكتفي بالله وفعله من أحسن ما روي وأثر عن كلّ خليفة قبله . وقد كان خفيف السمرقندى الحاجب يقوم بأمر ابني الفرات ويعصدهما ويشدّ منهما ، فقلّما طمّع في أبي الحسن وانبسطت الألسن فيه .

وحدث عبد الرحمن قال : لما عُقد الأمر لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، ووزر له محمد ابن داود بن الجراح عمّي تأخّر أبو الحسن عليّ بن عيسى أخى عن الحضور ، ووصلت مرسلته بالاستدعاء ، وهو يأبى ويتوقّف ، حتى إذا زاد الإلحاح عليه - وبلغه عن عبد الله بن المعتز أنه قال : عليّ بن عيسى متأخّر عنّا ليمضي إلى جعفر ، فإن كانت

له خَلَصَ عَمَّه ، وإن كانت لنا خَلَصَهُ عَمَّه . وليس كذلك . فإنه لات حين مناص -
صار^(١) إلى القوم . فلما لم يرَ ابنَ الفرات قال لمحمد بن داود : ما فعل ابنُ الفرات ؟
قال له : وأية فائدة في حضوره ؟ قال : كل فائدة ، وستعلم ما تكونُ عواقِبُ تأخُّره
وأنه لا يكون هلاك الجماعة إلَّا على يده . فسكَّانَ قوله وافقَ قَدَرًا .

ولما انتقض أمرُ ابنِ المعتز ووزر أبو الحسن بنُ الفرات [و] أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ
عيسى ومحمدُ بنُ عبدون وحملاً إلى دارِ بَذْرِ اللَّائِي ، كتباً رقيقة إلى ابنِ الفرات
ترجأها^(٢) : لعبيده محمد بن عبدون وعليُّ بن عيسى .

فعاد الجواب : فهمتُ هذه الرقعة يا أبا الحسن عليُّ بن عيسى أطال الله بقاءك .
وأدام عزك وسعادتك ، وأنت تعلم ما يلزمني من حَقِّك ، وما أنا عليه لك ، ولن أدعَ
مُمْكِنًا في تخليصك واستنقاذك وردَّك إلى أفضلِ ما كنتَ عليه إلَّا أتيتُه وبلغتُه
وقضيتُ حَقَّك به .

ولم يذكر محمد بن عبدون بشيء ، فلما وقفنا على ذلك لَطَمَ محمدُ بنُ عبدون على
رأسه وقال : قَتَلَنِي وَاللَّهِ . وكان الأمر كما قال .

ولم يدعَ ابنُ الفرات المنافسةَ في الرئاسة والغيرةَ على الوزارة حتى نَفَى عَلِيُّ بْنُ
عيسى إلى مكة .

وحدث عبد الرحمن قال : لما ثَقُلَ عَلِيُّ^(٣) أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ أَمْرُ سَوْسِنٍ
وبلغه عنه سمُّه على الإيقاع به وشرُّه له لمحمد بن عبدون في الوزارة ، خوَّفَ المقتدر

(١) في الأصل وصار . والبيان يقتضى حذف الواو والفائل هو علي بن عيسى وانظر كتب
التاريخ حوادث ٢٩٦

(٢) لعله يراد بذلك التعبير أنهما كتبافى الرقعة أنهما عبداه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٢/٥

بالله منه ، وأعلمه أنه على الوثوب به ، وأنه كان على تقديم عزمه منه إلى أن سأله أنوشُ بنُ الحرهان كاتبُ سوسنٍ أن يؤخّر ذلك في هذا اليوم لعيدٍ له ، ووقع الاتفاق بينهم على الإيقاع بك وبى وبجماعة معنا في يوم الثلاثاء المقبل بعد يوم الموكب ، وقرّر ذلك في نفسه وحقّقه عنده ، فلما كان يوم الاثنين ثمان بقين من رجب ركب المقتدر بالله إلى الميدان ، ومعه تسكين الخاصة ونازوك وغريب الجبلى ورائق وياقوت ، وقد ضمّن ابنُ الفرات لتسكين أن يقلّده مصرّ إن ساعده على أمر سوسن . وأحسن سوسن بما يُدبّر عليه ويراد به ، فتجرّز في أمره ودخل الميدان ولم ينزل عن فرسه ، ولعب مع الخليفة ساعة بالصولجان ، ثم مضى إلى صافى الحرّمى يعودُه من شيء وجده ، وتبعه مؤنسُ الخازنُ والغلمان ، فلما نزل إلى صافى وكان في آخر الميدان قبض عليه تسكينُ الخاصة .

قال عبد الرحمن : حدثني تسكينُ الخاصةُ عند اجتماعنا بمصر ، وقد جرى ذكرُ سوسنٍ وتجبره وعُتُوّه قال : فلما مضى إلى صافى بادرتُ كأني معه ، ونزل فددتُ يدي إلى منطقتة ^(١) كأننى أتوكأ عليها ، فجذبتها ، وأخرجت سكيناً معى فقطعتهما ، وحصلت مع السيف في يدي ، وسلبه الغلمان ما كان عليه ، ودفعناه حتى أدخلناه باب الميدان ، فعند ذلك بكى ، وحمل الخدمُ السلاح ، ووُكِّلَ بداره ، واجتمع من كان خلفه وصار في حيزه من الغلمان ، فخرج إليهم ^(٢) خادم وقال : مولانا يقول لكم : أتم غلمانى وخاصتى ، وهذا عبدى ومملوكى ، وقد بلغنى عنه ما أريد موافقته عليه ، وأنا لكم بحيث تُحبّون . فدعّوا وقالوا : الأمر لمولانا . وفرقوا ولم يعد منهم قولٌ بعد ذلك .

وقرر ابن الفرات في نفس المقتدر بالله دخول محمد بن عبدون وعلى بن عيسى

(٢) في الأصل : إليهما .

(١) المنطقة : حزام يشد في الوسط .

مع سوسنٍ فيما كان عَمِلَ عليه وَهَمَّ به . فأما محمد بن عبدون فإنه أُنْفَذَ مَنْ حَمَلَهُ من الأهواز ^(١) إلى الحضرة . قال عبد الرحمن : لَخِذْتُ من سَمِيعِ ابنِ الفرات يقول له : والله لأُفْتَلَنَّكَ . وابن عبدون يقول : يكفي الله ويعفو الوزيرُ . فقال : لا والله . ما فيها إلا التلف وحسبنا الله ونعم الوكيل . وحُسِبَ أياها يسيرة وأُخْرِجَ ميتاً وطُرِحَ في مَشْرَعَةِ السَّاجِ عند داره ، ووُجِدَ عند غُسْلِهِ وقد أُكِلَ لَحْمُ ذِرَاعِيهِ فَمَا طَالَتِ الأَيَّامُ حَتَّى أَصَابَ مَنْ سَاعَدَ ابْنَ الفرات على أمره مثلُ ذلك . فأما أبو الحسن عليُّ بن عيسى فَكُتِبَ بِحَمَلِهِ إلى الكوفة ، وأقام بها إلى وقت الموسم ، وخرج إلى مكة وقد وُكِّلَ به حبشيُّ بن إسحاق السَّجَّانُ .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : وزر أبو الحسن بن الفرات ، وارتفعُ ضِعْفَتَهُ وَضِيعَةُ أَخِيهِ أَبِي العباس نحو مائتي ألفِ دينار ، وصُرِفَ بعد أربعة وعشرين شهراً . وقد بلغ ثمانمائة ألفِ دينارٍ وكسراً . وذلك بما استضافه واجتذبه من الأملاك والضِّيَاعِ . ووجدَ له أبو علي ^(٢) الخاقاني - عند تقلُّدِهِ بعده - في الدواوين والودائع نحو ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أكثرها محمولٌ من بيت مال الخاصة - الذي بنى له ^(٣) المعتضد بالله ، وكان قلعة قد صب في أنقالها الرصاص . ومات وقد اجتمع فيه تسعة آلاف ألفِ دينارٍ وكسراً ، وكان نَذَرٌ عند بلوغ ذلك عشرة آلاف ألفِ دينارٍ أن يترك عن أهل البلاد ثلثَ الخراج في سنة البلوغ ، وأضاف المكتني بالله إلى هذه الجملة في أيام خلافته سبعة آلاف ألفِ دينارٍ حتى تكامل المبلغ ستة عشر ألفَ ألفِ دينارٍ وكسراً . ومات المكتني بالله ، وتفرَّقَ المال

(١) في الأصل : مال الأهواز .

(٢) أبو علي الخاقاني هو محمد بن عبيد الله المترجم له في هذا الكتاب وتولى الوزارة سنة ٢٩٩ .

(٣) هكذا في الأصل ولعلها : الذي بناه . أو الذي بنى للمعتضد .

وتمزق . وقيل : إنه وجد فيما وجد من ودائع ابن الفرات ما هو محتوم أبي خراسان
فرغان الخادم خازن المعتضد على بيت مال القلعة . وذلك أن الأمر فيما كان يحول
إلى حضرة المقتدر بالله ويخرج إلى مجلس العطاء زاد على الخلد . وخرج عن
الضبط . قال عبد الرحمن : وقرأت توقيعاً لفاطمة القهرمانة خرج إلى ابن الفرات
تقول فيه : أَمَرَ أمير المؤمنين بحمل أربعين بدرّة^(١) غنيّاً من^(٢) بيت مال
الخاصة إلى حضرته . وتوقيع ابن الفرات في آخره بامثال المرسوم فيه ، وكانت
لهذا التوقيع نظائر كثيرة ، وابن الفرات يمثّل لنفسه في أمثال ذلك ، حتى
قيل إنه أخذ من بيت مال القلعة ألف ألف دينار . وأطلق منها لعبد الله بن جبير
مائة ألف دينار ، ولأصطفی بن يعقوب كاتب بيت مال الخاصة وخليفة دانيال بن
عيسى^(٣) كاتب مؤنس الخادم الملقّب بالمظفر مائة ألف دينار . قال عبد الرحمن
فحدثني أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا أن رزق ابن جُبَيْر لما كان يكتب وهو
بين يدي ابن الفرات في مجلس من مجالس ديوان الخراج خمسة وعشرون ديناراً . فلما
تقلّد ابن الفرات الوزارة بلغ به مائة دينار وأن رزق يعقوب بن اصطفی^(٤) كان في أيام
مؤنس وهو ينوب عن دانيال بن عيسى عشرة دنائير . ثم بلغ أربعين ديناراً في وزارة
ابن الفرات الثانية ، فظهر لهما من الحال ما قدّر فيها ألف ألف دينار .

وحكى عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله الملقّب بأبي قيراط كاتب ابن الفرات
على ديوان بيت المال أنه قال له في بعض الأيام سرّاً : قد وقفتُ على أنه قد اقتطع
من بيت مال الخاصة ألف ألف دينار . وحلّه ما حوّل منه . فعلم من قوله اطلاعه

(١) البدوة : الكيس الموضوع فيه المال ويقدر بحوالى عشرة آلاف درهم وقد يكون قدرها ذمياً .

(٢) العين من معانيها الذهب المضروب أى المسكوك .

(٣) كتب العباس وسيأتى أنه عيسى وهو الأقرب . (٤) تقدم انه اصطفی بن يعقوب .

على القصة ، وقال له : لن نَعْدَم نصيبك يا أبا القاسم . وأوصل اليه في أوقاتٍ مائة ألف دينارٍ عَظُمَتْ بها حاله ، وابتاع منها ضياعاً جليلاً بنواحي واسط ، حتى كتب إلى القاهر^(١) بالله يَخْطُبُ وزارته فذفع رقعته إلى أبي العباس الخصبى^(٢) وسأله عنه ، فقال : هذا رجل جاهل أخذ من المال في أيام ابن الفرات كذا وكذا - المبلغ الذى ذكرناه - وأنا أستخرجه منه . وانصرف ووقع إليه : « قد رُسِمَ تقليدك بعض الدواوين فاحْضِرْ . فقدَر أن رقعته قد حرَّكت أمره ، وبادر فقبض عليه ، وأخذَ حَظَّهُ بمائة ألف دينار ، أدَّى بعضها وكتب على ضيعته بياقيها ونفاه إلى الموصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : فلما حصل أبو الحسن أخى بمكة خرجت للحج وتجديد العهد به ، ووصلت إليه واجتمعت معه ، وورد عليه كتابُ ابن الفرات بالإذن له فى الحج ، لأنه كان محبوساً فى داره ، ممنوعاً من التصرف على إيثاره^(٣) ، ووافى بعد أيام أبو الحسن عبيدُ الله بن عيسى أخى فى الرقة الأخيرة ، فسأله أخى عن شخوصه من مدينة السلام ووقته . فقال : خرجتُ فى آخر الناس لاحتسابى على لقاء ابن الفرات ووداعه . فقال عبد الرحمن : فلما كان يوم الأربعاء لستِ خلونَ من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين مضيت إلى المسجد الحرام ارتفاعَ النهار ، وصليتُ وطفئتُ وسعيت وعدتُ إلى المسجد ، وجلست عند باب السَّهْمِيِّينَ ، فوافانى خادمٌ لنا أسودُ شيخٌ يقال له مُقْبِلٌ غلامُ الجَدَّةِ ، واستنهنى فنهضت إلى جوار المسجد ، وقال لى : اعلم أن سيماً القلانى من غلمان الحَجَرِ لقينى الساعة وهو صديقى وأعلمنى سراً أن ابن الفرات قد قُبِضَ عليه . فورد على من السرور ما لم أتمالك نفسى ، وبادرتُ

(١) تولى الخلافة سنة ٣٢٠ وكان قد بوبع يومين بالخلافة سنة ٣١٧ بعد خلع القنذر أخيه ثم عاد القنذر للخلافة

(٢) هو أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصبى وزير القنذر سنة ٣١٣ كما وزر للقاهر ٣٢١

(٣) كذا بالأصل . ولعل معناها : أنه ممنوع من التصرف كما يشاء وهلى ما بهوى

إلى أبي الحسن أخى ، وهو جالسٌ يُسَبِّحُ . فعرفته ماعرفنى . فقال : ويحك ، من أين له هذا ؟ قلت : قد أخبرتك بما خبرنى به ، وما عنده زيادةٌ عليه . فقال : امض إلى أبى الحسين أخيك وسله عما عنده . فمضيت إليه وحدثته . فقال : ما خلق الله لذلك أصلاً وأنا آخرٌ من ودَّعه وهو جالسٌ للمظالم على أجلٍ حالٍ وأُفدَّ أمرٍ . فقال أبو الحسن أخى : فاقصد ابنَ مُجَاشَعِ الْمُثَنَّقِ وسله . ففعلت ، وكان قوله وقولُ أبى الحسين واحداً . وأمسكنا ، وشاع ذلك بمكة ، وكثرت به الأراجيفُ . فلا والله ما كان إلا عند وصولنا إلى الحاجر راجعين حتى وافى مؤنسُ الوراقنى صاحبُ السرية ليلاً لتلقى الحاج . فقال : أبشروا بامعاشِرِ الحاج ، قد قُبِضَ على ابنِ الفرات ، واتفق أن كان قريباً منى ، والليل يَحْجُرُ^(١) بينه وبين معرفتى ، فقلت له مبادراً : ومتى كان ذلك يا مبارك ؟ فقال : يومَ الأربعاء السادس من ذى الحجة . فوردَ علىَّ من قوله وموافقةِ اليوم الذى سمعتُ فيه ما سمعته ما عجبتُ منه واستطرفته ، ووجدتُ هذا الحديثَ مُشاكلاً حديثَ الرشيدِ فى موته بِطُوسَ وانتشار خبره بمدينة السلام فى يومه . والحديثُ مأثورٌ مشهور .

وَأُنْشِدْتُ لِأَبِى الْحَسَنِ ابْنِ الْفَرَاتِ :

مُعَذِّبِى هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ حِيلَةٌ وهل لى إلى استعطافِ قَلْبِكَ مِنْ وَجْهِ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ ولا خير فى وصلي يكون على كَرِهِ
وقال جعفر بن حفص : مضيت قاصداً حتى رأيت أبا العباس بن الفرات وأبا الحسن أخاه ينظران فى الأعمال ، فنظرت إلى حِفْظِ لأمرِ الدنيا لم أر مثله ، ولورآهما من تقدّم من الكتاب لعلوا أنهم لم يَرَوْا مثلهما .

(١) يحجر : يمنع ولعلها أيضاً يحجز وهى بمعنى يمنع ويفصل ويحول .

وذكر أبو علي الصولي قال : خرجتُ يوماً مع أبي العباس النوفلي من دار أبي الحسن بن الفرات مع صلاة المغرب ، فخرج معنا فرّاشان بشمعتين ، فلما نزلنا إلى السُمَيْرِيَّةِ ^(١) دفعنا الشمعتين إلى غلماننا ، فرددناها وامتنعنا من أخذها ، فقالا : قد أمرنا بأن ندفع إلى كل من يخرج من الدار عند اصفرار الشمس شمعة . فقلنا : قد قبلناها ووهبناها لكما . فقالا : تريدان أن نعاقب ونصرف ؟ وتركاها ومضيا .

وحدث أبو الفضل بن الوارث قال : لما قبض على أبي الحسن بن الفرات في وزارته الأولى نظرنا فإذا هو يُجْرَى على خمسة آلاف إنسان ما بين مائة دينار في الشهر إلى خمسة دراهم ، ونصف قفيز دقيقاً إلى عشرة أقدرة .

وحدث أبو العباس أحمد بن العباس النوفلي ^(٢) وكان جليسا لبني الفرات قال : سمعت الوزير أبا الحسن قبل الوزارة يقول : مارأيت أحداً قط في داري أو على بابي ليس لي عنده إحسان إلا كنت أشدَّ اهتماماً بإيصال ذلك إليه منه والاحتيال له .

وحكى أن أبا الحسن بن الفرات جلس يوماً للمظالم في سنة ثمان وتسعين ومائتين . فتقدم إليه خصمان في دكاكين بالكركخ . وتأملهما فقال لأحدهما : أرفعتَ إلى قصة في سنة اثنتين وثمانين في هذه الدكاكين ؟ ثم رجع فقال له : سنك تصغر عن هذا . فقال : ذاك أبي . فقال : نعم ، قد كان رفع قصة فوقنا له فيها . ثم وقع بإخراج رفع القصص والتوقعات في سنة اثنتين وثمانين من الديوان . وقال للخصمين : كونا هاهنا . قال بعض من حضر المجلس : فلما خرجتُ

(١) السُمَيْرِيَّة نوع من السفن .

(٢) الفخرى ٢٣٤ .

من عند الوزير أبي الحسن سمعتُ أحدهما يدعو له . فقلت له : ما شأنك ؟ قال : لما سمع خصمي بهذا قرّاً وعلم أن التوقيع كان بتسليم الدكاكين إلى أبي .

وقال الحسين الخادمُ المعروف بالخلدي : سمعتُ خفيفاً السمرقنديّ الحاجب يقول للمكثي بالله : الخليفةُ الماضي لم يستغن عن ابني الفرات ووزيره عبيدُ الله ابنُ سليمان ، كيف تستغني أنت عنهما ووزيرك القاسمُ ^(١) ؟

قال القاضي أبو علي التنوخي : أنشدني أبو الحسين عليّ بن هشام نفسه لما قُتل أبو الحسن بن الفرات :

فَرَاتٌ غَاضٌ مِنْ آلِ الْفَرَاتِ فَقَاضَ عَلَيْهِ دَمْعُ الْمَكْرُمَاتِ
سَمَاءٌ غَوْدَرَتْ فِي بَطْنِ أَرْضٍ وَبَحْرٌ غَاضٌ فِي بَعْضِ الْفَلَائِ
عَسَى الْيَوْمُ آخِذَةٌ بِثَأْرِ فَتَأْخُذَ لِي بِثَأْرِ الْمَأْثُرَاتِ

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين عليّ بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يتحدث في مجلسه قال : كنّا بعد وفاة أئينا وقبل تصرّفنا مع السلطان نَقْدَمُ إلى بغداد من سُرٍّ من رأى فقيمُ بها المدّة بعد المدّة ، ونترجّع ثم نعود ، وننزل - إذا وردنا - شارعَ عمرو بن مسعدة بالجانب الغربيّ ، فيكرّنا يوماً نريد بستاناً ، فإذا بجالد الكاتب ^(٢) والصبيان يُولعون به ، وقد اختلط وهو يرجم ويشتم ، ففرقناهم عنه ، ومنعناهم منه ، ورفقنا به ، وسألناه أن يصحبنا وأنزلنا أحد غلماننا من مرّ كونه وأركبناه ، وحملناه إلى البستان . فلما أكل وسكّن وجدناه مماسك العقل ، بخلاف ما رأيناه عليه ، وظننا به ، وسمعناه عنه ، فقلنا له :

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد والمكثي وفوض إليه المكثي جميع الأمور توفي سنة ٢٩١ ترجمه بالمنتظم ٤٦/٦ .

(٢) هو خالد بن يزيد الكاتب الشاعر له ترجمة في طبقات الشعراء لابن العزّ والأغانى ٤٥/٢١ ومعجم الأدباء وفوات الوفيات وتاريخ بغداد ٣٠٨/٨ .

مالذي يَلْحَقُكَ؟ فقال: أكَثُرُ آفَتِي هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانُ فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونِ عَلَى حَتَّى أَعْدَمَ بَقِيَّةَ عَقْلِي وَأَصِيرَ إِلَى مَا شَاهَدْتُمُوهُ مِنِّي . وَأَخَذَ يُنْشِدُنَا لِنَفْسِهِ ، وَيُورِدِ الْحَسَنَ مِنْ شَعْرِهِ . وَطَابَ لَنَا يَوْمُنَا مَعَهُ . وَأَحَبُّ أَخِي أَنْ يَمْتَحِنَهُ فِي قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَهَلْ هُوَ عَلَى مَا كَانَ أُمٌّ قَدْ اخْتَلَتْ ، فَقَالَ لَهُ : أَرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا فِي الْفَرَاقِ السَّاعَةِ ، فَأَخَذَ الدَّوَاءَ وَفَكَّرَ وَقَالَ :

عَيْنِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدَّعِيًا أُمٌّ حِينَ أَرْمَعُ بَيْنَهُمْ خُنْتُ
إِنْ كُنْتُ فِيمَا قُلْتَ صَادِقَةً فَعَلَى فَرَاقِهِمْ أَلَا بِنْتُ

وَحَدَّثَ مُحَدِّثٌ عَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ نَظَرِهِ أَنَّ نِسْوَةً رَفَعْنَ إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونُ فِيهَا رِقَّةَ أَهْوَالِهِنَّ^(١) ، وَاتَّسَبْنَ إِلَى أَنَّهُنَّ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ ، فَقَدَّرَ أَنَّهُ ابْنُ رُسْتَمٍ كَاتِبٌ كَانَ بُسْرًا مِنْ رَأْيٍ ، وَوَقَعَ بَأْنُ يُجْرِي عَلَيْهِنَ دَقِيقٌ وَدِرَاهِمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَلَمَّا انْصَرَفْنَ قَالَ لَهُ أَحَدُ الْكُتَّابِ : لَيْسَ هَؤُلَاءِ النَّسْوَةُ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ الَّذِي أَشَارَ الْوَزِيرُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هُنَّ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ الَّذِي كَانَ مَعَ بُعَا الشَّرَابِ . فَقَالَ : لَيْسَ كُنَّ مَنْ كُنَّ فَقَدْ أَخَذْنَ رِزْقَهُنَّ ، وَإِنْ حَضَرَ أَوْلَئِكَ أَجْرَيْنَا لَهُنَّ أَيْضًا وَأَحْسَنًا إِلَيْهِنَّ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ : كُنْتُ بِحَضْرَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا ، فَقَطَّطَ الْفَرَّاشُ الشَّمْعَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَطْطًا اسْتَعْجَلَ فِيهِ ، فَسَقَطَ مِنْهَا شَرَارٌ قَرُبَ مِنْهُ ، وَخَافَ الْفَرَّاشُ فُضِيَ مُبَادِرًا ، وَتَبِعَهُ خَادِمٌ كَانَ يَزُؤُسُ عَلَى حَوَاشِيهِ لِيُنْكِرَ عَلَيْهِ وَيُضْرِبَهُ ، فَصَاحَ الْوَزِيرُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : عُدْ إِلَى مَكَانِكَ ، أَتُرَاهُ الْبَاسَّ تَعَمَّدَنِي بِمَا فَعَلَ وَاعْتَمَدَ أَنْ يُخْرِقَنِي؟ وَإِنَّمَا اتَّفَقَ مَا اتَّفَقَ عَلَى سَبِيلِ الْغَلَطِ .

(١) رِقَّةُ أَهْوَالِهِنَّ : فَقْرُهُنَّ .

وحدث أبو الحسين قال : عرض أبو أحمد الحسنُ على أبيه عملاً من أعمال المغرب الذي كان يتولَّى ديوانه ، وقد أخطأ المحرِّرُ له فكتب سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين ، وأراد سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فقال الوزير أبو الحسن : هذا غلطٌ وكان يجب أن يكون سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فأظهر الحسنُ الغيظَ على الكاتب ، فقال له الوزير : « كَأَنِّي بكَ عند خروجك وقد استدعيتَه ووبَّختَه وعَنَّفَتَه ، فبِحَيَاتِي عَلَيْكَ إِنْ فَعَلْتَ ^(١) وَعَامِلٌ كُتَابَكَ وَأَصْحَابَكَ بِفَضْلِ الْحِلْمِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَلُطْفِ الْقَوْلِ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَخْلُونُ مِنَ السُّهُو .

وكانت عاداته جاريةً مع كُتَّابه إذا وقف لهم على خطأ فيما يعملونه أن يُواقِفَ صاحبه عليه من غير إنكار ولا تهجين ، ثم يُسَلِّمَ العملَ إليه ليتولَّى إصلاحه ، وإن طعنَ أحدهم على صاحبه في عمله أنكرَ قوله وردَّه وسهَّلَ على الخطيء خطأه وأقام فيه عُذْرَه .

وحدث محدث أن أحمد بن أيوب صاحب خبره رَفَعَ إليه يَدَ كُرٍّ أنه كان له في وزارته الأولى سبعةُ دنائيرَ بِرَسْمِ النَّوْبَةِ . فلما تقلَّد الخاقاني ^(٢) قطعها وجعلها لرجلٍ - أَسْمَاهُ - وسأله رَدَّهَا عليه . فوقع على ظَهْرِ رُقْعَتِهِ : أَمَّا إسقاطُ الرجلِ المُثَنَّبِ فلا أراه ولا أستجيزُه ، ولكن اطلُبْ رَسْمَ رجلٍ ساقطٍ بأكثرَ من هذا الرزقِ لِأَوْقَعِ لَكَ بِهِ ، وقد بلغتُ أن هذا البائسَ قد ألزَمَ على ما أثبتَ باسمه مُجْلَةً .

ثم وَقَعَ لأحمد بن أيوب بمثل ما كان له .

وعُرِضَ عليه كتابٌ من صاحب ديوان الجيش أو صاحب الإقطاع يَدَّ كُرٍّ فيه أنه قد توفَّرَ من جارى جماعةٍ - من المشايخ والزَمَنِي ^(٣) وَمَنْ يُجْرَى أمرُهُ هذا

(١) يعنى بحياتى عليك لا تفعل

(٢) يريد به أبا على محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني

(٣) المشايخ هنا : الكبار فى السن . والزمنى : الرضى .

الْمَجْرَى اسْقَطُوا - نَحْوُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، . فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَسَنُوا وَأَصِيبُوا فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَخِدْمَتِهِ فَلْيُمْضَ أَمْرُهُمْ ، أَوْ كَانُوا بُدْلَاءَ وَدَخْلَاءَ أَقِيمُوا مَقَامَ غَيْرِهِمْ فَلْيُصَدَّقْ عَنْ صُورَتِهِمْ .

ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : أَمَضِ أَمْرَ جَمَاعَتِهِمْ ، وَلَا تُسْقِطْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقْطَعَ مَعِيشَةَ إِنْسَانٍ .

وَعَمِلَ قَوْمٌ مِنَ الْكُتَّابِ لِأَحْمَدَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَيْسَى بْنِ شَيْخٍ - وَكَانَ رَجُلًا كَبِيرًا مُتَقَلِّدًا - تَوْقِيعًا بِتَضْمِينِهِ أَمَدَ وَجَمِيعَ مَا كَانَ إِلَى عَيْسَى بْنِ شَيْخٍ ^(١) وَتَقَلَّدَ . وَنَقَلَ غُلَامَانَهُ مَنْ بَرَسَ الْأَحْرَارَ إِلَى رَسْمِ الْمَالِكِ ، وَزِيَادَتِهِ فِي أَرْزَاقِهِ وَأَرْزَاقِ مَنْ مَعَهُ ، وَضَمَّ جَمَاعَةً مِنَ الرِّجَالِ إِلَيْهِ ، وَصَارَ الشَّيْخُ إِلَى دِيْوَانِ الْمَغْرِبِ ، وَتَنَجَّزَ الْكُتَّابُ وَأُخْرِجَتْ لَهُ الْخُرُوجُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي ذَلِكَ شَكَّ أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ فِي بَعْضِ مَا عُرِضَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَشْدَّتْ أَبَاهُ فِيهِ ، فَأَنْكَرَهُ وَاسْتَعْظَمَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الشَّيْخِ . فَلَمَّا حَضَرَ غَلَّظَ عَلَيْهِ فِي الْقَوْلِ وَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ؟ . فَقَالَ : خِدْمَتُكَ وَأَنْ أَظْهَرَ كِفَايَتِي عِنْدَكَ ، وَأَرَاكَ قَدْ اسْتَكْرَهْتَ لِي هَذَا الْعَمَلَ ، وَهَذَا بَلَدٌ لَمْ نَزَلْ تَوَلَّاهُ ، وَقَدْ تَقَلَّدَهُ أَخِي وَابْنُ أَخِي وَمَا أَنَا بِدُونِهِمَا . وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُهُ مَخَاطَبَةَ الْمُحَاجِّ الْمُنَاطِرِ لَا الْجَانِي الْمُحَازِرِ . فَضَحِكَ مِنْهُ عِنْدَمَا سَمِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتُغْفِلَ وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : عَرَّفَنِي مَنْ أَخْرَجَ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ لَكَ ، فَأَقْرَأْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُتَّابِ ، أَحْضِرْ بَعْضَهُمْ وَحُبِّسُوا أَيَّامًا ثُمَّ أَطْلُقُوا ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلشَّيْخِ وَلَا أَحِقَّةً مِنْهُ مَكْرُوهٌ .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَنَاتٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْرَقِيُّ الْأَنْبَارِيُّ الْكَاتِبُ - الَّذِي

(١) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ حَوَادِثُ ٢٦٩ وَالتَّطَبُّرُ فِيهَا تَوْقِيعُ عَيْسَى بْنِ الشَّيْخِ بْنِ السَّلِيلِ الشَّيْبَانِيِّ وَيَدُهُ أَرْمِينِيَّةٌ وَدِيَارُ بَسْرَى . وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٢٥٦ أَنَّ عَيْسَى بْنَ الشَّيْخِ عَزَلَ عَنِ الشَّامِ وَوَلَّى أَرْمِينِيَّةَ

كان يتقلد أمر الجيش وقبض عليه مع أصحاب عبد الله بن المعتز ، ومات في حبس مؤنس - رفعن إلى أبي الحسن بن الفرات أن وكيلًا كان لأبيهن غلبهن على ماله وأنكرهن إياه ، وابتاع عقارات ومستغلات به . فنظر إليهن نظرًا رقيقًا فيه لهن ، ودمعت عيناه عطفًا عليهن ورأفة بهن ، وتقدم بإحضار الوكيل . فلما حضر خاطبه على ما ادعته عليه ، فأنكر أن يكون محمد بن سعيد خلف في يده مالا ، وجحد ذلك جحدًا شديدًا . وأمر الوزير أحد أصحابه بالمسألة عن حال الرجل وما كان يتصرف فيه قبل أن يصحب محمد بن سعيد ، وما تصرف فيه بعده ، وإعلامه ذلك على صحة . فامثل صاحبه مارسمه له ، وعاد وعرفه أن هذا الوكيل ماتصرف قبل محمد بن سعيد ولأمه . ولا بعدة تصرفًا يقتضى كسبه الذى فى يده . فأعاد إحضاره ، ولم يزل يراوضه إلى أن اعترف عنده ببعض ما ادعى عليه ، وأشهد لبنات محمد بن سعيد بشيء من العقار الذى كان ابتاعه . فأجياهن بما استخلصه لهن ، وسترهن بما أعاده إليهن .

وذكر أبو القاسم بن زنجى أن أبا الحسن بن الفرات خُوطب فى معنى ^(١) أسماء بنت عيسى أخت أبي الحسن على بن عيسى وزوجه على بن محمد بن داود ، وعُرف رقة حالها واختلال أمرها ، فرد عليها الضيعة المقبوضة عن محمد بن داود بكوني ونهر درقيط ، وأجرى عليها خمسمائة درهم فى كل شهر من ماله . فلما تقلد أبو الحسن على بن عيسى أخوها منعها ذلك .

ووجدت ثبتًا بما كان أبو الحسن بن الفرات يخاطب به السيدة والأمراء وأولاد الخلفاء والولاة والكبراء وأصحاب الأطراف وعمال الأعمال وسائر الطبقات فى كتبه توقيعًا به إليهم أيام وزارته الثالثة . وقد تغيرت الرسوم ووهت الأمور

(١) هى مصدر ميمى من عى الأمر لفلان : حدث وتزل به أو من عناء : شغله وأهمه

وَوَقَعَ التَّسْمِيحُ مِنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ يُضَاقِقُ فِيهِ ، فَأُورِدَتْهُ مُتَعَجِّبًا وَمُعْجَبًا مِنَ التَّفَاوُتِ الشَّدِيدِ بَيْنَ مَا كَانَ وَبَيْنَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْآنَ ، فَإِنَّا الْيَوْمَ فِي انْخِرَاقٍ قَدْ زَادَ وَأَسْرَفَ ، وَتَمَادَى وَمَا وَقَفَ ، حَتَّى أَنَّ الْمُلُوكَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْوُزَرَاءِ قَدْ أَنْفَوْا مِنْ ذِكْرِهِمْ بَسِيْدِنَا ، وَاسْتَقَلُّوا خُطَابَهُمْ بِمَوْلَانَا ، فَعَدَلَ النَّاسُ بِأُولَئِكَ إِلَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ وَالْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ ، وَبِالْوُزَرَاءِ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . ثُمَّ كَتَبُوا عَنِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَوْقِفِ الْأَشْرَفِ الْقُدُسِ ، وَذَكَرُوهُ بِالْمَقَامِ الْأَطْهَرِ النَّبَوِيِّ ، وَنَقَلُوا الْمُلْكَ إِلَى الْأَشْرَفِ وَالْأَعْظَمِ . وَقَالُوا فِي الدُّعَاءِ : نَوْرَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ اللَّهُ : إِلَى مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَغَالَةِ وَالْمِبَالِغَةِ . وَاتَّهَتْ هَذِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ شَارَكَهُمْ فِيهَا الْأَكْبَارُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ ، وَوَقَفُوا بِالْوِزَارَةِ عَلَى الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ . ثُمَّ أَخْبَرُوا بِهَا الْمَظْفَرَةَ وَالْمَنْصُورَةَ ، مَعَ النِّسْبَةِ إِلَى الْأَلْقَابِ كَالْوَزِيرِيَّةِ وَالْعَمِيدِيَّةِ وَالْكَامِلِيَّةِ ، وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ، وَدَاخَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَنْ يَتَلَوُّهُمْ مِنْ خُلَفَائِهِمْ ، وَأَصْحَابِ الْجِيُوشِ وَأَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ .

وَاتَّسَعَ هَذَا الْبَابُ ، فَدَخَلَ فِيهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَ مِنْ غَيْرِ احْتِشَامٍ وَلَا ارْتِقَابٍ . وَلَا أَعْرِفُ مَعْنَى الْمَوْقِفِ وَلَا الْحَضْرَةِ ، لِأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى غَيْرِ شَخْصٍ مُتَمَثِّلٍ ، وَعِبَارَةٌ عَنْ غَيْرِ مُحْسُوسٍ مُشَكَّلٍ ، وَمَا الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالْمُخَاطَبِ مِنْ ذَلِكَ ؟ أَمْ أَى مَوْضِعٍ لِلدُّعَاءِ إِذَا كَانَ لِمَا لَا حَظَّ لَهُ فِيهِ ، وَلَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِ مِنْهُ ؟ وَلَقَدْ اسْتُخِيرَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَا جَمَالَ فِيهِ ، وَلَا جَلَالََةً وَلَا عَظَمَ وَلَا غَمَامَةَ . وَإِنَّمَا يُشَارُ إِلَى الْحَضْرَةِ وَالْمَوْقِفِ كَمَا يُشَارُ إِلَى الْبَابِ الَّذِي يَطْرُقُهُ الرُّؤَاوُ وَالْوُفُودُ ، وَالْجُلُوسُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْمُتَوَلُّو الْقُعُودُ ، وَالْمَقَامُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْحُضُورُ وَالْوُقُوفُ . فَأَمَّا الْخُلَفَاءُ فَذَكَرَهُمُ بِالسَّادَةِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - الَّتِي لَا يُشَارُ كَوْنُ فِيهَا ، وَلَا يُجَادَّبُونَ عَلَيْهَا - أُولَى وَأَعْلَى مِنْ هَذِهِ الْقَقَائِعِ الَّتِي لَا تُفِيدُ مَعْنَى .

وَأَمَّا الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَاءَ فَذَكَرَهُمُ بِالسِّيَادَةِ وَالْمُلْكِ وَالْوِزَارَةِ [وَمَاهُو] جَارٍ ذَلِكَ الْمَجْرَى

[كان أخرى] وَلَخَلَّصُوا مِنَ الْمَشَارِكَةِ الْوَاقِعَةِ ، وَحَصَلَتْ لَهُمْ مَنْزِلَةُ الْأَشْرَادِ بِهَذِهِ السَّيِّئَةِ الرَّائِعَةِ ، وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ الرُّتَبُ إِذَا تَفَاوَتْ ، وَتَظْهَرُ الْمَنَازِلُ إِذَا تَبَايَنَتْ ، وَأَمَّا أَنْ يُبْتَدَرَ الرَّئِيسُ [و] الْمَرْفُوسُ بِحَالَةٍ ^(١) وَاحِدَةٍ ، وَيُجْرَوَا فِي طَرِيقَةِ جَامِعَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى التَّسَاوِي وَيَخْلُطُ الْأَدْوَنَ بِالْعَالِي ، وَلَوْ أُعِيدَ الْوُقُوفُ بِالْخُلَفَاءِ عَلَى : سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُفْرِدَ الْمُلُوكُ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ ، وَاقْتَصِرَ بِالْوُزَرَاءِ عَلَى : سَيِّدِنَا الْوَزِيرِ ، وَاتَّبَعِ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ مَعْهُودًا مِنْ قَبْلُ ، وَطُبِّقَ مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى حُكْمِ مَنَازِلِهِمْ ، وَقَدَّرَ مَوَاقِعَهُمْ ، لَكَانَ التَّمْيِيزُ مُوجُودًا ، وَالِاخْتِلَافُ مَفْقُودًا ، عَلَى ^(٢) أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ فِيمَا مَضَى مَوْلَانَا ، وَلَا مَوْلَايَ ، وَلَا سَيِّدِي ، وَإِنَّمَا كَانَ التَّكَاتُبُ وَالتَّخَاطُبُ بِالْإِعْدَاءِ فَقَطْ .

ولقد بلغني أن بعض خواصَّ المقتدر بالله - رحمة الله عليه - سأل أبا الحسن على بن عيسى زيادة أحدِ العمالِ المتقدمين في خطابه ، وكان يخاطبه : بأعزك الله . فامتنع عليه امتناعاً شديداً ، وعاوده حتى وعده . وكتب إلى الرجل : بأعزك الله . - ممدود ما بين العين والزاي - فقال ألم يعدني الوزير بالزيادة ؟ قال : قد فعلت . قال : في أي شيء ؟ . قال : كنتُ أجمع بين العين والزاي . وقد مددت بينهما مدَّةً وهي الزيادة .

فكان القوم على هذه الصورة من المناقشة ليبيِّن الترتيب فيها ويُلَوِّح التطبيق في مجاريها .

فأما عصرنا هذا فقد اختلفت الرسوم وانقلبت الأعيان فيه ، وقلَّتِ المِراعاة لما كانت موكولة به ، وصارت ملوكُه المُدَبِّرُونَ لِلأَمْرِ يُخَاطَبُونَ وَزَرَءُهُمْ بِمَوْلَايَ الْأَجَلِّ وَزَيْرِ الْوُزَرَاءِ أَدَامَ اللَّهُ عُلُوهَ .

وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجِيُوشِ وَأَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، وَخُلَفَاءِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ بِالْأَجَلِ . عَلَى الْكُنْيَةِ . وَيَجْمَعُونَ فِي الْأَجَلِ بَيْنَ وَجْهِ الْكِتَابِ وَالْأَتْرَاكِ وَالْحَوَاشِي وَحَتَّى الْقَضَاةِ وَالشُّهُودِ . فَأَمَّا الْأَلْقَابُ فَقَدْ خَرَجَتْ عَمَّا يُحَاطُ بِهِ وَيُوصَفُ أَوْ يَأْتِي عَلَيْهِ حَضَرٌ ، وَصَارَ لِقَبِّ الْأَصْغَرِ أَكْثَرُ مِنْ لِقَبِّ الْأَكْبَرِ . وَمِنْ أُنْمُودَجِ هَذَا الْإِفْرَاطِ وَالِاخْتِلَاطِ أَنْتَى كُنْتُ أَشَاهِدُ الْوُزَرَاءَ فِي آخِرِ أَيَّامِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ^(١) ، وَأَيَّامِ صَمَّامِ الدَّوْلَةِ ^(٢) يَذْكُرُونَ عَنْهَا بِأَبِي فَلَانٍ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ . وَأَرَاهُمْ وَأَرَى خُلَفَاءَهُمْ وَأَصْحَابَ الدَّوَاوِينَ وَنُظَرَاءَهُمْ وَزَعَمَاءَ الْجِيُوشِ وَمَنْ يَتْلُوهُمْ مِنَ الْقَوَادِ وَخَوَاصِّ النَّاسِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ يَنْزِلُونَ مِنْ دَوَابِّهِمْ فِي الْبَابِ الْعَامِ مِنْ دَارِ الْمَمْلَكَةِ فِي أَمَا كُنْ مَا يَقْنَعُ الْيَوْمَ بِمَا كَانَ الْوُزَرَاءُ إِذْ ذَاكَ مِنْهَا كَاتِبُ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ الْبَوَابُونَ يَدْعُونَ بِدَابَّةِ الْوَزِيرِ غَلَامِ الْأُسْتَاذِ ، مُطْلَقًا بِغَيْرِ كُنْيَةٍ . وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْكُنْيَةِ الَّذِينَ يُفَضَّلُونَ فِي مَرَاتِبِ أَرْبَابِهَا بِإِعْلَاءِ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ . وَبَعْدَ الْمَدَى وَقُرْبِهِ ، وَيَقْتَصِرُونَ فِي الْأَقْلَى الْأَدْنَى عَلَى اللَّفْظِ الْمُدْغَمِ الَّذِي لَا يُرْفَعُ وَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ ، هَذَا فِيمَنْ يَتَمَيَّزُ أَدْنَى تَمَيُّزٍ . فَأَمَّا الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ فَلَا يُفَعَّلُ مَعَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَوْسَطُ الْكِتَابِ وَالْحَوَاشِي يُدْعَى بِدَابَّتِهِ الْيَوْمَ بِغِلَامِ الرَّئِيسِ الْأَجَلِ ، وَالْأَجَلُ مَعَ الْقَبْلِ إِنْ كَانَ ، مَعَ غَيْرِ تَمَيُّزٍ وَلَا تَرْتِيبٍ . لَا جَرَمَ أَنَّ الرُّتَبَ قَدْ نَزَلَتْ لَمَّا تَسَاوَتْ ، وَسَقَطَتْ لَمَّا تَوَازَتْ . وَلَمْ يَبْقَ لَهَا طَلَاوَةٌ يُشَارُ إِلَيْهَا وَلَا حَلَاوَةٌ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . حَتَّى لَقَدْ بَلَغْنِي عَنْ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(٣) — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — أَنَّهُ قَالَ : لَمْ تَبْقَ رُتْبَةٌ لِمُسْتَحِقٍّ .

(١) عضد الدولة من ملوك البويهيين تولى الملك بعد وفاة أبيه ركن الدولة أبي علي الحسين بن بويه سنة ٣٦٦ وتوفي سنة ٣٧٢ .

(٢) صمَّام الدولة هو ابن عضد الدولة تولى الملك بعد موت أبيه ٣٧٢ وقتل صمَّام الدولة في ذى الحجة من سنة ٣٨٨ .

(٣) هو أبو جعفر عبد الله تولى الخلافة سنة ٤٢٢ بعد وفاة أبيه القادر بالله وتوفي سنة ٤٦٧ .

ومن أطرفٍ طريفٍ أن السلطان - أطل الله بقاءه - يذكر القضاة والشهود بالأجل والجليل . وقاضى القضاة يُوقَّع إليهم بما يقول فيه : أبو فلان فلان بن فلان - أيده الله - يفعل كذا .

ومعلوم أن ذلك مما يتفاوت ويتباين ولا يتناسب ، وعهدى وأنا أوقَّع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدى في ديوان الإنشاء إلى قضاة الحضرة الناظرين فيها : أبو فلان فلان بن فلان القاضى أعزه الله ، والقاضى مؤخر ، وربما تقدَّم لمن تميَّز . وإلى قضاة النواحي : فلان بن فلان الحاكم ، بغير كنية ولا دعاء ولا ذكر قضاء .

وأما المناشير فلم تجرِ العادة فيها بذكر أحدٍ بكنية ولا دعاء . وقد فعل في زماننا ذلك على الزيادة والتساهى . والعلة في ألا يُذكر الناس بالكنية والدعاء أن ذكر السلطان يكون فيها بألقابه خاصة من دون الدعاء ، فلا يجوز أن يقع التميُّز عنه . فظاهر قولنا : هذا كتاب من فلان لفلان ، إخبار عن الكتاب ولذلك يُقال في الكتب عن الخلفاء : من عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان ، إما بلقب وكنية ، وإما بكنية بغير لقب أو باسم دون الكنية واللقب . ولا يدعى للمكتوب عنه حتى إن استتم التصدير استوقف^(١) الدعاء بعد قولهم : أما بعد . فقليل : أما بعد ، أطل الله بقاءك وأمتع بك . وما شاكل ذلك وما كان الأصل .

فما تعيَّر عن الرسوم الصحيحة واستوقف من هذه الفقايع الطريفة إلا أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان . فإن القادر بالله^(٢) - صلوات الله عليه - منعه

(١) استوقف يبدو أنها استعمال يراد به بدأ وأنشأ .

(٢) تولى الخلافة سنة ٣٨١ وتوفى ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر .

بعد نحر الملك ^(١) أبي غالب من مخاطبة أحد من الوزراء بمولانا . فلما ورد أبو محمد ابن سهلان ^(٢) إلى بغداد كتب إليه : بسيدنا . فأنكر أبو محمد ذلك ، ورعى بالرقعة وقال : يزيدنى وينقضى عما كان يخاطب به أبا غالب ، لا أرضى بهذا ولا أقبله ولا أقرأ له رقعة به .

ومضت مدة فكتب إليه : بالحضرة العالية الوزيرية - على ما يُكتب الآن - فاستنكر ذلك وقال : هذا فرار من : مولانا . ولا أقنع به . فقبل له : هذا أجل وأعظم ، وأعلى وأفخم ، وما منعك من : مولانا . إلا لأن الخليفة حظر عليه خطاب أحد بمولانا سواه . فقبل هذا القول وتصور زيادة به لافقيصة . فاقفني الناس أثره فيه . ثم أخرج أبو الحسن في ذكر الخليفة : الحضرة المقدسة النبوية . اختراعا جعله قرينةً فصار سنة ، وأشرك ^(٣) به : الشدة النبوية . ومضى من هذا الفن ماخرق به العرف والعادة ، وأسقط معه القوانين القديمة المعهودة ، وتجاوز هذه المنزلة إلى أن صارت كتابته عن الخليفة بالخدمة ، وتصرّف في ذلك حتى قال : قالت الخدمة ، وفعلت الخدمة ، وسئلت الخدمة . حتى رأيت بخط أبي الحسن بن أبي الشوارب القاضي في ترجمة رقعة : خادم الخدمة الشريفة فلان بن فلان .

ومضى من يعرف الأصول ، ونشأ من لم يعرف ولم يسمع إلا بهذه الفروع ، فخالها الصحيح ، وتعدّى الأمر من حال إلى حال ، في الباطل والانتقال ، حتى أفضى هذا إلى الاختلال والانحلال .

(١) ولي العراق لبهاء الدولة البويهى سنة ٤٠٩ والوزارة له ثم من بعده لسلطان الدولة ثم قبض عليه سلطان الدولة وقتله سنة ٤٠٦ . (٢) تولى الوزارة لسلطان الدولة البويهى سنة ٤٠٦ بعد قتل نحر الملك ثم ولي العراق لسلطان الدولة سنة ٤٠٩ ثم غضب عليه ، انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٩ (٣) فى الأصل : اشترك

المخاطبات عن أبي الحسن بن الفرات

أولادُ المقتدر بالله : أطال الله بقاء الأمير . والدعاء عدة سطور . والترجمة : ،
عبدّه ، عليّ بن محمد ، بغير كنية .

السيدة أم المقتدر بالله : مثلُ ذلك .

الخالة : أطال الله بقاء الخالة .

والدعاء عدة سطور . والترجمة : للخالة أطال الله بقاءها . من عليّ بن محمد .

أولاد المعتضد بالله والمكتفي بالله : أطال الله بقاءك ياسيدي . والدعاء عدة سطور
والترجمة : لأبي فلان ، بأجل دعاء ، من علي بن محمد .

ثمل وزيدان القهرماتان : أطال الله بقاءك . ويُتمّه بثلاثة سطور دعاء .
والعنوان : لثمل أو لزيدان القهرمانة ، من أبي الحسن . ثمزاد زيدان خاصّة : يا أختي .

نصر بن أحمد^(١) صاحب خراسان ، وثلاثة أسطر هي : أطال الله بقاءك ، وأدام
عزك وتأييدك ، وسعادتك وكرامتك ، وسلامتك وعافيتك ، وأتم نعمته عليك ، وزاد
في إحسانه إليك ، وفضله لديك ، وجميل مواهبه عندك ، وجزيل قسّمه لك ، وجعلني
من كل سوء ومكروه فداك ، وقدمني قبلك . والفصول : أدام الله عزك . وفي آخر
الكتاب : فإن رأيت ... والعنوان : لأبي فلان ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده
وسعادته وسلامته ونعمته . من علي بن محمد - بلا كنية - .

مؤنس المظفر^(٢) : أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته وإحسانه

(١) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر ولي بعد
قتل أبيه سنة ٣٠١ وعمره ثمان سنوات وتوفي سنة ٣٣١ انظر ابن الأثير حوادث ٣٠١ .

(٢) قتل سنة ٣٢١ قتله الخليفة الفاهر بالله وقد كان من كبار القواد ولقب بالمظفر سنة ٣٠٩
لقبه الخليفة المقتدر وأنشأ بذلك الكتب عنه إلى أمراء النواحي ، انظر المنتظم ١٥٩/٦ حوادث
سنة ٣٠٩ .

إليك . العنوان : لأبي الحسن أطال الله بقاءه ، من أبي الحسن .

أبو القاسم نصر الحاجب ^(١) وأبو القاسم يوسف ^(٢) بن داود ابن أبي الساج لما
جُعت له أعمال أرمينية وأذربيجان والرى وقزوين وزنجان وأبهر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان :

لأبي القاسم أدام الله عزه نصر الحاجب مولى أمير المؤمنين ، من أبي الحسن .

شفيع اللؤلؤى وشفيع المقتدرى وبشر الشرابى وبدر الحرمى ومفلح الأسود ^(٣)

وهارون بن غريب الخال ^(٤) وأحمد بن بدر العم ونازوك وياقوت ^(٥) : أعزك الله وأطال

بقاءك ، وأكرمك وأتم نعمته عليك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله . من

أبي الحسن .

فلان مولى أمير المؤمنين ، أمير الشام وأجنادها ، والمسمى ، ومن يتقلد فارس

وكرمان ، وصيف البكتمرى - وهو يتقلد جند قنسرين والعواصم وأنطاكية - ونجح

الطولونى . أمير أصبهان ، ومن يتقلد الموصل وقردى وبزبدى وديار ربيعة : أعزك الله

ومدّ فى عمرك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام

الله كرامته .

من يتقلد ديار ربيعة وديار مضر مفردا ، وأمراء الثغور الشامية ، والثغور الجزرية ،

محمد بن أحمد بن بدر العم ، وأمير واسط ، محمد بن عبد الله الفارقى ، أمير البصرة ،

وأحمد بن هلال صاحب عمان ، أمير همدان وماء البصرة وماء الكوفة والإيفارين ،

غريب الجلى ، وغريب الكبير ، وأبناء رائق وفريد إذا لم يكونوا ولاية :

(١) كان حاجباً للمقتدر توفى سنة ٣١٦ انظر المنتظم ٦/٢٢٠ .

(٢) انظر عنه ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وما بعدها وقتل سنة ٣١٥ .

(٣) كل هؤلاء من العلما الذين صاروا قادة وأصحاب سلطان .

(٤) هو ابن خال الخليفة المقتدر وقتل سنة ٣٢٢ (٥) قتل سنة ٣٢٤ .

مد الله في عمرك وأكرمك ، وأنتم نعمته عليكم وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله .

أمير الرحبة وهيت وعاملها ، وعمال المشرق ، وأمير ماسبذان ، ومهرجا نقذق ، أمير الطيب وقرقوب وجوخى ، المسمى صاحب أيدج والبنيان وواسط والزموم : أكرمك الله وأبقاك ، وأنتم نعمته عليكم ، وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله .

عبد الله بن حمدان ، وجعفر بن ورقاء ، ومن يجرى مجراها إذا لم يكونوا ولاية : مد الله في عمرك ، وأنتم نعمته عليكم وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته .

ولباقي القواد : أكرمه الله .

صاحب اليمن والতির ومكران ، والمتقلد الكوفة وأعمالها : أكرمك الله ومد في عمرك ، وأنتم نعمته عليكم وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله . أبو أحمد الحسن ابن الوزير : أطل الله بقاءك . وتمام سطرين . العنوان : لأبي أحمد أطل الله بقاءه وأدام عزه وتأيبه وسعاده .

وباقى الولد بمثل ما يدعى لمونس^(١) إلا ابن دولة الأصغر فإنه كان يكتب على العنوان : لأبي عليّ أبقاه الله طويلا في عافية وسلامة .

وكذلك كان يكتب عبيد الله بن سليمان إلى القاسم ابنه إلى أن استخلفه على الوزارة .

(١) لعلها محرفة عن الحسن لأن الكلام يدل على أنه يكتب لبقية أولاده مثله إلا ابن دولة الأصغر فإن خطابه كان مغايرا لإخوته .

أصحاب الدواوين

ثلاث طبقات

الطبقة الأولى : مثل شفيح المقتدرى وطبقته

الطبقة الثانية : مثل المسمى وطبقته

الطبقة الثالثة : مثل عامل ديار ربيعة

العمال

عامل مصر مثل أميرها ، عامل الشام مثل أميرها ، عامل فارس مثل أميرها ،
عامل أصفهان مثل أميرها ، عامل البصرة مثل أميرها ، عامل الثغور مثل أميرها ،
عامل الأهواز إذا اجتمعت أعمالها مثل عامل فارس ، عامل الري مثل عامل أصفهان .
فأما حامد بن العباس فكان يُجرى في الدعاء يُجرى أمير الشام وعاملها ، إلى أن
أرْفَقَ ابنَ الخوارى وأمَّ موسى القهرمانه وأصحاب الدواوين مالا جليلا فأُلْحِقَ
بصاحب مصر ، ودعاؤه : أدام الله عزك وأطال بقاءك وأكرمك وأتم نعمته عليك
وإحسانه إليك . العنوان : لأبي محمد أطل الله عزه حامد بن العباس . من أبي الحسن ^(١) .

القضاة

أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وأبو عمر محمد بن يوسف : أعزك
الله وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان أدام الله
كرامته فلان بن فلان ، من أبي الحسن .

(١) في الأصل لأبي محمد أطل الله عزه من أبي الحسن حامد بن العباس .

أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ، وأبو عبد الله الحسين بن إسماعيل
الحاملي : مد الله في عمرك وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك .
العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان . من أبي الحسن .

أبو عبد الله بن أبي موسى وأبو الحسين عمر بن الحسن الأشثاني - وإليها إذ ذاك
القضاء في نواحي جليّة وهما مقيمان بالحضرة - وأبو طالب بن البهلول قاضي مصر إذا
كان واحداً ، والقاضي بفارس ، والقاضي بالأهواز إذا اجتمعت له أعمالها ، والقاضي
بأصبهان والقاضي بالري : مد الله في عمرك وأكرمك وأتم نعمته عليك وأدامها لك .
العنوان : لأبي فلان ، أكرمه الله فلان بن فلان . من أبي الحسن .

قاضي الجبل سوى الريّ وقاضي مهرجا نقذق وماسبذان وقاضي واسط ومن
يُجرى مجراهم : أكرمك الله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان
أبقاه الله فلان بن فلان .

فأما قضاة طساسيج السواد إذا فرقت طشوجاً طشوجاً : حفظك الله وأبقاك
وأمتع بك . والعنوان : لأبي فلان حفظه الله . ومن الجانب الآخر : فلان بن فلان .
أصحاب المظالم والحسبة وأسواق الرقيق والعيار والمواريث على طبقتين . الطبقة
الأولى : من يتولى مصر والأهواز أو فارس أو الريّ وأعمالها وأصبهان ، وخطابهم :
أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان ، أبقاه الله
فلان بن فلان من أبي الحسن .

الطبقة الثانية : باقي الحسبة والمطالبين : حفظك الله تعالى وأمتع بك .
عامل طساسيج السواد ، وعامل المستغلات بالحضرة ، وعامل الجوالي بها ،
وعامل سوق الغنم ، وعامل دار البطيخ والقطن : مثل الحسبة ، إلا ابن بطحا مُحْتَسِب
الحضرة وسوق الرقيق خاصّة فإنه يُجرى مجرى الطبقة الأولى :

الذَّرَاع^(١) والمهندسون - إذا اجتمع لواحد منهم أعمال كثيرة - فخطابهم :
حفظك الله وأبقاك ، وأتمتع بك . وإذا كانوا ذا عمل واحد : حفظك الله وعافاك .
والعنوان : لأبي فلان أكرمهم الله . وَيُبَيِّضُ الْجَانِبَ الْآخَرَ .
المستحون ؛ يُدْعَى لَهُمْ مِثْلَ مَا يُدْعَى لِلذَّرَاعِ^(٢) الْجَلِيلِ .
التجار المتبايعون للغلات : عافانا الله وإياك من سوء . والعنوان : إلى فلان
ابن فلان ، بغير كنية .

المنفقون في الإعطاء - إذا جُمِعَت لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ أَعْمَالٌ مِثْلُ مِصْرٍ أَوْ أَعْمَالِ الشَّامِ
كُلِّهَا أَوْ الْأَهْوَازِ أَوْ فَارِسَ أَوْ الرِّيَّ أَوْ الْجَبَلِ أَوْ أَصْفَهَانَ - فخطابهم : أكرمك الله
وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان أبقاه الله فلان بن
فلان . من أبي الحسن .

وإذا كان إليهم ما دون ذلك : فأبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك .
والعنوان : لأبي فلان حفظه الله ، فلان بن فلان ، من الجانب الآخر^(٣) .

يوسف بن فحاس ، وهارون بن عمران وزكريا بن يوحنا وجهابذة الحضرة ،
يوقع إليهم توقيع : أبقاك الله . وعلى رأسه : أبو فلان فلان بن فلان أبقاه الله .
صاحب ديوان البريد والخراطة ، مثل الطبقة الثالثة من كتاب الدواوين ، وإذا
تقلد البريد على الوزير وأصحاب الدواوين قائد أو خادم ، وانفرد بذلك دون
غيره مما هو أجل منه ، كُتِبَ : أعزك الله وأطال بقاءك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك
وإحسانه إليك .

(١) الذراع جمع ذراع وهو الذي يذرع أى يقيس .

(٢) في الأصل : الذراع .

(٣) أى يكون فلات بن فلان من الجانب الآخر .

فأما أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيَّات الخرائطي فكان يتولَّى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريد وحده ثلاثين سنة ، وكان يكتب : مد الله في عمرك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك .

أصحاب البرد وسائر النواحي

الطبقة الأولى ممن يتقلد الأعمال الجليلة : أكرمك الله ، ومدني عمرك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان فلان بن فلان ، أكرمه الله ، من أبي الحسن .

والطبقة الثانية منهم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك .

والطبقة الثالثة : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك .

وعلى مثل ذلك يكتب أصحاب الخرائط في النواحي .

وأصحاب الوزير الذين من قبلك : أبقاك الله .

وحدث أبو علي بن هبتي القنَّائي قال . كان بشر بن علي كاتب حامد صديقاً لي ولأبي يعقوب أخي . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في الدفعة الثالثة ، واستعرت الدنيا ناراً يشرَّ ابنه الحسن ، وتسَلَّطه وتَبَسَّطه ، طلب بشراً وأبا محمد بن عينونة في جملة من طلبه ، وتبعه وكبس عليه ^(١) واستقصى في أمره . فأما بشر فإنه أخذ لنفسه عند القبض على حامد صاحبه بأن استتر وأخفى نفسه [و] شخصه . وأما ابن عينونة فإنه حصل عندي حُصولاً لم أعلم أخي به خوفاً من أن يحلَّف فيدلَّ عليه . وانفق أن كتب أخي إلى بشر رُقعةً ضمَّنها كلَّ إرجافٍ وفُضولٍ وما اطلع

(١) كبس عليه أي هاجم المنازل بحثاً عنه .

عليه من تَقَرُّرِ الأمرِ لأبي القاسم الخاقاني وقُرْبِ تَقْلِيدِهِ إِيَّاهُ ، وأنه قد أَحْكَمَ له ما يُرِيدُ منه . وأجابه بشر في تضاعيفها بما شا كل الابتداء من غير تحفُّظٍ ولا تحوُّزٍ ، فاختلطت الرُقعة بين يَدَيَّ أخى بمكائباتٍ وحُسبانٍ صِغَتِهِ وغير ذلك مما لا فِكْرَ فيه .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن محمد أخو أبي إبراهيم موسى بن محمد - وكان يتولى نصيبين - إلى الحسن بما قال فيه : إن أردت ابنَ عِينونة وعبدَ الرحمن بن عيسى ابن داود فهما عند ابن القنَّائى . فما شعر أبى وأخى فى يوم الأحد النحس إلا بمريبٍ خادمِ الحسن قد كبسهما فى جماعةٍ من الرِّجَالِ ، وقتل جميعَ الدور والحجر والبيوت ، ولم يُبقَ غايةً إلا بلغها فى الاستقصاء والاحتياط . فلما لم ير أحداً عدل إلى ما كان بين أيديهما من رِقاعٍ وحساب ، فجمعه وحمله إلى الحسن ، وفى جلته رقعةٌ بشرٍ المشتمةُ على العجائب . ورأى أخى ذلك ، فمات فى جلده ، ولم يَقْصِدْ دارى أحدٌ اكتفاءً بما جرى على دار أبى وأخى ، وعَلِمَ ابنُ عِينونة ، وكان فى الوقت سكراناً لافْضَلَ فيه لحركة .

فحدثنى أبو منصور فرخان شاه صِهْرُنَا قال : كان خبرُ الرقعة عندى ، وقد علمتُ أنها حَصَلَتْ فى جُمْلَةٍ ما أخذه مُريبٌ من الرقاع التى بين يدي أبى يعقوب . فأنا على مِثْلِ النار للإشفاق عليه منها ، ولم أزل أمشى خلف مُريبٍ وهو متابِّطٌ لِمَا أخذه إذ أنسلت الرقعةُ بعينها بتفضل الله جل وعز من بين سائر الكتب والرقاع ، وسقطت إلى الأرض ولم يشعر مُريبٌ بها ، وأخذتها أنا وبادرت إلى مُستَراح وطرحتها فيه ، وهدأت نفسى عند ذلك . قال أبو على بن هبنتى : ومضى أبى وأخى مع مريبٍ إلى الحسن ، ووقفَ على الكتب والرقاع وقرأها ، فما وجد شيئاً أنكره وخاطبهما بالجميل والاعتذار ، وعرفهما السبب الذى من أجله أنفذ إليهما . وكتب

الوزير أبو الحسن أبوه يُنكر عليه ما فعل ، وانصرفا مكرمين ، وزالت البلية
للمخوفة بانسال تلك الرقعة من بين الرقاع المأخوذة ، والله الحمد والمنة .

وحدث أبو عليّ قال : خرج إلىّ في يوم من أيام وزارة أبي الحسن عليّ بن
الفرات الأخيرة - وقد ابتدأ الحسنُ ابنه في مصادرة الناس وقتلهم ، وقتلَ أحمد بن
حماد الموصلى وغيره - سعيدٌ وعبدُ الله ابنا الفرخان ، وأنا في ديوانها ، فقالا لي :
كنا الساعة مع الوزير في أمرٍ طريف . قلت : فما هو ؟ قالا : قال لنا : عمل
أبو معشر^(١) موالدي ، وحكم فيه بأشياء عظيمة صحت كلها وقال : إنّ عليّ في سنة
سبعين من عرى نكبة عظيمة يكون سببها بعضٌ ولدي وأنا في السبعين . وقد
دخل هذا الفتى - أعني الحسنَ ولده - من مكاره الناس فيما نسالُ الله السلامة
من عاقبته . قلت لها : فأى شيء قلتما له ؟ قالا : ما قلنا له شيئاً . قلت : قد غشّماه ،
فإنه كان يجب أن تُشير عليه بقبض يده وصرّفه ، وأن يستعمل من الخير ما يُقرّبه
إلى الله وإلى الناس . قالا : لم نجسّر على أن نواجه بهذا الرأي ، ولكنّ أباك
مُتمكّن منه ، فقل له حتى يُشير عليه به . فقلت : أبى لا يُنكّب بنكبتة ، وأتما
أولى بالإشفاق عليه ، وعلى نفوسكما . قال أبو عليّ : وكنت قد حصّلت طالع
وقت نظره ومولد الحسن ابنه . فجعلت أنظر فيهما وأسير الكواكب منهما حتى
عرفت من ذلك يوم نكبتة ، وصرّت إلى أبي بشر بن فرجويه قبل ذلك بخمسة
عشر يوماً فذكرته له ونبهته عليه ، وحذرتة من أن يقع كما وقع في الدفعة الوسطى .
فقال لي : ما أصنع وأنا منوط بهذه الأعمال التي ترى . وبماذا أحتجّ على صاحبي ؟
قلت : تعالّ وتأخّر . قال : لا يتم لي ذلك إلّا بأمره . قلت : فالله الله أن تحكي
له مما عرّفْتُكَ إياه شيئاً ؛ فإنه يقبّح مواجّهته به . ولكن اذكّر ما عليه الناس من

(١) هو الفلكي المشهور جعفر بن محمد الذي تنسب إليه الطوابع مات سنة ٢٧٢ انظر ابن خلكان .

الإرجاف ، وما يُتحدَّثُ به من كَوْنٍ ^(١) الاختلاط ، وما جرى عليك حين أخذت من المكروه الغليظ في جسمك ، وأنت تخاف أن يَحْقُقَ مثله فتتلف وتستأذنه في التعاليل والتأخر . فإني أأزم الديوان مع خليفتك أبي محمد المادرائي ولا أفارقه حتى يقضى الله بما هو قاض . قال : نعم .

واجتمعنا من غدٍ فخلا معي وقال لي : جاريتُ الوزير ما جرى بيننا على جهته فقال لي : من قال لك هذا ؟ فإنه قد صدق فيه وأصاب ، ونصح لك في الرأي ، لأن أبا معشر حكم في مولدي بنكبة مَرِيحِيَّةٍ في سنة سبعين ، وهذه سنة سبعين ، وقد بقي من الأيام إلى الوقت الذي قاله أبو معشر كذا وكذا يوما . قلت : فلان . قال : قد سرَّني أن كان في هذه المنزلة من الصَّنَاعَةِ ، فأقبل ما أشار به ولا تخالفه ، فأنا ماضٍ الآن لأستتر ، فالزم أنت الديوان ولا تُخَلِّ به ، ومن سألك عنى عرفه أننى عليل حتى تنظر ما يكون . قلت : استخِر الله .

ثم مضى واستتر أيا ما ، ثم لم أشعر به إلا وقد حضر الديوان ، فسألته عن سبب حضوره مع قرب المدة . قال : أرجو ألا يكون لما حكمت به وحذرت منه أصل ، ومتى تطاول انقطاعي عن صاحبي لم آمن فسادَه علىَّ

فما مضت - شهد الله - خمسة أيام حتى قبض على ابن الفرات ، وكان تقديرى له أن ينكب في يوم الاثنين ، فنكب في يوم الثلاثاء بعد يوم التقدير ، وحصل في الحبس ، وأقلت أبو بشر . فحدثني الموكل - كان - ابن الفرات قال : مكث أيا ما كاسِفَ البال شديد الإشفاق ، حتى إذا كان يوم ضُرِبَتْ فيه عنقه جَزِعَ جزعا شديدا وقال لي : ويحك ، جاء الوزير اليوم ؟ قلت : لا . قال : أرجو الله وأتوكل عليه . فسألته عن قصته . قال : قد حكم لي أبو معشر في مولدي أنني متى سلمتُ

(١) كون هنا مصدر لكان التامة أى من وجود الاختلاط .

في هذا اليوم انحسرتِ الحنة عني ، وزالت المخافة عني ، وتجددت لي حالة جميلة ،
فأنا قلقٌ إلى أن يتصوّرَ النهار . فما زال على هذه الصورة حتى سمع الحركة
وأصوات الرجال والغلمان . فقال لي . ما الخبر ؟ قلت . الأمير نازوك قد حضر .
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبتُ ^(١) والله . ولم يكن بأسرع من أن دخل
عليه فضربتُ عنقه .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : تظلم إلى ابن الفرات في وزارته رجلٌ من
أهل السواد من بعض العُمال . وذكر أن ضيعته قطيعة ^(٢) ، ورثمها قديم ، وأنه
قد عومل فيها على معاملة الإستان ^(٣) ، وسأل إنصافه وإزالة الظلم عنه ، وحمله على
رثمه ، وكتب إليه رقعة في هذا المعنى ، فوقع عليها بإخراج الحال ^(٤) . فأخرج
من ديوان السواد خرجٌ حكى فيه : أنه رُجع إلى جماعة ^(٥) العامل للسنة
الماضية فوجد في التخرج : قد أُجريت فيها البيدرُ الذي تظلم لأجله على
معاملة الإستان ^(٦) .

فلما عرّض ذلك على أبي الحسن عرّفه وجوب الحجة عليه ، وأن العامل
لم يتحقق فيما فعله .

وأقام على الظلامة ، وأن غلته لم تُقسَم في السنة الماضية إلا على مُقاسمة

(١) قد تكون معرفة أيضا عن : دعيت .

(٢) قطيعة : منحة وهبت له .

(٣) أي معاملة أهل الإقليم أو الضريبة المختصة بأهل الإقليم .

(٤) يعني إخراج الملف الخاص بها ومعرفة ضرائبها .

(٥) الجماعة لعله يراد بها هنا : الكشوف .

(٦) أي وجد أنها قد عوملت للمعاملة المختصة بأهل الإقليم ، من العام السابق .

القطائع^(١) . وكان يُكثر من الحضور في أيام جلوسه للظالم ، ويُعوّد التظلم ، ويقف له في الطريق ، ويسأله تَأْمَلْ أَمْرِهِ والتقرُّبَ إلى الله تعالى بإنصافه . فلما أَلَحَّ وألحفَ تقدم إلى أحمد بن يزيد المدير بأن يُخَصِّرَهُ جماعة^(٢) العامل لينظرَ فيها بنفسه . فأحضره إياها ، وتأملها وتبَّعها ، وحسبَ مبلغ ما يَجِيءُ من الغلَّة في سائر أعمال الناحية على أن تلك الغلة جارية في معاملة الإستان - ومبلغ ما يجب فيها على رسم القطائع^(٣) ، ووجد الحيلة قد وقعت من بعض أعداء أصحاب الضيعة في حكِّ مَوْضِع رَسْمها في القطائع وإثباته في الإستان^(٤) . فاستدعى صاحبها وأعلمه بالصورة ، وأن الذي أراد الإساءة به وإفسادَ معاملته لم يُحْسِنِ التَّأَنِّي^(٥) لذلك ، لأنه اقتصر على إصلاح موضع قِسْمَةِ الغلَّة دون تَتَبُّع مواضع الحُجْل ، وأن رَسْمه صحيح لا شبهة فيه . فشكره ودعا له ، وسأله الكِتَابَ إلى العامل بإجرائه على رسمه في القطائع . فتقدَّم به . ثم عرفه أنه يَتَخَوَّفُ أن يُنْبِتَ في ديوان الناحية مأجِل من غلِّها على غير الرسم الصحيح ، وسأله التوقيع بإطلاقه له وردَّه عليه . فوَقَّعَ له بذلك ، وكان الرجل يدعو لابن الفرات ويقول : أُمِّي وزير يتفرغ لي حتى يتبع جُحْل الجماعة^(٦) من أولها إلى آخرها ، ويَحْصُل ارتفاع الناحية بأسرها حتى يظهرَ له موضع الحيلة على ؟

وكان عُبيد الله بن الحسن النرسي رفع جَمَاعَتَهُ لأعمال السَّيْب الأعلى لسنة اثنتين

(١) يعني أنه أصر على أن خواجه في العام السابق لم يكن إلا على نظام ضرائب الأرض المقطعة وليس كما قبل من أنه عومل معاملة أهل الإقليم .

(٢) جماعة العامل يريد بها كشف العامل .

(٣) يعني أنه حسبها على فرض ضريبتها باعتبار معاملتها كعاملة أهل الإقليم وحسبها على فرض ضريبتها باعتبارها أنها إقطاع .

(٤) المراد أنه تبين له أنها كسُطت من موضعها الذي كانت فيه وأُنْبِتت في الحساب الآخر الذي هو معاملة أهل الإقليم .

(٥) التَّأَنِّي : الحيلة والقصد لها .

(٦) لعله يراد بجمل الجماعة : كل الكشوف .

وثمانين ومائتين إلى ديوان الخراج ، فنظر فيها أحمد بن محمد الهرج الكاتب ، وعمل لها معاملة تحصيل ، فوجد بقايا المعاملة شديدة الاضطراب ، فقابل بها الجماعة ولم يجد فيها خطأ ، فقال : لا بد أن يكون لهذا الاضطراب سبب ، وتتبع مواضع الجمل التي تقتضيها معاملة التحصيل ، فكان قد عقد جملة النفقات في المعاملة بألف دينار^(١) ، وأرج^(٢) النفقات التي عقد منها تلك الجملة ، فعجزت ألفا وثلاثمائة دينار . وأخرج الباب إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكانت إليه خلافة أبي العباس أحمد بن محمد أخيه على ديوان الخراج ، فاحضر أحمد بن إبراهيم ابن أفلح العكبري كاتب النسي ، ووقفه على ذلك ، فلم تكن له حجة فيه ، وعرف النسي ماجرى ، فلأم كاتبه وقال له : لا بد من أن تقف على دستور الجماعة وأقابلك عليه . وكان النسي عاملاً كاتباً فيما بالحساب ، وتقابلا ، فوجد النسي أحمد بن إبراهيم كاتبه قد أغفل عند التحرير الاحتساب بألف وثلاثمائة دينار انصرفت في النفقة على بئق^(٣) بالسبب الأعلى . فصار إلى أبي الحسن بن الفرات ووقفه على موضع السهو من الكاتب ، وأعطاه رفع الداريج^(٤) بالنفقة ، فلم يقبل أبو الحسن ذلك منه . ثم استظهر^(٥) بالرجوع إلى مارفع من هذه الجملة إلى مجالس الأصل والجماعة والسودان ، فكانت النسخة واحدة ، وقد أغفل إيراد هذه النفقة في كل منها ، فألزمه المسأل كمالاً^(٦) ، ولم يلتفت إلى ما أحضره إياه من رفع الداريج . وهذا حق في حكم الكتابة لا يدفع .

(١) أي استظهر واستخلص جملة المعاملة فوجدها ألف دينار .

(٢) أرج يراد بها وزن النفقات بما استخلصه فوجد عجزاً قدره ألف وثلاثمائة دينار .

(٣) البئق : الشق في جسر النهر لفيض منه الماء .

(٤) لعله يراد به أنه أعطاه البيان الذي أدرجت فيه نفقة البئق أو أن الداريج هو التمتع والمراجع للأعمال ورفع الداريج يراد به تقريره الذي رفعه .

(٥) استظهر : استعان

(٦) كمالاً : كاملاً أو كله .

وكان أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كتب إلى الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن - وهو يتولى له أعمال البصرة - كتاباً عدّد فيه آثاره ، وذكر أنه قد عقد صدقات أراضى العرب بالبصرة لسنة ثلاث وتسعين ومائتين بمائة ألف وعشرة آلاف دينار ، وأن غيره عقد ذلك لسنة اثنتين وتسعين ومائتين سنة وتسعين ألف دينار . وأخرج الكتاب إلى ديوان الخراج ، فنظر بعض كتّاب المجالس فيه ، ورجع إلى مواقفه أبي الحسن بن أبي البغل لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فوجدها مرفوعة لعشرة أشهر من هذه السنة ، وقد أورد فيها من مال الصدقات نيّفاً وثمانين ألف دينار . ثم كتّب بعد ذلك بما ارتفع إلى وقت انقطاع العرب ، فكان تَمَمَة تسعين ألف دينارٍ ونيّف . ونظر في جماعته لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فكان ما عقده من ارتفاع مال الصدقة في أرض العرب مثل ذلك ، واتفق ما أوجبه المواقفه وتضمّنته الكتب الواردة . وأخرج في ذلك خراجاً إلى ابن الفرات . وكان ابن الفرات يقصد ابن أبي البغل ، ويتّبع عثراته ، ويبدى مساوئيه ، لميله - كان - إلى أبي الحسن علي بن عيسى وعمّه أبي عبد الله محمد بن داود، ومحمد بن عبدون ، وانحرافه عن ابني الفرات .

فلما وقف أبو الحسن بن الفرات على ما أخرجه الكتّاب . دعا بالجماعة والكتّاب ، وقابل على ما ذكر في الباب ، فوجده صحيحاً لا شبهة فيه . والتمس من ابن عمر خازن الديوان كتاب ابن أبي البغل بالتقدير لسنة ثلاث وتسعين ومائتين وكلّ كتاب له يتضمن التقدير . فحَمَلَ إليه ثلاثة كتب في ذلك قد أورد فيها آثاره ، وزيادة تقدير مال الصدقة لسنة ثلاث وتسعين ومائتين على عبرتها^(١) لسنة اثنتين وتسعين ومائتين . فلما قرأ ابن الفرات الكتب أمره بتحرير الخراج وإنفاذه إلى

(١) لعلها يراد بها على مقدار حسابها .

الوزير أبي أحمد . فلما قرأه الوزير أمر بمطالبة ابن أبي البغل بالمال ، وكتب إليه فيه كتابا طويلا مُحَمَلًا في الديوان ، فأجاب عنه بأن الارتفاع - الذي ذكره في كتبه الوزير بالتقدير ، ونسبه إلى العبرة لسنة اثنتين وتسعين ومائتين في الصدقة بأراضي العرب بالبصرة - هو مع ارتفاع الشعيبي والولدي ، وأن الكاتب غلط في النقل ونسب جميع المال إلى الصدقة ، وأنه إذا تَوَمَّل ارتفاع الشعيبي والولدي وَجِدَ ستة آلاف دينار وهو قَدْرُ الْخَلَافِ .

وكتب إلى أصحابه المائتين إليه بِنُسْخَةٍ جوابه ليعرفوا الصورة فيه ويعارضوا ابن الفرات في مجلس الوزير أبي أحمد بما أورده من حُجَّتِهِ . وكان الوزير أبو أحمد أيضاً على عناية بابن أبي البغل شديدة . فلما وَقَفَ على الكتاب خاطب ابن الفرات في ذلك بحضرة الكُتَّاب فقال : الآن وجب المالُ - أيد الله الوزير - وَلَزِمَهُ الخروجُ منه ، لأنه اعترف بصحة ما أُخْرِجَ ، وادَّعى السهو الذي لا يُقبل من العمال بعد نفوذ كتبهم بالارتفاع ورفعهم حساباتهم به إلى الديوان . وَضَحِكَ من المعارضين له وَضَحِكَ مُتَعَجِّبٍ منهم . وقال : ما ظننتُ أن أحدا يذهبُ عليه هذا الموضعُ أو يلحقه منه شكٌ . فَوَرَدَ على القوم ما حَيَّرَهُم وأدهشهم وقطعهم . وأمر الوزير حينئذ بإتخاذ الرنداق^(١) إلى ابن أبي البغل لمطالبته بالمال ، وذلك بعد أن أحضر ابن الفرات الكُتُبَ والجماعات ، وواقف الوزير والكُتَّاب واعترفوا بكون الحق معه . وانحدر الرنداقُ إلى البصرة ، وحمل ابن أبي البغل من داره إلى ديوان البلدي وأقامه على ساق^(٢) وعامله وخاطبه بما زاد فيه على ما أمر به ، ولم يبرح حتى أخرج ابن أبي البغل المالَ إلى مجلس العطاء ، وأطلق للجند وأورد جماعة سنة

(١) الرنداق لعله يشبه كلمة الرسول .

(٢) أقامه على ساق : أى على شدة ، من قولهم : قامت الحرب على ساق .

ثلاث وتسعين ومائتين منسوباً إلى وجهه ، وهو من العين ستة آلاف دينار وكسرة.

وكان أبو الحسن بن الفرات في وزارته الأولى قلّد نصر بن عليّ برّاز الرّوز والبنْدَ نِجَين من أعمال طريق خراسان . فلما رفع الحساب بذلك إلى ديوان الخراج أخرج الكتاب عليه أنه احتسب في الجارى برُبع العُشر في الارتفاع وأوجه عن ستمائة ألف درهم ، ونظر في جماعته وما أورده فيها فوجد المال خمسمائة وسبعين ألف درهم . وأخرج عليه التفاوت بين المبلغين وهو ثلاثون ألف درهم . وأجمع الكتاب على مناظرته ومواقفته ، فضجّ وقال : قد رضيت بحكم الوزير ، طالعوه بالصورة ، وأنفذوا إليه المؤامرة ، وكان متخلّياً في دار حرّمه . فضحك وأمر بإيصال الجماعة إليه ، وأصحاب المجلس يومئذ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني ، وأبو منصور عبد الله بن جبير ، وأبو الحسين الصقر بن محمد ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن سهل ، فدخلوا معهم نصر بن عليّ فقال له ابنُ الفرات : ويلك يا نصر ، علمت لنفسك مؤامرة ، مَنْ كانت أخذك بذكر الارتفاع ؟ ولم لم تقبض جارئك وتمسك عنه ؟ قال : أخطأت أيها الوزير . فقال : خطأك ^(١) يُلزِمك المال . ثم ألزمه ربع العشر في الثلاثين وأخذ خطّه به .

وكان من طريف ما أخرج علي نصر أيضاً أنه كتب عند تقلّده برّاز الرّوز والبنْدَ نِجَين فذكر أنه وُجد في بعض البيوت من غلّة السنة الماضية نحو من مائة كُرٍّ ^(٢) بالمعدّل حنطةً وشعيراً . ثم أورد في حسابه ستين كُرّاً ، فأوجب عليه التّمة . فقال ^(٣) : إنما كتبت : بنحو مائة كُرٍّ . ورَضِيَ بحكم الوزير أبي الحسن .

(١) الخطاء : هو الخطأ .

(٢) السكر : مكّال يقارب أربعين إردبا .

(٣) في الأصل الطبوع : وقال إنما كتبت « بفتح التاء للمخاطب » .

فأنفذ الكتابُ الخَرَجَ بذلك إلى حضرته . فوقَّع بخطه : النَّحْوُ : من واحدٍ إلى تسعة ، فإذا تجاوز للعشرة لم يَحْزُ أن يُقال فيه : نحو .

فلما وَقَفُوا على ذلك وضعوا عنه عشرة أكرار ، وألزموه ثلاثين كَرًّا حنطة وشعيرا . وكان أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي يتقلد المَسْرُفانَ من أعمال الأهواز في وزارة أبي أحمد العباس بن الحسن ، فعَمِلَتْ له مؤامرةٌ عُرِضَتْ على أبي الحسن ابن القرات ، فلم يكن فيها - على ما ذُكِرَ - بابٌ واحدٌ يَظْهَرُ وجوبه ، وأُخْرِجَ في باب المرافق ما جَرَتْ العادة بالتأوُّلِ فيه . فقال أبو الحسن : هذا لا يُخْرِجُ مثله كُتَّابُ الحضرة إذ كان رَجْمًا ^(١) لا يقوم على مثله بَيِّنَةٌ . وحضره المظفر بن المبارك القمِّي بعد مُدِيدَةِ قَرْيَةٍ ، وقد كانت له ضَيْعَةٌ بالأهواز قد باعها على أبي الحسن ابن القرات ، فاستدعى منه حِسَابَ وكيِّله فيها لِيَسْتَدِلَّ منه على رُسُومها ومعاملاتها ، وجاء به في بعض العشايا ، فقرأه . ووجده للسنة التي كان الحسن بن محمد الكرخي مُقَلِّدًا فيها . وقد احتسب الوكيلُ فيه نحوَ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، ونسبها إلى الحسن بن محمد وعَمَّالِهِ وخُلَفَائِهِ على سبيل المَرْفُقِ : فأنفذ في الوقت من أحضر الحسن بن محمد الكرخي وأحمد بن محمد بن سهل والصقر بن محمد وعبيد الله بن محمد الكلوزاني ، فحضرُوا ، ووجدوه يَتَمَيَّزُ غِيظًا ، ودعا بالمؤامرة التي كانت عُهِلَتْ للكرخي فاطَّرَحَهَا ، وأَقْلَّ المبالاةَ بها ، وأخذ في مناظرته على ما أُخْرِجَ من المرافق ، فاحتجَّ بما يَحْتَجُّ به مثله في ذلك ، وعرض عليه وعلى الكُتَّابِ حِسَابَ ابن المبارك القمِّي وقال له : يا عدو الله يا خائن ، يا لص ، تأخذ من ضَيْعَةٍ واحدة ورجُلٍ واحد خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ مَرْفِقًا وتَقْدِرُهَا نِصْفُ ارْتِفَاعِهِ ! فكَمْ أَخَذْتَ من أهل الكورة ؟ وما أحتاج أن أنظر في غير هذا . فَبُهِتَ الحسن وَوَرَدَ عليه ما لم يَكُنْ في حسابه :

(١) رجما : تخمينًا .

ثم قال : قد أخطأتُ، وأنا بين يديك . فأخذ خطه طائفاً - بعد أن قبِلَ يده مراراً - بسبعة آلاف دينار ، فأدَّى من ذلك خمسة آلاف دينار . ثم استشفع على ^(١) ابنِ الفراتِ ، وعَرَفَه سوءَ حاله وقصورَ يده ، فسأحه بالبقية ، وردَّ خطه عليه ، وقلَّده بابلَ وخطَرُ نِيَّةَ .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : حدثني أبي قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات يُكْرِمان عبيد الله ^(٢) بن عبد الله بن طاهر ويعرفان حقَّه وقُدُمته ^(٣) . فبعث إليه أبو الحسن في بعض الأيام مع أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن رشيد الكاتب بجملةٍ وافرة ، وخطَّه رسالةً جميلةً يَعِدُهُ فيها بما يتلو ذلك ويتبعه من مراعاته وتقديره . قال ابن رشيد : فأوصلتُ المحمولَ إليه ، وأوردت القول معه عليه . فشكرتُ ثم شكر ، ثم قال فيه أبلغ قول ، وكتب إليه :

أَيَا دِيكَ عِنْدِي مُعْظَمَاتٌ جَلِيلٌ طَوَالُ الْمَدَى ، شُكْرِي لَهْنٌ قَصِيرٌ
لَنْ كُنْتَ عَنْ شُكْرِي غَنِيًّا فَإِنِّي إِلَى شُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَنِي لَفَقِيرٌ

قال : فقلت له : هذا - أعز الله الأمير - حَسَنٌ . قال : أحسنُ منه ما سَرَقْتُهُ منه ^(٤) . فقلت له : إن رأيتَ أن تعرفنيه فافعل . قال : حديثان حَدَّثَنَا بهما أبو الصلت المهرؤى بخراسان عن أبي الحسن الرضا ^(٥) عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْرَعُ الذُّنُوبِ عِقُوبَةً كُفْرَانُ

(١) استشفع عليه بإنسان : استعان به عليه ليشفع له عنده .

(٢) راجع ترجمته في ابن خلكان والمنتظم ١١٧/٦ توفي سنة ٣٠٠ .

(٣) المقدمة : السابقة في الأمر والتقدم .

(٤) يريد أن الذي أحسن من هذا الشعر هو القول الذي سرق معناه منه .

(٥) أبو الحسن الرضا هو علي بن موسى له ترجمة في ابن خلكان ومقاتل الطالبين ٥٦١ مات

في أيام المأمون وقيل مات مسموماً سنة ٢٠٣ .

التَّعْمَةُ» وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُؤْتَى بِعَبْدٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، لَمْ أَمْرْتُ بِي إِلَى النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : لَأَنْكَ لَمْ تَشْكُرْ نِعْمَتِي . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنْعَمْتَ بِكَذَا فَشَكَرْتُ بِكَذَا . فَلَا يَزَالُ يُخْصَى النَّعْمَ وَيُعَدُّ الشُّكْرَ . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقْتَ عَبْدِي ، إِلَّا أَنْكَ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ عَلَى يَدَيْهِ » .

وانصرف ابنُ رشيد بالخبر إلى أبي الحسن ، وهو في مجلس أبي العباس أخيه ، وعرفه ما جرى ، فاستحسن أبو العباس الحكايةَ عن عبيد الله ، وبعث إليه بصلاةٍ أوفرَ من صلة أخيه على يدَيِ ابنِ رشيد . فَحَكَى أَنَّهُ لَمَّا أُوصِلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ سُرَّ سرورا شديدا وكتب إلى أبي العباس :

شُكْرِي لَكَ مَعْقُودٌ بِإِيمَانِي حُكْمٌ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عَقْدُ ضَمِيرٍ وَفَمٍ نَاطِقٍ وَفِعْلُ أَعْضَاءٍ وَأَرْكَانٍ

قال : فقلت : هذا أحسن من الأول . فقال : أحسن منه ما سَرَقْتَهُ مِنْهُ . قلت : وما هو ؟ قال : حدثني أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم ^(١) عن الصادق ^(٢) عن الباقر ^(٣) عن السَّجَّاد ^(٤) عن السَّيِّدِ ^(٥) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ » .

(١) راجع ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد ٣٢/١٣ ومقاتل الطالبين ٤٩٩ توفي سنة ١٨٣ أو سنة ١٨٦ كما في مروج الذهب .
(٢) ترجمته في ابن خلكان وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب مات سنة ١٤٨ .
(٣) هو محمد بن علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان مات سنة ١١٣ .
(٤) المراد به علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان ، مات سنة ٩٤ .
(٥) المراد به الحسين بن علي بن أبي طالب .

وعدتُ إلى أبي العباس فعرّفته ما ذكره عبيد الله فاستحسنه . واتفق أن حضر المجلس ابنُ راهويه الفقيه وكان متبهما بالنصب ^(١) فقال: ما هذا الإسناد ؟ فقال له ابن رشيد : هذا سَعُوطُ الشيلثا الذي إذا سَعِطَ به المجنون برأ .

قال أبو القاسم بن زنجي : قال لي أبو جعفر محمد بن القاسم بن الكرخي : قال لي أبو القاسم بن محمد : ما حضرتُ مجلسَ رئيسٍ قطُّ إلا ووعدتني نفسي بالقيام بما يقوم به والزيادة عليه إلا أبا العباس بن الفرات ، فإنني كنت أعلم من نفسي القصور عما يقوم به ، لبراعته في كل حال ، واستقلاله بالعظيم من الأعمال .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : كان عبد الله بن الحسن النرسي وإخوته يتقلّدون عِدَّةَ نواحٍ من سقْرِ الفرات ، فاستقصى عليهم أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في المعاملة استقصاءً غلظَ عليهم ، وتخوَّفُوها معه ، وعدّوا إلى استخصامهما ومظاهرة أعدائهما ومساعدتهم عليهما ، وأقبلوا يذكرونها ويذكرون مافي أيديهما من الضياع ، وما يتحصّل لهما من الارتفاع . فتقدم أبو العباس إلى أبي الحسن أخيه أن يعملَ لما يتقلّدونه من الأعمال عملاً ، ويُخْرِجَ ما يلزمهم من مرودود الجارى والاحتسابات الباطلة ، ولا يَحْتَسِبَ لهم إلا بالواجب الصحيح ، ويرجعَ إلى ما كتبَ به أصحابُ البردِ والأخبار فيما وصل إليهم من الأموال والاستثناء على مُبتاعى القلّاتِ . فعمل ذلك وجوّده ، وأحضره أبو العباس ، فوجده يشتمل على ثلاثمائة ألف دينار ، فاستحسنه ووافقه على أن يجعله في الديوان ، فأتى وقتٌ أنكرَ أحدُ من النرسيين أمراً أظهره . ولم يمض إلا أيامٌ يسيرةً حتى بلغ أبا العباس اجتماعهم مع محمد بن داود ومحمد بن عبدون وإفاضتهم في ذكره وذكر أخيه أبي الحسن ، وأنهم قد جمعوها على مخاطبة أبي القاسم عبيد الله بن سليمان في بابهما ، وأن يضمنّا له عنهم مالاً وافرّاً من ضياعهما ، ولم يزالا بهما إلى أن خاطبا عبيد الله في ذلك . وواجهوا أبا العباس

(١) النصّب يراد به المعادة لعلّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

وأبا الحسن بِذِكْرِ الضمان ، فثبت أبو العباس وأقلَّ الحفلَ بهم ، وقال لعبيد الله :
هذا كلامٌ فارغٌ لا محصولَ له ، وتشنيعٌ باطلٌ لاحقيقةً لشيءٍ منه ، وإنما دعاهم
إليه الاستقصاء في المعاملة ، وعليهم - أيها الوزير - ما اقتطعوه من أصول الأموال ،
وسرقوه من الغلات ، وزادوه في الاحتسابات ، ثلاثمائة ألف دينار ، أنا أصحَّها
عليهم بالشواهد الظاهرة ، والدلائل الواضحة . فلما سمع ذلك عبيدُ الله خاف أن يتصل
خبرُ المجلس بالمعتضد بالله - رحمه الله عليه - فسلمهم إليه ومكَّنه منهم . ووجهُ
أبو العباس من وقته إلى دورهم من كبسها ، وحل ما كان فيها من الأعمال
والحسابات والكتب والرقاع . ونقلهم إلى ديوانه ، وأقبل يناظرهم على بابٍ بابٍ
مما أخرج عليهم ، حتى أخذ خطوطهم به ، وأحضرَ عبيدَ الله بن سليمان ذلك ،
فاستحسنه ، وطُلبوا بالمال فأدَّوه .

قال أبو عبد الله زنجي : وقد كان النرسی الأكبرُ عبدُ الله بن الحسن صارَ
إليَّ في بعض الأيام مُسلماً عليَّ ، ثم سألتني إجمال خِلافته ^(١) بحضرة أبي العباس
ابن الفرات ، وحفظَ غيبه ومراعاة ما يجري من ذِكره ، ووضع غلامه بين يديَّ
صُرَّة فيها ثلاثمائة دينار ، وتحتين ^(٢) فيها ثيابٌ ، وسأمتني قبُول ذلك فامتنعت ، وقال :
إني لا أكلفُك أن تكشفَ لي سرّاً لصاحبك ولكن تُشعِرني بما يجري من ذكرنا
فقط . فقلت : متى ضمنتُ لك هذا لم أفِ به ، ولكنني أحسنُ المنابَ عنك ، وأقضي
ما يعرِض من حوائجك ولا أعلمك ذلك ولا أمتنُّ به عليك . وأما هذا المحمولُ
فعلِّيَ وعلىَّ ، وحلفتُ يمينا غموساً ^(٣) إن قبلته على وجهٍ وسببٍ . فنهض وتركَه
بين يديَّ ، وتقدَّمتُ إلى بعض غلمانِي بأخذه وإتباعه به ، وردَّه عليه ، وحذَّرتُه من أن

(١) إجمال خِلافته لعلها تجميل حاله خلفاً عنه في ذلك أو هي معرفة عن إجمال حاله أي تجميل حاله وتحسينها .
(٢) التخت من معانيه خزانة الثياب .
(٣) اليمين الغموس هي الشديدة التي يتعمدها صاحبها أو هي التي لا كفارة لها .

يَرْجِعُ وهو معه ، فَأَبْطَأَ الْغَلَامُ طويلاً ، ثُمَّ عَادَ وَعَرَفَنِي أَنَّهُ لِحَقِّهِ ، وَقَدْ نَزَلَ فِي دَارِ
بَعْضِ الْوُجُوهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَلْطَفُ بِهِ إِلَى أَنْ تَقَدَّمَ إِلَى غَلَامِهِ بِأَخْذِهِ .

فَلَمَّا قَبِضَ ابْنَا الْفَرَاتِ عَلَى النَّرْسِيِّينَ ، وَأَخِذَ مَا كَانَ فِي مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
وَالْكَتَبِ وَحَمَلَ إِلَى دَارِهِمَا ، وَمَيَّزَاهُ ، وَجَدَا فِيهِ ثَبَتًا بِمَا بَرَّرَ بِهِ النَّرْسِيُّونَ أَسْبَابَهُمَا .
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَكُنْتُ جَالِسًا قَرِيبًا مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَمَعِيَ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَبُو نُوحٍ
عَبْدُ اللَّهِ وَعِيسَى ^(١) ابْنَا جَبْرِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ ، فَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ بِحَدِيثٍ قَدْ شَعَلَنِي
عَمَّا سِوَاهُ إِذْ وَقَعَ هَذَا الثَّبَتُ فِي يَدِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَأَخَذَهُ وَأَنْفَذَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ أَخِيهِ ،
وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، وَقَالَ : انْظُرْ فِيهِ هَلْ تَرَى اسْمًا لِصَاحِبِ الزَّايِ - يَرِيدُ زَنْجِي -
فَقَرَأَهُ وَتَأَمَّلَهُ ثُمَّ رَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا فِيهِ ذِكْرٌ لَهُ . فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ ثَانِيًا وَقَالَ : ارْزُدْ
تَنْظُرْكَ فِيهِ . فَأَعَادَ قِرَاءَتَهُ وَرَدَّهُ وَقَالَ : مَا لَهُ فِيهِ ذِكْرٌ . كُلُّ هَذَا وَلَا أَعْلَمُ صَاحِبَ الزَّايِ
مَنْ هُوَ ، حَتَّى قَالَ لِي أَبُو مَنْصُورِ بْنُ جَبْرِ : أَيُّهَا الْمَشْغُولُ بِالْحَدِيثِ قَدْ افْتُضِحَ الْيَوْمَ
الْمَخْلُوقُ غَيْرُكَ ، وَاسْوَدَّتِ الْوُجُوهُ وَابْيَضَّ وَجْهُكَ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا ؟ قَالَ . وَجَدَ فِيمَا
أُخِذَ مِنْ دُورِ النَّرْسِيِّينَ ثَبَتٌ بِمَا رَفَعُوهُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِ أَسْتَاذِنَا وَلَمْ يُوجَدْ
لَكَ فِيهِ ذِكْرٌ وَلَا اسْمٌ . لَحَدَّثْتُ اللَّهَ وَشَكَرْتُهُ عَلَى مَا وَقَفَنِي لَهُ . وَلَمَّا فَرَّغَ أَبُو الْعَبَّاسِ
دَعَانِي إِلَى حُجْرَةِ خَلْوَتِهِ ، فَدَخَلْتُ وَهُوَ جَالِسٌ ، وَمَعَهُ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ ، فَشَكَرَانِي
عَلَى خُرُوجِي مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ قَبْلِ بَرِّ النَّرْسِيِّينَ وَجَزْيَانِي خَيْرًا عَنْ حِفْظِ الْأَمَانَةِ ،
وَاسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَخَاطَبَانِي أَجْمَلَ خُطَابٍ وَوَعَدَانِي أَحْسَنَ وَعْدٍ ، وَحَلَفًا عَلَى أَنْتِي
قَدْ أَصْبَحْتَ لَدَيْهِمَا كَأَحَدِهِمَا . وَلَمْ تَزَلِ الْحَالُ تَزِيدُ مَعَهُمَا وَعِنْدَهُمَا إِلَى آخِرِ الْمُدَّةِ .
وَكَانَ النَّرْسِيُّونَ بِفَضْلِ عِدَاوَتِهِمْ لَهَا قَدْ تَوَصَّلُوا إِلَى بَرِّ كُتَّابِهِمَا وَخَزَائِنِهِمَا وَحُجَّابِهِمَا

(١) فِي الْأَصْلِ وَمَعِيَ أَبُو مَنْصُورٍ وَأَبُو نُوحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى ابْنَا جَبْرِ .

وغلمانها والفرّاشين والقهارمة في دورها ، وَمَنْ يَتَوَلَّى نَفَقَاتِ حُرَمِهَا ، حتى لا ينجى عليهم شيء من أمورهما في خلواتهما ولا مجالس أعمالهما .

وقال أبو القاسم بن زنجي : كان حامدُ بنُ العباس قد اعترف بأنَّ له قِبَلَ جماعةٍ من أهل واسط نحو ثلاثمائة ألف دينار ، منهم علي بن إسحاق وأبو أحمد بن المنتاب وابن شائدة وابن جناح وإسحاق بن شاهين . وكتب إليهم كتباً - بخطه - بتسليم ذلك إلى محمد بن علي البزوفري العايل - كان يومئذ على أكثر أعمال واسط - وأنفذ الوزيرُ أبو الحسن علي بنُ الفرات الكُتْبَ إلى محمد بن علي ، وأمره بأخذ المال من القوم وحمله . فكتب محمد بن علي يقول : إنهم أنكروا ما ادّعاء حامد عليهم وكتب بتسليمه منهم . ووقف الوزيرُ علي ذلك ، فعاظه ، وعظم عليه ، وظن أن غرض حامد - فيما كتب به - المدافعة والترئص ومضي الأيام بنفوذ الكتاب ورجوع الإجابة . قال أبو القاسم : وكان ورودُ هذا الجواب في يوم الجمعة ، وأنا جالس بحضرته ، فأعطانيه ومعه الكُتْبُ المردودة ، ورسم لي الدخول إلى حامد وأن أقفه على ماورد ، وأتبع ذلك بما تقتضيه الصورة من التحريك والغلظة في المخاطبة . فقامت ، ومشى بين يدي الغلام الموكِّل بالدار التي كان حامد فيها ، فلما أراد فتح بابها وكان مُقَفَّلاً سمع حامد صوت فتح القفل ، فارتاع ، وتَشَوَّف (١) ورآني ، فسكن لأنني كنت أكرمه وأعرف له حقَّ رئاسته وجليل فعله بنا ، وكان غيري ممن يدخل إليه يسئ عشْرته ، ويلقاه بالقبيح فيما يخاطبه به . فأقرأته كتاب البزوفري ، وأريته الكُتْبَ المردودة ، وعرفته ماوقع في نفس الوزير من أمرها ، وقلت : الصواب أن تكون الحال معمورة ، والمواعيد صحيحة ، لئلا يتمكن طاعن من طعن . فذكر أن المال قِبَلَ القوم على مبالغه التي كتب بها إلا ألف

(١) تشوف : نظر وتطلع .

دينار شكّ فيه . وذكر أنه قد كان كتب بدفعه إلى أحد غلمانه ، فإن كان أُطلق^(١) وُضِعَ من الجملة . وبذل إعادة المكاتبة وتأكيد القول على القوم مما لا يكون بعده مراجعة . فقبلت ذلك منه ، ووضع غلامى الدرّج^(٢) والدواة بين يديه ، وكتب إلى القوم بما استوفى الخطاب فيه . وأخذت الكتب وعدت إلى الوزير ، وابنه المحسن جالس على يساره - وكذلك كان يجلس - ووضعتها بحضرتة ، وعرفته أن حامدا أنكر مخالفة القوم وعظم عليه ردّهم الكتب ، وأعاد اليمين بحصول المال قبلهم ، وأنه قد جدّد مكاتبتهم بما لا يتأخر معه صحته من جهتهم : فقرأ الكتب ، وتقدّم بإجابة البرزوفرى عن كتابه ، وأمره بإحضارهم ، وقبض المال منهم ، وتحمله منفرداً عن مال الخراج . ففعلت ، وكتبت إليه بذلك ، وتأكدت فيه ، وعرضته عليه ، فقرأه وأمضاه ، ووقع فيه توقيعاً طويلاً يلزمه فيه المبادرة بالمال وترك تأخيريه أو قبول احتجاج في أمره ، وأمرنى بحتمه وإنفاذه في خريطة مُحَلَّقة^(٣) . وأصلحه صاحب الدواة في الخريطة ، وجاءنى بها فعنوتها وحلقتها بإحدى عشرة حلقة ، وأنفذتها إلى أبى مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان على ديوان البريد .

فلما خلا مجلس الوزير تقدّمتُ إليه وعرفته سراً أننى رأيت الشعر قد كثر على وجه حامد وذراعيه ، ولم أستجيز ستر ذلك عنه ، فأخذنى على مطالعته بذلك ، وأمر بإحضار الحسن المزين ، وكان فى الدار ، وتقدم إلى بذر الخادم الحرّمى بإحضار صينية المزين على مثل ما تقدّم عليه إليه . وأمر بإدخال الحسن المزين والصينية إلى حامد ، وتقدم عقيب هذا بإصلاح الحمام على أنه هو الداخل ، ثم استحضر أبا زكريا

(١) أطلق : دفع له

(٢) الدرّج : ما يكتب فيه .

(٣) المحلقة : التى فيها حلق والخريطة : وعاء من جلد أو غيره .

يحيى بن عبد الله الدقيق قهرمانه ، ورسم له بإحضار ثيابٍ تاختج^(١) وقصَّب^(٢) وديبق^(٣) وعماثم ليختار منها لحامد ما يصلح لخلعتين . فقال له يحيى : ليس في الخزانة إلا متاعُ حمله التجَّار وما قُطِعَ ثمنه معهم . فقال : هاتيه . فليس يلزمنا لهم أكثر من أن نُعطِيهم الثمنَ على سَوَمِهِم . فمضى وأحضر عِدَّةَ نُحُوتٍ اختير منها بحضرة ما يكفي لِمِبْطَنتين ودراعتين [من] تاختج وثوبان [من] دبيق لسراويلين وثوبان [من] قصب لقميصين وعمامتان [من] تاختج ، وأمره بإحضار الخياطين وألزمهم الفراغ عاجلاً من خِلعةٍ واحدةٍ ليلبسها حامدٌ عند الخروج من الحمام . فذكر أن من برَّسَ الدار من الخياطين تأخروا لأنه يومُ جمعة ، فأنكر ذلك وقال : برَّسَ الدار فوجانٍ أفتأخروا جميعاً ؟ والآن فاستدع من على الطريق من الخياطين حتى يفرغوا الساعة . وتفرَّق الرسلُ في طلب الخياطين إلى أن أحضروا جماعةً منهم ، وسلَّمت إليهم الثيابُ ، ولم يزل يُراعيهم إلى أن قاربوا الفراغ من خِلعةٍ واحدة . وتقدَّم إلى بعض الغلمان بإنذار حامدٍ بإصلاح الحمام . وأعلمه بذلك فدخله . وأمر الوزيرُ بِحَمَلِ الخِلعة التي فُرِغَ منها إليه ليلبسها عند خروجه ، فلما خرَّجَ قدِّمتُ إليه فامتنع من لبسها . وعرفَ الوزيرُ امتناعه فأنكره ، وتقدَّم إلى بالْمُضِيِّ إليه والرَّفْق به وإبلاغه رسالةً عنه في هذا المعنى ، ففعلتُ ولطُفتُ به في لبس الثياب فأبى وقال : ثيابي غيرُ محتاجةٍ إلى تغيير . وعادته فأقام على أمره . ووقع لي في الوقت تحوُّفه من حيلةٍ رَسِمَ عليه في أمرِ الثياب ، خلفتُ له على بُعدِ الحال من ذلك وقلتُ : أنا أدخلُ الحَمَّام وأُفِضَ على الماءِ ثم أخرج وأنتشفُ وألبس الثياب ثم أنزعها لتلبسها بعدى . وقلتُ : إن نية الوزير قد صلحت ، فلا تُفسدْها بما أنت عليه من

(١) نوع من الثياب كان يصنع في نيسابور .

(٢) نسبة إلى دبيق وكانت تصنع فيها ملابس فاخرة .

هذا الامتناع . فلان في القول ، وجددت اليمن فسكن ولبس الثياب ، وعدت إلى الوزير فعرفته ذلك فسر به . ثم تقدم بأن يحمل إليه صينية الطيب ويخوض كثير وماه وزد فأنفذت واستعمل منها ما أراد . وخفت من أن يعيد الوزير على ابنه المحسن ما جرى فيقع عنده أقبح موقع فتقدمت إليه وسألته ستر ذلك عنه . فتبسم وجعلني على ثقة ألا يكون لي فيه ذكر .

ثم عدت إلى موضعي من المجلس . فلما قعدت فيه سمعت أصوات الملاحين في طيار الحسن ، ثم اتصل ذلك بصعوده فحمدت الله تعالى على ما وقع لي من مخاطبة أبيه بما خاطبته به قبل حضوره . ثم خفت أن يجرى في عرض الحديث ذكر ذلك على غير عمد ، فبينما أنا على هذه الجملة ^(١) من الإشفاق إذ وافي أبو صالح مفلح الخادم الأسود برقة من المقتدر بالله - رحمه الله - ورسالة فاجتمعوا على السرار . وكتب الوزير أبو الحسن الجواب بخطه وعنوانه وختمه ، وسلمه إلى مفلح ، وقد نودي بالصلاة وقت المغرب ، وانصرف ، وانصرف المجلس في أثره . ولما عدت إلى منزلنا حدثت أبي بما جرى ، فاستصوب فغلى وقال لي : عرف الله تعالى نيتك فوقاك ما تخوفته .

وحدث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنباري زنجي قال : لما تقلد أبو الحسن علي بن محمد بن القرات الوزارة الأولى استدعاني واستدعى أبا علي محمد بن علي بن مقله ، وبدأ فدفع لي درجاً فيه ثبت الدواوين بالخضرة وأرزاقها ، وقال لي : اختر من ذلك ما تحب أن أقلدك إياه ، فأخذته وقرأته إلى آخره ، ثم أعدت نظري فيه لأنني كلما رأيت شيئاً تدبعت نفسي . فلما رأى ذلك قال : أنا أعرف منك بما تريده ، وقد قلدتك ديوان الدار ومكاتبه العمال بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري مع ذلك من أعمال

(١) لعلها أيضاً محرفة عن الحالة .

الحرمين وعمان وأذر بيحان وأرمينية وأصحاب الأطراف والأعمال الجارية بحضرتي،
وأجريت عليك في كل شهر خمسمائة دينار، فقدّر ما تحتاج إليه لكتّابك .
فقدّرت ذلك بتفصيل اشتملت مجلته على خمسة وتسعين ديناراً ، وتقدّم إلى أبي
على بن مقلّة بأن يوقع لي بذلك ، فوقع . ثم دفع الدرّج إلى أبي عليّ وقال له :
اختر منه ما تريد . فأخذه أبو عليّ ودفعه إلى وقال لي : أحب أن تختار لي . فنظرت
فلم أجد ما يصلح له أن يتقلّده إلا ديوانيّ الفصّ والخاتم ، وجاريهما في كل شهر
أربعمائة دينار ، فعرفته ذلك . وسأل الوزير تقليده إياها ، فتقدم إلى بالتوقيع له بهما ،
فوقعت . ثم قال لنا : إن بني وأهلي سيصرون إلىّ ويسألونني أن أقدّم بقية
هذه الأعمال ، فإن كان في نفوسكما أن تسألني بقية شيء منها مضافاً إلى ما قدّمكما
إياه فاذا كراه لأوقع لكما به . فشكرناه وعرفناه أن لاحتاجة بنا إلى زيادة عليه .
وتقدم إلىّ بأن أسبّب لنفسي وكتّابي بجاري شهرين على عمال الأهواز ، وأسبّب
لأبي عليّ بن مقلّة بمثل ذلك ، ففعلت ، وعرضت الكتب عليه ، فأمر بإخراج
نسختها إلى الديوان ، وضرّ بها بالعلامات ، وردّها إليه بعد ذلك . وجري الأمر
على هذا ، وأعيدت إليه ، فوقع فيها وأمر بختمها . وأحضر يوسف بن فنحاس الجهمي
اليهودي وكان جهيد الأهواز ، فقال له : إن هذه الحال وافت ولم يتأهب أصحابنا
لها ، وقد سببت أرزاقهم على مال الأهواز ، ولا بد أن تقدّم لهم مال شهرين .
فذكر كثرة الأموال التي ألزم تعجيلها من معاملة الأهواز ، وأنه لا يتمكن من غير
ذلك ، فلم يزلّ معه في مناظرة حتى استجاب إلى إطلاق جاري شهرٍ معجلاً في ذلك
اليوم . ثم أنفذت بشري غلامي معه لقبض المال منه ، وفعل أبو عليّ مثل فعليّ ،
وانصرفنا ، وفي منزل كل واحد منا ألف دراهم كثيرة . فتمعّجنا وتمعّج الناس

من حُسْنِ رِعايته ، وأنه لم يَبْدَأْ بأحدٍ قبلنا ، ولا شغلته الحال التي دُفِعَ إلى مُعاناتها عن افتقادِ أمورنا والعناية بمصالحنا .

وقال أبو القاسم بن زنجي : سمعت أبا الحسن بن القرات يقول في وزارته الثالثة في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة أنه أنفق على الدار التي كان ينزلها في ذلك الوقت - وفيها قُبُضَ عليه ، وهي دارُ سليمان بن وهب وموقعها في الحرم ، وفي يَدِ الحاجب الكبير أبي منصور سَبَكْتَكِينِ الآن شيءٌ منها ، وفي يد ابن لشكرون شيءٌ آخر ، وفي أيدي قوم من قَوَادِ الدَّيْلِ الباقي - ثلاثمائة ألف دينار . واشتهى في وزارته هذه أن يجمع حُرَمَهُ وبنات إخوته وأصاغِرَ وَلَدِهِ في الدار المعروفة بدار البستان ، من هذه الدار المعروفة [بدار] سليمان بن وهب ^(١) ، فتقدَّم بإصلاحها وتنظيفها وإنفاق ما يُحتاج إليه من تبيضها ، فبلغت النفقةُ خمسين ألفَ دينارٍ . وجلس وهم فيها يوماً واحداً ، ولم يعدْ بعد ذلك إلى الجلوس فيها معهم .

ومن أحاديث أبي العباس أحمد بن محمد أخى أبي الحسن في فضائله ما لا بأس بإيراده في عَرْضِ أخباره .

قال عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ^(٢) : حدثني بعض الكتاب قال : سمعت محمد بن عبدون يُحَدِّثُ في مجلسه قال : جاء ابن سمعان صاحبُ بَدْرٍ المعتضدى إلى أبي النجم بَدْرٍ وقال له : أيها الأميرُ ، أحدُ بنِ محمد بن القرات لا يزال يستخِفُّ بنا ، ويستَهينُ بِرُسُلنا ، وَيَجْبِهُهُمْ بِالْقَبِيحِ فيما يُوصِّلُونَهُ إِلَيْهِ ، وَيَعْرِضُونَهُ عَلَيْهِ من التوقعات بإقطاعاتك ، وهو عدُوٌّ مُكَاشِفٌ لهذه الدولة ، وصاحبُ إسماعيل بن بُكَيْل .

(١) يعنى أنه ينقلهم من الدار المعروفة بدار سليمان ويضعهم في الدار المعروفة بدار البستان .

(٢) هو الذى أكل كتاب التاريخ بعد أبيه أحمد بن أبي طاهر المعروف بأحمد بن طيفور ، انظر ترجمة عبيد الله في تاريخ بغداد .

فقال له بَدْرٌ : خذِ نَجْرِيْرًا وَاْمُضْ بِهِ إِلَى دِيْوَانِهِ وَجِئْنِي بِهِ . فُجَاءَهُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ :
أَمْسِطِرْهُ أَنْتَ عَلَى مَوْلَايَ أَمْ شَرِيكَ لَهُ ؟ يُقَطِّعُنِي الْإِقْطَاعَاتُ فَتَمْتَنِعُ مِنْهَا وَتَعْتَرِضُ
فِيهَا ! فَقَالَ لَهُ : اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَوْلِي ، فَإِنْ ثَبَتْتُ عَنْدَكَ حُجَّةٌ لِي فَخَفِّضْ مِنْ لَوْمِي
وَالْأَعْلَتَ بَعْدَهَا مَا رَأَيْتَ . أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ قِيَامَ الْمُلْكِ بِالْمَالِ ، وَأَنَّ الْجُنْدَ لَا يَسْمَعُونَ
وَلَا يُطِيعُونَ إِلَّا إِنْ أُعْطَاهُمْ ، وَإِنْ عَدِمُوا الْمَالَ كَانَ ذَلِكَ الدَّاعِيَةَ الْقَوِيَّةَ إِلَى ذَهَابِ
الْمُلْكِ وَسَمَكَ الدَّمَاءِ وَانْقِطَاعِ السُّبُلِ وَاتِّهَاكِ الْمَحَارِمِ . وَجَمِيعُ الْمَالِ فِي عُنُقِي وَعَلَى
فَإِذَا خَرَجْتَ الضِّيَاعُ مِنَ الْإِقْطَاعِ تَبِعَهَا الْخِرَاجُ فَتُحْيِيَّتِ الْحَقُوقُ ، وَأُضِيفَ إِلَى كُلِّ
نَاحِيَةٍ مَا يَجَاوِرُهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ مِمَّا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : صَدَقْتَ
يَا أَبَا الْعَبَّاسِ - أَيْدَكَ اللَّهُ - ارْتَفِعْ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي يَدِكَ . وَإِنَّمَا تَحْرُسُ بِهَذَا الْفِعْلِ
نِعْمَةً مَوْلَايَ مِنْ أَنْ تَزُولَ ، وَدَمَاءُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَكُلُّ مَنْ يَخَاطِبُنِي
فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ هَوَايَ وَلَا يَنْظُرُ فِي أَعْجَازِ^(١) الْأُمُورِ . أَخْضَرُونِي خِلَعًا . فَأَخْضَرَهَا
[فَتَنَحَّاهَا] أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَاحْتَبَسَهُ حَتَّى أَكَلَ عَنْدهُ وَقَدَّمَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَدَعَا بِطَبِيبٍ
طَبِيهِ بِهِ . فَلَمَّا أُخْضِرَتِ الْمِجْمَرَةُ قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِيَتَبَخَّرَ خَارِجَ الْمَجْلِسِ ، كَمَا كَانَ
أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ يَفْعَلُ وَهُوَ كَاتِبُهُ إِذَا أَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا . خَلَفَ بَدْرٌ أَنَّهُ لَا يَتَبَخَّرُ
إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَخَرَّهُ وَخَرَجَ ، فَأَمَرَ نَجْرِيْرًا وَابْنَ سَمْعَانَ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ إِلَى دِيْوَانِهِ عَلَى
سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، لَا تَرَى قَطُّ مِنِّي إِلَّا مَا تُنْجِبُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ
وَلَا تَجْرِي مِنِّي إِلَّا تَجْرِي الْأَخِي ، وَلَسْتُ أُورِدُ عَلَيْكَ تَوْقِيعًا بِإِقْطَاعٍ وَلَا ضِيعَةً بَعْدَ
هَذِهِ الدَّفْعَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوْنٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ بَدْرًا يَقُولُ
بَعْدَ خُرُوجِ ابْنِ الْقُرَاتِ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ نَجْرِيْرًا مَا دَامَ فِي كِتَابِهِ مِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ لَوْلَا
عَجَلَةٌ فِيهِ

قال أبو القاسم بن زنجي حدثني أبو عبد الله أبي قال : وافت رسالة أبي النجم بدر في ذلك اليوم إلى أبي العباس بن الفرات وأنا في الديوان بين يديه ، فَوَجِمَ لها كُلُّ مَنْ حضر سواه ، فإنه بادر إلى لبس ثيابه ، واستدعى دَوَابَّهُ ، وركب من وقته وسار إلى بدر . فعدّل به ابنُ سمعانَ إلى داره ، فأجلسه فيها ، وعرف أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان ذلك ، فقامت عليه القيامةُ منه ، وعظمت في نفسه الحالُ فيه ، وبادر إلى بدرٍ تخوفاً من أن يتَّصل بالمعتضد بالله فيُنكِرَهُ على بدرٍ ويَحْجِرِي ما يضيّق صدرًا به . ووصل عبيدُ الله إلى باب بدرٍ وسأل عن ابن العباس ، فعرف انصرافه مُكرماً إلى ديوانه ، فحين سمع ذلك أراد الرجوع قبل لقائه ، فاستقبّحه ، ودخل إليه . فابتدأ بدرٌ بالحديث ، ونسب الأثرَ عنده إلى أجهل وجوهه ، وأخذ عبيدُ الله في وصف ابن الفرات وتقرّظه ، وذِكر كِفايته وكتّابته فصدّقه بدرٌ . وقال : ما طننتُ على ما شاهدتهُ منه . ولا يزال السلطان بخيرٍ وأمره مستقيماً ، ما دام في أعوانه مثلُ هذا الرجل . ولما عرف بدرٌ أنَّ ابن سمعانَ أدخل أبا العباس إلى داره قبل أن يُطالعه بخبره أنكر ذلك عليه أشدَّ إنكار ، وأغلظ عليه القول فيه أتمَّ إغلاظ ، وتقدم إليه بالإذن له والدخول إلى بين يديه ، وكان فعلُ ابن سمعانَ ما فعله ممّا حلَّ ما كان في نفس بدرٍ وخفّفه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : كانت للمعتضد - رحمة الله عليه - جاريةٌ يتخطّاها يقال لها فريدة ، فأمر بإقطاعها ضياعاً بمالٍ حدّه وبين مبلّغه ، فصار كاتبها إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بتوقيع المعتضد بالله بذلك ، فقبله ووَقَعَ بامثاله ، واختار كاتبها ضياعاً وبساتين بأكناف مدينة السلام من الجانب الشرقي ، وعرض على عبيد الله بن سليمان الثبّت بذلك فوقّع بتسليمه . وصار الكاتبُ إلى أبي العباس بن الفرات به فقبّله ، وطالب بتسليم ما في الثبّت من

الضياع والبساتين فامتنع عليه وقال : هذه مواضع طَرَفِ أمير المؤمنين إذا ركب ولا يجوز أن يُقَطَّع لأحد . فأقام على المطالبة بتسليم ذلك إليه ، وأقام أبو العباس على منعه إياه . ومضى الكاتب إلى فريدة ، فأعاد عليها ما جرى شيئاً شيئاً وقال لها : مضيت إلى الوزير فعرضت عليه توقيع الخليفة بما أمر لك به والتسمية بما اخترته فقبل ووقع ، وصرتُ إلى ابن الفرات كاتبه فدفعتُ وقال . إنه لا يُسَلَّمُ إليك الضياع والبساتين . وجرى على من رَدَّه القبيح ما استحيتُ معه من كل من حضر عنده وهذا لا يُشبه محلك من الخليفة وموضعك من جميل رأيه . وأتبع هذا القول بما يُشاكله من الطعن على أبي العباس بن الفرات . فدخلتُ على المعتضد بالله وهي مُقَطَّبة كالسيف المُرَّهف ، وأعادت عليه قول الكاتب وقالت : وأى شيء ينفعني من عنايتك بي ومحلى منك إذا كان كاتبك يعارضك في أوامرك ولا يقبل توقيعك ؟ وسألته أن يوقع لها توقيعاً مجرداً بإمضاء الإقطاع على ما سُمِّيَ في الثبوت ، فقال لها : لست أتهم ابن الفرات في معرفته بحقك . ومن الحال أن يمنع كاتبك مما أَرَادَهُ إلا بِحُجَّةٍ تقوم له بالعذر ، فسَلِيهِ بأى شيء أحتجُّ عليه ، ولأى سبب منعه ، ليكون ما أوقعُ به بحسب ذلك . فاستعلمت الكاتب ، فذكر أنه قال له : هذه مواضع طرف أمير المؤمنين إذا ركب ، ولا يجوز أن يقع عليها إقطاع لأحد . فقال المعتضد بالله : قد صدق ابن الفرات وأحسن فيما فعل ، أَرَدِدِي كَاتِبَكَ إِلَيْهِ وَسَلِيهِ أَنْ يَخْتَارَ لَكَ بِمَا لَكَ ضِياعاً يَعُودُ عَلَيْكَ مِنْهَا مَا وَقَعْتُ بِهِ . فعاد الكاتب إليه برسالتها فاختار لها الضياع المعروفة بالقرى يدِّيَّاتٍ من بُزُرِ جَسَابُور ، وكتب بتسليمها إليها .

قال أبو القاسم : وهذا قريب من حديث حدثني به عمي أبو الطيب أحمد ابن إسماعيل فإنه قال : إن المعتضد بالله رحمه الله أقطع دُرَيْرَةَ حَظِيَّتَهُ التي قال فيها

على بن محمد بن بسام ما قال ^(١) إقطاعاً ، وَوَقَّعَ به توقيعاً تَسَلَّمَهُ كَاتِبُهَا وصار به إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، فوقَّع تحته بامثاله . ثم جاء إلى أبي العباس ابن الفرات ، فوقَّع بالعمل عليه ، وأنشأ الكتاب من حضرته بتسليم الإقطاع والتسكين منه ، عنايةً منه بأمرها ، وإيثاراً لاجتلاب شكرها . وأمر المدير بإدارته في الدواوين ، وإثباته ، وأخذ علامات الكتاب على رأسه وردَّه إلى حضرته من وقته ، ففَرَّغَ منه في نحو من ساعتين وسلمه أبو العباس إلى الكاتب وانصرف شاكراً . ومضى إلى أبي القاسم ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان الزَّمام ، فعرض عليه التوقيع والكتاب فقبل التوقيع وامتنع من إمضاء الكتاب ، وذكر أنه يحتاج إلى أن يُخْرَجَ إليه من ديوان الزمام عَيْنُ الإقطاع ليكون بما يُمَضِّيه على معرفة ويَبَيِّنُهُ . فالتمس منه توقيعاً إلى أبي أحمد ابن أخيه ، وكان خليفته على الديوان ، فوقَّع له بذلك ، ودفع التوقيع إلى أبي أحمد . فماطله ودافعه ، ولم يزل يتردد إليه وهو بعده ويُخْلِفُهُ ، وعاد إلى أبي القاسم ميمون مُتَعَدِّياً به على خليفته ، وشاكياً من مَطْلِهِ ومُدْأَفَعْتِهِ ، فقال له : لا يجوز إمضاء الكتاب إلا بعد الوقوف على العبرة ^(٢) من الديوان . وحمل الكاتب ما عرض بقلبه - من الضجر بوقوف أمره - على أن صار إلى دُرَيْرَةٍ وعَرَفَهَا الصورة ، وخاطبها بما بعثها فيه على مراجعة الخليفة ، فدخلت إليه ، وأعادت ما ذكره الكاتب عليه . ثم شكرت الوزير وذمَّت ميموناً

(١) في هامش المطبوع ما يأتي : جاء في حاشية : الذي قاله ابن بسام عند ما بي الخليفة لحظيته البجيرة :

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَةٍ وَتَخَلَّى بِالْبُحَيْرَةِ

قَاعِدًا يَضْرِبُ بِالطَّنْبُلِ عَلَى فَرْجِ دُرَيْرَةٍ

هذا وانظر معجم الأدباء ترجمة على بن محمد بن بسام ففيه هذا الشعر .

(٢) العبرة أملاً : المراجعة ومطابقة ما في الديوان على ما في الكتاب .

ابن إبراهيم ، واستدعت منه توقيعاً بإنكار ما كان منه ، وإمضاء إقطاعها على ما أمر به وأمضاء وزيره وصاحب ديوانه . فقال لها : الخطأ منك ومن كاتبك ، ولو كنتِ عملتِ ما يوجب الحزم ويقتضيه الصواب لراج أمرُكِ وعَمَلُكِ كتابكِ وتسَلَّمتِ إقطاعكِ ، ولكن كاتبكِ متخلفٌ لا يُحسِن التَّأْيِي لأمره ، ويُريد ما يُريده على شِدَّةٍ وصعوبة ، فقالت : يا مولاي ، وما كان الصواب ؟ قال : أن تبعثي إليه بكتاب وألطف كما يفعلُ الناس ، فإنكِ كنتِ تستغنين عن خطابي وخطاب وزيرى ، وكان ذلك أنفع لك وأعودُ في العاقبة عليك . قالت : يا مولاي ، فأحتاج إلى هذا مع موضعي منك وموقعي من عنايتكِ ؟ ! قال : إى والله إنكِ لاحتاجة إليه . فعدلت عما كانت عليه ، وبعثت إلى أبي القاسم ميموناً تحوُّناً فيها ثياباً فاخرة من قَصَبٍ ودَبِيقٍ ، وطيباً كثيراً ، وراسلته بإنكارها على الكاتبِ تقصيره في حقِّه وإغفاله ما وجب أن يُقدِّمه من ملاطفته وبرِّه ، وسألته إمضاء الكتاب بإقطاعها . فقبل ما أنفذته ، وأخذ الكتاب من يدِ الرسول ، وعلم عليه ، وسلم إليه خراجاً كان خليفته قد أخرجه ، واشتمل على عبرةٍ ثقيلة لا توجب إمضاء الإقطاع ، وعرفه إغضاه عن ذلك ومسامحته إياها بالفضل ^(١) ، واعتماده موافقتها بهذا الفعل . فأعادت على المعتضد بالله ما جرى ، فاستصوب ما كان منها وقال لها : هذا أنفع لك من عنايتي في هذا الوقت وفيما بعده .

وكان أبو القاسم ميمونٌ يفتخر على الكتَّاب بأنه أخذ مُصَانَعَةً بأمر الخليفة وأن ما فيهم من يتحسر على مثل ذلك .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال حدثني أبو الطيب أحمد بن إسماعيل عمي قال : مضيت في يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالترَّيَّا ، فبينما أنا أسير

(١) الفضل هنا : الزيادة .

إذ لحقني فارس فسأيرني ، وأقبل يُحدثني ويسألني عن اسمي وكُنيتي ومنزلي وصناعتی ، فلما ذكرت له مكاني مع أبي العباس بن القرات قال : كيف مذهبه في العمل ؟ قلت : أحسنُ مذهبٍ ، يستقصى حقوقَ سلطانِه ويستوفي مناظرةَ عمَّاله ، ويَجِدُ في استخراج أمواله . قال لي : فكيف يجري أمرُ هذا الوزير ؟ - يعني عبيد الله بن سليمان - فإنتي ما رأيت أشدَّ تخليطاً منه ، ولا أفضَّ من حُجَّابه ، ولا أكثر إخلافاً للمواعيد منه ، قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنِّي رجل من الفرسان قد أخرجتني رزقي ، وأحوجني إلى القدوم إلى الحضرة متظلماً منه ، وأنا أجتهد في أن يُطلق لي ما وجب من رزقي فليس يلتفت إليّ ، ولا يفكر فيّ ، وكما رفعت إليه رُقعة رُمي بها ، ومتى وصلتُ إليه لم يُخْرِجْ عليها توقيعٌ ، فقد احترقتُ وهلكتُ وذَهَبَتْ نفسي وطالت على بابه مُدَّتِي ، فكيف يُمكن هذا الرجل - وهو على ما وصفتُه لك - أن يعمل أعمالَ الخليفة ويُدَبِّرَ أمرَ مملكته ؟ قلت له : الذي نعرفه من مذهبه ومعرفته وكفايته غيرُ ما ذكرته عنه ، وما يدعُ شيئاً إلَّا نظر فيه ، ولا مظلوماً إلَّا أنصفه . قال : الذي يبلغني عنه أنه قد اضطلم الدنيا ، وأخذ الأموال لنفسه ، فألجند يتظلمون ، وحاشية الخليفة يشكون ، والنواحي خراب . فقلت : ما أحدث من الحاشية إلَّا وهو راضٍ ، والأموال كلها تُحمل إلى الحضرة وقد حَسَبَ لِلْعُمَّالِ أَرْزَاقَ الشَّحْنِ . والعِيارَةُ زائدة ، والأمور منتظمة . فقال : ما الآفة في جميع ما يجري إلَّا هذا الغلامُ الذي قد رفعه الخليفة ، وأعطاه مالا يستحقُّه وصيرَ الناسَ عبيداً وخوَّلاً له . قلت : ومن الغلام الذي تعنيه ؟ قال : بَذَرُ . وأقبل يُطعنُ عليه ، ويتكلَّمُ فيه . قلت : ما وَصَّعه الخليفة إلَّا موضعه ، والرجال حامدون له راضون برئاسته . ثم حوَّلَ وجهه فنظر إلى كوكبة^(١) عظيمة من الفرسان قد

(١) كوكبة : فرقة وجماعة .

أقبلت ، فحرك دابته ومضى . فلم يبعد حتى أقبل العسكر ، وجاء قوم يسألوني عن الخليفة هل رأيته ، وأين أخذ^(١) . فقلت لهم : ما رأيت الخليفة . قالوا : فهل مر بك فارس على دابة من صفته كذا ، وعليه من اللباس كذا وكذا ؟ قلت : نعم . قالوا : فأين مضى ؟ قلت : بين أيديكم ، فمن هو ؟ قالوا : المعتضد بالله . فوقف فيما لا ينادى وليده^(٢) ، وأقبلت أتدكر ما خاطبني به وأجبت عنه ، حذراً من أن يكون وقع خطأ مني أو طعن على إنسان ممن سألني عنه . وصرت إلى الديوان بالتريا ، وأنا لا أعقل عما . فأنا في تلك الحال إذ خرج عبيد الله بن سليمان من حضرة المعتضد بالله ، واستدعى أبا العباس بن الفرات ، وأعاد عليه كل ما جرى بيني وبين المعتضد بالله ، وأحد عنده ما كان مني في الإجابة عما سألني عنه ، وجزاني الخير . وخرج أبو العباس فاستدعاني ، وسألني عن حالي في طريق فأعدت عليه خبر الفارس وجميع ما جرى بيني وبينه ، فصدقني فيه . وقال : إن الوزير أعاد عليّ مثله . وأقبل يحمّد الله على حسن توفيقه إياي فيما خاطبته به . ثم أوصاني بالتحفظ فيما أخاطب به من يسأرنى . والاحتباس من زلل تقع فيه ، فصرت بعد ذلك لأمر في طريق إلا ومعى جماعة ، ومتى خاطبني إنسان تحرّرت منه غاية التحرّز .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله والدي قال : كنت يوماً بحضرة أبي العباس بن الفرات في الديوان في دار السلطان إذ جاءه خادم برسالة من المعتضد بالله - رحمه الله - يقول فيها : إنه قد زوج جارية في داره من^(٣) أحد غلمانه ،

(١) أين أخذ : أي طريق سلكه .

(٢) وقع فيما لا ينادى وليده . هو تعبير يراد به أنه وقع في أمر عظيم بحيث إن الشخص ينسى فيه ولده ولا يتذكر اسمه .

(٣) المرووف أن زوج تتعدى بنفسها أو بالياء قال تعالى : « وزوجناهم بحور عين » وقال تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » . واستعملت في العصور المتأخرة مع من

وأنفذ إليه ألف دينار أمره أن يتناع بها لهما جهازاً ، وأن يفرغ من جميعه في بقية يومه . فأجابه بالسمع والطاعة . ثم أمرني بإثبات جميع ما يُحتاج إليه ، فأثبتته ، ونظر فيه وزاد فيما أراد . ثم أحضر محمد بن عبد الوهاب وجماعة ممن يسكن إلى نهوضه وكفايته ، فأفرد كل واحد منهم بصنف يتناعه ، ودفع إليه من المال بقدر حاجته ، ووصاهم باختيار ما يتناعونه ، والاحتياط في ثمنه ، والمبادرة به إلى حضرته في الدار . ومضوا ، ولم يزل يرأعهم^(١) إلى أن انصرفوا إليه بعد العصر بما ابتاعوه ، فنظر إليه وارتضاه ، وقابل به الثبت الذي عمله فوجده قد انتظم جميعه . ثم تذكّر فقال : يُحتاج أن يكون مع ذلك كبريت وخرّاق وأحجار النار وسُرُج . وتقدم بإحضار ذلك فأحضر . وطلب الخادم ، فخرج وسلم إليه المتاع وثبتاً به ، وحمله الخادم ومن معه إلى حضرة المعتضد بالله . فلما عُرض عليه شاهده شيئاً شيئاً وقابل به الثبت ، فوافق أحمد المعتضد فعمل أبي العباس فيما تفقّده وقال : من راعى هذا الأمر هذه المراجعة حتى لم يُخل بشيء مما تدعو إليه الحاجة لحقيق بتدبير الملكة ، وموضع للاعتماد والتعويل . ووقع عنده ما كان منه ألطف موقع وأحسنه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : لما شَخَص أبو القاسم عبيد الله بن سليمان إلى الجبل مع بدر المعتضدي استخلف أبا الحسين القاسم ابنه على الوزارة وضاعت الأحوال على أبي الحسين ، واشتدت المطالبة بالاستحقاقات ، فدعته الضرورة إلى طلب مائتي ألف دينار من المعتضد بالله قرضاً إلى أن ترد الأموال فيرد عَوْضها . وخطبه في ذلك ، وسأله إسعافه . فأجابه إلى إطلاق ما استدعاه منه إن حضر أحمد بن محمد بن الفرات وضمن رده . فحملت القاسم الحاجة على أن سأل أبا العباس ضمان المال للمعتضد بالله ، فاستغفاه من لقائه ، وعرفه كراهية

(١) يرأعهم هنا يراد بها يرقب حضورهم .

الدخول إليه ، وكان القاسمُ لذلك أكره ، لكنَّ الضرورة دعته إلى ماخالف رأيه وإيناره فيه ، فأخذه معه ، واستأذن له على المعتضد بالله ، فأوصله . فلمسا مثل بين يديه استدناه وقرَّبه ، وأقبل يسأله عن نواحي السواد ، وما يرتفع منها ومن عبرها القديمة في الوقت الذي افتُتِحَتْ فيه . ثم تجاوز ذلك إلى نواحي البصرة ونواحي الأهواز ثم فارس وكرمان وسجستان وفرج بيت الذهب والقندهار والسند والهند والصين ، ثم نواحي خراسان والجل ، ثم نواحي الموصل وديار ربيعة ومضر وأجناد الشام ومصر والإسكندرية وما وراء ذلك من البلدان . وهو يُجيبه بارتفاع ناحية ناحية ، وفي أيام من فُتِحَتْ ، ويشرح له أحوالها ، فاستعظم المعتضدُ بالله ما شاهده وسمعه منه ، وأعجبه إعجاباً شديداً ، وأقبل عليه إقبالا كثيراً شق على أبي الحسين القاسم ، وندم معه على الجمع بينه وبينه . ثم سأل أبا العباس عما عنده في أمر المال الذي التمسهُ القاسمُ منه فعرَّفه صِدْقَ الحاجة إليه ، وضمَّنه رَدَّه إلى بيت مال الخاصة ، فضَمَّنَ له ذلك عند افتتاح الخراج واتساع الارتفاع ، فوَقَّعَ إلى صاحب بيت المال بإطلاقه ، ووقع إليه وإلى صاحب بيت مال العامة بالألَّا يَقْبَلَا توقيعاً للقاسم في شيء من المال إلا بعد أن يكون فيه توقيع أحمد بن محمد بن الفرات ، وأعلمه أن اعتماده في استيفاء الأموال وجمعها عليه لا يعرف فيها سواه . وانصرف القاسم كثيراً حزينا بما جرى ، ولم يَنْقُذْ له من بعد توقيع إطلاق مالٍ إلا ما يُوقَّعُ فيه أبو العباس .

وكتب القاسم إلى أبيه بصورة المجلس ، فكتب إلى أبي العباس يشكره على ما كان منه ، وإلى القاسم يُؤَيِّدُهُ وَيُعَنِّفُهُ على فعله ، وقال له في فصل من كتابه : كُنْتُ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّنَّ حَكَمْتُكَ ، وَالْأَيَّامُ قَدْ ثَقَّفَتْكَ ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُكَ بما ورد به .

ثم أتبع ذلك بالخطاب القبيح بما يشاكله ، وأعلمه أنه قد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه وعلى أبيه جناية لا يمكن تلافيتها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجار ويلتزم في ماله ومال أبيه قدر الرّبح فيه ولا يفعل ما فعله .

قال أبو القاسم : وسمعت جماعة من الكتاب يذكرون أن السواد لم يرتفع لأحد بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمثل ما ارتفع له إلا المعتضد بالله فإن أبا العباس أحمد بن محمد بن الفرات رفعه في أيامه ثلاثمائة ألف وأربعين ألف كُرٍّ شعيراً مُصَرَّفًا بالفالج ^(١) ، وباع الكُرِّين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين ديناراً ^(٢) فكان ثمن الأكرار أربعة آلاف ألف وثمانين ألف دينار ، وحصل من الخراج وأبواب المال أكثر من ألف ألف دينار ، فإذا أضيف إلى ذلك فضل الشروط والمقاطعات والإيفارات ، بلغت الجلمة ما حصل لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه .

قال أبو القاسم : وسمعت مشايخ الكتاب يقولون : إنه لم يجتمع في زمن من الأزمنة خليفة ووزير وصاحب ديوان وأمير جيش مثل المعتضد بالله وأبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبي العباس بن الفرات وبدر . فكان التدبير مع هؤلاء الأربعة مطّرداً ، والأمر منتظماً ، والعمارة وافرة الأموال دارّة ، حتى اجتمع في بيت المال - بعد النفقات الراتبية والحادثية وإطلاق الجارى للأولياء في سائر النواحي وجميع المرتقة بها وبالحصرة تسعة آلاف ألف دينار فاضلة عن جميع

(١) الفالج : مكبال ومصرفاً بالفالج : مباعاً مع كبله بهذا المكبال .

(٢) لا يكون هذا هو الثمن ولعل في السلام تحريفاً لأن النتيجة التي ذكرها لا تتفق إلا إذا باع الكرين بأربعة وعشرين ديناراً وبهذا يحصل الناتج أربعة ملايين وثمانين ألف دينار .

النفقات . وكان المعتضد بالله - رحمه الله - قد اعتقد أن يُتمها عشرة آلاف ألف دينار ، ثم يسبّكها ويجمعها نُقْرَةً^(١) واحدة وي طرحها على باب العامة ليبلغ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار ، وهو مستغن عنها ، فاخترمته^(٢) المنية ، قبل بلوغ الأمانة .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : تأخرت عن أبي العباس ابن الفرات في يوم جمعة ، وأقيمت عند بعض أهلي بالجانب الغربي ، وحضرته مغنيتان محستان فاندفعت إحداها وغنت^(٣) :

قَابَيْتُ بَيْنَ فِعَالِهَا وَجَمَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَفِي
وَاللّٰهُ لَا كَلَمْتُهَا وَلَوْ أَنَّهُ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَكْنَى
وَضَرَبَتْ الْآخَرَى وَغَنَّتْ :

يَا ذَا الَّذِي حَلَفَ الْعَشِيَّةَ جَاهِدًا أَلَّا يُكَلِّمَنِي فِعَالَ السُّرْفِ
قَدْ جُرْتُ فِيمَا كَانَ مِنْكَ وَإِنِّه لِيَزِيدَ قُبْحُ الْجُورِ عِنْدَ الْمُصِيفِ

قال : فاستحسنت أن أجابت الثانية الأولى بجواب في وزن الصوت وقافيته ومعناه . وصرت إلى أبي العباس بن الفرات من غدٍ ، وسألني عن سبب تأخري عنه ، فأعلمته إياه ، وحدثته حديث المغنيتين وما غنتا به ، فعجب منه ومضى إلى أبي الحسين القاسم بن عبيد الله فأخبره . فكانت سبيله فيه سبيله^(٤) وقد كان أبو العباس سألني عن قائل الشعر . فقلت : هو لعبد الله بن المعتز ، وحضر القاسم بحضرة المكنتي بالله ، فأعاد عليه الحديث فقال له : لمن الشعر ؟ فقال : لعبيد الله بن عبد الله

(١) النقرة من معانيها : القطعة المذابة من الذهب والفضة

(٢) اخترمته : أدركته وأخذته

(٣) انظر الديارات

(٤) يعني أنه تعجب كتعجب أبي العباس بن الفرات .

ابن طاهر . فقال : قد بلغني عنه خَلَّةٌ ^(١) ، فأَحِلَّ إليه ألف دينار ، وأعلمه أنني لا أخليه من مثله في كلِّ مُدَّة . وانصرف القاسم وعَرَفَ أبا العباس ماجرى ، وما حِلَّ إلى عبيد الله من الدنانير . قال أبو عبد الله : وأخبرني أبو العباس بما جرى فقلت : الشعر لعبد الله بن المعتز . فقال : قد أتاح الله لعبيد الله بن عبد الله الرُّزْقَ من حيث لم يحتسب ، وهذا مالا حيلة للمخلوقين فيه .

وحدث أبو القاسم عن أبيه أنه كان جالساً بحضرة أبي العباس بن القرات في يوم سبت وقد ابتدأ المطر ، وهو يريد المضيَّ إلى دار أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، إذ وردت عليه رقعةُ محمد بن إبراهيم بن الخصيب وفيها :

انْعَمُوا آلَ القَرَاتِ واشْرَبُوا بِالْبُكَرَاتِ
يومَ سَبْتٍ ورِذَاذٍ وجَوَارٍ مُحْسِنَاتِ
ماقرى ^(٢) كسرى أنوشِـرُ وانْ هَذَا فِي الصِّفَاتِ

فعمل على القعود ، وأضرب عن الركوب ، وبعث إلى محمد بن إبراهيم في الحضور ، واستدعى أبا الحسن أخاه ، ومرةً لنا أطيَّبُ يوم .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بخطه إلى أبي العباس أحمد ابن محمد بن القرات :

ياوَلَىَّ الإِمَامِ هَنَّاكَ اللهُ بِدَيْنِ الْهُدَى وشَهْرِ الصِّيَامِ
وبِكُلِّ الأعيادِ فِي الدِّينِ فاسْعَدْ أَمَدَ الدهرِ عَابِرَ الأَيَّامِ
عَالِيَا غَايَةَ الذُّرَى كَالِي ^(٣) الدِّينِ رَئِيسَا أَقْصَى مَدَى الإِحْرَامِ ^(٤)

(١) الخلة من معانيها الحاجة والفقر

(٢) هكذا في الأصل : وقرى الضيف : أضافه ، وقد تكونت الكلمة معرفة عن : مارأى أو ما درى أو هي : ما فرى أى ماصنع .

(٣) كالى الدين : حارسه

(٤) الإحرام : الدخول في حرمة لاهتك .

أَنْتَ قُطْبُ الدُّنْيَا تَدُورُ عَلَيْهِ مَا أُدِيرَتْ وَحَافِظُ الْإِسْلَامِ
 أَنْتَ بِالَّذِينَ فِي الزَّمَانِ مُهَيَّيٌّ وَلَهُ فِي يَدَيْكَ عَقْدُ الذَّمِّامِ
 وَتَهَيَّيْنَا وَأَعْيَادُهَا مِنْكَ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ وَالْإِحْتِكَامِ
 وَالْمَرَاقِي فِي الْمَجْدِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَأَعْلَى الْإِعْزَازِ وَالْإِكْرَامِ
 وَاتِّصَالِ الْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَى النَّاسِ وَشَفْعِ الْإِبْصَالِ بِالْإِنْعَامِ
 أَنْتَ عَنَّا كُلِّ مَجْدٍ وَتَارِيخِ الْعَالِي وَسَيِّدُ الْأَقْوَامِ
 حَارِسُ الْإِرْثِ وَالْخِلَافَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالذَّهْرِ كُلِّهِ وَالْأَنَامِ
 عِلْمُ الذَّهْرِ فَابْقِ فِيهِ تَجَاهًا عِلْمًا لِلنَّارِ وَالْأَعْلَامِ
 جَمَعَ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ وَمَأْمُورٍ لَوْ سُئِلَ وَنِعْمَةً لِلْهَمَامِ
 جَامِعًا لِلزُّوْجِ كُلِّ تَمَامٍ مِنْ أَقْصَى النَّبِيِّ بِكُلِّ دَوَامٍ
 ذَا دَعَايَ وَصَلْتَهُ بِنَائِي وَمُنَايَ انْتِظَمْتُهَا فِي نِظَامِ
 مُقْسِمًا بِالْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ وَالْإِخْلَاصِ وَالنُّصْحِ غَايَةَ الْإِقْسَامِ

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات
 يقول : كثر القول في حفظ أبي جعفر أحمد بن إسرائيل الكاتب الأنباري ،
 فأحب أخى أبو العباس أن يقف على صحة ذلك من بطلانه ، فضى إليه ،
 وأخذني معه ، ودخلنا داره ، وقصدنا مجلسه ، فوجدناه قد نهض منه يريد الزكوب ،
 فقال لي أخى : فاتنا كل ما قدرناه . وسلمنا عليه ومشينا معه . فبينما نحن
 في تلك الحال إذ جاءه خليفة لبعض العمال بكتاب ضخم من العامل الذى كان يخلفه ،
 فدفعه إليه ، وفضّه ، وأخذ الغلام طرفه ، وأقبل يهذه ^(١) عليه هذا سرّياً متصلاً
 حتى انتهى إلى آخره . ثم رمى به إلى الكاتب وقال له : وقع عليه بأن يحجب

بكذا وكذا . ومشى إلى الموضع الذى يركب منه وركب . فقال أخى : أعطى الله عهدا إن كان قرأ الكتاب أو درى ما فيه ، وإنما فعل ما فعله لِيُرِينَا أَنَّهُ قد قرأه وفهمه . وتقدم إلى بعض غلمانه بِطَلَبِ صاحب الدواة ، وبَذَلَ شَيْءَ له على إخراج الكتاب إلينا لنقرأه وَنَرُدَّه من وقته ، ففعل ذلك ، وجاءنا بالكتاب فقرأناه ، وقرأنا التوقيع عليه ، فوجدناه قد انتظم بسائر معانى الكتاب . فعلمنا أن الذى تُحَدِّث به عنه حقٌّ لا تَزِيدُ فيه .

وحدث أبو القاسم عن عبد الله أبيه قال : كان أبو العباس بن الفرات يَحْتَسِبُنِي عنده فى أيام خلوته للأُنس ، قال : فحضر عنده فى بعض الأيام عِدَّةٌ مغنّيات ، وغنت إحداهن لأبى العتاهية :

أَخِيَّ بِي شَجْوٍ وليس بكم شَجْوُ وكلُّ فتى من شَجْوٍ صاحبه خِلْوُ
رَأَيْتُ الهوى جَمَرَ الغضا غير أَنَّهُ على حرِّه فى حَلْقٍ ذائِقِهِ خِلْوُ
فقال أبو العباس : هذا خطأ ، وإنما يجب أن يكون الباردُ ضدَّ الحارِّ والخِلْوُ ضدَّ المرِّ . فقلت له : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : كان يقول :

غَدَوْتُ على شَجْوٍ وراح بِي الشَّجْوُ وكلُّ فتى من شَجْوٍ صاحبه خِلْوُ
وباكَرَنِي العُذَّالُ يَلْحُونُ ^(١) فى الهوى ومُرُّ الهوى فى حَلْقٍ ذائِقِهِ خِلْوُ
فلم يبق أحد من حضر إلَّا علم أن الذى قاله أحسن وأصوب .

وحدث أبو القاسم عن أبيه قال : تقدم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل إلى أبى عبد الله محمد بن غالب الأصفهاني ^(٢) أن يَكْتُبَ إلى العُمَلِ فى النواحي كُتُبًا يَدْعُوهم فيها إلى الاستكثار من العارة ، ويأمرهم بِمُطَالَبَةِ الرَّعِيَّةِ بِهَا ، فَكُتِبَ

(١) يلحون : يلومون ويعذلون .

(٢) كان يتقلد ديوان الرسائل ، وأوقع به القاسم بن عبيد الله ، انظر مروج الذهب : « ذكر جل من أخبر المكنى بالله » .

الْكُتُبَ وَأَحْضَرَهَا أَبَا الصَّقَرِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا وَتَرَكَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَرَاتِ ، فَدَفَعَهَا أَبُو الصَّقَرِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْهَا وَانْظُرْ مَا أَحْسَنَ مَا أَوْرَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . فَقَرَأَهَا ، وَوَجَدَهُ قَدْ افْتَتَحَهَا بِأَنْ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْفِيَهُمْ فِيهَا » ^(١) . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْأَزْدَرِاعِ إِلَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « كَرَزِعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » ^(٢) فَلَمَّا قَرَأَهَا أَدْرَجَهَا ^(٣) ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِيرَادِ شَيْءٍ فِي مَعْنَاهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الصَّقَرِ : مَا عِنْدَكَ فِيهَا ؟ وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا ، فَعَارَضَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَنْكَرْتَهُ ؟ قَالَ : ابْتَدَأَ بِأَنْ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْفِيَهُمْ فِيهَا . فَلَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا ^(٤) . ثُمَّ تَنَبَّأَ بِأَنْ جَعَلَ الْآيَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي نَبِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَثَلًا لِلزُّرْعِ ، وَهَذَا خِلَافُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ ، وَفَسَّرَهُ الْمَفْسُورُونَ . فَعَلِمَ أَبُو الصَّقَرِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا قَالَ ، وَكَلَّفَهُ كُتُبَ الْكُتُبِ مِنْ جِهَتِهِ ، وَدَفَعَ الْمَكْتُوبَةَ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ يَمْتَنِبُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَلَا أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَرَاتِ لِلشَّرْبِ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى ، فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْدارِ الْجَدِيدَةِ مِنْ دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ . وَحَضَرَتْ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِهِ ، وَحَضَرَ مِنَ الْغَنِيَّاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّائِرِ وَمِنْ وَرَائِهَا مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَأَحْضَرَتْ مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَهُ الْقِيَمَةُ الْوَاقِفَةُ .

(١) يَكْفِيَهُمْ : يَمْتَنِبُهُمْ .

(٢) سُورَةُ الْفَتْحِ الْآيَةُ ٢٩

(٣) أَدْرَجَهَا : طَوَّاهَا .

(٤) لَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا : أَيْ لِإِرَادَةِ أَوْ هِمَّةٍ .

يومَ حسنٍ طيّبٍ إلى وقت العصر، وإذا العباس الفرغاني حاجبه قد دخل وقال: يا سيّدنا، قد حضرت بدعة^(١) الكبيرة وهي في طيارها تستأذن للوصول. فأطرق مُفكراً ثم رفع رأسه وقال: ارفعوا ما هاهنا من الأواني. فرفع إلا قليلاً، ونهضت المغنيات اللواتي كنّ قدّام الستارة، وأمره بالإذن لها. فدخلت ووقفت بحضرته ثم تقدّمت وقبلت يده وقالت: بلغني أن سيدي الوزير قد نشط للشرب فحضرت للخدمة. فأمرها بالجلوس، وجلست وطلبت العود، فجاء به، وغنّت فجودت، واستحسن أبو الحسن ما أتت به، وطرب عليه وشرب. ثم أخذ رُبْع قِرطاسٍ كان في دواته، وكتب شيئاً وقطعه، ودفعه إلى وقرأته فكان:

إذا بدعة جودت عودها تدلّ في ضربها كل صعب
نفى فتجني ثمار القلوب وتهدي سرورا إلى كل قلب

فاستحسن ذلك، وكانت بدعة بالقرب مني. فقلت لها: اسمي إلى ما وصفك الوزير به. وأنشدتها البيتين، فسُرّت وفرحت، وقامت مسرعةً فقبلت يده ثم الأرض وعادت إلى موضعها وقالت: بالله يا سيدي إلا أعدت الشمر على حتى أحفظه، ففعلت وحفظته وأدارته في حلقها، وعملت له لحناً من وقتها، ثم ضربت وغنّته، فجاء في نهاية الحسن. ونشط أبو الحسن، وتقدّم برّد المجلس ومن كان فيه إلى ما كان عليه. ولم يزل ذلك الصوت صوتنا عليها بقيّة ليلتنا. فقال أبو القاسم: فقلت لأبي عبد الله أبي: فلم كره حضور بدعة وهي من آلة الشرب وموصوفة بالحدق في ذلك الوقت؟ قال لأنه كان يتهمها بنقل أخباره إلى المقتدر بالله رحمه الله.

قال أبو القاسم: وكان لأبي الحسن بن الفرات مطبخان في داره. فأما مطبخ

(١) لها ترجمة في المنتظم ١٢٩/٦ توفيت سنة ٣٠٢.

الخاصة الذي يُطبخ فيه فلا أحصى ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرتة . وأما مطبخ العامة المرسوم بما يُقدَّم إلى خلفاء الحُجَّاب المقيمين في الدار ويُعرف منه للرجالة والبوابين وأصاغر الكتَّاب وغللمان أصحاب الدوابين فكان يُستعمل فيه في كلِّ يوم تسعون رأساً من الغنم وثلاثون جدياً ومائتا قطعة دجاجاً سماناً وفراريج مُصدَّرة ، ومائتا قطعة دُرَّاجاً ، ومائتا قطعة فراخاً . وهناك خبازون يجزون الخبز السَّمِيدَ ^(١) ليلاً ونهاراً ، وقوم يعملون الحلواء عملاً متصلاً ، ودار كبيرة للشراب . وفيها ما ذيان ^(٢) يجعل فيه الماء المبرد ويُطرح في الثلج كدراً ، ويُسقى منه جميع من يريد الشُّرب ، الرجالة والفرسان والأعوان والخزَّان ومن يجزى تجزى هذم الطبقة من الأنباع والغللمان ، ومُزَمَّلات ^(٣) فيها الماء الشديد البرد . ويرسم خزانة الشراب خدماً نظافاً ، عليهم الثياب الدقيقية السَّريَّة ^(٤) ، وفي يد كلِّ واحد منهم قدح فيه سَكَنَجِين ^(٥) أو جَلَّاب ^(٦) ومخوض ^(٧) وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يترك أحد من يحضر الدار من القواد والخدم السلطائين والكتَّاب والعمَّال إلا عرضوا ذلك عليه . وفي جانب الدار أدراج ^(٨) كثيرة لأصحاب الخوامج والمتظاهرين حتى لا يلتزم أحد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك ، وأنصاف قراطيس وأثاث .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو الفضل بن الحجاج النحوي

-
- (١) الخبز السَّمِيد : ما كان من الدقيق الأبيض .
 - (٢) الماذايان : الأنوبة ولعلها تشبه « الزمزية » .
 - (٣) المزملات : الجرار والخوابي جمع مزملة .
 - (٤) السرية : الجيدة .
 - (٥) السكنجين : من نوع الشراب .
 - (٦) الجلاب : العسل أو السكر يعقد بماء الورد .
 - (٧) المخوض لعله أداة للغرف .
 - (٨) الأدراج هنا جمع درج : وهو ما يكتب فيه .

يكثّر الجلوس إلى جانبي في دار أبي العباس أحمد بن محمد بن الفرات يحادثني ، فاتفق أن جالس يوماً على رسمه ، واستمددتُ من الدواة فترشّش من ذلك المداد ، على ثيابه ، فأخذ قلماً من دواتي وقرطاساً من بين يدي وكتب إلى أبي العباس :

يَا سَيِّدِي وَمُؤَمِّلِي فِي كُلِّ حَادِثَةٍ وَرَيْبٍ
لَكَ كَاتِبٌ شَابَ الْكِتَابَةِ بِالْبَلَاغَةِ أَيْ شَوْبِ
فَإِذَا جَلَسْتُ بِجَنْبِهِ جَعَلَ اسْمَهُ صَبْغاً لِثَوْبِي

يعنى « زنجي » فضحك أبو العباس مما كتب به ، وأمر فحُمِلَتْ إليه عِدَّةُ أثواب من ديبق وقصب وغير ذلك .

قال أبو القاسم : حدثني عمي أبو الطيب أحمد بن إسماعيل قال : كان معنا في الديوان خازنٌ شيخٌ قد خَزَنَ في الدواوين في سُرٍّ من رأى ، يُعرف بجعفر الحرامى ، فكان يقول كثيراً : مَا اسْتَطَعْتُ إِلَّا تَبَيَّتُ مَغْمُوماً فَأَفْعَلْتُ فَكُنْتُ أَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْهُ صَفْحاً^(١) . فلما كان بعد مُدَّةٍ ، وأنا أكتب بين يدي أبي العباس أحمد ابن محمد بن الفرات وأخفف عنه . جاءني رجل من التَّنَاءِ^(٢) بالسَّوَادِ ، ومعه توقيعٌ يُنْقَلِ مُقَاسَمَةً يَبْدُرُ لَهُ مِنْ رَسْمٍ ثَقِيلٍ إِلَى رَسْمٍ خَفِيفٍ ، ذَكَرَ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ وَقَعَ لَهُ بِهِ ، وَتَوَقَّعُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَرَاتِ فِيهِ بِالْعَمَلِ عَلَى مُوجِبِهِ . فَاسْتَرَبْتُ بِالتَّوَقُّعِ فَشَكَّكَتُ فِي صِحَّتِهِ ، وَبَذَلْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى إِمضَائِهِ ، وَكُتِبَ الْكِتَابُ بِمَقْتَضَاهُ . فَفَعَلْتُ وَأَخَذْتُ الْمِائَةَ دِينَارًا وَتَسَلَّمْتُ الْكِتَابَ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَأُوتِيْتُ إِلَى فَرَاشِي اجْتَهَدْتُ فِي النَّوْمِ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ ، وَذَكَرْتُ مَا عَمَلْتُهُ وَتَجَوَّزْتُ فِيهِ ؛ فَضَاقَ صَدْرِي ، وَسَاءَ ظَنِّي ، وَقُلْتُ : هَذَا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنِي مِنْهُ جَعْفَرُ الْحَرَامِيِّ ، وَنَدِمْتُ عَلَى

(١) صفحاً : بدون انتباه ولا مبالاة أو معرضاً عن ذلك .

(٢) التَّنَاءُ : أهالي البلاد القُصُومُون بها جمع نَائِي .

ما كان منى ، وتقلبت على الفراش من غير أن يدخل النوم عَيْنِي ، وحدثت نفسي بالركوب وقصد الرجل . وقد كان ذكر لي فيما جرى بيننا من الحديث أن منزله في الجانب الغربي في سكة كذا من سكة المدينة ، فلم يمكن ذلك لأنه كان أوّل الليل ، ثم لم أزل على حال في القلق طويلاً ، حتى إذا زاد ما بي تقدمت إلى غلماني بأن يسرجوا لي وبالخروج إلى الشارع ، والمسألة تمن بتلك الطريق ، فخرجوا وعادوا يذكرون أنه مأمراً أحد . ثم أمرتهم بأن يسرجوا لي على كل حال ، وأسرجوا وحلوا بين يدي شمعاً ، وركبت وسرت ، فإذا السراج^(١) ممدودة ، وأبواب الدروب مغلقة ، فاستهتأ لي فتح شيء منها إلا ببر الحراس . ولم أزل على ذلك حتى اتهمنا إلى رأس الجسر من الجانب الشرقي ، فكان الباب مقفلاً ، فسأل الغلمان الموكل به فتحة ، فأبى ، وبذلوا له دراهم عن ذلك فلم يقبلها . ووقفت إلى أن وافى فرائق^(٢) من قبلي بدر غلام^(٣) المعتضد بالله بكتاب منه إلى بعض أهل الدولة النازلين في الجانب الغربي ، ففتح له الباب وجازت معه . ثم وصلت بعد اجتهد إلى دار الرجل ، وتقديم غلماني إلى بابه فدقوه ، وطالعهم من السطح ، وسألهم عما يريدونه ، فأشعروه بحضوري ، فأهل قليلاً ثم فتح الباب ، وأذن في الدخول ، ورأى فأنكر مجيئي في مثل ذلك الوقت ، وقال : لو كتبت إلى لجئتك ! فما الذي تحب الآن ؟ فقلت وقّع على سهو في الكتاب الذي كتبتك لك ، وخفت أن يقع عليه من يتنبعني وتتطرق من قوله قباحة على . فقال : هذا قول لا يجوز على مثلي ، ومن الحال

(١) السراج جمع شرجية : وهي قلعة المود . وبني بذلك الأخشاب التي تترس بها الأبواب .

(٢) الفرائق : الرسول .

(٣) أمر بقتله المكنتي بالله ، انظر مروج الذهب « ذكر رجل من أخبار المكنتي وسيره »

وذلك في سنة ٢٨٩ وله ترجمة في المنتظم ٣٤/٦ .

أن يخرج عن يدك ما فيه لُحْنٌ وخطأٌ ، ولعلك فكرت في شيء آخر من أمر الكتاب نفسه ، قلت : لا بد من إحصائه ، فقال : تَوَقَّفْ قليلاً . ثم قام وغاب لحظة وجاء ومعه صُرَّةٌ فيها خمسون ديناراً ، وقال : تلك مائةٌ وهذه خمسون ديناراً ، وليس في كلِّ وقت يعرض مثلُ ذلك ، وكُم في الدواوين من توقيع يجري هذا المجرى ولا يؤنبه له ولا يُتَنَبَّه عليه ؟ ورغبني فيها ترغيباً كدَّتْ معه أن آخذها . ثم ذكرت محلي من أبي العباس بن الفرات ، وموضعي من خدمته ، ومكان أخى منه ، وأنتى أقدر أن أفيد معه وفي جملته الفوائد الكثيرة ، فماسكتُ وامتنعت ، وعاودتُه المطالبة بالكتاب ، ووضع غلامي بين يديه المائة الأولى . فقال : أَحِبُّ أن تتوقَّفَ قليلاً . وقام ثم رجع ومعه الكتابُ وخمسون ديناراً أخرى ، وقال : هذه مائتا دينارٍ ، وهذا الكتاب ، فاختر ما تُريد منهُما وخذه . وأعاد من تهوين القصةِ وتجديد القول الداعي إلى الرغبة ما كادت به يدي تمتدُّ إلى الدنانير . ثم راجعت الفكر ، وأشفت من ظهور الأعداء [على] الأمر ، وفادِ الجاه ، وأخذتُ الكتابَ ومزقته ، ونهضت وركبت . فلما توسَّطتُ الجسرَ رميته مُحَرِّقاً في الماء ، وعُدتُ إلى منزلي ، وكنت أنزل بسوق العطش . وقد بقيتُ سُدُقَةً ^(١) من الليل ، فطرحْتُ نفسي على الفراش ، ونمت نوماً طيباً ، وزال ما كنت عليه من سوء الفكر واستشعار الخوف ، وأصبحتُ وسألتُ غلاماني عما عندهم من الطعام ، وأنفذتُ إلى جماعة كانوا يُعاشرونني ، فحضرُوا وأكلنا ، وحضر النبيذ وشربنا ، وجاءني غلامي وقال : غلامُ أبي العباس بن الفرات بالباب يستدعيك . فأدخلته وأجلسته معنا ، فأكل وشرِب ، وقلت له : عرِّفه أنتى عند بعض أهلي بالجانب الغربي . فمضى ، ولم يبعد أن جاء غلامٌ آخرُ يطلبني ، ففعلتُ به كمثلي فعلى بالأول ،

(١) الدفة : الظلمة .

فانصرف . وقلت في نفسي : لَأَنْ أَلْقَى أَبَا الْعَبَّاسِ مُعْتَذِراً مِنْ تَأَخُّرِ يَوْمٍ عَنْ خِدْمَتِهِ
أَوَّلَى مِنْ أَنْ أَلْفَاهُ مُعْتَذِراً مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ . فَأَقَمْتُ عَلَى جَمَلَتِي بَقِيَّةَ
يَوْمِي ، وَبَاكَرْتُهِ مِنْ غَدٍ ، فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِي فَأَعْلَمْتُهُ كَوْنِي عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِي
بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ . وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، وَوَرَدَ كِتَابُ الْعَامِلِ الَّذِي تِلْكَ الضَّيْعَةُ فِي عَمَلِهِ
وَفِي دَرَجَتِهِ حَزْرٌ ^(١) الْعَالِيَةِ وَقَدْ نَسَبَ كُلَّ بَيْدَرٍ إِلَى مِقَاسِمَتِهِ ؛ وَعَلَى مِثْلِ هَذَا كَانَتْ
الْحَزُورُ تَرِدُ . فَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى رَسْمِهِ حَرْفًا حَرْفًا ، وَوَجَدَ قَدْ حُكِيَ تَحْتَ اسْمِ
بَيْدَرٍ مِنَ الْبِيَادِرِ : مِمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ بِنَقْلِهِ مِنْ مِقَاسِمَةٍ كَذَا إِلَى مِقَاسِمَةٍ كَذَا .
فَلَمَّا قَرَأَهُ اخْتَلَطَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : مَا أَذْكَرُهُ ، وَمَتَى أَمَرْنَا بِنَقْلِ الْمِقَاسِمَاتِ الثَّقِيلَةِ
إِلَى الْمِقَاسِمَاتِ الْخَفِيفَةِ ؟ وَاسْتَدْعَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخِي ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَكْتُبَ
إِلَى الْعَامِلِ بِإِنْكَارِهِ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَايَةِ الَّتِي حَكَاهَا فِي الْحَزْرِ ، وَيُرَدِّدَ
الْكِتَابَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعِينَهُ . فَكَتَبَ ذَلِكَ ، وَمَضَتْ أَيَّامٌ فَلَمْ أَشْعُرْ
وَأَنَا بِحَضْرَتِهِ إِلَّا بِكِتَابِ الْعَامِلِ قَدْ وَرَدَ جَوَابًا عَمَّا كُتِبَ ، وَفِي دَرَجَتِهِ الْكِتَابُ
الَّذِي طُلِبَ مِنْهُ . وَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَرَاتِ ، وَأَقْبَلَ يَدْفَعُهُ إِلَى وَاحِدٍ وَاحِدٍ
مِنَ الْكِتَابِ الَّذِينَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ صَاحِبِ خَطِّهِ . ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ فَلَمَّا قَرَأْتُهُ
ذَكَرْتُ اسْمَ الْبَيْدَرِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنِّي لَوْ كَانَ
بِخَطِّي وَقَدْ وَرَدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ الْحَافِلِ ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ الْخَطَّ ،
وَسَلَّمَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ وَقَالَ لَهُ : امْضُ بِهِ إِلَى الدِّيَوَانِ ، وَخُذْ خَطُوطَ
أَهْجَابِ الْمَجَالِسِ وَخَلِّقْهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ ، وَجِئْنِي بِنَسْخَتِهِ إِذَا وَجَدْتَهَا
مِنْ مَوَاضِعِهَا .

قال : وسبق الخبرُ إلى الكتاب ، وقد كان الرجلُ صاحبُ البيدرِ برَّهمُ بجملة حتى أثبتوه عندهم ، فما منهم إلَّا من قطعَه وأخرجه من شكٍّ ^(١) الورق ، ورمى به في المستراح ، أو أعطاه غلامه حتى أخرجه من الديوان وخبأه في خُنه أو تحت الأرض . ولما دار عليهم ابنُ يزيدَ أنكروا ووجدوا ما فيه من علاماتهم وخطوطهم فأخذ خطوطهم على ظهرِ الكتاب بما ذكروه ، وجاء به إلى أبي العباس . ونحن في تلك الحال إذ جاءت إليه رقعةٌ من مُتَنَصِّحٍ يذكر فيها اسمَ الرجلِ الذي كتب الكتاب وموضعَ منزله ، فدعا أبو العباس العباسَ الفرغانيَّ حاجبه ، وأمره بـكَبْسِ الدار وطلبِ الرجلِ ، فإنَّ وجده أحضره وإن لم يجده أنهبَ كُلَّ ما فيها . ففضى ومعه ثلاثون راجلاً فكبس الدارَ ، ولم يظفروا بالرجل ، فذهب الرَّجَالَةُ والأتباعُ ما كان فيها ، وعرفَ الرجلُ الخبرَ فاستتر مدة ، ثم خرج إلى الموصل هارباً ، ولم يزل مقيماً بها إلى أن مات أبو العباس ، فحيدتُ الله وشكرته على ما وقفتي له ، وخلّصني منه ، وعلمت أنه لا شيء أنفع من الصَّحَّة ولا أجلُّ من الأمانة .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو العباس بن الفرات يميل إلى أبي خازم القاضى ويُكرِّمه ويُقبل عليه إذا حضر عنده ، ويتحدث معه ، وكان أبو خازم أديباً حافظاً ، فحضر يوماً عند أبي العباس ، وجرى الحديثُ بينهما ، إلى أن أنشده أبو خازم :

أأنت الذى أخبرت أنك ظاعنٌ غداة غديرٍ أوراخٍ لهَجِيرِ

وقلت يسيرٌ نصفُ شهرٍ أغيبه وما نصفُ يومٍ غيبةٌ يسيرِ

قال له أبو العباس : أنحفظ في هذا الشعر غيرَ ما أنشدته ؟ قال : لا . قال : بَلَى

(١) شك الورق : يراد به انضمام بعضه إلى بعض كما ترتب الملفات مأخوذ من قولهم : شك الشيء إلى الشيء إذا ضمه إليه .

أنشدنا أبو محمد قال : أنشدنا الأصمعي^(١) لبعض العرب :

وما أنسَ مِلْأَشْيَاءَ لَا أَنَسَ مَوْقِعًا لَنَا وَلَهَا بِالسَّفْحِ سَفْحَ نَبِيرِ
وَلَا قَوْلَهَا يَوْمًا وَقَدْ بَلَ جَنِبَهَا سَوَابِقُ دَمْعٍ لِلْفِرَاقِ غَزِيرِ
أَأَنْتَ الَّذِي أَخْبَرْتَ أَنَّكَ ظَاعِنٌ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَاحَ لَهْجِيرِ
وَقُلْتَ يَسِيرُ نِصْفُ شَهْرٍ أَغْيُبُهُ وَمَا نِصْفُ شَهْرٍ غِيْبُهُ يَسِيرِ

قال : فقلت له : ألا قال نصفُ لحظةٍ ، نصفُ ساعةٍ . قال : إنَّ العربَ تنهالك في أشعارها أحياناً ، وتترك أحياناً فيه نفساً . فعجب أبو خازم من حفظه وزيادته على ما كان عنده ، وطلب الدواة وكتب الحكاية والزيادة عنه وقال له : ما جئتكَ بفائدة إلا وانصرفنا من عندك بفوائد .

وحكى أبو القاسم عن أبيه قال : كان أبو العباس بنُ الفرات أذكَّراً الناس وأحفظهم لما يُمَرُّ به من قليل وكثير ، فقال لي يوماً . ما اشتيتُ أن أحفظ شيئاً قطُّ إلا حفظته . وما آسى من عمرى إلا على ثلاثِ سنين أفنيتهَا في عِلْمِ إقليدس ، كيف لم أفنها في الفقه ؟ قال : وكان أعلم الناس بالفقه على سائر المذاهب .

وقال أبو القاسم : تأخَّرتُ أرزاقُ الكُتَّابِ في وزارةِ حامدِ بنِ العباس ونظيرِ عليِّ بنِ عيسى تأخراً طويلاً . فلما تقلَّد أبو الحسن بنُ الفرات الوزارةَ الثالثةَ ، وعرف ذلك ، أنكره ، وعجب من استمراره ، وأنفذ المستحِثِّين إلى العمال للمطالبة به ، فقبضوا في مدَّةٍ عشرة أشهرٍ جارِي أربعةَ عشرَ شهراً ، وكان شديدَ التعصُّبِ لهم ، والعناية بأمرهم . ولقد سمعته يوماً وقد خاطبه مخاطبٌ على أن يجعلَ جارِي بعضِ الكُتَّابِ

(١) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب ، له ذكر كثير في اللغة والأدب ، انظر ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد وترجمة الألبا وغيرها .

لكاتب في ناحيته ، وهو يقول : قطع الله رزقي يوم أقطع رزق كاتب . ووقع للذي سئل في أمره بحار مستأنف .

وقال أبو القاسم : سمعت أبا الحسن بن القرات يقول في وزارته الثالثة ، وقد ذكر حال السواد وجلالته : إن الإحسان إلى الرعية يزيد في ارتفاعه ، ولولا خوفي من أن يجلس في هذا المجلس من لا يعرف غرضي فيما أفعل ، ويجمع له تسوفاً^(١) على عند من لا يفهم ، لنقصت المزارعين ثلاثة أقدرة في كل كرية من مقاسمة الإستان التام ، ثم كان ينظر بعد ذلك كم يزيد في الارتفاع بهذه المساحة .

وحكى أبو القاسم قال : كان^(٢) أبو الحسن بن القرات يُطلق للشعراء في كل سنة من سني وزارته عشرين ألف درهم رثماً لهم سوى ما يصلهم به متفرقاً وعند مديحهم إياه . فلما كان في وزارته الأخيرة تذكر طلاب الحديث وقال : لعل الواحد منهم ييخل على نفسه بدائي ودونه ، ويصرف ذلك في ثمن ورق وحبر ، وأنا أحتق بمراعاتهم ومعاوتهم على أمرهم . وأطلق لهم من خزائنه عشرين ألف درهم .

قال أبو القاسم : وكان في جهتي رجل يعرف بأبي بكر محمد بن إبراهيم البرقي فأخذت له منها ثلاثمائة درهم ، وأخذت لأبي سعيد الحسن بن علي العدوي^(٣) خمسمائة درهم ؛ وكان جاري وقد سمعت منه سماعاً كثيرة . وأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار^(٤) — لأنه كان يميني ويقيم عندي وسمعت منه أخبار المبيضة^(٥)

(١) تسوفاً : تكسباً

(٢) تجارب الامم ١١٩/٥

(٣) توفي سنة ٣١٩ له ترجمة في النظم ٢٣٨/٦ .

(٤) له ذكر كثير في الأغاني فهو من رجال سند أبي الفرج الأصفهاني كما ذكر في الفهرست وذكرت له مؤلفات منها أخبار أبي نواس .

(٥) المبيضة أصحاب المفتح وهم فرقة من الثنوية لبسوا البياض مخالفة للعباسيين المودة .

ومقتل حُجْرٍ وكتاب صَفَيْنِ وكتاب الجمل وأخبار المقدَّم وأخبار سليمان بن أبي
شيخ وغير ذلك - خمسائة درهم . وتمَّ لي أخذ هذه الدراهم لمن أخذتها له - وهم
مُحَدِّثُونَ لَا مِنْ طُلَّابِ الْحَدِيثِ - بفضل الجاه يومئذ .

وقال أبو القاسم : كان أبو الحسن بن الفرات قد تقدَّم إلى والدي أبي عبد الله
بأن يستأمره في كلِّ توقيع يَرُدُّ عليه ، فكان يفعل ذلك ، وحضره في بعض
الأيام رجلٌ بتوقيع في آخر رُقعةٍ قد كتبها يشكو فيها حاله ، ويسأل إجمال النظر
في أمره بإجراء خمسة عشر ديناراً في كل شهر وتسببها على بعض الجهات ، فلما قرأه
عرَّفه ما أمر به الوزير من استئذانه في كلِّ توقيع يَرُدُّ ، وسأله عما يُحِبُّه في توقيعه :
من رده عليه - لأنه كان قد استراب به - أو عرضِه والاستئثار فيه . فأثر الاستئثار ،
وأعلمه أنه يفعل ذلك في يومه ، وأنه يجب أن يعود إليه في غده ليُعرِّفه ما يكون منه
فيه . وعرض والدي التوقيع على أبي الحسن ، فلما قرأه أنكره وعرَّفه أنه مزور ،
وتقدم إليه بإحضار الرجل الذي أوصله إليه ليضربه بالسوط ، ويشهره على جمل
ويُخلِّده الحبس ، ويجعله أدبا وعظة لغيره ممن يُحدِّث نفسه بمثل هذا الفعل ،
وأكد القول عليه . وحضر الرجل من غد مُتَعَرِّفاً لما جرى في أمر التوقيع ، فأشار
عليه والدي بالانصراف والإمساك وألاً بعيد قولاً في ذلك . فامتنع امتناعاً دعاه
إلى أن شرح له الصورة ، وأشعره بغلظِ القصة وقال له : أنا أخالف الوزير
فيما أمرني به ، وأعرَّفه متى سألتني عنك أنك لم تعدْ إليَّ . فذكر أن توقيعه صحيح ،
وأنه لا يبالي بالحضور والوصول إلى حضرة الوزير ، ولا يدعُ عند ذلك إقامة حُجَّتِه
وإبراء ساحته . فراجعته وحذَّره إشفافاً عليه ؛ وهو مقيم على أمره . ثم قال : فأتقدَّمك
إلى الدار . قلت : الاختيار إليك . فانصرف .

قال أبو عبد الله : وتشاغلَت بالنظر في حوائج من كان عندي من أسباب

المقتدر بالله - رحمه الله - وغيرهم . فلما فرغت ركبته ، ووجدته قد سبقني ، ودخلت إلى أبي الحسن بن الفرات فقال لي : أين الرجل صاحب التوقيع ؟ فقلت : هاهو حاضر . فأمر بإيصاله إليه . فلما رآه اتهره وزبره ^(١) وقال له : تقدم علي التزوير ؟ وتقدم بحمله إلى صاحب الشرطة ليعاقبه وبشهره ، ثم سأله عن نسبه ، فأعلمه أنه ابن عم العباس بن الحسن . فلما ذكر ذلك له سكن غضبه ، وأقبل عليه فتمرّف منه خبر واحدٍ واحدٍ من أهله ، ووصف له حالهم . فقال له : ما الذي حملك على ما فعلته ؟ فقال كُتّابك الذين بحضرتك ، لأنّي قصدتهم وسألتهم إيصال رقعة لي إليك أستعطف بها رأيك ، وأستدعي فيها إحسانك ، فما منهم من فعل ، وأحوجني فعلهم إلى أن جعلت هذا التوقيع سبيلاً للوصول إلى مجلسك ، وشكوى حالي إليك . فأخذ التوقيع ووقع تحته يامضائه ، ورسم لي مراعاته فيه حتى يندب له على حيث يروج منه . ثم دعا أبا العباس أحمد بن مروان وكيله في داره ، وتقدم إليه بأن يُطلق له عاجلاً ثلاثة آلاف درهم يصرفها في مؤنته ، وأن يقيم له في كل شهر خمسة عشر ديناراً من ماله سوى الجاري السلطاني الذي أمرنا بإجرائه له . فلما خرج إلى قال لي : أئتماً كان أعرف الوزير ، أنا أو أنت ؟ وعجب الناس من كرم ابن الفرات ورعايته لأهل البيوتات وذوى النعم والأقدار .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قد قلده أبا عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات أعمال بهر سير والرومقان وإغار يقطين وما يجري مع ذلك . وكان لأبي عبد الله محمد بن غالب الأصبهاني هناك مقاطعة ، وتتبعها جعفر بن محمد فوجد فيها فضلاً كثيراً حمّله على أن وكل بفلاتها إلى أن

(١) زبره : زجره .

يرد عليه الكتاب بالإفراج عنها أو غير ذلك . وشقَّ ما كان منه على محمد
ابن غالب ، وكتب إلى عبيد الله بن سليمان رقعة في هذا المعنى ، وأورد في آخرها أبيات
شعر فيها :

أَيُظْلِمُنِي عَامِلُ الْبَهْرَسِيرِ وَيَرْكُبُ مِنِّي صَعْبَ الْأُمُورِ
وَيُظِلُّ مِنْ سُنَنِ مَا جَرَى وَيَصْفُنِي صَنْمَ ذَنْبٍ عَقُورِ

وأوصلها من يده إلى عبيد الله ، وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات
حاضراً ، فأعطاه عبيد الله الرقعة وقال لمحمد بن غالب : الأمر إلى أبي العباس
في الإمضاء أو الفسخ . فقال أبو العباس : فإني قد أمضيت . وأخذ القلم من الدواة
ووقع بإمضاء المقاطعة ، والإفراج عن الغلة . فكان محمد بن غالب يشكره على ذلك
بعد عييه عليه مما جرى في أيام أبي الصقر إسماعيل بن بلبل .

وحدث أبو القاسم قال : اجتمع كُتَّابُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْقَرَاتِ يوماً بحضرته ،
وذلك في وزارته الأخيرة ، فذكر كلُّ واحد منهم ما لحقه من الشدائد في استتاره ،
فحدثه أبو عمرو سعيد بن الفرخان التصرائي أنه كان في موضع وأراد الانتقال عنه ،
فخرج قبل طلوع الفجر ، فلما توسَّط الطريق تبعه إنسان لا يعرفه . وأخذ في غير
الوجه الذي أراد ، وتبعه ، وخرج منه إلى غيره ، وهو يمشي معه . قال أبو عمرو :
فلما كاد الصبح يُسْفِرُ وقفت وقلت : أنا رجل خائف ، وأريد أن أقصد موضعاً
أستتر فيه ، وقد قارب الوقت الذي قدرته أن يقرب باتباعك إياي . قال لي :
قد عرفتك ، وما قصدت فيما فعلته إلا الجليل معك ، ولو أردت الاستتار لكنت
معوذة ، وهذا منزلي لك وبين يديك ، وأسألك أن تعدل إليه وتعمل على المقام فيه .
فنظرت فإذا الوقت قد أرف ، ولا يمكنني الوصول إلى الموضع الذي أردت قصده
إلا مع طلوع الشمس . فضيت معه ، وتقدَّمتني واتبَعْتُهُ حتى وصل إلى منزله ،

ودخل وأدخلني ، فوجدت داراً طيبة ، وفيها فرش نظيف ، وأكرمني ومهّد لي^(١) ، وجلس دوني وقال لي : اعلم - جعلني الله فداك - أني رجل مُزَيّن ، وأرجع إلى سعةٍ حالٍ ولي ثلاثون غلاماً ، لكل واحد منهم منزلٌ مثلُ منزلي ، فقيم عندي ما أحببت ، فتي ضاق صدرك وأحببت الانتقال فقلتُك إلى منزلٍ واحدٍ واحدٍ منهم ، فأقمت فيه شهراً ، ولعل المدة - في فرَجِ الله عنك وبلوغك بحابك - أن تكون أقصر من ذلك ، وبالعاجل قد أفردت لك داراً ، وأعددت فيها جميع ما يحتاج إليه ، حتى لا تستعمل شيئاً مما نستعمله نحن ، فربما لم تستنظفه .

ونفض من عندي وغاب ساعة وقال : إذا شئت ياسيدي .

فقمّت وأدخلني إلى دار متصلة بداره ، قد فرشت بفرش نظيف ، وجعل فيها ما يحتاج إليه ، من طسّنت وإبريق وجِرارٍ وكيزان وقُدور وغمضائر^(٢) وجامات^(٣) وسُكْرُجات^(٤) وصواني وأطباق وقناني وأقداح ، وإذا جارية سوداء واقفة . فقال : تكون هذه بين يديك متولّيةً لخدمتك ، وأنا صاحبُ خبرك ، فإذا كان عشيّة انصرفت إليك بما أسمع . فشكرته وجزيته الخير . ومضى وطبخ لي ما أردت ، وأحضرت من الشراب ما طلبت ، وكان يخبثني في آخر كلِّ نهار فيحدثني بما يعرفه فلم أزل على هذه الحال مدة أربعة أشهر لا أعدم شيئاً مما أريده . ثم ضاق صدري وأحببت الانتقال ، فأشعرته بذلك ، فاختر لي واحداً من أصحابه ذكر تقدّمه عنده وثقته ، فأشار بالثقلّة إلى داره . فضيئت إليه معه ، فكان منزله قريباً من منزل مولاه ، وخدمني وما قصر في معرفة حقّي والقيام بما أريده ، وأقمت عنده شهراً ،

(١) مهّد له : هيا له ، وفي الأصل : مهدني .

(٢) الغضائر جمع غضارة وهي قطعة كبيرة . وفي الأصل غضار .

(٣) الجامات : جمع جامة وهو الكأس .

(٤) السكرجات : جمع سكرجة وهي الصلصة التي يوضع فيها الطعام .

وأردت الانتقال ، فعرفت المزين ذلك ، فأشار بالرجوع إلى منزله ، فرجعت ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى فرّج الله عنا ، وكشف وجوهنا بالوزير أدام الله تأييده .

فقال له الوزير أبو الحسن بن القرات : فأى شئ عملت في أمر هذا الرجل ؟ وبأى مكافأة كافأته على جميل فعله ؟ قال : لا والله أيها الوزير ما عملت معه قليلا ولا كثيرا . فقال له : بئس ما فعلت . فإنك قد فضحت المستترين ، وضيق عليهم مذهبهم . والآن أنا أولى بقضاء الحق عنك منك . أُنْفِذْ إلى الرجل وجئني به .

قال ابن الفرخان : فقلت لكاون غلامى : امض إلى المزين الذى كنا مستترين عنده فجئ به ، وعرفه أن الوزير يريد . فمضى فلما بعد قال لى الوزير : ارددوه وتقدم إليه بأن يؤرد عليه رسالة جميلة يسكن إليها ، وأن يحضره على رفق وإكرام قال : فرددته وأوصيته ، ومضى الغلام ، وتشاغل أبو الحسن بالنظر والعمل ، وتشاغلنا بالتوقيع والكتب . ثم جاء الغلام وعرف أبا عمرو بن الفرخان حضور المزين ، وعرف أبو عمرو الوزير ذلك . فقال : يدخل . وخرج الحاجب فأوصله إلى المجلس ، فوقف على بعد ، فاستنداه وامتنع ، فالتح عليه فدنا ، وأمره بالجلوس فأبى أشد الإباء . ولم يزل به حتى جلس . ثم قال له : لم تتأخر مقابلة أبى عمرو لك عن جميل ما أوليته إياه إلا لأنه خرج على حال مُحْتَلَّة ، وذات يد قصيرة ، وأنا أتولى ذلك عنه ، ولقد أحسنت بارك الله عليك وفعلت ما يفعله الأحرار . فقام وقال : قد وصلتُ إليها الوزير إلى أعظم الجزاء بوصولى إلى هذا المجلس ، وسماعى لهذا الخطاب ، وبلغت غاية أملى ، ونهاية أمنيّتى بذلك . وما بلغتُ ما كان فى نفسى من قضاء حقه . وأشار إلى أبى عمرو - فأمر أبو الحسن بإحضار أبى العباس أحمد بن مروان وكيله ، فحضر وأسر إليه شيئا لم نعلم ما هو ، فخرج ، وأخذ المزين معه ، ثم عاد بعد ساعة وحده مالم نسمعه ، فأخرج رأسه من سريره وقال : أرايتم مثل ما نحن فيه مع هذا

المزین ؟ تقدّمتُ إلى ابن مروان بأن يدفع إليه خمسة آلاف درهم ، فعرفني أنه امتنع من قبولها ؛ وذكر سعة حاله واستغناءه عنها . وردَّ إليه ابن مروان برسالة في هذا المعنى ، ففضي وعاد فذكر إقامته على الامتناع ، فأمر الوزير أبا عمرو بن الفرخان بأن يقوم إليه ، ويلطفَ به ويرفُقَ ، ولا يدعَه حتى يقبل ما أطلقه ، وقال : لعله استقل الخمسة آلاف درهم ، فلتجعلَ خمسمائة دينار . فأحضره وألزمه أخذها ، وعرفه أنه إن امتنع من ذلك غضبت عليه وأنه يُفسد ما قد حصل له في نفسه . فقام أبو عمرو ساعة ثم عاد وقال ما زلت معه في مراوطة وملاطفة حتى قبلها وانصرف شاكرًا . فبقينا وبقى الناس زمانا يتعجبون من فعل المزین وكبر نفسه . وكرم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبه .

قال أبو القاسم بن زنجي : كان أبو الحسن بن الفرات قد كاتب يوسف بن ديوداد بن أبي الساج في أمر الرى ، وطالبه بمحملٍ ماوجب من مالها على أنها ضمانٌ في يده . فأجاب بأنه لم يضمن ضمانًا يتعين عليه الخروجُ منه ، ويسألُ أبو الحسن عما عنده في ذلك - يعني على بن عيسى وكان إذ ذاك مصروفًا منكوبًا في اعتقال أبي الحسن ابن الفرات - فسأله عن ذلك ، فذكر أنه ضَمَنَه الأعمال ، وأن وثيقة الضمان عند صاحب الديوان . وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن محمد يتقلد ديوان المشرق ، وهذه الناحية جارية فيه ، فطولب بذلك ، وأحال على أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن الفرات^(١) وكان خليفته على الديوان . ورجع إليه فذكر أن الوثيقة حُمِلت إليه ، ووقف عليها ، وردّها بعد أن حملها إلى صاحب الديوان . واعتقل أبو الحسن بن الفرات الفضل بن جعفر بهذا السبب ، وجرت خطوب في هذا المعنى ، وذلك في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة بعقب صرف حامدٍ عن الوزارة وعلى بن عيسى عن خلافته ،

(١) تولى الوزارة المقتدر سنة ٣٢٠ كما تولاها لأراضى سنة ٣٢٤ .

وأوجبت الصورة طَلَبَ ذلك في الخزانة المنقولة من دار علي بن عيسى إلى دار أبي الحسن بن الفرات .

قال أبو القاسم : فأمرني أبو الحسن بأن أَدْخُلَ الخزانة ، وأَقْلُبَ ما فيها من الأعمال ، وأَتَمِّسَ وَثِيقَةَ الضمان ، وفعلت ، وكانت خزانة عظيمة في بيت يُعْرَفُ بالدمشقي في داره المعروفة بسليمان بن وهب في الحرم ، والأعمالُ تكاد تبلغ السقف . وكان يَمُرُّ في عُرْضِ ما أَقْنَسَ عنه نُسْخُ ما كتبه علي بن عيسى إلى ذكا الأعور ، المقيم كان بمصر ، ثم إلى تَكِينِ الخِصَّةِ المتقلد لها بعده وإلى الحسين بن أحمد المادرائي ومحمد بن جعفر القرمطي ونجح وابن رسم وغير هؤلاء من الولاة ، فأقرأها وأجدها في نهاية الحسن . وربما أخذت بعضها وأجد في خلال ذلك حُرُوراً^(١) وكُيُولاً وكُتُباً من المنفقين في العسَا كَر بما توفّر من أموال الرجال ، وبما وقفوا عليه من حال البدلاء والدخلاء لم يخرج إلى الدواوين ، وأجمع ذلك وأخرج إلى الوزير أبي الحسن إضبارة منه في كلِّ يوم . فكان يَمَجَّبُ من علي بن عيسى وتَرَكِه وإخراج هذه الأعمال إلى الدواوين ويطعن عليه بذلك ويقول : يا قوم ، سمعتم من يؤخّر إخراج تقدير الغلات وحزرها وكيلها وكُتِبَ المنفقين بما توفّر من المال إلى الدواوين ؟ لم لا يتناقلُ كبارُ الكُتّاب وأصاغرهم هذه الأعمال ويثبتونها في مجالسهم ويقابلوا عليه ما عندهم ؟ وأية حجة تكون لنا على الأعمال والعُمَال إذا احتسبوا بمال الرجال على العبر من غير حطيطة ؟

وكان فيما أخرجته في بعض الأيام إليه عَمَلٌ عَمِلَهُ عُمَانُ بن سعيد - المعروف بابن الصيرفي صاحب ديوان الجيش - لما يراد للجيش في مدة سنة ، وقد أورد فيه حال المالك ثمانية أشهر ، فحين وقف عليه جزائي الخير على إخراجها إليه ، وذكر أن

نصرا القشورى طالبنى بحضرة المقتدر بالله بإطلاق مال المالك لسته أشهر ، وادعى أن على بن عيسى كان يطلق لهم على ذلك ، وأن هذا العمل يُبطل قوله سَيِّئاً وهو بخط ابن الصيرفى كاتبه وصاحب ديوانه . فأخذه معه ، وانحدر إلى المقتدر بالله ، وواقف نصرا الحاجب عليه بحضرة ، فوقع له بذلك من المقتدر أحسن موقع ، ولنصر أقبح موقع .

قال أبو القاسم : وكان فى هذه الخزانة كُتِبَ إلى على بن عيسى ممن كان يُشخصه من القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم وزيد بن إبراهيم والحسين ابن أحمد المعروف بأبى زنبور المادرائى وأبى بكر محمد بن على المادرائى فيها ، العجائب ، ودفترٌ منسوب إلى الحلّاج^(١) فيه آداب الوزارة ، وغير ذلك من رقايع المقتدر بالله ووالدته إليه ونسخ أجوبتها .

قال أبو القاسم : وكان أبو الحسن بن الفرات قد استظهر فى أمره الموسم لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة استظهاراً شديداً ، لأنه أحبّ أن يجرى أمره فى أيامه على أفضل ما جرى عليه فيما قبلها ، وأطلق لأبى الهيجاء^(٢) بن حمدان فى وقت واحد بإطلاق واحد مائة ألف دينار ، وأخرج إلى من نفذ فى القافلة الثانية ما قدره أبو بكر عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش ، وكذلك لمن صدر فى القافلة الثالثة ، وكان أكثر من مائة ألف دينار . وأزاح العلة فى ممن جميع ما احتيج إلى ابتياعه من الحضرة ، وابتيع ذلك وحمل ، وانتظم أمر القوافل ، وتوجهت بأجمعها

(١) لعله هو الحسين بن منصور الحلّاج اتهم بأنه ادعى الألوهية أو النبوة ، انظر قصته فى تجارب الأمم ٧٦/٥ وصلة عرب من ٨٦-٩٦ والنتظم ٦/١٦٠-١٦٤ وابن الأثير حوادث سنة ٣٠٩ ذكر قتل الحسين الحلّاج .

(٢) هو عبد الله بن حمدان كان إليه طريق الكوفة وطريق مكة انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ .

من الحضرة . واتصل بأبي الحسن بن الفرات أن القرامطة قد تحركوا للفساد وهُموا
باعتراض الجيش ، فكتب إلى أبي الهيجاء كتاباً بِحُطَّى^(١) يَعْرِفُهُ مَا بَلَغَهُ ، وَيُوصِّيهِ
وَيُحَذِّرُهُ ، وَيَأْمُرُهُ بِالتَّقَيُّظِ وَالتَّحْفِظِ وَإِذْكَاءِ^(٢) الْعِيُونِ فِي جَمِيعِ الطَّرِيقِ ، وَأَجَابَهُ
مِنَ الْقَصْرِ جَوَاباً أَفْغَذَ فِي دَرَجِهِ^(٣) كِتَاباً فِي جِلْدٍ يَضْمَنُ فِيهِ الْمَالَ وَالْدَّمَ ،
وَقَدْ أَشْهَدَ فِيهِ جَمَاعَةَ الشُّهُودِ وَالْوُجُوهِ وَالتَّنَائِي فِي الْبَلَدِ . فَلَمَّا قَرَأَهُ أَبُو الْحَسَنِ سَرَّهَ
قُوَّةُ نَفْسِهِ ، وَضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ جَارٍ فِي سَبِيلِ التَّبَيُّهِ . وَحَدَّثَ
فِي تِلْكَ السَّنَةِ مَا حَدَّثَ عَلَى الْحَاجِّ^(٤) مِمَّا زَادَ بِهِ الْقَلْقُ وَالْإِزْعَاجُ ، وَأَقْدَرَ نَزَارَ
ابْنَ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقَوَادِ لِلتَّقْيِيمِ ، وَأَطْلَقَ صَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ ابْتِاعَ بِهِ مِنْ
الْحَضْرَةِ الْقُمْصَ وَالسَّرَاوِيلَاتِ وَالْعَائِمِ وَالْأَرْدِيَةِ وَالْأَزُرَّ لِيُدْفَعَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَحَلَّ مَالًا وَاسِعًا فَفَرَّقَ عَلَى النَّاسِ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ وَمَا يَتَحَمَّلُونَ بِهِ
إِلَى مَنَازِلِهِمْ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا الْفَرَاتِ يَنْزِلَانِ
فِي أَيَّامِ أَبِي الصَّقَرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَلْبَلٍ فِي رِبْضِ حُمَيْدٍ ، وَكَانَ حَدُّ دَارِهِمَا مِنَ الْمَوْضِعِ
الْمَوَازِي لِسَكَّةِ الْحَوْضِ إِلَى دَرَبِ أَبِي سُورَةَ ، وَهُوَ حَدُّ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعُرُوضِ .
— وَعَهْدَى فِيهَا بَسْتَانًا كَبِيرًا كَثِيرُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ ، وَبَيْتٌ أَحْمَرُ السَّقْفِ
وَالْحَيْطَانُ يُعْرَفُ بَيْتَ الدَّمِ . ثُمَّ قُبِضَتْ وَبِيعَتْ مَعَ أَنْ أَصْلَهَا وَقُفْتُ ، وَابْتِاعَهَا
جَمَاعَةٌ وَتَنَقَّلَ الْمَلِكُ فِيهَا مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرٍ . فَمِنْ ذَلِكَ الدَّارِ الَّتِي فِي الطَّرَفِ وَتَوَازَى

(١) أَيْ بِحُطَّى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ زَنْجِي رَاوِي الْحَبَرِ .

(٢) إِذْكَاءُ الْعِيُونِ : بَثُّ الْجَوَاسِيسِ وَمَنْ يَسْتَطْلِعُونَ الْأَخْبَارَ .

(٣) فِي دَرَجِهِ : فِي دَاخِلِهِ .

(٤) رَاجِعْ فِي ابْنِ الْأَثِيرِ حَوَادِثَ ٣١٢ ذَكَرَ أَخَذَ الْحَاجَّ .

سكة الحوض ، فإنها حصلت لأبي الحسين محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي ، ثم انتقلت إلى ورثته . ومن ذلك دورٌ وحُجْرَةٌ وغُرْفٌ كثيرةٌ تلي هذه الدار صارت لجماعة من الناس ، ومن ذلك دارٌ كانت لعمان بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، ويلها دارٌ لعلی بن عبد الرحمن المعروف بابن هاني الكوفي ، ثم دارٌ كبيرةٌ واسعةٌ مَلَكَتْهَا زُهَةُ الملقمة . وهي تنتهي إلى آخر دور بني الفرات .

ولجعفر بن قدامة في أبي الحسن بن الفرات ^(١) :

يَا بْنَ الْفَرَاتِ وَيَا كَرِيحَ مِ الْخِيَمِ مَحْمُودَ الْفَعَالِ ^(٢)
ضَيِّعْتُ بِعَدِكَ وَأَطْرَحُ تَ وَبَانَ لِلنَّاسِ اخْتِلَالِي
وَتَغَيَّرَتْ - مَذْ عَيَّرَتْ أحوَالُكَ الْأيَّامُ - حَالِي
لَهْفًا أَبَا حَسَنِ عَلَى أَيَّامِكَ الْغُرَّ الْخَوَالِي
لَهْفًا عَلَيْهَا إِنَّمَا بَلَيْتُ بِأَحْوَالِ بَوَالِي

لا يجوز في « لهفا » التثنية لأن تفجع المرزئة ^(٣) « لهفاه » فحذفت الهاء في الوصل وبقيت الألف على سكونها .

وله أيضاً فيه :

لَمَّا خَلَوْتُ مِنَ الْفَوَا نَدُ وَالنَّفَاعِ وَالصَّلَاتِ
وَعَدِمْتُ فِي الْأَعْيَادِ مَا عُوذْتُ مِنْ كُلِّ الْجَهَاتِ
وَبَقِيْتُ فِيهَا حَائِرًا كَالسَّفْرِ ضَلُّوا فِي الْفَلَاةِ ^(٤)
نَادَيْتُ يَا سَقِيًّا وَيَا رَعِيَا لِعَصْرِ ابْنِ الْفَرَاتِ

(١) هذه الأبيات في معجم الأدباء في ترجمة جعفر بن قدامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، والفعال : الفعل الحسن والكرم .

(٣) في الأصل : لأنه تفجع المرأة . (٤) السفر : المسافرون .

مَلِكٌ أَشْمٌ مُسَوَّدٌ رَطْبُ الْأَنَامِلِ بِالْهَبَاتِ
يُطْفِئُ الرَّغِيبَ ^(١) وَلَا يَمْنُ وَلَا يُنْفِصُ بِالْعِدَاتِ
وله فيه أيضاً :

لَا غَدَوْتُ فِي الْحِثَا نَارٌ مُضَرَّمَةٌ تُشِبُّ
وَالْفِكْرُ وَالْأَحْزَانُ مَشْ حُونٌ بِهَا جِسْمٌ وَقَلْبٌ
أَنْشَدْتُ مَا قَالَ ابْنُ جَهْمٍ ^(٢) وَهُوَ بِالشَّعَارِطِ ^(٣)
أَمَلَقْتُ بَعْدَكَ يَا عَلِيُّ وَنَالَنِي مَا لَا أُحِبُّ

وحدث أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان قال :

كان الفضل بن الحسن الواسطي يتولى بَيْعَ غَلَّاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَبِي الْحَسَنِ ابْنِي الْفَرَاتِ ،
وكانت عَظِيمَةً لِكثَرَةِ ضِيَاعِهَا وَزِيَادَةِ ارْتِفَاعِهَا . فَاتَّفَقَ أَنْ مَاتَ ، فَأَقَامَا مَقَامَهُ
عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَاشَاءَ اللَّهُ أَحَدَ غُلَمَانِهِ الرَّفَاشِيِّينَ ^(٤) بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدَّمَاهُ وَرَفَعَا
مِنَهُ وَنَوَّهَاهُ بِاسْمِهِ ، وَأَكْسَبَاهُ مَالًا جَزِيلًا ، فَتَأَثَّلَتْ بِهِ ^(٥) حَالُهُ وَصُرِفَ أَبُو الْحَسَنِ
عَنْ وَزَارَتِهِ الْأُولَى . فَخَدَّمَ عَلَى بَنِ عَيْسَى وَبَاعَ غَلَّاتِهِ . فَلَمَّا عَادَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ
إِلَى الْوِزَارَةِ ثَانِيًا لَمْ يُؤَاخِذْهُ بِخِدْمَةِ عَلَى بْنِ عَيْسَى ، وَأَجْرَاهُ عَلَى رَسْمِهِ فِي بَيْعِ غَلَّاتِهِ ،
وَخَاطَبَ أَبَا عَمْرٍ الْقَاضِيَّ فِي قَبُولِ شَهَادَتِهِ وَإِظْهَارِ عَدَالَتِهِ . وَقَبِضَ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ ،
وَتَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَخَلَفَهُ عَلَى بْنِ عَيْسَى وَرُؤَسَاءُ النَّاسِ ^(٦) ، فَلَمَّا صَرَفَ

(١) الرغيب : الرغوب فيه ، والعطاء : الكثير .

(٢) ابن جهم : هو علي بن الجهم من شمراء الدولة العباسية له ترجمة في الأغاني وطبقات ابن المعتز
وابن خلكان وغيرها .

(٣) الطب معناها هنا : الحاذق الماهر بعمله .

(٤) الرفاشون : جمع رفاش وهو من يجرف القمح .

(٥) تأثلت : تجمعت وتأصلت ويريد تحسنت .

(٦) هكذا في الأصل ولعلها وخلفه علي بن عيسى في رئاسة الناس أو ورأس الناس .

حامد ووزر ابن الفرات الوزارة الثالثة قبض على ابن ماشاء الله ، فأنفذ مفلح الأسود خادماً المقدر بالله - وله القدم المتمكنة ، والمنزلة المتقدمة ، والدالة^(١) القوية على ابن الفرات لقيامه بأمره عند عودته في هذا الوقت إلى نظره^(٢) - يسأله في بابه^(٣) ، وحضر كاتبه برسالته في معناه . فقال ابن الفرات : الأستاذ هو صاحب ، وأمره الممثل ، وأنت أيها الرسول المأمون ، لكنني أحضر ابن ماشاء الله ، وأقفه بين يديك على ماتسمعه ، فإن أردت بعد ذلك أن تأخذه سلمته إليك ولم أراجعك فيه . ثم تقدم بإحضار ابن ماشاء الله ، فحضر يرأس في قيوده ، فأمر بنزع الحديد عنه ، فزعر من وقته ، ثم قال له : اجلس ، فامتنع ، فكرر عليه القول فجلس . ثم أحلفه يميناً استوفاهما عليه أنه يسمع مايقول له ويحجب بما عنده من غير تقيّة ، ولا تورية ولا مواربة ، ومتى ذكر له ما فيه تزيّد رده أو تعثّ دفعه ، وناظره مناظرة النظير لنظيره من غير مراعاة لموضعه ، ولا احتشام لمكانه . فلما فرغ من ذلك قال له : ألم يكن الفضل ابن الحسن الواسطي بيّمي وبيّع أبي العباس أخى ، وله الحال والجاه والمنزلة والوجاهة بمعاملتنا وتولى غلاتنا وكنت رفّاشاً بين يديه ؟ قال : بلى . قال : فلما مات ألم ينصطنحك وتقمّك في خدمتنا مقامه وترتبك الترتيب الذي شاع ذكرك فيه ؟ ومال الناس إلى معاملتك به من أبي الحسن على بن عيسى خصمنا وغيره من أصحاب السلطان حتى كثر مالك وترشّت حالك ؟ قال : بلى . قال : فلما سخط السلطان على وانصرفت عما كنت أخدمه فيه ألم تعدل إلى أبي الحسن على بن عيسى - وهو عدوى - تعامله وتداخله ؟ قال : بلى . قال : ثم عدت إلى خدمة السلطان فهل

(١) الدالة: يراد بها المنزلة التي تجعله صاحب سلطان عليه .

(٢) يعني بذلك أنه قام بأمره حتى عاد إلى النظر في أمور الناس بأن صار بسبب مسمى مفلح وزيراً .

(٣) يسأله في بابه : يريد بها مخاطبه في شأنه .

وَإِذَا خَذْتُكَ بِذَلِكَ أَوْ نَقِمْتُهُ عَلَيْكَ أَوْ عَدَلْتُ فِي خِدْمَتِي عَنْكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ اسْتَعْنَا بِكَ فِي نَكَبَةٍ ، أَوْ حَمَلْنَاكَ مِنْ أَمْرٍ نَاكُلْفَةٍ ، أَوْ حَمَلْتَ إِلَيْنَا قَطْرَ مِرْعَاةٍ أَوْ مِلَاطَفَةٍ أَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَسْبَابِنَا فِي وَقْتِ اسْتِغْنَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ ؟

قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَلَمْ نَرْفَعْ مِنْ قَدْرِكَ وَأَلْزَمْنَا أَبَا عَمْرِو الْقَاضِي قَبُولَ شَهَادَتِكَ حَتَّى زِدْتَ عَلَى الْأُمَثَلِ مِنْ نَظَائِكَ ؟ قَالَ : بَلَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ ابْنُهُ وَكَانَ حَاضِرًا : أَمَا جِئْتُكَ لَيْلَةَ فِي سُمَيْرِيَّةٍ وَمَعِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ بِنْتُ عُمَى وَزَوْجَتِي وَثَلَاثُونَ بَذْرَةً عَيْنًا قَلَّمَتْهَا عَلَى كَتِفِي إِلَى الْمَسْجِدِ الْمَجَاوِرِ لِدَارِكَ بِشَارِعِ الْمَازِيَانِ وَعَلَى قَرِيبٍ مِنْ سَوَاقِ الطَّعَامِ ، وَأَجْلَسْتُ الْمَرْأَةَ تَحْفَظُ الْبِدْرَ ، وَطَرَقْتُ بِأَبْكَ مُتَخَفِيًا ، وَعَلَى كِبَانَةٍ سُودَاءَ ، وَبِيَدِي طَبْرَازِينَ ، وَدَفَعْتُ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لِي جَارِيَتُكَ وَهَجَمَتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَحَرَمُكَ فِي صُفَّةٍ ^(١) دَارَكَ فَارْتَمَتْ وَقَلَّتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهِي قُلْتُ : سَيِّدُنَا الْوَزِيرُ ؟ قُلْتُ : لَسْتُ الْوَزِيرَ أَنَا سُورُورٌ غَلَامٌ خَدِيجَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، أَخْرَجْتُ مَعِيَ وَأَبْعَدُ مِنْ مَعِكَ عَنْكَ . فَخَرَجْتُ . وَتَقَلْنَا الْبِدْرَ إِلَى دَارِكَ ، وَمَعَهَا زَوْجَتِي وَقُلْتُ لَكَ : هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ عُمَى وَزَوْجَتِي وَهِيَ طَالِقٌ مِنِّي ثَلَاثًا بَتَانًا إِنْ كَانَ هَذَا الْمَالُ لِي أَوْ لِأَبِي ، بَلْ هُوَ مِلْكُهَا وَإِثْرُهَا عَنْ أَبِيهَا ، وَهُوَ وَدِيعَةٌ لَهَا عِنْدَكَ ، وَأَمَانَةٌ فِي عِنَقِكَ ، لَا تُعْطِ أَحَدًا مِنْهُ دِينَارًا فَاسَ فَوْقَهُ سِوَاهَا . فَقُلْتُ : نَعَمْ . وَتَسَلَّمْتُ الْبِدْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَمْ أَخَاطِبْكَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تُقَرِّضَنِي مِنَ الْجُمْلَةِ بَذْرَتَيْنِ ، فَمَا فَعَلْتَ ، وَاعْتَذَرْتَ بِمَا كَانَ جَرَى فَعَذَرْتُكَ وَقُلْتُ لَكَ : إِنَّمَا اعْتَبَرْتُكَ وَاخْتَبَرْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ : أَفَلَمْ تُخْضِرِ الشُّهُودَ عِنْدَ مَصَادِرَتِنَا وَقَدْ جُمِعَ النَّاسُ لِلْكَشْفِ عَنْ حَالِنَا وَبَقِيَّةٍ إِنْ كَانَتْ بَقِيَّةً مِنْ أَمْوَالِنَا ، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى اسْتِحْلَافِنَا فَخَلَفْنَا أَنَا وَالْحَسَنُ

(١) الصفة : تشبه السقيفة .

ابن الأيمان المغلظة السلطانية والمشتمة على القتاق والطلاق وصدقة المال أنه لم يبق لنا موجود ولا مذخور ولا مودوع ، وأقسمنا بعد القسم بالله بحق رأس أمير المؤمنين على مثل ذلك ، وأحللناه من دمننا إن كنا كاذبين ؟ قال : نعم . قال : أفلم تسمع اليمين وأنت تعلم أننا صادقان فيها بخروج ما عندك عما نملكه مع ما قاله لك الحسن في أمره أنه لزوجه من دونه ودون غيره ، وأنه مال ورثته عن أبيها ، ما استفادته منا ؟ قال : نعم . قال : أفلم تقيم في ذلك المجلس مع علمك ما تعلم وقلت كذب ، له عندى ثلاثون بدرّة عينا أودعنيها ابنه الحسن ؟ ولو لم نبغفك ما نبغفناك ونقدمك من منزلة الشهود إلى ما قدمناك لما حضرت مثلك ذلك المجلس . وبإيالك لما فعلت ما فعلت صدقت عن باطن الأمر ، فقد كان يسعك أن تعطى ما أعطيت وتسلم ما تسلمت بعد أن تدكر ما جرى بين الحسن وبينك .

فلما سمع كاتب مفلح من قول ابن الفرات لابن ماشاء الله ما قال واعترافه له بجميع ذلك نهض وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف ، وأمر الوزير برد ابن ماشاء الله إلى محبسه ثم قتله . وقال الناس : إن كان دم لا يطالب الله به ابن الفرات فدم ابن ماشاء الله .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو الحسن الأزرق التنوخي قال : حدثني بعض أصحابنا قال : حدثني أبو علي بن مقلة قال :

كنت أكتب بين يدي أبي الحسن بن الفرات قبل وزارته ، فلما وزر قال لي في يوم نظره : أحضر ابن الأكمش وعشرة أنفار من التجار وبع عليهم ثلاثين ألف كرت من غلات السواد ، واستثن في كل كرت بدينارين ، وطالبهم بتعجيل مال الاستثناء في ثلاثة أيام . ففعلت ذلك ، وكتبت لهم بالتسليم ، وأنسيت مطالعة الوزير لشغل قطعي . ثم عرفته إياه . ثم استأذنته في تسليم المال إلى من يراه ، فقال :

يا سبحان الله ، أقدرت أنتى استثنيت به لنفسى ؟ لقد قبحت فى هذا الظن ، إنما أردت أن أصلح حالك به وأبين صحبتك بمكانه ، فخذ واصرره فيما تحتاج إليه ، فقبلت يده ودعوت له ، وانصرفت إلى منزلى وما أمالك فرحا ، فطالبنى نفسى منذ حصل لى ما حصل من المال بمعالى الأمور وكبير المنازل .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو جعفر طلحة بن عبد الله قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى قال : قال لنا أبو الحسن بن الفرات يوما وقد جرى بحضرته أمر رجل قد أسرف فى الظلم : الظلم إذا زاد رفع نفسه . وقال أحد مشايخ الكتاب : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُنمى على كاتب بحضرته إلى وكيل فى ضيعته : استكثر من غلة المقاسمة فإنها لنا دون الأكار ، وتوسط فى الشئوى فإنه لنا وللاكرار ، وقلل الصفى فإنه للاكرادونا .

وحدث أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الروذبارى قال : حدثنى أبو بكر ابن فتح الوراق قال : وقف على أبو الحسن بن جعفر بن حفص الكاتب ، وكان جماعة للكتب قد قرأ وسمع ، فقال لى : كنت يا أبا بكر فى مجلس الوزير أبى القاسم - يعنى عبيد الله بن سليمان - فجرى ذكر الفيروزج ^(١) فوصف أبو العباس ابن الفرات أجلسه بأحسن وصف وأبلغ شرح ، وخرج من ذلك إلى ذكر أصناف الأحجار ومعادنها وخواصها وفضائلها ، حتى استغرق المجلس ، واشتمل عليه دون من كان فيه من الرؤساء والعلماء ، فمن أين علم ذلك ؟ قلت : من كتاب هو عندك . قال : فما هو ؟ قلت : كتاب الأحجار ، ولكن حفظ أبو العباس وأنسيت أنت . قال لى : أحب أن تحيىنى لينخرجه .

وحدث أبو الحسن الروذبارى قال : مر أبو العباس بن الفرات فى طريق له

(١) الفيروزج : نوع من الجواهر الكريمة .

على أرحاء عبد الملك وقد عطش ، فنظر إلى باب رجة فيها دُكَّان ، عليه شيخ كبير اللحية ، نظيف البزة ، له رؤاء وهيئة ، يعرف بالمرى ، فقال لأحد غلمانه : استسق لنا من هذا الشيخ ماء . ففعل الغلام ، وقام الشيخ مسرعا ، فجاء بثلجينة نظيفة فيها ماء بارد ، فشرب وانصرف أبو العباس إلى منزله ، فلم ينزع خُفَّهُ حتى أنفذ من سأل عن خبره ، فتعرّف اختلال حاله ، فأمر بحمل مائتي دينار إليه ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير برسم الكتّاب ، فما زال يقبضها حتى مات .

وحدث أبو بشر بن فرجويه في وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية قال : بينما نحن في ليلة من الليالي الشتوية نعمل ؛ إذ خرج إلينا من حضرة الوزير أبي الحسن توقيعٌ بخطّه مع خادم من خدمه ، وقد مضى من الليل قطعة ، يقول فيه : خرجتُ يا أبا بشر - جُعِلَتْ فداك - لأهريق الماء ، فوجدت ريحاً قد هبّت فوقفت حتى عرقتها ، وهى ريح إذا نشأت مرّت على السّكر^(١) الفلاني من أنهار الجامدة وأفسدته وقطعته ، فاكتب الساعة إلى وكيلنا بهذه الناجية ، وإلى ابن المشرف المهندس في المصير إلى الموضع ومراعاته ، وإصلاح شيء إن كان اختل منه ، وإعداد آلة عتيّدة تكون عنده ، ووَكَّدِ القول في ذلك غاية التأكيد ، ولا تعتمد على حامد بن العباس فيه ، فإنه لا يهتم به . وقعد الخادم عندنا حتى كتبتُ الكتُب .

ومن طريف أحاديث أبي الحسن بن الفرات في معرفته بالأمور ما حدث به أبو عليّ الحسن بن حمدون ، فإنه قال : كنت مع يوسف بن ديوداد بنواحي باب الأبواب^(٢) ، وهو السّدّ الذي كان أنوشروان عمله بين الخزر وأرض فارس ، وطول

(١) السكر : الد .

(٢) في الأصل الباب والابواب ، وانظر معجم البلدان : باب الابواب .

السور مسيرة يوم ، وله مروحة في البحر طولها ستمائة ذراع ، تمنع مراكب الحزر من الدخول ، والباب من حديد ، والسور من حجارة مهندمة ، في كل حجر ثقبان فيهما عمودان من حديد ، قد صُبَّ عليهما الرصاص ، والمروحة التي في البحر على هذا العمل . فاتفق أن سقطت هذه المروحة ، ودفعت يوسف بن ديوداد الضرورة إلى أن قصد الموضع ، ونزل عليه لإصلاحه ، وجمع المهندسين وذوى الخبرة بالأعمال ، فقدَّروا له ستين ألف دينار تنفق على إعادة المروحة . وكتب إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات يعرفه الخبر ، ويمتدِّر إليه من تأخير المال الذى واقفه عليه بهذا الحادث الذى حدث في هذا الموضع ، فوالله ما كان إلا مقدارُ مسافةِ الطريق حتى ورد علينا كتابُ ابن الفرات يقول فيه : فهمت كتابك - أطال الله بقاءك - بما شرحته من حال المروحة الساقطة ، وما قدَّر لها من المال للنفقة . وقد قرأنا في الأخبار أن أنوشروان لإشفاقه على هذا الموضع أعدَّ له ما يكفيه ، فأحضِر مشايخ أهل البلد وذوى الأسنان العالية منهم ، وسَلَّهم هل سقطت المروحة قبل هذه الدفعة ؟ فإن كانت سقطت فقد استعملت الآلة فيها ، وإن كانت لم تسقط فاطلب الآلة وسَلَّ عنها فإنك تجدها ، وعَرَفْنِي ما يكون منك إن شاء الله .

قال ابن حمدون : فلما ورد الكتاب على يوسف أحضر المشايخ وسألهم عن ذلك ، فلم يجد أحداً يذكر أو يخبر أن هذه المروحة سقطت قبل هذه الدفعة ، وسألهم عن الآلة وموضعها فلم يكن فيهم من يعرف حديثها إلا رجلاً منهم فإنه قال : سمعت مشايخي يتذاكرون خبرها ، وأنها مدفونة على قرب من المروحة . فلم يزل يُفْتَش عنها حتى وجدها وأخرجها ، فكانت كاملة من حجارة منحوتة منقوبة ، وأعمدة من حديد مفروغ منها ، ورصاص وسائر ما يُحتاج إليه ، فاستعملها ، ولم يؤد من المال إلا قدر أجرة الصُّنَّاع .

وحضر أحد العمال بحضرة أبي الحسن بن الفرات . فلما ناظره على ما أراده لم يذهب فيه ولم يحي . فقال له : يا هذا ، إن كنت تزوجت امرأتك على شرط أنك كاتب فقد بانت منك وحرمت عليك ، لأنك خلوت من الصناعة مُنسلخ منها .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة قال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ما افتقرت الوزارة إلى أحد قط مثل افتقارها إلى هذا الوزير المتقلد ، على أنه لم يتجدد عليه منها إلا الاسم ، فأما أعمالها فما زالت دائرة عليه وعلى أبي العباس أخيه . ولقد دخلت يوما إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وهما بين يديه فرأيت يقف على الرفاع ثم يرمي بها إليهما ، وينظر ما يقولان فيأمر به ، حتى ذكرت قول القائل :
خَلِيْفَةٌ مُقْتَسَمٌ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُغَا
يقول ما قالاه كما يقول البغيا

وقال خفيف السمرقندي : لما قام ^(١) المعتضد بالله واستوزر عبيد الله بن سليمان قال له : قد دَفَعْتُ إِلَى مُلْكَا مُخْتَلًا ، ودُنْيَا خَرَابًا ، وأريد أن أعرف ارتفاع النواحي لأَجْرِي النِفَقَاتِ والرواتب على مُوجب ذلك ، فاعمل به عملا مشروحا ، وَأَتْنِي به وعَجَلْهُ . فخطب عبيد الله كُتَابَهُ وأصحاب دواوينه على ذلك فوعدهوه واستنظروه . وكان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات محبوسين مُصَادَرَيْن ، وعرفا ما التمه المعتضد بالله فبدلا القيام به والفراغ منه في ثلاثة أيام ، وَوَفَّيَا بذلك وبلغا المراد منه . وعلم عبيد الله أن الخبر سيصل إلى المعتضد بالله فكلَّمهُ فيهما واستأذنه في استخدامهما والاستعانة بهما .

وحكى أبو بكر الصولي قال : خاطب يحيى بن علي المنجّم أبا الحسن بن الفرات في أبي حاتم محمد بن حاتم المزنوي ، وأنه يريد الخروج إلى بلده ، ويخاف التتبع

(١) انظر الخبر في ابن خلكان ترجمة علي بن محمد بن الفرات .

لأجل رِزْقِهِ ، وسأله إسقاط جَارِيهِ ، والإِذْنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ الَّذِي اعْتَزَمَهُ . فَضَحِكَ وَقَالَ : مَا أَوْجَبْتُ لَهُ فِي الرِّزْقِ فَأَقْطَعَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ مُوجِبًا لَهُ لَمَّا رَأَى اللَّهَ وَأَنَا أَوْقَعُ بِقَطْعِ رِزْقِ أَحَدٍ ، فَإِنْ شَاءَ فَلْيَقِمْ ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ .

وَدَفَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِسْمَاعِيلَ الْقَاضِي إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ رُقْعَةً ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ ضَيْعَتَهُ الْقَلَانِيَّةَ قُطِيعَةٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ عَامِلُ النَّاحِيَةِ عَلَيْهِ وَادَّعَى أَنَّهَا إِسْتَانٌ ^(١) . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا قَالَ : هَذِهِ الضَّيْعَةُ كَانَتْ فِي إِقْطَاعِ زَبِيدَةٍ ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُضْعَبِيِّ ، وَبَاعَهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَاشْتَرَاهَا ابْنُ فُلَانٍ السِّي ^(٢) وَتَوَقَّى فَصَارَتْ لَوَرِثَتِهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : أَنَا اشْتَرَيْتُهَا مِنْ ابْنِهِ فُلَانٍ . قَالَ : فَمَا فَعَلْتَ حِصَّةَ أَخِيهِ ؟ قَالَ : لَوْلَاهُ ، وَهَمْ شُرَكَائِي فِيهَا . فَوَقَّعَ إِلَى الْعَامِلِ : هَذِهِ النَّاحِيَةُ مِنَ الْقَطَاعِ الْقَدِيمَةِ ، فَأَمَضَهَا عَلَى رَسْمِهَا وَلَا تَعْرِضْ لَهَا . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حِفْظِهِ مَا حَفِظَهُ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ ^(٣) قَالَ : كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ أَبِي أَحْمَدَ وَالِدِي ^(٤) وَعِنْدَهُ كُتَّابُهُ ، وَهُوَ يَتَصَفَّحُ رِقَاعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَمَى وَاحِدَةً إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ دَاوُدَ ، وَكَانَتْ مِنْ صَاحِبِ الْخَلْبَرِ . فَلَمَّا قَرَأَهَا مُحَمَّدٌ اضْطَرَبَ وَقَالَ : كَذَبَ كَاتِبُهَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ . قَالَ لَهُ وَمَاذَا يَكُونُ لَوْ صَدَقَ ؟ ثُمَّ رَمَى بِأُخْرَى إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بَنِ عَيْسَى تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ مَالِهِ مِنَ الْعَالَتِ بِسُوقِ الطَّعَامِ فَتَغْيِيرُ وَجْهِهِ وَارْتِدُّ لَوْنِهِ وَقَالَ : كَذَبَ كَاتِبُهَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ وَالَّذِي لِي فِي الْأَحْرَازِ هُنَاكَ دُونَ الْمُبْلَغِ الْمَذْكُورِ . وَرَمَى إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِوَنَ بِثَلَاثَةِ فُقَرَاءَ وَجَحَدَ مَا فِيهَا . ثُمَّ رَمَى رَابِعَةً إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فَلَمَّا نَظَرَ فِيهَا ضَحِكَ وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَذْكَرُ مَا عِنْدِي فِي مَعْنَاهَا . وَجَلَسَ إِلَى أَنْ

(١) استان : أى أنها يسرى عليها من الحراج ما يسرى على أهل البلد .

(٢) غير واضحة في الأصل

(٣) توفي سنة ٣٠٥ انظر صلة عريب حوادث ٣٠٥

(٤) يريد به والده العباس بن الحسن الوزير الذي قتل سنة ٢٩٦ .

تَقَوَّضُ^(١) المجلس ولم يبق عند أبي غیری ، ثم قال له : قد كذب صاحب الخبر أيد الله الوزير ، فإن لی بسوق الطعام وعند الباعة أضعاف ما ذَكَرَ ، فإن كان قوله في غیری مثل قوله فيَّ فقد حَابَى وصَانَعَ وكَذَب ولم يَصْدُقْ ، وأنا مُسْتَعْنٍ عن جميع ما أشرتُ إليه ، ومستظهِرٌ على الزمان بأكثر منه ، والله الحمد والمِنَّة . بلى ، لی إلى الوزير حاجة أسأله الإنعام على بها . قال : ما هي ؟ قال : لا أقولها إلا بعد أن يَشرطَ لی الإجابة إليها . قال قد شرطتُ وفعلتُ ، قال : عندي خمسمائة ألف دينار أنا في غناء عنها ، فليأذن لي الوزير في أن أبني بها داراً لأبي الحسن ، وأبتاع له ما يحتاج إليه فيها وأجعل ما يبقی من المال في خزائنه ، فإنه في دار الوزير ، وموضعه ومكانه يقتضيان إفراذه بدارٍ وأثاثٍ وَتَجَمُّلٍ وَحَالٍ . فقال له أبي : بل يزيدك الله يا أبا الحسن ويضاعف مالك وحالك ويريني لك في الشهر الواحد ضِعْفَ ذلك ويجريه على يدي في قضاء حَقِّكَ . فقال له نقض الوزير شرطی ، وأخلف وعدي ، وما أقنع منه إلا بالوفاء . فجعل يشكره ويدافعه وأبو الحسن مقيم على أمره ومُلبَّحٌ في سؤاله ، ثم قام على رجليه وأخذ يضرع إليه ويكرر القول عليه ، حتى قال له : قد قبلتها فلتكن لي قبلك إلى أن أعرفك من بعد رأيي فيها . فعند ذلك أمسك وانصرف . وأقبل أبي يقول لي بعد خروجه : ما أعلم أن الله تعالى خلق مثل هذا الرجل في سَعَةِ نفسه ، ولا مثل أولئك في ضيق نفوسهم وجَحْدِهِم القليل مما نُسب إليهم ، واعترف هذا بأضعاف ما ذَكَرَ أنه له ، ثم بذله إياه هذا البذل من نِيَّةٍ خالصة صادقة . ثم أخذ أبي ينشد ويردد :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي طُلُوحٍ لَأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يَسْوَدُ

قال أبو الحسن : ودخل جدِّي ونحن في ذلك ، فخذته بما جرى ، وقال له : قد

(١) تقوض المجلس : انقضى .

والله سَرَّني ما شاهدتهُ منه ، وعلمت أنه رَدَّه^(١) للملك ومَفَرَّع متى دعتهُ إليه حاجة .
قال : وكان أبي رُبَّما يمازحه ويقول له : ما خَبَرُ تلك الجارية ؟ فيقول : أ كَمَلُ
ما كانت ، أفيأذن الوزير في حملها ؟ فيقول لا بل تكون على حالها .

وعرض عليه في وزارته الثانية - وقد جلس للمظالم - رجل عُمرِيٌّ رُقْعَةٌ تَتَضَعُ
شكوى حاله ورِقَّتْها ، وأن عليه دينًا قد ضاق دَرْعُهُ به ، وعلى ظَهْرِها توقيعُ أحدِ
الوزراء بأن يُقضى دينُهُ من مال الصدقات ، فقال له : يا هذا ، إن مال الصدقات
لِلأقوام بأعيانهم لا يتجاوزهم ، ولقد رأيت المهتدي بالله رحمة الله عليه وقد جلس
للمظالم ، وأمر في مال الصدقات بما جرى هذا الجرى ، فقال له أهلها : ليس لك
يا أمير المؤمنين ذلك ! فإن حَمَلْتَنَا على أمرنا وإلا حَاكَمْنَا إلى قضاتك وفقهاك .
فحَاكَمهم فخاصموه . وإن شئت أنت حَاكَمْتُكَ . فقال له العمرى : لا حاجة لى إلى
الخاصمة . قال : الآن نعم أواسيك وأقضى دينك . وفعل ، وكان مبلغه خَمْسَمِائَةَ
دينار .

وحدث محمد بن داود بن الجراح قال : قال ابن أبي بدر وغيره : أنشدنا أبو
العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات لنفسه :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى خَمَلْتَهُ وَعَلَّمَكُمُ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَالِي عِنْدَكُمْ فَيَرُدُّنِي هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرُ عَنْ عِلْمِي
وله أيضا :

لَا تَلْخَنِي لَسْتُ سَامِعَ الْفَنَدِ^(٢) عَدَلْتَ بِي عَنْ مَنَاهِجِ الرَّشَدِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَضْطَرِّ لِحَادِثَةٍ فَالْصَبْرُ فِي الْحَادِثَاتِ مِنْ عُدَدِي

(١) الردء : التاصر والعون

(٢) الفند : الكذب أو الخطأ في القول .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية بحضرة أبي منصور ابن جبير : تأملت ماصار إلى السلطان من مالى فوجدته عشرة آلاف ألف دينار وما أخذت من الحسين بن عبد الله الجوهري^(١) فكان مثل ذلك . إلا أن فيما أخذ من الجوهري متاعاً وجوهرأ .

وللقاضى أبى جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول فى أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة :

قُلْ لِهَذَا الْوَزِيرِ قَوْلٌ مُحَقَّقٌ بَشَّهَ النَّضْحَ أَيْمًا إِبْنَاتٍ
قَدْ تَقَلَّدَتْهَا سَرَارًا ثَلَاثًا وَطَلَّقُ الْبَتَاتِ غِنْدَ الثَّلَاثِ

ووقع ييدى ثبت أخرج من ديوان المغرب فى أيام الراضى بالله بما أخذه الحسن ابن على بن محمد بن الفرات من الخطوط ممن قبض عليه وصادره فى أيام وزارتهم الثالثة ، نسختها :

أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامى عن النصف ممن بقى عليه من مصادرتة فى سنة ثلاثمائة ، سبعة^(٢) آلاف وثلثمائة دينار .

على بن الحسن الباذينى الكاتب عما تولاه بالموصل أحد عشر ألف دينار .
أبو الفضل محمد بن أحمد بن بطام ، خمسين ألف درهم .

محمد بن عبد الله الشافعى عما تصرف فيه لعلى بن عيسى ، ثلاثين ألف دينار .

محمد بن على بن مقلة عما تصرف فيه ، ثمانين ألف دينار .

محمد بن الحسن المعروف بأبى طاهر . مائة ألف دينار .

الحسن بن أبى عيسى الناقد عما ذكر أنه ودعة لعلى بن عيسى ، ثلاثة عشر

ألف دينار .

(١) هو المشهور بابن الجصاص وقد تقدم ذكره .

(٢) نصبت على : أخذ منه .

ومن الحسن بن أبي عيسى صلحا عن نفسه ، أربعة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي ، عشرين ألف دينار .

عبد الواحد بن عبيد الله بن عيسى عن بقية مصادرة والده ، ستة وثلاثين ألفا
وثلاثمائة وثلاثين ديناراً .

أحمد بن يحيى بن حاني الكاتب عن مصلحة وجبت ، عشرة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد بن إدريس الجهمذ عن صلحه ، ستة آلاف دينار .

محمد بن عبد السلام بن سهل عما عنده من الوديعة لمحمد بن علي وإبراهيم بن
أحمد المادرائي ، أربعة آلاف دينار .

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله عن صلحه ، أربعين ألف دينار .

علي بن حسن الباذيني صلحا عما تصرف فيه بالموصل ، وقتل ، مائتي ألف درهم .

محمد بن عبد الله بن الحارث عن صلحه ، عشرة آلاف دينار .

محمد بن أحمد بن حماد صلحا عما تصرف فيه بأعمال الموصل وغيرها وقتل بعد
أيام يسيرة ، مائتين وخمسين ألف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي عن الباقي عليه من جملة خمسين ألف دينار ، خمسة عشر
ألف دينار .

أبو عمر محمد بن أحمد ، بن الصباح الجرجرائي عن ضمانته الباقي من مصادرة أبي
ياسر إسحاق بن أحمد ، مائة ألف درهم .

أبو عمر بن الصباح أيضا عن الباقي على أبي العباس أحمد بن محمد بن علي
الجرجرائي المعروف بقرقر ، ثلاثة آلاف دينار .

علي بن محمد الحواري ، وقُتل ، سبعمائة ألف دينار

عبيد الله بن أحمد يعقوبى ، مائة ألف درهم
هارون بن أحمد بن هارون الهمداني ، سبعة آلاف دينار .
الحسن بن إبراهيم الخرائطى صلحا عما اقتطعه من مال الرئيس ، مائة ألف درهم
الحسين بن علي بن نصير أخو نصير بن علي ، مائة ألف درهم .
عبد الله بن زيد بن إبراهيم ، ألفين وخسين دينارا .
ومن عبد الله بن زيد صلحا عن نفسه ، خمسة عشر ألف دينار .
علي بن محمد بن أحمد بن السمان عن ورثة قرقر ، ألفين وخمسمائة درهم .
علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي كاتب ابن الحواري ، وقتل ، ستين
ألف دينار .

أبو بكر أحمد بن القاسم الأزرق الجرجاني عن ضياع علي بن عيسى ، عشرة
آلاف درهم .

الحسين بن سعد القطريلي ، مائة وثلاثين ألف درهم .
محمد بن أحمد بن ماسراد^(١) ، ألف ألف وخمسمائة ألف درهم .
أبو الحسن محمد بن أحمد بن بسطام ، ثلاثة آلاف ألف درهم .
أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ، خمسين ألف درهم .
يحيى بن عبد الله بن إسحاق عما تصرف فيه مع حامد ، سبعين ألف دينار
حامد بن العباس ، وقُتل ، ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار
محمد بن محمد بن حمدون الواسطي ، مائة وخمسين ألف دينار .
أبو الحسن علي بن عيسى ثلاثمائة ألف وأحدا وعشرين ألف دينار .

(١) غير واضح في الأصل .

إبراهيم بن يوحنا جهيد حامد بن العباس ، مائة ألف دينار .
 أبو محمد الحسن بن أحمد المادرائي ، ألف ألف ومائتي ألف دينار ومنه أيضاً
 بخط آخر ، ألف ألف دينار .
 أبو بكر محمد بن علي المادرائي ، ألف ألف دينار وألف دينار وبخط آخر أيضاً ،
 عشرة آلاف دينار .

سليمان بن الحسن بن مخلد ، مائة وثلاثين ألف درهم .
 فذلك من العين سبعة ^(١) آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً
 وستمائة وثمانين ديناراً ومن الورق خمسة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم ^(٢) .
 قيمة الورق عينا على التقريب ثلاثمائة وثمانين ألف دينار ^(٣) .

ويكون الجميع من العين ثمانية آلاف ألف دينار وأربعين ألف دينار ^(٤) .
 وحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات أن منجما أخبره أنه لم ينزل زحل
 في برج الثنبلة إلا حدثت حادثة ، وقد جرت العادة بذلك على مضي الأوقات ،
 ومن ذلك أنه نزل هذا البرج سنة ثمان للهجرة فكان في تلك السنة فتح خيبر
 ومكة ، ونزل في سنة ثمان وثلاثين ، فكانت حرب صفين بين علي عليه السلام
 وبين معاوية ، ونزل في سنة ثمان وستين وكان فيها حرب المختار وعبد الملك
 وقصة عبد الله بن الزبير ، ونزل في سنة ثمان وتسعين فأت سليمان بن عبد الملك

(١) الجملة هي ٦/٥٧٥/٦٨٠ ولعله نسي مليوناً في ذكره لمصادر الأشخاص أو أن الكلمة
 حرفت من ستة إلى سبعة .

(٢) الجملة هي ٥/٤٧٢/٥٠٠ ولا شك أن هناك سقطاً في أرقام آلاف الدراهم فتلا رقم علي
 ابن محمد بن أحمد بن السمان وهو ٢٥٠٠ درهم مبلغ قليل في المصادر ولم يذكر في الجملة المدونة
 في الكتاب رقم مئتين .

(٣) معنى هذا أن الدينار عندهم كان يساوي أربعة عشر درهما تقريباً .

(٤) على حسابه السابق تكون الجملة ٧/٩٥٥/٦٨٠ وعلى ما جمناه تكون الجملة ٦/٩٥٥/٦٨٠ .

وانتقل الأمر إلى عمر بن عبد العزيز ، ونزل في سنة ثمان وعشرين ومائة فظهر أبو مسلم وجرت قصة مروان بن محمد . ونزل في سنة ثمان وخمسين ومائة فمات المنصور ونزل في سنة ثمان وثمانين ومائة فأوقع الرشيد بالبرامكة . ونزل في سنة ثمان عشرة ومائتين فتوفي المأمون . ونزل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فتوفي المنتصر وقتل المتوكل . ونزل في سنة ثمان وسبعين ومائتين فتوفي الموفق . وحدث من الأمور ما حدث .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : لما توفي أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات أحضر المكتفي بالله القاسم بن عبيد الله وسأله عنه ، فعرفه وفاته وعزاه عنه ، واستأذنه فيمن يُقلده الديوان مكانه ، فأعلمه ما كان يسمعه من المعتضد بالله أبيه في وصف بني القرات وذكري كفايتهم ، وأمر بإقرار أبي الحسن على دواوينه ، وسمع خفي السمرقندي ذلك فأنفذ إلى أبي الحسن سرّاً فطالعه وهو جالس للعزاء عن أبي العباس أخيه ، وأعلمه أنه أمرٌ يجب كتمانُه إلى أن يظهر من غير جهته ، وأنفذ إليه القاسم أبا علي وأبا جعفر ابنيه مُعزَّيين له ولأبي محمد الفضل وأبي الخطاب العباس وأبي جعفر محمد بن أبي العباس ، وسار إليه وإليهم أبو أحمد العباس بن الحسن وأبو الحسين ابن فراس ، مُعزَّيين ، ولم يبق أحد من القواد والكتّاب والقضاة وسائر الطبقات إلا فعل مثل ذلك . فحضر أبو الحسن بن القرات بعد انقضاء أيام العزاء الديوان ، ونظر في الأعمال ، وأمضى ما كان تأخر إمضاؤه منها . وكان في نفس القاسم من أبي العباس وأبي الحسن ما لا يتِمَّكنُ من إظهاره في حياة أبي العباس ، فلما توفي عاود محمد بن عبدون الواقعة في أبي الحسن ، وأغرى القاسم به ، وحمله مع عِلته على مطالبته بما كان أخرج عليه . فأمر بإحضار الأعمال التي كانت عُملت له ، وجلس للنظر فيها ، ومواقفه عليها في يوم الثلاثاء قبل وفاته بثمانية أيام ، وأقبل ينظر أبا الحسن

وهو وقيد^(١) من علته ويسمى الروائح الطيبة طلباً للتماسك في قوته . فلما زاد ما يجده أشار عليه إسحاق بالإمساك لئلا يزيد احتداد طبعه ، ودعا بماء وردٍ فرشّه على وجهه واقضى المجلس . واشتغل القاسم بنفسه وتوفى في يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين بعد أن كاتب المكتفى بالله ، وعرفه اشتداد مرضه وبأسه من بُرئه ، وأشار عليه بالتعويل في مكانه على العباس بن الحسن كاتبه ، ووصفه بما رغبه فيه به . وكانت فارس الدّاية على عناية بأمره ، لأن القاسم استكتبه لها فأحسن خدمتها ، فأشارت على المكتفى بالله - وكان كثير القبول منها - بالتعويل عليه ، والتفويض إليه ، ففعل . وخرج المكتفى بالله إلى سرّ من رأى ، ومعه العباس ابن الحسن ، وهو معتقد للقبض على أبي الحسن بن الفرات هناك . فذكر أبو عبد الله زنجي أنه خرج متبعاً لأبي الحسن بن الفرات ، فلقى أبو القاسم ميمون بن إبراهيم المادرائي منصرفاً عن وداعه ، وسأله عن مقصده ، فعرفه أنه لاحق بأبي الحسن ابن الفرات ليكون معه ؛ فأشار عليه بالعود إلى منزله وأوحى^(٢) إليه بإشفاقه من حادث يحدث عليه . قال : قلت : لا يحسن التأخر عنه ، وكفاية الله من دون ما يشفق منه^(٣) وسار المكتفى بالله والعباس بن الحسن وأبو الحسن بن الفرات ، وأنا في الصحبة ، ووصلنا إلى الأحمدى وليس مع أبي الحسن من كتابه غيرى وغير أبي منصور بن جبير .

فلما كان في بعض الأيام حضرت عنده على رسي ، وقدم الطعام ، ودعاني إليه فامتعت وقلت : إني صائم . وسألني عن سبب ذلك وألحّ ، فعرفته أنني رأيت

(١) الوقيد : من معانها الشديد المرض .

(٢) في الأصل : وأوحى يقال : أوحى إلى فلان : كلمه بكلام يخفيه عن غيره .

(٣) يعني أنه يدعو له : بأن تكون عناية الله وكفايته حائلة دون ما يخاف منه .

في المنام أبا العباس أخاه وهو يقول لي : قل لأبي الحسن أخى : لَسْتَ تَقُمُّ بعد هذا اليوم .

فسر بما حدثته به وقال : أبا أحقُّ بالصوم . وأمر يرفع المائدة وجلسنا ، فنحن في ذلك حتى وافاه خادم أسود مسرعٌ قد علا وجهه الغبارُ ، فدنا منه وسارّه ثم انصرف . والتفت أبو الحسن إلى وقال : قد حقق الله رؤياك ، هذا رسول خفيف السمرقندى يُعلمنى عن خفيف أن أمير المؤمنين المكتفى بالله ركب في هذا اليوم يتصيدُ ومعه العباس بن الحسن ، وأنه قال له : إن جماعة من الكتاب قد غلبوا على ضياع للسلطان ، وعليهم من حقوق بيت المال ما يحتاج معه إلى القبض عليهم وارتجاع ما حصل في أيديهم . وأذن له في تدبير أمرهم بما يراه ، قال : فلما انصرف دنوت من أمير المؤمنين وقلت له : إنما أراد العباس - بما قاله لك - أبا الحسن بن الفرات ، وأن المعتضد بالله كان يُوثِّقه ويوثق أبا العباس أخاه ، ويعول عليهما في تدبير الأعمال وحفظ الأموال . فقال لي : إذا كان الأمر على ذلك فبادر إلى العباس وتقدّم إليه بالأمر يعرض لأبي الحسن بن الفرات ولا يُغيّر شيئاً من أمره ، ويعمل ما شاء في غيره . ففعلت وبادرت إليه بمن قال له هذا لئلا يعجل إلى أمر من الأمور . فسجد أبو الحسن بن الفرات شكراً لله تعالى وتصدق بصدقة كثيرة . وصحح يومئذ ثلاثين ألف دينار عند صاحب بيت المال وأخذ خطّه بقبضها ، وصار إلى العباس فأعلمه أن الكلام قد كثُر والخوض قد طال في ذكره وذكر ما كان في يده من ضياعه وأملاكه وما خدم به وكلاؤه من حقوق بيت المال مما لا تعرف حقيقة الدعاوى فيه ، وأنه صحح لبيت المال ثلاثين ألف دينار صلحا عن هذه القُروف ^(١) المشبهة ، وحسباً لمادة الأقوال المختلفة ، وتخفيفاً عن قلب

(١) القُروف : التهم جمع قُرف أو قُرفة .

الوزير والاهتمام بأمره ، وسلم إليه الخط بالقبض . فأظهر العباس إنكاراً لقلعه وقال له : نَحِلْتَ إلى ما وجب أن تتوقف عنه ، وتُعَرِّفَنِي ذلك وعزمك فيه . وأورد جميلاً كثيراً فيما خاطبه به .

ولما لم يجد العباس طريقاً إلى ما همَّ به في أبي الحسن بن الفرات عدل إلى الإقبال عليه والتفويض إليه . وعاد المكتفي بالله من سفره بعد أن ضاقت صدور أصحابه وندمائه من طول مُقامه وشدة البرد الذي يلاقونه والقَشَف^(١) الذي يقاسونه ، وقال يحيى بن على المنجم أحد جلسائه :

قالوا لنا إن في القاطول مشتانا ونحن نأملُ صنعَ الله مولانا
والناسُ يَأْتُمِرُونَ الرَّأْيَ بينهمُ والله في كل يومٍ مُحَدِّثُ شَأْنَا

وغنى المكتفي بذلك ، فسأل عن قائله فقليل : يحيى بن على المنجم . فأمر بالرحيل إلى بغداد وشكر الناس يحيى بن على على شعره .

ولما حصل العباسُ بن الحسن بالحضرة عاودَ محمدُ بن داود ومحمد بن عبدون وعلى بن عيسى الواقعة في أبي الحسن بن الفرات والإغراء به ، والإطاعَ فيه ، والكلام على حاله .

قال أبو عبد الله زنجي : وحضرت مع أبي الحسن في دار العباس ، فوجدناه جالساً في مجلسه ، والجماعة المذكورون بين يديه ، إذ نهض وأقام الكتاب على انتظاره ، وخرج كاتبه فاستدعى أبا الحسن ، فدخل إليه ، ولم يشك الحاضرون أنه يقبض عليه . قال أبو عبد الله : واشتدَّ إشفاقى ، وزاد خوفاً ، وتأخر عنده طويلاً . والقوم مُتَشَوِّفُونَ إلى علم ما جرى في أمره . ثم خرج العباس وأبو الحسن معه ، وقعد

(١) القشف : سوء الحال ورتانة الهيئة وضيق العيش .

وأَقَمَدَهُ عن يمينه ، وأقبل عليه بوجهه ، وزاد في تقريبه وبَسَطَهُ ، ونظر بعضُ الجماعة إلى بعضِ واجمين بما يشاهدونه ، ومتعجبين من انعكاس ما كانوا يُقدِّرونه . ثم نهض أبو الحسن منصرفاً إلى داره ، وصَحِبَتُهُ ، ووصل فما استقر به مجلسه حتى سأله عن خبره ، وما جرى عليه أمرُه مع العباس ، فقال : دعاني ودخلت إلى حجرة ما دخلت إليها من قبل ، فوجدته جالسا خاليا بنفسه وبعضِ حواشيه ، فتقدَّم إلى الحاجبِ بإخراج كلِّ من يقرب من موضعه ، والجلوسِ على الباب ، ومنع كلِّ من رام الدخول ، وانفردنا جميعاً وبدأ يذكر ما يعتقده فيَّ من الجليل ، وما هو عليه من الحماسة عني ، وأنه قد حُجِّل في أمرى على أشياء فوقف عنها مراعاةً لِحقِّ . ثم قال : إن كان في نفسك من هذا الأمر - يعني الوزارة - شيءٌ سلَّمتها إليك وخَلَّيت عنها لك ، على أن تحرسني في نفسي ومالي وحرَمي وولدي . فأعلمته أنني أحسن حالاً منه مع الأتقال التي عليه ، وأنتى أرجع من المالِ والنَّعمة والأُملاك والضيعة والجاه والقُدرة إلى ما أَسْتَغْنى به عن زيادة . وراجعتني مراجعةً بعد مراجعة . فلما رآني مُقيماً على على حالٍ واحدة قال . فإذا كان ذلك كذلك فأنا أُنسور أن الأمر من بعدى صائر إليك ، وأوصيك بولدي وحرَمي ، فقلت : بل يُبَيِّقِك الله ويبطل عمرك ولا يُخَلِّي مكانك منك ، ولا يُرَبِّني سوءاً ولا محذوراً فيك . فلم يقنع إلا بأن استخلفني ثم مدَّ يده إلى وعانفتي وقال : أمرُنا الآن واحدٌ ، ويدُنا واحدة ، فلا تلتفت إلى هؤلاء الكتاب وأقوالهم ، ولا تُفكِّر في كلامهم وتشنيعاتهم ، وثِقْ بما لك عندي من مَزِيَّةِ المِراعاة وزيادة الحماسة . فشكرته ودعوت له وأعلمته قوَّةَ نفسى الآن به ، وخرجنا . فكان ما رأيت من فعله . قال أبو عبد الله : فسُررت كلَّ سرور بما حدثنيهِ . ثم رَدَّ العباسُ بعقب ذلك إلى أبي الحسن الزمامَ عَلَى عَلِيٍّ بن عيسى . وأغفاه من ديوان الجيش ، وقد كان سألَ القاسمَ بنَ عبيد الله إعفاءه منه فلم يفعل .

وقيل إن أبا الحسن تصدق عند إعفائه بعشرة آلاف درهم .

ولما قُتِلَ العباس بنُ الحسن ووزر أبو الحسن بن الفرات قُبِضَ على أولاد العباس في جملة من قُبِضَ عليه . وأدخلت اليَدُ في جميع أملاكهم فحدث أبو عبد الله زنجي قال : التمس أبو الحسن بنُ العباس بن الحسن لقاء أبي الحسن بن الفرات فَمَنِعَ منه ، فأُلْحَ في ذلك إلحاحاً طُولَع به أبو الحسن فأمر بإحضاره ، فحضر وقال له : احفظُ فينا أيها الوزير وصية أئبنا لك وما أخذنا من عهدك . قال : ومتى كان ذلك ؟ قال : في اليوم الذي خلوت فيه معه في الحجرة ، وصرف كلَّ من كان بين يديه وقريباً منه ، وكان من حديثكما فيما تفاوضتماه كذا وكذا . قال له : ومن أين عرفت ذلك ولم يكن معنا ثالث ؟ قال : كنت في الرُّواق خلفَ الباب ، وسمعت ماجرى بينكما كلَّه . قال : صدقتَ وقد كنتُ أنسيت ذلك . ثم أمر بإطلاقه وإطلاق إخوته والإفراج عن أملاكهم التي تخصُّهم . ثم قدَّم بعد ذلك الدواوين . وحدث أبو عبد الله زنجي قال : حضرت مع أبي الحسن بن الفرات مجلس أبي أحمد العباس بن الحسن وهو وزير ، وبين يديه الأعمال ينظر فيها ، إذ مرَّ به كتاب من الحسن بن محمد القصرى المعروف بابن زياد - وإليه الصدقات بقصر ابن هبيرة - جواباً عما كُتِبَ به من تحمُّل ما اجتمع عنده من مالها . فلما نشره قرأ في العطف الذى وراءه : ضربت وجهك يا عباس بلا حَوْلٍ ولا قُوَّةٍ إلا بالله . فاستشاط غضباً واختلط غيظاً وقال : من ابنُ زياد الكلبُ حتى يلقانى بما لَقِى ، ويستعمل من المرأةِ وأطراح المراقبة ما استعمل ؟ ! ودفع الكتاب إلى أبي الحسن بن الفرات وقال له أنفذ إليه مَنْ يسجبه إلى الحضرة على وجهه ، ويعامله من المكروه بما استدعاه لنفسه ، وإذا ورد لم يبرح من الديوان إلا بعد الخروج مما عليه . وقام أبو الحسن ومضى إلى ديوانه وتصفح ما قدَّم إليه من الكتب ، فقرأه ، ولحظ في طَيِّ عنوانه

ضربت وجهك يا علي بن محمد بلا حول ولا قوة إلا بالله . فاغتاظ أبو الحسن مثل غيظ العباس وأكثر ، وأمر بإفناذ من يجرئه من القصر إلى الحضرة ثم قال : لا ، ولكن التمسوا ثلاثة أنفس من المستحقين الغلاظ القضاة وأنفذوهم إليه وواقفهم على ألا يفارقوه إلا بعد تصحيح ما عليه ، وأوجبوا لكل واحد منهم في اليوم دينارين يأخذونها منه . قال أبو عبد الله بن زنجي : والتفت إلى وقال : اكتب لهم منشورا ينفذون به ، ونذب من يخرج ، وكتبت المنشور ، وحمل إلى حضرته مع غيره مما كنت كتبت ، فأول ما وقع بيده المنشور ، فأخذه وقرأ مواعله إلى جانبه ، وأقبل يقرأ ما سواه إلى أن استغرق قراءة الجميع . ثم قال لي وأنا جالس بين يديه : قد - والله يا أبا عبد الله - ضرب ابن زياد وجهنا بشيء لا تقدر معه على أن نسيء به ، خرقي المنشور وأضرب عن إفناذ المستحقين ، واكتب إليه أن يجعل حمل ما عليه ولا يجوز إلى إفناذ من يقيم عنده ويُقبل عليه مؤونته . ففعلت ذلك ، ومضى الأمر عليه ، ولم يمد من العباس فيه قول .

ووجدت نسخة ما كتب به أبو الحسن بن القرات عن نفسه إلى ولاية البلاد عند تقلده الوزارة وزوال فتنة عبد الله بن المعتز فكانت :
نعم الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدد في سائر أوقاته ، وتتوكد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه وناصرة لأوليائه ، والله سبحانه وتعالى يُعينه على أداء حقه والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من جلة الكتاب والقواد ووجوه الغلمان والأجناد حسدوا أبا أحمد العباس ابن الحسن - رحمه الله - على محله ومنزلته ، وما قام به لأمير المؤمنين - أيده الله - من عقد بيعته ، فسعوا في إتلاف مهبته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبد الله ابن المعتز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وشيعته ، وحسن لهم الخروج عن طاعته ، فنكثوا ومارقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف

الفتنة ، وأضرموها نيرانها ، وأظهروا أعلامها . وتفرّد الحسين بن حذان بأبي أحمد فقتله ، وَثَنِي بِفَاتِكِ الْمُعْتَضِيَّ فَأَتْلَفَهُ ، وقصد المارقون دارَ الخلافة ، ووصلوا إلى جدرانها ، وحرّقوا عِدَّةً من أبوابها ، ووفق الله الغلمانَ الحَجْرِيَّةَ والخَلْدَمَ والأولياءَ المصافيَّةَ لمنازلتهم ومحاربتهم ، فانصرفوا مفلولين . واجتمعوا إلى عبد الله فعاقده وباعوه ، وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووزاره محمد بن داود بن الجراح على ضلّالته ، وَصَبَّحَهُمْ ^(١) من غلمان أمير المؤمنين أدام الله تمكينه وخاصته وذوى البأس من رعيّته مَنْ حَسُنَ دِينُهُ ، وخلص يقينه ، فتحصّنوا بالإبعاد في الهرب لما خافوه من شِدَّةِ الطلب ، وأسِرَّ جماعة من أصحاب عبد الله بن المعتز وكُتَّابِهِ ، منهم : يُمَيْنُ الكبير ووصيف بن صوّارتكين وخطارمش ^(٢) وعلى الليثي ومحمد الرقاص وسرخاب الخادم ، وأبناء دميانة ومحمد بن عبدون وعلى بن عيسى بن داود ابن الجراح ومحمد بن سعيد الأزرق والمعروف بأبي المثنى ^(٣) ، ومحمد بن يوسف المكنى أبا عمر ، وُحِّلُوا إلى دار أمير المؤمنين ، وَحَصَّلُوا في أعظم البُؤْسِ ، وأضيق الحبوس . ولما أخذت النائرة ^(٤) ، وسكنت النائرة ، استدعاني أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - وأوصلني إلى حضرته ، وخصني ببره وتكرّمه ، وفوّض إلىّ تدبير مملكته ، وقلدني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع عليّ خِلْعاً ألبسني بها جلالاً وقدرًا ، وجمالاً وفخراً ، وعُدّت إلى داري مغموراً بإحسانه ، مثقلاً بأياديه وامتنانه ، وأسأل الله معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاه وإرادته بمنه ورحمته . وقد أُوْبِقْتُ عبدَ الله

(١) في الأصل : صبحهم . وأضاف إليه الناشر الأول كلمة « ما » فصارت : وما صبحهم ، لكن صبحهم هي النفقة مع المعنى بدون زيادة على أنه قد سبق مثل هذا الخطاب في صفحة ١٠٠ وفيه : وما صبحهم .

(٢) في تجارب الأمم ٧/٥ خرطامش ولم يرد في الخطاب المشار إليه في صفحة ١٠٠ .

(٣) هو القاضي أحمد بن يعقوب كما في تجارب الأمم ٧/٥ .

(٤) النائرة : الفتنة والعداوة .

ابن المعتز ذنوبه ، وأسلمته عيوبه ، وحصل في قبضة صافي مولى أمير المؤمنين مأسورا مقهورا . وأوجبت الحال إطلاق صلاته للأولياء وافرة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة متشاغل وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أجل مجاريها ، وأفضل الحجاب فيها ، والحمد لله رب العالمين . وعرفتُك ما جرى لتعلمه أهل عملك وتزداد اجتهدا إلى اجتهدك ، وكفاية وغناء على كفايتك وغنائك ، وتكتب بما يكون منك في ذلك إن شاء الله .

وكان أبو الحسن بن القرات خاطب محمد بن داود وهو يتولى عطاء الجيش فيما يطلقه بغير صك ولا حجة ، وأخرج عليه مما أطلقه من بيت المال بصكَيْنِ مُثَبَّتَيْنِ مُكَرَّرَيْنِ مائةً وعشرين ألف دينار ، واقفه على ذلك بحضرة العباس واقفة اعترف بها محمد بن داود ، واعتذر بالسهو في فعله . وجدّد ذلك أن أمر العباس صاحب بيت المال بالألا يُطلق شيئا في إعطاء وإنفاق إلا ما عرفه أبو الحسن وأذن فيه ، وثبتت علامته على الصكّالك به ، وكان مما قاله أبو الحسن لمحمد بن داود : أنا أجمع الأموال وأحصلها وأتم تفرقونها وتقرطون فيها ! فقال له محمد : التقریط والتضييع كان في أيامك - يعني أيام نظره في ديوان الجيش - فقال له أبو الحسن : قد كنت أحد كتّابي إذ ذاك وفي بعض مجالس الإطلاق ، فإن عرفت خيانة فاذا كرها أو إضاعة فاستدركها . وقال له العباس . حالك يا أبا الحسن في الضبط والاحتياط معروفة ، وطريقتك في الاستيفاء والاستقصاء معلومة ، وما بك إلى هذا القول حاجة .

وكان أبو الحسن على بن عيسى حَضَرَه بحضرة العباس بن الحسن لمناظرة أبي الحسن بن القرات على ما كتب به إبراهيم بن عيسى ومحمد بن عيسى العرمم أخواه في ضيعة أبي الحسن بن القرات بكورة كسكر ، وضياعه بناحية الأجهتين وما غير

من معاملتها وخفف من مُقاسمتها . فلما بدأ علي بن عيسى يذكر ما كتب به أخواه وأورده قال العباس بن الحسن لأبي الحسن بن الفرات : ما عندك يا أبا الحسن في ذلك ؟ قال له . ما أعرف من أمر ضياعي شيئاً ، لأن العمال قد أدخلوا أيديهم فيها مُنذُ نَيْفٍ وعشرين شهراً ، وأخذوا الحقوق السلطانية فيها على ما أرادوه واقترحوه منها ، وما تكلمت ولا تظلمت انصراف قلبٍ عنها ، ولكنه قد وجب على محمد بن عيسى من ثمن الأرز بالسَّيين أ كثر من ثمانية آلاف دينار لا عذر ولا حجة له في دفعها ، ولما كاتبته بحملها والخروج منها كتب في أمر ضيعتي بما كتب ، والأمر للوزير ، وهو أعلى عيناً فيه . فأمر العباس عند سماعه ذلك بإفناء مَنْ يَسْتَحِثُّ محمد بن عيسى فيما أخرج عليه ، ويُطالبه بالخروج منه ثم صرفه من بعد . وتقدم إلى أبي الحسن بن الفرات بأن يعمل له عملاً يستقصى النظر فيه ويكشف أمره فيما تولاه وقام به . وقال له أبو الحسن : ومِمَّا أسأله صَرَفُ جَعْفَرٍ أَخِي عما يَتَقَلَّدُهُ ، فإن علي بن عيسى قد قصده وأنفذ إليه من المستحسين من ثَقُلَ به عليه ، وإذا انقطعتِ العاملةُ بينه وبينه زال بذلك تَسَوُّفُهُ عليه وعليّ به . فأجابه العباس إلى صرفه .

وكتب أبو الحسن بن الفرات إلى عامل طريق خراسان مما تولاه بيده : قد اشتهرت بأحكام الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، في الخراج مَذْفُوتِحتَ نواحيه ، وَوُضِعَتِ الطسوق فيه ، بالرسوم الجارية والشئِ الباقية التي سَنَّا أفضلُ سلف ، وعمل بها أعدلُ خَلَف ، ليس في شيء منها حَكَمٌ مختلفان ولا طُسُقَانٌ متفاوتان ، في صقع واحد ، لمسلم أو معاهد . و بطريق خراسان وكلوداى ونهرين معاملات محبوظة الوضائع ، في الإستان والقطائع ، لطائفة دون أخرى ، سببها ما شرطه محمد بن جعفر في سني ضمانه . وأحق الشروط عند الفقهاء بالإبطال ،

ما يجرى على سبيل حيلة وإدغال^(١) ، فانقضى كل شرط ورسم يعودان على مال السلطان - أعزه الله - بنقضي أو تلم ، واستوف خراج ذلك على أكل طُسوقه ، وأفضل حقوقه ، حتى تنحسم تلك الأطماع ، ويتوفر على يدك الارتفاع إن شاء الله . وكتب للنصف من رجب سنة ست وتسعين ومائتين .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في أول مرة أجرى كلاً من حُجَّابه وكتَّابه وأصحابه على رسمهم ، وأقرهم على ما كانوا يتولونه من أمره ، ولم يستبدل بهم ، ولا استزاد فيهم ، لا كتفائه بمن كان معه عن غيرهم . وكانت أخلاقه وهو وزير مثله وهو صاحب ديوان . ومن رسمه أن يقدُّو إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ، ويسلم إلى كل منهم ما يتعلَّق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وصَّاته به . ثم يروحون إليه بما يعلمونه من أعمالهم ، فيوافقهم عليها ، وعلى ما أخرجوه من الخروج ، وأمضوه من الأمور ، ويُقيمون إلى بقض من الليل . وإذا خفَّ العمل ، وقد عُرِضَتْ عليه في أثنائه الكتب بالنفقات والتسييات والإطلاقات والحسابات ، نهض من مجلسه ، وانصرفت الجماعة بعد قيامه . وكانت علامته تحت بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : ورفع إلى أبي الحسن بن الفرات أن جماعة الكتَّاب في ديوان الجيش المتولِّين للعطاء احتسبوا على الجند بما لم يعطوهم إياه ، وأخذوه لنفوسهم ، واقتطعوه من دونهم ، فأنكر ذلك ، وعظَّم في نفسه ، وكشف عنه فوجده صحيحاً ، ورأى الإقدام على مثله غليظاً . فقبض على القوم الذين فعلوه ، فنهض من ضربه وأدَّبه ، ومنهم من ارتجع منه ما حصل في يده ، ومنهم من صفح عن جرَّمه . وكان في الجماعة أبو القاسم الحسين بن علي بن كُرْدِي ،

(١) إدغال : غش .

وقد اعتقل ، فكتب إلى أبي عبد الله والدى يسأله خطاب الوزير في بابه والتلطف في إطلاقه . وافق أن دعا الوزير أبا عبد الله إلى طعامه على رسمه ، فلما حضر امتنع من الأكل ، فقال له الوزير : ما سبب امتناعك ؟ قال : إني ما أطيب نفساً بأن آكل عابن كردى قريبي في الحبس يُعرضُ للمكرهه . وأتبع ذلك بالمسألة في أمره وهبته ما عليه له ، فأجابه جواباً جميلاً ، وتقدم بتخليفة ابن كردى ، وتسليمه إليه ، والصفح له عما يُطالب به . ثم قال له . تقدّم الآن كلن . قال أبو القاسم : ولم يكن بيننا وبين ابن كردى نسب ولا قرُوبى . وإنما قال أبى ما قاله تأكيذاً للخطاب في بابه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : استدعى أبو الحسن بن الفرات في بعض الأيام أبا علي بن مقلة وأبا عبد الله والدى في وقت العصر ، على خلوة لم يحضرها غيرها ، وقال لأبى علي : استدع قرطاساً يُكتبُ فيه . فأحضره صاحبُ النواة ثلث قرطاس ، وقال له : وقّع بأن يُكتبَ إلى علي بن أحمد بن بسطام بوصول كتبه بما قرّر عليه أمر المادرائين ، وأننى وجدته مخالفاً لما أمرته به . وما توجه الجلة المحصلة عليهم وهى ثلاثة آلاف ألف وكذا دينار ، وكذا منها من جهة كذا وكذا ، ومن جهة كذا وكذا ، حتى استوفى الإملاء بتفصيل الجلة المذكورة ، وفيها أنصاف دينار وأثلاثه وأرباعه وما دون ذلك . ووصل القول بما ملأ به الثلث . واستدعى أبو علي ثلثنا آخر ، واستتم الأمر فيه وفيما أراد خطابه به في معانيه ، فكان ذرعُ الثلثين الذين كتب فيهما نحو ستين ذراعاً . ثم قال لأبى عبد الله أبى : اكتب إلى علي بن أحمد على موجب ذلك . فقال له : والله أيها الوزير ما يحتاج إملاؤك إلى أكثر من أن تُنبت في أوله وآخره الدعاء ، فإنه قد أتى على كل غرض ، وبلغ فيما يُراد كل مبلغ . فقال : تأمله على كل حال وتفقهه وقف معانيه . قال

أبو القاسم : ولقد حدثتُ بعضَ الرؤساء هذا الحديثَ في مجلسٍ حافلٍ قد صعدَ على ابن الفرات فيه بِنَزَارَةِ الكلام ، فعجب منه ، وقال لي : لولا أن ذكرته لَمَا صَدَّقْتُهُ .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : رسم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية أن يُدعى أبو الحسن موسى بن خلف وأبو علي محمد بن علي بن مقلة وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوزاني وأبو عبد الله محمد بن صالح وأبو عبد الله والدي وأبو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم التستري النصراني وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني وأبو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني في كُلِّ يوم إلى طعامه فكانوا يحضرون مجلسه في وقته ، ويقعدون من جانبيه وبين يديه ، ويُقدَّم إلى كل واحد منهم طبقٌ فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء ، ثم يُجعل في الوسط طبق كبيرٌ يشتمل على جميع الأصناف وكلُّ طبق فيه سِكِّين يُقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكثرى ، ومعه طست زجاج يرمى فيه التَّنُّل ، فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفروا ^(١) كفائتهم ، شيلت الأطباقُ وقُدِّمت الطسوتُ والأباريق فغسلوا أيديهم ، وأحضرت المائدةُ مغطاةً بدينقٍ فوق مكتبة خيازر ^(٢) ومن تحتها سُفرة آدم ^(٣) فاضلة عليها ، وحواليها مناديل القمر ^(٤) من الثياب المصنوعة ^(٥) فإذا وُضعت رُفعت المكتبة والأغشية ، وأخذ القوم في الأكل ، وأبو الحسن بن الفرات

(١) استوفروا : استوفوا :

(٢) الخيازر : جمع خيزانة ، فالمكتبة مصنوعة من الخيزان .

(٣) الأدم : الجلد .

(٤) القمر : الدهن ويريد بذلك المناديل التي تستعمل ساعة الأكل « فوط المائدة » .

(٥) المصنوع : المحفوف ولعلها يراد بها المصنوعة لتكون كالأكوية .

يُحْدِثُهُمْ وَيَبَاسِطُهُمْ وَيُؤَانِسُهُمْ . فلا يزال على ذلك ، والألوان تُوضَع وتُرفع أكثر من ساعتين ، ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ، ويسلمون أيديهم ، والفراشون قيامٌ يصبون الماء عليهم ، والخدمُ وقوف على أيديهم المناديلُ الدقيقية ، وَرَطْلِيَّاتُ^(١) ماء الورد لمسح أيديهم وَصَبُّهُ على وجوههم ، فمن كانت له من الكتاب حاجة قام إليه وخاطبه فيها وسأله إياها ، ومن أراد إطلاعه على سِرِّ يجب الانفرادُ معه فيه فعَلَّ مثلَ ذلك . ثم يُخْرِجُ وظائف^(٢) الكتاب وغلماهم وألحزانَ وَمَنْ دونهم وسائر من جَرَتْ عادته بالوظيفة ، على طبقاتهم ، وأتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على أصحاب الدواوين والكتاب والمقيمين في الدار .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : كثر الإرجاف بأبي الحسن بن الفرات في آخر وزارته الثانية ، وكان كتابه إذا ركب في يوم الاثنين والخميس إلى دار السلطان استتروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا . فلما كان قبل القبض عليه بأيام كتب إليه المقتدر بالله يلتمس منه حمل مائتي ألف دينار من أموال الواحي . فخلا بأبي الحسن موسى بن خلف ، وكان يثق به على سره ، ويستشير به أمره ، وعَرَفَهُ ما طلبه المقتدر بالله منه ، فقال له . لا تفعل ومتى فعلت أطمعته في نفسك ومالك ، وطالبك في كلِّ وقت بما تعجز عنه قُدْرَتُكَ . ورجع أبو الحسن في ذلك إلى أبي بشر عبد الله بن الفرخان ، فأشار عليه بمثل ما أشار به موسى بن خلف . وأعلم أبا عبد الله والذي ماجرى ، واستعلم ما عنده في ذلك ، فقال له : الأعمال في يدك ، والأموال محمولة إليك ، وما يتعذر هذا القدرُ عليك ، إِمَّا تَقْدِمُهُ من مالك ، أو أَخْذًا له من جَهاذتك

(١) الرطليات لعلها أوان سعتها رطل .

(٢) وظائفهم : مقرراتهم من الطعام وغيره .

ومعامليك ، ودَفَعُ الشَّيْءَ ^(١) أُولَى مِنْ تَعَجُّلِهِ ، ومتى جرى - وأعوذ بالله - أَمْرٌ
أَخَذَ أَكْثَرَ مِمَّا وَقَعَ الْإِتِمَاسُ لَهُ .

فلم يَدَعُ موسى بن خلف ، وأقام على ما أورد من رأيه . وأجاب أبو الحسن
ابن الفرات المقتدر بالله بالاعتذار والاحتجاج وتكثير ما عليه من المؤن والنفقات
والأعطيات والإطلاقات . واحتدَّ الإرجاف بِعَقَبِ هَذِهِ الْحَالِ احتداداً شديداً ،
وكتب إليه المقتدر بالله يعلمه رأيه الجميل فيه وإحماده الكثير له ومقامه على النية
الصادقة في بابه ، وحلف له بِتَرْبَةِ المعضد بالله على سلامة باطنه ، وأنه لا يعتقد
تغيراً لأمره ، ولا استبدالاً بنظره . ووقف أبو الحسن على ذلك فَسَّرَ به ، وسكن
إلى ما عرفه منه ، وأطلع كُتَّابَهُ عليه ، فاستبشرت الجماعة وزال عنها الشك والخافة .
ووجم والدى وأمسك ، وتبين أبو الحسن منه ذلك ، فادناه إليه ، وقال له : أراك
ساكناً وعن جملتنا في السكون خارجاً ، فما الذي وقع لك ؟ فقال له : أما أنا
فقد زادتني هذه الرقعة استيحاشاً ، وملاَّتني خوفاً وإشفاقاً ، لأنه لم يتجدد ما يقتضيها
ويوجب ابتداءنا بما فيها . فقال له : أنت يا أبا عبد الله بعيدُ النظر سبي الظن ،
يَحْمِلُكَ فَرْطُ الشَّفَقَةِ عَلَى إِتْيَانِ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وأرجو أن يُكَذِّبَ اللَّهُ
تَقْدِيرَكَ ، ويَجْرِيَ عَلَى جَمِيلِ الْعَادَةِ . وكان هذا يوم الثلاثاء ، فلما كان يوم الخميس
الثلاثين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة مضى على رَسْمِهِ فِي أَيَّامِ الْمَوَاقِبِ
إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، ووصل إلى حضرته ، ووقف بين يديه ، وخاطبه فيما احتاج فيه
إلى خطابه ، وانصرف إلى داره ، وعرف كُتَّابَهُ خَبْرَهُ ، فظهروا وحضروا ، ونظروا
فِي الْأَعْمَالِ ، وأعطى كُلَّ مَنْهُمْ مَا يَتَعَلَّقُ بِدِيَوَانِهِ ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم قام

إلى بيت منامه ونام ، وانتبه وقت العصر ، وجدد الوضوء ، وصلى في الدار المعروفة بدار الصلاة ، وجلس على مُصَلَّاه يُسَبِّح ، وما عنده إلا ساكنٌ صاحب دَوَاتِهِ وغلaman من غلمانهِ . فبينما هو على ذلك إذ هجم أبو القاسم نصر القشورى الحاجب إلى موضعه ، ومعه عِدَّةٌ كثيرة من الرِّجَالَةِ وقال : أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يأمرُك بالحضور . فقال : بتيابِ الموكبِ أم بدرِّاعة ؟ قال بدرِّاعة . فقال له : حينئذ أوصيك يا أبا القاسم بالحرَمِ خيراً . وأخذهُ وأنزله في الماء ^(١) إلى دار السلطان ، بعد أن وكلَ بجميع من في داره من الكتاب والأصحاب .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : كنت في دار حامد بن العباس ، وهو وزير بباب خراسان المعروفة بدار حجرة ، إذ أدخل الفراشون إلى حضرة حامد رجالاً مُكَوَّرًا في كساء أسود ، ثم سمعنا صوتَ صراخٍ وَوَقَعَ الصَّعَقُ ، وحامدٌ يقول للصابغ : جَوِّد . والرجل المصفوع يقول : الله الله قد ذهبت والله عيني . وهو يقول له : إلى لعنة الله يا ابن كذا ويا زوج كذا . ويُسرِف في الشتم ويبالغ . ويقول له الرجل : لا تَسَنَّ أيها الوزير هذه السُّنَّةَ على أولاد الوزراء . ويقول له : وأنت من أولاد الوزراء ؟ ثم يزيد صَفْعًا وشتما ، فلما لم يَبْقَ فيه بقيَّةٌ أمرَ برَدِّهِ إلى حيث كان فيه ، فأخذهُ الفراشون وحملوه ، وجاء أحدهم إلى الموضع الذي كنت فيه ، فأخبرنا أن الرجلَ الحَسَنُ بنُ أبي الحسن بن الفرات ، وأنه مُقَيَّدٌ بقيدٍ ثَقِيلٍ ، وعليه جُبَّةٌ صوفٍ قد عُخِستَ في النِّقَطِ مزرورة في عُنْقِهِ ، وأنهم رَدُّوهُ إلى الحجرة التي كان فيها وحبسوه في الكنيف منها ودلُّوا رأسه في بئرهِ .

وقال أبو القاسم : وقتُ إلى أبي عبد الله والدي لأحدثه بذلك ، وهو جالسٌ مع بشر بن عليّ النضرائي صاحب حامد وخليفته . فابتدأ وسألني عن الصياح الذي

(١) أي أنزله في سفينة .

سمعه ، فأعلمته بالصورة ، فأنزعج ، وأقبل على بشر بن عليّ يُعَجِّبُهُ . فقال له بشر : هذا رَجُلٌ مُحَيَّنٌ ، ^(١) وهؤلاء القوم يَلُون عليه منذ ثلاثين سنة ، ويقومون بأمره ويُحسنون عَوْنَهُ ، فلما مَلَكَ من أمرهم ما مَلَكَ عاملهم بهذه المعاملة ، وما هذا إلَّا إِدْبَارٌ وسوء توفيق . ولم يزل حامدٌ يُرَدِّدُ الحَسَنَ في صنوف العذابِ وَحِمْلُهُ على كل حال ، إلى أن كَلَّمَ المقتدرُ بالله في أمره ، وَبُذِلَ لأبي القاسم بن الحواري مالٌ على إخراجِه عن يده ، فسعى في ذلك إلى أن تَمَّ نقلُهُ إلى دار السلطان ، وأقام بها أياما ، ثم سَلَّمَ إلى أبي القاسم بن الحواري وحصلَ في داره ، وخاطب المقتدرُ بالله من بُعدٍ في إطلاقه إلى منزله فأذن فيه .

وأقام يتعرف أخبار عليّ بن عيسى وحامد بن العباس وما يُقرانه ويُدبّرانه ويُصْلِح حواشي المقتدر بالله ويستميلهم ، ويعمر ما بينه وبينهم . وانتشبت بينه وبين أبي نصرٍ بشر بن عبد الله النصرانيّ الأنباريّ كاتبٍ مُفْلِحٍ الخادم مَوَدَّةً ، وتردّدت مراسلة ، ثم جمع بينهما أبو سهل نصر بن عليّ الطيّبُ النصرانيّ كاتبُ الحسن في دار بين القصرين على شاطئ دجلة . وقال له الحسن ، إنه يصحح للمقتدر بالله ثلاثة آلاف ألف دينار ، وألفاً وخمسمائة دينار في كل يوم إذا أطلق أبا الحسن أباه واستوزره وسلم إليه حامد بن العباس وعليّ بن عيسى ومكّنه منهما ومن مناظرة المادرائيين واستيفاء ما عليهم . وكتب بذلك رُقْعَةً سَمَّها إلى بشر بن عبد الله كاتبٍ مفلح ، وتفرقا ، ومضى بشرٌ إلى مفلح وعرفه ماجرى ، وأن الذي بذله الحسنُ جملةً كثيرة يرغّب فيها المقتدرُ بالله ، ومتى تمّ الأمر وصحّ المال بواسطته تضاعفَ جاهُهُ وأحمده سلطانه ، ولم يَعدْ من أبي الحسن والحسن معرفةً حقّةً وقضاء حوائجه .

(١) محين: غير موفق للرشاد

وأشار عليه بالكلام في ذلك ، وعَرَضَ الرقعة التي كتبها الحسن ، فقبل وفعل ، وعاوته القهرمانه زيدان ، واجتمعت معه على إيراد ما يُورده . فلما وقف المقتدر بالله على رقعة الحسن أنفذها إلى أبيه أبي الحسن وقال له : أنت قِيمٌ بهذا الضمان وملتزم له ؟ فقال : نعم . واستدعاه من موضعه حتى سَمِعَ قوله ، وعقد عليه الوفاء بما قاله . فلما كان يوم الخميس لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة حضر أبو الحسن على بن عيسى دار السلطان ، ومعه جماعة من القواد والعلماء على رسم الموكب ، وجلس في المجلس الذي جرت العادة بجلوسه فيه ، إلى أن يُستأذن له . ثم خرج إليه من قبض عليه ، وأنفذ إلى داره ودور إخوته وكتبابه وأصحابه ووُكِّلَ بها ، واستُظهِرَ على ما فيها . واستدعى المقتدرُ أبا الحسن بن الفرات من حيث كان مقيماً فيه من داره ، وحضر الحسنُ ابنه وكان قريباً من الدار ، وخلع عليهما وحملهما على حُمَلائن^(١) بمراكب ذهب ، وتقدم إلى الأمراء والقواد والعلماء والخدم وسائر الطبقات بالركوب معهما إلى دارهما .

ومن فضائل أبي الحسن بن الفرات والمأثور من ذكائه أنه وَقَعَ تَشَاجُرٌ بين ولد المكنتي وعلى بن المقتدر بالله في أجمة هوانا من أعمال القصر ، وادَّعى كلٌّ من الفريقين أنها له ، وأوجبت الصورة أن وَقَعَ إلى عامل سوق المسك بالحظير على ثَمَنِ ما يَرِدُ من صِيُود هذه الأجمة إلى أن تَبَيَّنَ صُورَتُهَا . وكان المقتدرُ بالله يُوقِعُ في وقتٍ لعلِّي ابنه وفي آخرٍ لولد المكنتي بالله ، فلما زاد وقوف هذا الأمر وتأخر فصله وظهور الحق فيه لمستحقه ، أحضر أبو الحسن بن الفرات خادماً لولد المكنتي بالله ، ووكيلاً لعلِّي بن المقتدر بالله يُعْرِفُ بالحرابي ، للمناظرة والحكومة ، وقال أبو الحسن للخدام : ممن ابتعتم هذه الأجمة ؟ قال : من ولد بدر اللائي . فأمرها بالخروج والجلوس في الدار

(١) الحلائن : ما يحمل عليه من الدواب وتكون في الهبة خاصة .

بقر به إلى أن يدعوهما ، وأحضر ابناً لبدر اللاني كان من أحد خلفاء الحجاب ، وسأله عما عنده من الحسابات التي لوكلاتهم بنواحي القصر . فذكر أن الأملاك والضيايع لما خرجت عن أيديهم أقلوا المراجعة للحسابات فذهبت وهلكت ، ولم يبق منها باقٍ . فقال له : امض إلى دارك وسلّ وفتّش وأحضر ماتجده . ففضى وعاد بعد ساعة ومعه حسابٌ ذكر أنه وجده لبعض وكلائهم ، فأخذه منه وسلّمه إلى أبي منصور عبد الله بن جبير وكان بين يديه ، وقال له : تصفّحه وانظر هذا الحق من الأجمة كيف أُورد ، وإلى أيّ شيء نُسب . فقرأه أبو منصور وردّه إليه وقال : مالهذا الحقّ ذكر فيه . فقال : هذا محال ، وأخذ الحساب وقرأه وتأمله تأملاً استوفاه ثم وضع يده وقد تصفّح ثلثيه على موضع وقال : هاهنا يجب أن يكون ما تطلبه منسوباً إلى وجهه . ووقف ساعة ثم دعا بالخدام والوكيل وقال لهما : هذا الحدّ منسوب إلى الإلجاء ^(١) لا إلى الملك . أفتعرفان في يد من كانت هذه الأجمة من قبل ؟ قالوا : لا . قال : كانت في يد فلان في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ثم انتقلت في سنة ثلاث وخمسين إلى يد فلان ، ثم انتقلت في سنة أربع وستين إلى إبراهيم بن فورعه ، ثم انتقلت في سنة خمس وثمانين إلى فلان . ولم يزل يذكر حالها وقتاً بعد وقت إلى أن دخلتها يدُ بدرٍ اللاني . قال المحدث بهذا الخبر : فقلت لإنسان كان إلى جانبي : كيف يذكّر الوزير سنة إحدى وأربعين وفيها مولده ؟ ورأى شفتي تتحركان بالقول ، فقال لي : ما قلت ؟ ودافعت فكرر سؤاله وقال لي : قل ما قلت . فصدقته عنه فقال : أحسنت . بارك الله عليك . فيما تأملت وتبعت . إني لما دخلت الديوان في حال الحداثة كان أستاذي الذي أخذته أسنّ من فيه ، فكنت إذا مرّ بي رَسَمَ كان من

(١) يقال لجأ فلان ماله تلجئة : جعله لبعض الورثة دون الآخرين . وهو مأخوذ من الإلجاء كأنه أُلجأ إلى فعل ما يكره .

قبلُ سألتهُ عنه وحفظت ما يقوله فيه ، أو جرى شيء في أيامي حفظته ، وكان هذا مما عرفنيه .

وحكم بالملك لولد المكتفى بالله ، وطالبه صاحبهم بتسليم ما اعتيق^(١) من ثمن الصيد ، فوقع بذلك ، وكتب إلى المقتدر بالله بما كشفه وحكم به .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : توفي^(٢) أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة في يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من شعبان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وخلف أموالاً وأملاكاً كثيرة ، ولم يخلف ولداً . فتعرض أصحاب الموارث لتركته ، وبلغ أبا الحسن بن الفرات ذلك فأنكره ، ومضى إلى المقتدر بالله وقال له : قد كان المعتضد بالله والمكتفى بالله رفعاً الموارث وأزالها وأنت أولى من أمضى فعلهما وأجرى سنتهما . فأمره بفعل ذلك والتقدم به ، وفعل وأزال التوكيل عن دار أبي عيسى أخى أبي صخرة والاعتراض عما خلقه ، وسلم جميعه إلى الورثة ، وأشهد عليهم بتسلمه . وأمر بأن يكتب إلى العمال في سائر النواحي برفع الموارث ، فكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة بما نسخته :

أما بعد^(٣) ، فإن أمير المؤمنين يؤثر في الأمور كلها ما قرّبه من الله جلّ جلاله ومن طاعته ما اجتلب له منه جزيل مثوبته ، وحسنت به العائدة على كافة خلقته ورعيته ، لما جعل^(٤) الله عليه نيته من العطف عليها ، وإيصال المنافع إليها ،

(١) اعتيق : تأخر تسليمه . وكان قد حذر أن يدفع ثمن ما يرد من صيود هذه الأجمة كما تقدم

(٢) انظر صلة عرب سنة ٣١١ هـ .

(٣) صلة عرب حوادث ٣١١ .

(٤) لعلها أيضاً : لا جيل . وجبله الله : خلقه وفطره ، ويقال : جبله الله على الكرم : فطره عليه .

وإزالة الإعانات عنها ، وإبطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها ، وإحياء سنن الخير وإيثاره لها ، جارياً مع الكتاب والسنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يُفَوَّضُ وبه يستعين .

وأنهى إلى أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن محمد ما يلحق كثيراً من الناس من الإعانات في موارثهم ، وما يُتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، ويُحكَّم فيه بخلاف ما جرت به السنة ، وأنه قد كان عبيدُ الله بن سليمان أنهى إلى المعتض بالله - صلواتُ الله عليه - حال المتقلِّدين لأعمال الموارث ، وما يجرى على الرعية من مطالبتهم إياهم بأحكام لم ينزل بها كتابُ الله عز وجل ولا جرت بها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع أئمة الهدى - رحمة الله عليهم - عليها ، فكتب - صلواتُ الله عليه - إلى يوسف بن يعقوب وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضيين - كانا بمدينة السلام وما يتصل بها من النواحي في أيامه - يسألها عن الحال عندهما في موارث أهل الملة والذمة . فكتب عبد الحميد - رضى الله عنه - كتاباً في موارث أهل الملة ، حكى فيه أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود - رضوان الله عليهم ومن اتبعهم من الأئمة الهادين رحمة الله عليهم - رأوا أن يُردَّ على أصحاب السهام من القرابة ما يُفَضَّلُ عن السهام المُفَرَّضة في كتاب الله تبارك وتعالى من الموارث إذا لم يكن للمتوفى عَصَبَةٌ يحوز باقي ميراثه ، وجعلوا - رضى الله عنهم - تركة من يتوفى ولا عَصَبَةٌ له لذوى رَحِمِهِ إن لم يكن له وارثٌ سواهم ، ممثلين في ذلك أمر الله سبحانه إذ يقول : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في توريثه من لا فَرَضَ له في كتاب الله تعالى من الخلال وابن

الأخت والجدّة . وكتب يوسف بن يعقوب إليه كتابا في موارِيث أهل الذمّة حَكَى فيه ما رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَنَّ المسلم لا يَرِثُ الكافر ، وأنَّ الكافر لا يَرِثُ المسلم وأنه لا يَتَوَارِثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ . ووصف يوسف في كتابه أن الشنّة جرت بأن أهل كل ملة يُورَثُونَ مَنْ هو منهم إذا لم يكن له وارث من ذى رَحِمِهِ .

وعرّف أبو الحسن أمير المؤمنين [أن] ما قرّر عليه حامدُ بنُ العباس الأمر - مِنْ تَتَبُعِ الموارِيثِ وتقليدِ حَيَاتِهَا عَمَلًا يَجْرُونَ بِمَجْرَى عُمَالِ الخراج - شئ ؛ لم يكن في خِلَافَةٍ من الخِلَافَاتِ إلى أن مضى صَدْرُ من خِلَافَةِ المعتمد على الله - رحمه الله - فإن يدا دخلت فيها في ذلك الوقت على سبيل تَأَوُّلٍ بما رَوَى عن زيد بن ثابت - رحمه الله - دون غيره ، فأزالها المعتضد بالله صلوات الله عليه . ثم أعاد ذلك الرُسمَ الجائرَ والأثرَ القبيحَ السائرَ حامدُ بنُ العباس بِظُلْمِهِ وتَعَدِّيهِ وتهوُّرِهِ وتَسَطُّطِهِ وتأوُّلٍ على الرعية بما لم يُرْضِ الله عزَّ وجلَّ فيه . فأمر أمير المؤمنين بأن يُرَدَّ على ذوى الأرحام ما أوجب الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبدُ الله بن العباس وعبدُ الله بن مسعود - سلام الله عليهم ومن اتبعهم من أئمة الهدى رضى الله عنهم - رَدَّهُ من الموارِيثِ عليهم ، وأن تُرَدَّ تَرَكَةُ مَنْ مات من أهل الذمّة ولم يُخَلَّفْ وارثا على أَهْلِ مِلَّتِهِ ، وأن يُصَرَّفَ جميعُ عُمَالِ الموارِيثِ في سائر النواحي ويُبْطَلَ أمرُهم ، ويُرَدَّ النظرُ في أعمالِ الموارِيثِ إلى الحُكام على ما لم يَزَلْ يَجْرِي عليه قَبْلَ أَيَّامِ المعتمد على الله . ورأى أمير المؤمنين أن من الحق لله عليه فيما قلده من خِلَافَتِهِ ، وألبسه من جُلُبابِ كرامتِهِ ، وألزمه من رِعاية عِبَادِهِ في بلاده الدانية والقاصية ، ونواحي سلطانه القريبة والبعيدة ، أن يعمَّ جميعهم بعدله وإنصافه ، ويتناولهم بفضله وإحسانه ، ويسنّ لهم سُنَّةَ الخير في أيامه ، ويُرِزِلَ

عنهم البوائق والعوارض التي تُوجدُ بها السبيلُ إلى أن تُنفق أموالهم وَيَتَوَصَّلَ فيها إلى ظلمهم وإعانتهم ، وأن يُجرى الأمر في الموارث على ما كان جارياً عليه في أيام المعتضد بالله صلوات الله عليه ، وتركَ تبدله والحدَرَ من إزالته وتغييره ، وإذاعة ما أمر به وإظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام ليكون مشهوراً مُتعلماً ، والخبرُ به إلى الأدنى والأقصى واصلاً . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره وأعمل عليه وبحسبه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب أبو الحسن يوم الخميس لإحدى عشرة ليلةً بقيت من رجب سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

ونسخة ما كتب به أبو خازم إلى بدر المعتضدى جواب كتابه إليه في أمر الموارث .

وصل كتابُ الأمير يذكر أنه احتجج إلى كتابي^(١) بالذي أراه واجباً من مال الموارث لبيت المال ، وما لا أراه واجباً منه ، وتلخيص ذلك وتبيينه ، وأنا إذا كرر للأمر الذي حضرني من الجواب في هذه المسألة والحجة فيما سأل عنه ليقف على ذلك إن شاء الله .

الناس مختلفون في توريث الأقارب ، فرؤى عن زيد بن ثابت أنه جعل التركة إذا لم يكن للمتوفى من يرثه - من عصبة وذى سهم - لجماعة المسلمين وبيت مالهم ، وكذلك يقول في الفضل بعد الشَّهْمَانِ^(٢) المُسَمَّاة إذا لم تكن عصبة ، ولم يرو ذلك عن أحدٍ من الصحابة سوى زيد بن ثابت ، وقد خالفه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجعلوا ما يَفْضُلُ من الشَّهْمَانِ ردّاً على أصحاب السهم

(١) كتابي : كتابي أى إلى أن أكتب .

(٢) الشَّهْمَات : جمع سهم والسهم النصيب المفروض .

من القرابة ، وجعلوا المال لذي الرِّحْمِ إذا لم يكن وارثٌ سواه . وَالسَّنَةُ تُعَاضِدُ
 مَا رُوِيَ عَنْهُمْ ، وَتُخَالِفُ مَا رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَتَأْوِيلُ الْقُرْآنِ يُوْجِبُ مَا ذَهَبُوا
 إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ ، فِي خِلَافِ السَّنَةِ وَالتَّنْزِيلِ ، بِالرَّأْيِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (١) ﴾
 فَصَيَّرَ الْقَرِيبَ أَوْلَىٰ مِنَ الْبَعِيدِ ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعَبَدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَعَلَيْهِ اعْتَمَدُوا ، وَبِهِ تَمَسَّكُوا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلَوْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَكَانَ
 الْوَاجِبُ تَقْلِيدَ الْأَفْضَلِ وَالْأَكْثَرِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْكُ قَبُولِ مَنْ سِوَاهُمْ
 مِمَّنْ لَا يَلْحَقُ بِدَرْجَتِهِمْ بِسَابِقَتِهِ . وَإِذَا رُدَّ أَمْرُ النَّاسِ إِلَى التَّخْيِيرِ مِنْ أَقَاوِيلِ
 السَّلَفِ فَهَلْ يُحِيلُ أَوْ يُشْكَلُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ زِيدَ لَا يُنْفَى عَنْهُ بِعَمْرِ وَعَلِيٍّ وَعَبَدِ اللَّهِ ؟
 وَإِذَا فَضِّلُوا فِي السَّابِقَةِ وَالْهَجْرَةِ فَمِنْ أَيْنَ وَجِبَ أَنْ يُؤْخَذَ بِمَا رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
 وَاطَّرَاحُ مَا رُوِيَ عَنْهُمْ ؟ وَقَدْ اسْتَدَلُّوا مَعَ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ . وَبِالسَّنَةِ
 فِيمَا أَفْتَوْا بِهِ . وَالرَّوَايَةُ ثَابِتَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْرِيثٍ مِنْ لَا فَرَضَ لَهُ
 فِي الْكِتَابِ مِنَ الْقَرَابَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ لَنَا عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ رَاشِدِ
 ابْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهُوزَنِيِّ عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدَى كَرِبَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْخَالُ وَارِثٌ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ ، يَرِثُ مَالَهُ وَيَقْعِلُ عَنْهُ » . وَكَذَلِكَ
 بَلَّغْنَا عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ لَيْثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مِثْلَهُ . وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عُمَرَو بْنِ مَسْلَمٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَذُكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ أَبِي عَبَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ
 عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتْبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ قَالَ :

تَوَفَّى ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَاصِمِ بْنِ عَدَى : اللَّهُ
فِيكُمْ نَسَبٌ ؟ قَالَ : لَا . فَدَفَعَ تَرَكَتَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ . فَقَدْ أُوجِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا
نَقَلَتْهُ عَنْهُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ تَوْرِيثَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَعَ عَدَمِ أَصْحَابِ الشُّهُمَانِ
الْمَبِينَةِ فِي الْكِتَابِ ، وَأُعْطِيَ الْجِدَّةُ السُّدُسُ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا فَرَضَ لَهَا ، وَفِي ذَلِكَ
الِاتِّفَاقِ وَفِيمَا صَيَّرَ لَهَا مِنَ السُّدُسِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ [مَنْ] لَا سَهْمَ لَهُ - مِنَ الْقَرَابَةِ - فِي
مَعْنَاهَا ، إِذَا بَطَلَتِ السَّهَامُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ .
وَالْمَرْوِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ جَعَلَ الْفَضْلَ عَنْ سَهَامِ الْفَرَائِضِ وَكُلِّ الْمَالِ - إِذَا
سَقَطَتِ السَّهَامُ بَعْدَ أَهْلِهَا - لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ وُزَرَاءً ، وَجَعَلَ مَا يَصِيرُ
لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ - فِي خِلَافِ مَالِ الْفِيءِ الْمَصْرُوفِ إِلَى الشَّحْنَةِ وَأَرْزَاقِ الْمُقَاتِلَةِ وَإِلَى الْمَصَالِحِ
إِذَا كَانَ ذَلِكَ - يَكُونُ ، فِيمَا رَوَى عَنْهُ ، لِلنَّاسِ كَافَّةً ، وَعَدَدُهُمْ لَا يُحْصَى ، فَغَيْرُ
مُمْكِنٍ أَنْ يُقَسَّمُ ذَلِكَ فِيهِمْ وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مُشَارِقِيهَا وَمُغَارِبِيهَا . وَإِذَا
امْتَنَعَ ذَلِكَ وَخَرَجَ إِلَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ فُسْدُ ، وَثَبَتَ مَا قُلْنَاهُ مِنْ قَوْلِ أَكْبَرِ الْأُئِمَّةِ .
وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُ الْمُتَأَوِّلِينَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾
فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فَقَالَ فِيهِ : كَانَ النَّاسُ يَتَوَارَثُونَ بِالْحَلِيفِ دُونَ الْقَرَابَةِ ، فَلَمَّا أُوجِبَ
لِللَّهِ الْمَوَارِثُ لِأَهْلِهَا مِنَ الْأَقَارِبِ مَنَعَ الْحَلِيفُ بِمَا فَرَضَ مِنَ الشُّهُمَانِ ، فَفَلِطُوا
وَصَرَفُوا حُكْمَ الْآيَةِ إِلَى الْخُصُوصِ ، فَذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ مَعَ عَدَمِ الدَّلِيلِ ، لِأَنَّهُ
خُجِّرَ فِي السَّمْعِ تَخْرُجُ الْعُيُوفُ . وَبَعْدُ ، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُهَا مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ
السَّهَامُ الَّتِي نَسَخَتْ مَا يَرِثُهُ الْحَلِيفُ قَبْلَ نَزُولِ الْفَرَائِضِ ، لَوْجِبَ فِي بَدْءِ ،
وَمَا قَالُوا ^(١) : إِذَا كَانَ لِأَوَارِثِ اللَّيْتِ مِنْ أَصْحَابِ السَّهَامِ أَنْ يَكُونَ الْحَلِيفَانِ فِي
التَّوَارِثِ عَلَى أَوَّلِ فَرَضِهِمَا وَعَلَى الْمُقَدَّمِ مِنْ حَكْمِهِمَا ، لِأَنَّهُ الَّذِي مَنَعَهُمَا - إِذَا ثَبَتَ

(١) أَى لَوْجِبَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ وَلَمَّا قَالُوا .

هذا التأويل - مَنْ لَهُ مَهْمٌ دُونَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ . فإذا ارتفع المانع رَجَعَ الْحُكْمُ إلى بدئهِ . ولا اختلاف بين الفريقين أن الحليف لا يرث الحليف اليوم ، وإن كان لا وارث سواه ، وهذا يدلُّ على فساد تأويلهم ، وعلى أن المراد في الآية التي أوجبت الْحَقَّ لِلْأَقْرَبِ غيرُ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، فإن الله سبحانه إنما أراد بمعناها اختصاصَ القريبِ بِالْإِثْرِ دُونَ الْبَعِيدِ . وقد يَلْزَمُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الرَّوَايَةِ عَنْ زَيْدٍ وَتَرَكَ الرَّوَايَةَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَعَبْدَ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ السَّلَام - جانباً ، وَأَسْقَطَ التَّعَاقُلَ ^(١) بين الأجنبي والقريب أن يَحْتَمَلَ ذَا الرَّحْمِ أَوْلَى ، لَأَنَّهُ ^(٢) يَفْضُلُ الْأَجْنَبِيُّ بِالْقَرَابَةِ . وترتيبُ الموارِيثِ فِي الْأَصْلِ يَجْرِي عَلَى تَقَدُّمِ مَنْ فَضَّلَ غَيْرَهُ فِي الْمُنَاسَبَةِ كَالْأَخِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَالْأَخِ لِلْأَبِ ، وَابْنِ الْعَمِّ لِلْأَبِ وَابْنِ الْأُمِّ لِلْأُمِّ ، وَأَخَصَّيْهِمَا ^(٣) قَرَابَةً أَوْ لَاهُا بِالْمِيرَاثِ عِنْدَ جَمْعِ الْجَمِيعِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ^(٤) وَوَلَدُ الْوَالِدِ مَنْ سَقَلَ مِنْهُمْ وَمَنْ ارْتَفَعَ يَعْثُمُ هَذَا الْاسْمَ ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْرَبَ مِنْهُمْ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَحَقُّ مِنَ الْبَعِيدِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ الْقَرِيبُ أَوْلَى مِنَ الْأَجْنَبِيِّ بِالْتَّرَكَةِ لِلرَّحْمِ الَّتِي يَقْرُبُ بِهَا دُونَهُ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ تَفَرَّقُوا فِي سَبِيلِ لَا يَعْرِفُونَ الصَّوَابَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا فِيمَا رَوَى عَنْ الْخَلِيفَتَيْنِ عُمَرَ وَعَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرُوا فِي الْمُبَالَغَةِ وَالِدِيلِ فِي تَوْرِيثِ ذِي الرَّحْمِ إِلَّا عَلَى مَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ جَدِّ

(١) التماثل : الاتزام بالديات والاشتراف فيها .

(٢) فِي الْأَصْلِ : لَا يَفْضُلُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : وَأَخْصَصَهَا . وَمَا أَثْبَتَهُ يَمْنَى بِهِ وَأَفْرَبَهَا قَرَابَةً بِمَعْنَى الْأَخِ الشَّقِيقِ وَهُوَ أَقْرَبُ قَرَابَةً أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْأَخِ لَأَبٍ وَيُحِبُّهُ وَأَنَّ ابْنَ الْعَمِّ الشَّقِيقِ وَهُوَ أَقْرَبُ أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنْ ابْنِ الْعَمِّ لَأَبٍ وَيُحِبُّهُ .

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ الْآيَةُ ١١ .

أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وترجمان القرآن ، وبحر العلم ، ومن كان إذا تكلم سكت الناس ، ومن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » . ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة ، ومن كان أعلم بتأويل القرآن فاتَّباعه فيه أَوْجَبُ . وقد روى عن ابن عباس مثل ذلك من قول عمر وعلى وعبد الله والجماعة ، وما زالت الخلفاء من أجداد أمير المؤمنين - أعزه الله - يستَقْضُونَ الْحُكَّامَ فيَقْضُونَ بِرَدِّ الْمَوَارِيثِ عَلَى الْأَقْرَبِ ، ولا ينكرون ذلك على من قضى به من قضاةهم ، ولا يَرَوْنَهُ مُتَجَاوِزاً لِلْحَقِّ فِيهِ ، وما عُرِفَتِ الْجَمَاعَةُ بِغَيْرِ هَذَا الْأَسْمِ إِلَّا مِنْذَ نَحْوِ عَشْرِينَ سَنَةً . وأمير المؤمنين أَوْلَى مَنْ اتَّبَعَ آثارَ السَّالِفِ ، واقتدى بِخَلْفَاءِ اللَّهِ ، وَمَالَ إِلَى أَفْضَلِ الْمَذْهَبَيْنِ . وإلى اللَّهِ الرَّغْبَةُ فِي عِصْمَةِ الْأَمِيرِ وَتَسْدِيدِهِ . والحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو الخصيب كاتبُ أحمد بن العباس قال : حدثني حامد قال : دخلتُ إلى عبيد الله بن سليمان وهو وزيرُ المعتضد بالله - رحمه الله - فوجدته خاليا ، وعنده أبو العباس بن الفرات ، وعبيدُ الله يُعَاتِبُهُ ، فلم يَحْتَشِمْنِي لِعِلْمِهِ بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فسمعتُه يَقُولُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ ^(١) وابن بسطام . فقال له : أما فلان - أيها الوزير - فميلي إليه لأنه أسعفني في وقتِ نكبتِي وعند مصادرتي بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ومن عاونني بِماله ، وأشركني في حاله ، فقد استحقَّ مِنِّي أَنْ أُصْفِيَهُ الْوَدَّ وَأُخْلِصَ لَهُ الْعَقْدَ ^(٢) . وأما ابن بسطام فرجل كاتب ^(٣) له على رئاسة ، وحقُّ الرئاسة لَا يُنْسَى وَدَيْنُهَا لَا يُقْضَى .

(١) يبدو أنها زائدة في الكلام إذ لم يرد ذكر لفلات الآخر .

(٢) لعلها أيضاً : العهد .

(٣) لعلها أيضاً : كانت . وهو الأصوب .

وحدث مُحدث قال : قلت لأبي العباس بن الترات يوماً على شُرْبٍ - وقد رأيتَه
يَلْعَبُ بالخصوم وأرباب الظُّلَامات لعباً ، فتارة بالحُجَجِ الديوانية وتارة بالحُجَجِ
الفقيهية - : ياسيدي هل قطعك أحدٌ في مناظرة ؟ فقال أماً بالحجة فلا . بل ^(١) كابرني
رجل مرّة فخرت في جوابه ، وانقطعت في يده ، وذلك أن محمد بن زكريا المعروف
بوزير الإسكافي كان صنيعاً لي ، فتولّى الضياع بواسط ، وحضر من تكلم عليه
وبذل موافقته على ما فرقه ، فرسم لي عبيد الله بن سليمان مكاتبته بالحضور ،
فقلت له : هذا - أعز الله الوزير - وقت العِارة ، وإذا أخلّ العاملُ بها
وقع التقصيرُ فيها ، واحتجّ علينا بأننا قطعناه بالاستدعاء عنها . قال : فأخّره
إلى أن يفرغ منها . فأخّره شهوراً ، ثم عاود المتظلمُ منه القولَ فيما تكلم عليه به ،
وأمرني عبيدُ الله باستدعائه ، فقلت : هذا وقتُ التقدير ، وبه يُحصَرُ الارتفاعُ .
قال : فأخّره . فأخّره شهرين ، ثم عاود المتظلمُ ، وعاودني عبيد الله . فقلت :
قد شَبَّهتِ ^(٢) الغلات وما تفسد إلا بالحزْرِ . فقال المتظلمُ : كيف تسمَحُ نفسُ
أبي العباس بإحضار مَنْ عَمَرَ ضياعه وأضاف إليها خواصَّ السلطان وأملاكه
ونقلَ إليها أكرّة الوزير ؟ ! فضياعه كالعرائس الجالوات ، وضياعُ الوزير كضياع
الأرامل ^(٣) والأيتام .

قال أبو العباس : وعمل كلامه والله في عبيد الله . فابتدأتُ أحلف على كذبه
واستحالةِ قوله ، فنعني وقال : حَسْبُكَ الآنَ . وكتبَ منشوراً بخطه بإشخاصه ،
وأفدّه به مُستَحِثّاً ، وحملَ وزيرٌ ^(٤) ، واعتقله وصادره .

(١) في الأصل : بل .

(٢) شبهت : أشكلت ، ويعني أن الغلات الآن مجموعة دون أن تحصى وإحضار هنا العامل قبل
الإحصاء سيدعو إلى التخمين فيها . وهذا التخمين مفسد لها .

(٣) لعلها أيضاً : وضياع الوزير كالأرامل .

(٤) أي حمل محمد بن زكريا المعروف بوزير الإسكافي .

وحدث محدث قال : رأيت أبا العباس بن الفرات يُناظر شيخاً مُزِيناً ببادوريا قد احتال في تخفيف مقاسمة بيَدَرِه وقال له : في آيَةٍ سنةٍ قُسمَ هذا البيدر على ما ادَّعَيْتَه في المعاملة ؟ قال : السنة التي ملكتَ فيها - أيدك الله - البيدر الفلاني والبيدر الفلاني . حتى عدَّ عشرة بيادرٍ في عدَّةٍ طَسَاسِيحٍ من خواصِّ السُلطان التي استضافها إلى ضياعه . فورد عليه من قوله ما أدهشه وأسكته ، وأمضى مقاسمة بيَدَرِه وصرَفَه .

وحدث أبو عبد الله بن الماسح الكاتب قال : حدثني أبو الحسن عليُّ بن عيسى ، وقد جرى ذكر الجهبذة ، وقال : ما أعجَبَ ما جرى في أمرها بنواحي المغرب . وذلك أنها لما صَحَّت في أيام المعتضد بالله؛ وكتبتُ لعبيد الله بن سليمان على الديوان ، أمرني أن أعمل عملاً بارتفاع الموصل والزَّابَات ، فعملته وعرضته عليه ، فاعترضه أبو العباس بن الفرات على رَئِيسِهِ في مثل ذلك وما تقتضيه خلافتُهُ لعبيد الله ، وقال لي : ما أرى لِمَالِ الجهبذة في هذا العملِ ذِكْرًا . فقلت له : هذا ما لا أعرفه في أصلٍ ولا مُضافٍ ، فإن يكن من مال السلطان فهو بمنزلة ما يؤخذ من الذَّيْلِ ويُرَقَعُ به الجيب ، أو يكن من مال الرِّعيَةِ فهو ظلم ، وطريقُ الجهابذة إلى أخذ أموال المعاملين . وهذه نواحي افتتحت قريبا ، وسبيلها أن يُعامل أهلها بالإنصاف ، ويُخَفَّفَ عنهم المَوْنُ لِتَحُلُوْهُمُ سياسةُ السلطان . فقال : هذا باب من أبواب الارتفاع ، ولا يجوز أن يترك وبضاع^(١) ، فيلحقنا من السلطان استبطاء وإنكار . وتقديرُ ما يجب في هذه النواحي من ذلك عشرة آلاف دينار ، فما هو إلا أن سمع الوزيرُ ذِكْرَ السلطان وعشرة آلاف دينار تزيد في الارتفاع حتى قال : سبيلُ

(١) في الأصل : ولا بضاع .

هذه النواحي سبيلُ غيرها من نواحي السواد . فأمسكتُ ، واستمرَّ بلاءُ الجهيذةِ على الناس إلى حين اتھينا .

وحدث أبو الحسن بن ماني الكوفي الكاتب قال : حدثني علي بن حسين الجهظ كاتبُ أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة قال :

جرت المناظرة يوما بين أبي العباس بن ثوابة وأبي العباس بن القرات في حساب باروسما الأعلى بحضرة عبيد الله بن سليمان . فأقام ابن ثوابة الشاهد على صِحَّة ما رفعه ، والبرهان على عاملِ ابن القرات في تأوُّله . وأخذ ابن القرات يُبَاهِتُ ^(١) في نُصرة قوله . فقال ابن ثوابة : كيف أتصفُ منك يا أبا العباس وأنا أناظرك بالحجة ، وأنت تعارضني بفضلِ القدرة ، وتزعمُ أن هذا الوزيرُ أسيرٌ في يديك ؟ قال : فنظر عبيدُ الله إلى من حضر وقال : اشهدوا أنني أسيرٌ في يدي كلِّ كافٍ . قال : يقول ^(٢) ابن ثوابة : قد علمنا .

قال : وتظلم أهل السارية من أهل بادوريا إلى المعتضد بالله وحَكَّوْا أن أهل سَنِي القرات وَاطَّئُوا الْعَمَالَ والمهندسين على ظُلْمِهِم وكتمان ما عندهم في أمر أبواب قطرة دِمْما ، ووافقوهم على تضييقها ليتوفر الماء عليهم . فتقدَّم المعتضد بالله إلى بدر بالخروج مع القاسم بن عبيد الله ومن استنصحه القاسم من أصحاب الدواوين ومشايخ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة وطائفة من الشهود وابن حبيب الذَّرَّاع ومن يختاره من الذَّرَّاع للوقوف على ما وقعت الظلامة منه ، وكشف الصورة فيه . فخرجا وفي القوم عليٌّ وجعفرُ ابنا القرات ، ومحمد بن داود بن الجراح وعلي بن عيسى ، وإسماعيل ابن إسحاق وأبو الخازم القاضيان ، وإبراهيم بن عبد الله عامل بادوريا وجماعة من

(١) يباهت : يأتي بالبهتان والزور .

(٢) لعلها : فقال ابن ثوابة ، أو : قال : ويقول ابن ثوابة قد علمنا .

تَنَاقُهَا وشيوخها ، ووصلوا إلى الموضع واستَدَعَوْا الدَّهَاقِينَ^(١) بسقى الفرات ، واستقرَّ الأمر على أن ذُرِعَ البابُ الكبيرُ بِذِرَاعِ السَّوَادِ ، فكان سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَذُرِعَتِ الأَرْبَعَةُ الأبوابُ الصَّغَارُ ، فكان كل واحد منها ثمانية أذرع ، وكان مَقَامُ الماءِ على الصَّبِّ الذي قُسِمَتْ عليه الأبوابُ فوق الدِّكَّةِ^(٢) أربعة أذرع ونصفًا في أيام الطَّنْكَابِ^(٣) وقلة الماء . وسئل أهل بادوريا عما عندهم ، فأقاموا على أن عَرَضَ الباب الكبير خمسةً وثلاثون ذراعًا ، وقَارَبُوا أهل سَقَى الفرات في الأبواب الصَّغَارِ وقالوا : لولا أن سَعَةَ الباب ما ذكرنا لما أمكن انحدارُ زورقٍ في الباب ولا طَوْفٍ^(٤) من أَطْوَافِ الزَّيْتِ والخشبِ ، وأنكر أهلُ الأعلى قولهم ، وطالبوهم بالشاهد عليه ، فلم يأتوا به ، واختلفت الأقوالُ مع الإجماع على أنه فوق العشرين الذراع . فقال أبو الحسن بن الفرات للقاسم بن عبيد الله : قد كثُرَ أيها الوزير الاختلاف والتلاحى والأفاويل والدَّعَاوَى ، فليأمر بِكِتَابِ ما يقوله كلُّ فريق لِيَتَحَصَّلَ وَيُعْلَمَ ، ولا يَقَعَّ عنه رجوعٌ من بَعْدُ . فأمر بذلك ، وأخذت الخطوطُ به . ثم قال ابن الفرات : فيسألهم الوزيرُ : هل كانت قِراقيرُ^(٥) الرِّثْمَانِ وأطوافُ الزيت والخشبِ تنحدر في الباب أم لا ؟ قالوا : بلى . قال : فليُنْفِذِ الوزيرُ نِقَّةً من ثِقَاتِهِ مع صاحبٍ للقاضى حتى يَذَرعَ عرض قِراقيرِ الرِّثْمَانِ التي تَرِدُ دجلة من هذا الباب . فذُرِعَتْ عشرةُ قِراقيرَ ، فكانت سَعَتُها ما بين عشرين ذراعًا . وَكِتِبَ بذلك إلى المعتضد بالله ، وأقام القوم بمكانهم إلى أن ورد أمره بأن يُجْعَلَ الباب الكبيرُ

(١) الدهاقين : الرؤساء ، وأيضاً التجار ، جمع دهقان .

(٢) لعله يراد بها القاعدة .

(٣) الطَّنْكَاب : ضحولة الماء وقلة غوره ويعنى به أيام عدم الفيضان .

(٤) الطوف : ما يعم على وجه الماء وقد تشد أخشاب أو قرب فتصير كهشة سطح ويركب عليه

فوق الماء أو تحمل عليه الأثقال .

(٥) القِراقير : أنواع من السفن .

بالقراع السوداء اثنين وعشرين ذراعاً ، والأبواب الصغار على رُسُمِها .

وحدث محمد قال : كان أبو الحسن بن القرات يَسْتَظْهِرُ ^(١) في نفقات المصالح ، ويستكثر من إعداد الآلات على الأماكن التي تُخَافُ الحوادثُ منها ، فلما ولى على ابن عيسى العباس بن منصور على المصالح أظهر العِفَّةَ وَقَلَّلَ النفقة ، ونسب ابن القرات فيما كان يفعله إلى التفريط والإضاعة . وقُدِّرَ للنفقة على بَزَنْدٍ من بَزَنْدَاتِ نَهْرِ الرُّقَيْلِ ثلاثون ديناراً ، فلم يُطْلَقْها ، وقال : نفقةُ هذا البَزَنْدِ واجبة على صاحب الضَّيعة لأنها قِطْعَةٌ . فَأَحْدَثَ فِعْلُهُ انفجارَ البَثْقِ ^(٢) المعروف بأبي الأسود في نهر الملك ، فخرج إليه إبراهيم بن عيسى وأنفق عليه سبعمائة ألف درهم ، وذهب من ارتفاع السلطان بهر سير والرومقان وإغار يقطين أضعاف ذلك ، وكثرت البثوق والجبايات في نفقاتها والمضرة بحوادثها .

وحدث أبو بكر بن ثوابة قال : سمعت أبا الحسن بن القرات يقول : حدثني أبو العباس أخى قال : قال لى عبيد الله بن سليمان : قد أُلْحَ على أمير المؤمنين بأن أجعل بالجانب الغربى بإزاء داره ميّداً يكون تكسيه ^(٣) مائتي جريب . فقلت : أعوذ بالله أيها الوزير من ذلك . قال : فإني لا أجتري على مخالفته ومراجعته . قال له أبو العباس : فإذا عاودك فاذكرنى له لأعرّفه ما فى ذلك عليه . فعاود المعتضد بالله عبيد الله بن سليمان وصَجِرَ عليه من تأخير ما أمره به . فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب أحد بن محمد بن القرات ، فإذا شرفه أمير المؤمنين بالوصول إلى حضرته ذكر ما عنده فى ذلك . فأذن له ، فحضر وسلم وخدَمَ ، فقال له المعتضد بالله : ما عندك ؟ فقال : طساسيج السوادِ يا أمير المؤمنين أربعة وعشرون

(٢) البثق : موضع الكسر من الشط .

(١) يستظهر : يحتاط .

(٣) تكسيه : مساحته .

طُسُوجًا، أَجْلُهَا طُسُوجٌ بِادُورِيا وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ رُسْتَقًا، أَجْلُهَا رُسْتَقٌ الْكَرْنُجُ وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ قَرْيَةً، وَأَجْلُهَا مَا عَلَى دِجْلَةٍ، وَكُلُّ جَرِيبٍ مِنْهُ يَسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ، وَيُغْلُّ أَلْفَ دَرْهَمٍ، أَقْبَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِضَاعَةُ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ يَشِيعُ خَيْرُهَا فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، فَاطْلُبُوا لَنَا مَوْضِعًا آخَرَ. قَالَ: يَكُونُ مَا بَيْنَ الْحَلْبَةِ وَالرَّحْبَةِ. فَتَقْدَمُ بِالْعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ يَقُولُ: أَصْلُ الْعِمَارَةِ وَزِيَادَةُ الْارْتِفَاعِ حِفْظُ الْبُذُورِ، وَلَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَدْلِ.

وَيَقُولُ: الضَّمَانُ يَذْهَبُ بِالْارْتِفَاعِ كَمَا يَذْهَبُ السَّائِكُنُ بِالْعَقَارِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَبِيلُ الْعَامِلِ أَنْ يُؤَدَّبَ عَلَى الزِّيَادَةِ فِي الْمَسَاحَةِ كَمَا يُؤَدَّبُ عَلَى الْاِقْتِطَاعِ مِنْهَا.

قَالَ: وَوَقَعَ يَوْمًا بِحَضْرَتِي إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ - وَقَدْ رَفَعَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْخَبَرِ أَنَّهُ صَفَعَ وَاحِدًا مِنَ الثَّنَاءِ لِقَاعِدِهِ بِأَدَاءِ الْخَرَاجِ: فِي الْحَبْسِ لِلثَّنَاءِ مَادَّةٌ، فَلَا تَعَامَلُ بَعْدَهَا أَحَدًا بِهَذِهِ الْمَعَامَلَةِ فَأَمَكِنَهُ مِنَ الْاِقْتِصَاصِ مِنْكَ.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَحْسَنْتُ إِلَى بَعْضِ الْأَكْرَةِ وَالْمَزَارَعِينَ فِي نَاحِيَةِ كَحْلَةٍ مِنْ طُسُوجِ الْأَنْبَارِ بِنَحْوِ مِائَةِ دَرْهَمٍ، فَأَخْلَفَ عَلَيْنَا ذَلِكَ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَارَ الرَّجُلُ الْمُسَامَحُ إِلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي مَعَامَلَتِهِ بِمِائَةِ دَرْهَمٍ، فَرَوَّغَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ فِي الْاِتِّقَالِ إِلَى قَرْيَةِ كَحْلَةٍ، فَانْتَقَلُوا وَعَمَرُوا، وَارْتَفَعَتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَوَكَّلْنَا فِيهَا مَحْمُودَ بْنَ صَالِحٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ أَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيَّ شَيْئًا أَنْتَوَلَاهُ وَأَجْعَلَ جَارِيَةً لِأَبِي عَلِيِّ أَبِي. فَوَقَعَ لِي بِمَخْطِهِ: وَصَلَتْ رَقْعَتُكَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ -

والأعمال كثيرة ، غير أنك تكره القضاء ، والعمالة فلا تدخل فيها ، والحسبة فلا تصلح لك ، والمظالم فتجربى تجرى الحكم والذي يصلح لك أن تُعقد عليك الغلات في عدة طاسيج تخارها من السواد ، فإن أردت جميع غلات السواد كان ذلك لك مبدولا ، فافعل على ذلك فإنه أصلح لك وأعود عليك إن شاء الله .

وذُكر أنه كان بمدينة السلام رجل من أهل الأهواز يتحلّى بالقضاء ، وكانت له حالٌ واسعة ونعمة ظاهرة ، وعادته جارية بالحيلة على الناس وأخذ أموالهم بالتمويهات والتزويرات . فصار إليه رجل من أهل إسكاف بنى الجند وسأله أن يسعى له في تقليده ناحية أسماها . فتركه أياما ، ثم دفع إليه كتابا بتقليدها ، وأعلمه موافقته الوزير أبا الحسن على بن الفرات على تقديم خمسين ألف درهم . فأخذ الرجل الكتاب ، وأقرض^(١) من بعض التجار المال وسأله إليه ليحمله إلى الوزير ، وواعده إلى البكور إليه في غد ذلك اليوم للقاء الوزير ووداعه ، وفارقه . وغدا إليه على وعده فلم يرهُ ، وخاف أن ينتهي إلى الوزير خبره بالحضرة فينكره ، فدخل إليه وتقدم فقبل يده واستأمره في الخروج . فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى حيث قلتني . قال : ما قلتك شيئا . فأخرج الكتب وعرضها عليه ، فلما قرأها الوزير عجب منها ، وسأل عمن تنجزها له . فأسمى القاضي وأعلمه أنه أخذ منه خمسين ألف درهم باسمه ، فأمر بطلبه فطلب فقيل إنه هرب . فقال الوزير : الحيلة على تمت . ووقع في الكتب وأمضاها وكتب له بالعوض عن المال وأمره بالنفوذ .

وحدث أبو الحسن على بن جعفر الهمداني الكاتب قال :

لما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة حضره من عمال على بن عيسى العباس

(١) أقرض من بعض التجار : أخذ منهم قرضا .

ابن موسى بن المثنى ، وابن أمينة ، وأحمد بن محمد بن سمعون وكان يخلف أبا ياسر على أعمال الأنبار ، وأمر بأن يخرج إليه تقدير الغلات من النواحي التي كانوا يتقلدونها ، وأخرج .

ونظر في تقديرات ابن المثنى ، وكان يتولى كوثى ونهر درقيط ، فوجده يعجز نحو ستة آلاف كراً بالفالج ، وقال له : من أنت ؟ فقال . العباس بن موسى ابن المثنى من أهل هنييا . فقال ابن الفرات : كان المثنى بندارا ^(١) ويحلف على الكذب أكثر مما يحلف ^(٢) على الصدق وقد خلقت نصف لحيته على اقتطاع اقتطعه .

ونظر في تقدير أبي ياسر فوجده يعجز اثني عشر ألف كراً ، وقال لابن سمعون : من أين أنت ؟ قال : من أهل جرّجرايا . فقال . لم أعرف بجرجرايا هذا الاسم ، ولكنك من قرية البرت ، وكان أبوك هرك ^(٣) فلان . ونظر في تقدير ابن أمينة فوجده يعجز ثمانية آلاف كراً . فقال : يا أبا الحسن على بن عيسى ، شغلت نفسك بأخلاق الملكة والنظر في علوفة البط ، والخطيطة من أرزاق الناس وما يجري هذا المجرى من الصغائر المستهجنات ، لعمارة بيدر واحد أصلح للسلطان وأعود عليه من توفيرك ما تقرّبت به إليه .

ثم تقدّم بمحاسبة الجماعة .

(١) البندار : الناجر

(٢) في الأصل ويخلف . . . مما تخلف

(٣) هرك : أبه ساذج وهي كلمة فارسية .

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

أبو علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ^(١)

كان أبو علي أكبر ولد أبيه ، وتقلد بعد وفاته ديوان زمام الخراج والضرائب السلطانية في وزارة الحسن بن محمد ^(٢) . فلما صُرف الحسن وتقلد سليمان بن وهب ^(٣) قلده نفقات أبنية المعتمد على الله بالمعشوق في الجانب الغربي الذي من سر من رأى ، ثم صرفه المعتمد فلأزم بيته إلى أن تقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان فرد إليه البريد بـ كورتى ما سبذان ومهرجا نقدف . وكان أبو القاسم عبد الله ابنه صاحب أبا القاسم عبيد الله بن سليمان عند حصوله بالجبيل مع بدر المتضدى فضمه إلى أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، وأبو عبد الله يتقلد ديوان الإشراف ، فرد إليه الإنشاء فيه ، وولى أبو عبد الله محمد بن داود ديوان الجيش فنقله إليه ، وأقام أبو علي على البريد وعبد الله ابنه في ديوان الجيش إلى أن تغيرت الأمور في فتنة عبد الله بن المعتز ، وتقلد أبو الحسن ابن الفرات ، فخافه أبو علي لشيء أنكره منه ، واستتر عنه ، وأقام على الاستتار والسعي على ابن الفرات ، إلى أن قبض على ابن الفرات وتقررت الوزارة لأبي علي ، وأُنفذ إليه من دار السلطان ، وظهر وحضر معه ابنه عبد الله وعبد الواحد وذلك في اليوم الرابع من ذي الحجة الذي وقع القبض فيه على ابن الفرات ، ووصل إلى حضرة المقتدر بالله فقدّمه وأكرمه وقلده وزارته وتدير أمورهم ، وانصرف وعاد من غدير خلع عليه وحمل على فرس بمركب ذهب ، وركب معه الحجاب والعلمان والقواد ، وأقطع المقتدر بالله ما في

(١) انظر تجارب الامم ٥ / ١٢٧ وصلة غريب ٢٠ والفخرى ٢٣٥ وابن الأثير حوادث ٢٩٩

(٢) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد .

(٣) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد أيضاً .

يد ابن الفرات من الضياع العباسية ، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر على رَسْمِ ابن^(١) الفرات ، ولعبد الله ألف دينار ولعبد الواحد خمسمائة دينار ، ووهب له دار صاعد بن مخلد على دجلة ، وأعطى ورثته شيئاً عنها ، وأشهد عليهم بها وعمرها ونزلها . وقلد أبا القاسم عبد الله ابنه العرض على المقتدر بالله وكتابة الأمراء ، وخلع على عبد الواحد أخيه وعول على أبي الحسن بن أبي البغل في مناظرة ابن الفرات ومطالبته فاستخرج منه صدرا كبيرا . ثم ورد أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوبة من الموصل ، فولاه ذلك ، فجد أبو الهيثم بأبي الحسن بن الفرات وكتابه وأسبابه وعسفه ، وزاد في الاستقصاء عليهم ، وإيقاع المكروه بهم حتى حصل منه ومنهم الجلة التي ذكرناها في أخبار ابن الفرات . وتقدم أبو الهيثم عند الوزير أبي علي بهذا الفعل ، فقلده ديوان الدار الكبير ، وبسط يده حتى أمر ونهى ، وعزل وولى ، وغلب على أكثر الأعمال . وكانت فيه سطة وخشونة جانب ، فاستجاز الجزف^(٢) واستعمل العسف ، وقسطن على أصحاب الدواوين والقضاة وأسباب السلطان مالا على وجه القرض الذي يسبب لهم عوضه على النواحي ، وصادر قوما من الكتاب منهم المادرائيون ، فلم تقع هذه الأسباب موقعا فيما تدعو إليه الحاجة ، ولا أثرت إلا القباحة والشناعة . وحول من بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة ألف ألف وستمائة ألف دينار في مدة نظر أبي علي الخاقاني على سبيل القرض ، ولم يؤد من عوض ذلك سوى أربعين ألف دينار . وكان في أبي علي إهمال للأموال وأطراح للأعمال وتكون في الأفعال ، فكانت الكتب ترد عليه وتصدر جواباتها عنه من غير أن يقف عليها . أو يأمر بشيء فيها ، وإذا أخرجت إليه جوابها تركها أياما فلم

(١) أي كما كان يأخذ ابن الفرات من القرض له وهو وزير .

(٢) الجزف : التضييق .

يطالعهـا ، ورمـا وردت رسائـلُ بمحمول ، وكتبـُ فيها سقـا تـجـُ بمال فتبقى أيامـا لا تـنـضـُ ،
 وإذا قُـلـدَ عامـلٌ أـتـبـعَ بـنَ يـعـزـلـه قبل وصوله إلى عمله وأتبع الصارفُ بـنَ
 بصرفه . فقيل إنه اجتمع في خان يحلوان سبعة أنفس ، وقد قُـلـدَ كلُّ واحد منهم
 ماء الكوفة في عشرين يوما . وبالموصل خمسة قُـلـدوا قردي وبرزدي ، وأنهم
 اجتمعوا وتشاركوا ما دُفِعوا إليه ، وخرج عن أيديهم من نفقاتهم وما بذلوه عن
 تقليدهم على أن يتألوا من مالِ العمل ما قـدـمـوه وأنفقوه ، واستظهروا لنفوسهم به
 وخلّوا العـمـلَ على آخر من وُـرـدَ الناحية . وكان إذا سئل حاجة دقَّ صدره بيده
 وقال : نعم وكرامة ، حتى ألقب دقَّ صدره بذلك ، وبسط يده وأيدى أولاده وكتبـا به
 بالتوقيعات بالصلّات والإطلاقات ، والإقطاعات والتسويات وتخفيف الطُـسُوق
 والمعاملات ، وأخذ المرافق على إضاعة الحقوق وإسقاط الرسوم ، فسَخِفت الوزارة
 وأخلفت الهيبة ، وزادت الحال ، في إخلال الأعمال ، ووقوف الأموال ، وقصور
 المواد ، وتضاعف الاستحقاقات ، واشتداد المطالبات ، وشعب الجند شغباً بعد شغب
 وتسحبوا^(١) على السلطان تسحباً بعد تسحب ، وأخرج إليهم من بيت مال الخاصة
 الشيء بعد الشيء الذي بلغ تلك الجملة المذكورة . حتى إذا انحَلَّ النظامُ وبان
 الانتشار^(٢) وتصور المقتدر بالله الصورة فيما تطرّق من الوهن على المملكة ، شاور
 مؤنسا الخادم فيمن يُقلده الوزارة . وجاراه ذِكْرُ ابن الفرات ، ورَدَّه فقال : لم يَطُلْ
 يا أمير المؤمنين العهدُ بعزله ، وربّما ظنَّ الناسُ وأصحابُ الأطراف أن عزله كان طمعا
 في ماله . وأصحابُ الدواوين الذين دَبَّروا الأمور والأعمال منذ أيام المعتضد بالله هم
 ابنا الفرات ومحمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وعلي بن عيسى بن داود بن

(١) تسحبوا : أدلوا وأفرطوا عليه واجتءوا .

(٢) الانتشار هنا : التفرق .

الجراح ، فأما ابنا القرات فقد توفى منهما أبو العباس وتقلد الآخر الوزارة وجُربَ
نَظَرُهُ وَأَثَرُهُ . وأما محمد بن عبدون ومحمد بن داود فقد مضيا عَقِبَ فتنَةِ ابنِ المعتز ،
ولم يَبْقَ مِنَ الجماعةِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ تَصَرُّفًا ، وَأَشَدُّ تَعَفُّفًا وَأَظْهَرُ كَفَايَةً ، وَأَكْثَرُ
أَمَانَةً ، مِنْ عَلِي بْنِ عَيْسَى . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمَرَ بِاسْتِقْدَامِهِ وَاسْتِخْدَامِهِ ،
لَمْ يَعْدَمَ إِحْدَادَ الرَّأْيِ فِي بَابِهِ .

فأمره بإفْضَالِ يَلْبِيقٍ لِإِحْضَارِهِ ، وَوَقَفَ الْخَلْقَانِيُّ عَلَى أَمْرِهِ وَرُسِمَ لَهُ اسْتِدْعَاؤُهُ
وَاسْتِخْلَافُهُ عَلَى الدَّوَاوِينَ . فَكَتَبَ إِلَى عَجَّ بْنِ عَاجٍ بِإِيفَاذِهِ ، وَوَجَّهَ مُؤَنَسَ يَلْبِيقٍ
حَاجِبَهُ لِيَلْقَاهُ ، وَتَدَافِعَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ يَلْبِيقُ إِلَى مَكَّةَ ، وَشَهِدَ الْمَوْسِمَ مَعَ
أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى ، وَقَضَا حَجَّهُمَا وَأَقْبَلَا . وَعِنْدَ أَبِي عَلِيٍّ أَنَّهُ يَقْدَمُ عَلَى
الْقَاعِدَةِ الَّتِي تَقَرَّرَتْ مَعَهُ فِي اسْتِخْلَافِهِ عَلَى الدَّوَاوِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ،
وَأَمَّا أَرِيدَ لِيُقَامَ مُقَامُهُ ، حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ لَهُ بَاطِنُ السِّرِّ فِي بَابِهِ ، تَوَصَّلَ إِلَى
إِصْلَاحِ خَوَاصِّ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَبِطَوَاتِهِ ، وَنَقَضَ مَادُبِرَ فِي أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى وَتَسْلِيمِهِ
إِلَيْهِ ، وَرَتَّبَ عَلَى مَاظَنَّ أَنَّهُ أَخَذَ بِالْوَثِيقَةِ فِيهِ . وَوَرَدَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى
إِبْنُ دَاوُدَ فِي سُحْرَةِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَوَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ
الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَقَتَ صَلَاةِ الصُّبْحِ . وَبَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْخَلْقَانِيُّ وَمَعَهُ ابْنَاهُ إِلَى الدَّارِ عَلَى
رِسْمِهِ ، وَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنْ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى يُسَلِّمُ إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي
جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْجُلُوسِ فِيهِ إِلَى أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْوُصُولِ . وَقُلِّدَ أَبُو الْحَسَنِ الْوِزَارَةَ
وَانْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ ، وَوُكِّلَ ^(١) بَابِي عَلِيٍّ وَابْنِيهِ وَابْنِ سَعْدٍ حَاجِبِهِ وَأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ ثَوَابَةِ
وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُتَّابِهِ ، فَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَشَهْرًا وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ .

وَحُكِيَ أَنَّ السَّبَبَ فِي تَقْلِيدِ الْخَلْقَانِيَّ الْوِزَارَةَ أَنْ دَسْتَبَوِيهِ أُمُّ وَلَدِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ

(١) انظر أيضاً المنتظم ١٢١/٦ .

قامت بأمره مع المقتدر بالله ، لأنه بذل لها مائة ألف دينار . وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما هو ساج فيه فهم أن يقبض عليه ، فاستزوج ابن الفرات في طلبه ، فنبه على أمره ، وظن أن نوره منه أفضل فيه عنده ، وأشير عليه بأن يؤمنه ويؤليه بعض الدواوين ليزول الخوض في بابه ويختلط بكتابه ، فلم يفعل . فكان أبو علي ينمّس على ^(١) الخدم بالصلاة وإظهار التسنن ، فإذا وافاه خادم برقعة أو رسالة تركه زماناً طويلاً إلى أن تيمّ صلاته ، وكان يطيلها ثم يتبعها بالتسبيح ، فيصفونه بالديانة ، ويميلون إليه بهذه الوسيلة .

أخبار أبي عليّ المشورة

حدث أبو الحسن عليّ بن هشام قال : حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي الباقراني ، وأبو الفضل بنان بن بنان وعلي بن عيسى الزندائي النصرانيان قالوا : حدثنا أبو عليّ محمد بن عبيد الله الخاقاني قال : لما تبادت الأيام بما وعدنيه المقتدر بالله من القبض على أبي الحسن بن الفرات وتقليدي الوزارة استعظم الحال في نكبته وأشفق من حادث يحدث بذاك في دولته ، وعلمت أنه لا ينفع في ذلك إلا إعمال الحيلة . وكنت أتبع الأخبار في استتاري فجاءتني في بعض الأيام امرأة من مجازنا وقالت : رأيت الساعة عمّارية ^(٢) على بغال ، وجنداً وغلماناً يمضون إلى باب الكناس يريدون الكوفة ، وربما كان ذاك لخارجي خرج وفتق حدث . فكتبت إلى أبي عيسى يحيى بن إبراهيم المالك أسأله عن هذا الأمر ، وكان ظاهراً متصرفاً ، فأجابني بأن ملأه ^(٣) جرت بين هشام بن عبد الله وعبد الله بن جبير

(١) نمس عليه الأمر تنمياً : لبسه عليه لباساً .

(٢) المارية : شبه الهودج .

(٣) الملاحة : المنازعة .

كَاتِبِي ابْنِ الْفَرَاتِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ لِلْأَضْحَى فِي عِيدِ النَّحْرِ ،
وَرَسُومِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَوَاشِي .

قال أبو الحسن : وكان الرسم جارياً بأن يفرق على القواد والفرسان والعلمان
الحجرية والرجالة والخدم والبوابين والفراشين وأصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه
الكتاب وأصاغهم وخزّان الدواوين في كل عيد . من شاة إلى عِدَّة بُعْرَان ^(١) ، وتُنَحَّرُ
في المُصَلَّى سبعون ناقةً ويُلتَزَمُ على ذلك مالٌ جليل ، فأسقطه على بن عيسى في وزارة
حامد بن العباس واستيلائه على الأمور . قال المالكى : فأشار ابنُ جبير على ابنِ الفرات
مُعَايِظَةً لابنِ الدردى الذى ضَمَّنَه إقامَةَ الأَضْحَى ، وإظهاراً لِتَوْفَرٍ فيها أن يُقَلَّدَ
ذلك رَجُلًا أَسْمَاءً ، وكان من أولادِ الْكُتَّابِ مَتَخَلِّفًا مُتَزَقًا ^(٢) فَقَلَّدَهُ ، وأمره بالخروج
إلى الكوفة لتحصيل ما يراد من هذه الأضاحى في فسحة من الوقت ، قال الخاقاني :
فَتَجَلَّفَ الرجل وخرج بهذا الزَّيِّ وَالصَّفَفِ ^(٣) وتركِ العماريةَ فارغةً لِيَبْعُدَ عن البلدِ
ثم يَرَكِبُهَا وركب الدواب فتأثت لى الحيلة في الحال ، وكتبت رُقعة إلى أم موسى
القهرمانة أقول فيها قد أحضر ابنُ الفرات رجُلًا عُلُوِيًّا قريبَ النسب من صاحب
الحال الذى قتله المكتنى بالله ، وعزم على إجلاسهِ في الخلافة يومَ عيدِ النحر ، والجُنْدُ
وَالنَّاسُ مُتَشَاغِلُونَ بِصَلَاةِ الْعِيدِ ، وإن من الدليل على ذلك إنفاذه عاملاً من ثِقَاتِهِ
إلى الكوفة ومعه عماريةٌ خرجت فارغةً ظاهراً ، لم يَخْفَ خَبَرُهَا لِرُكُوبِ الْعُلُوِيِّ
فيها متخفياً ليحصل بالقرب من بغداد قبل الوقت الذى يفعل فيه مايفعل . قال :

(١) البعران : جمع بعير وهو الجمل .

(٢) فى الأصل متزقاً . والمتزق من أترق الرجل سفه بعد حلم .

(٣) الصفف مايلبس تحت الدرع .

وعظمت القصة وقلت . إن لم يُعَالَج ابنُ الفرات تَمَّت الحيلةُ الموضوعَة . ثم سألتها مطالعة الخليفة والسيدة بذلك ، وكتماه عن كلِّ أحد بعدها لثلاثينَ الحديث إلى ابن الفرات فيبطلُ ما رتبته . ففعلت أم موسى ، وأنفذَ المقتدر بالله شقيقاً خادِم السيدة إلى القصر على وجه التصيّد^(١) حتى عرف خبر العمارية الفارغة ، ورأى زِيَّ العامل الذي هو أكثرُ من عمله . فلم يشكَّ المقتدر بالله في صحّة ما ذكرته ، واستظهر^(٢) بأن شاقّة مؤسّساً وغريباً الخالَ بذلك ، وكانا عدوّي ابن الفرات ومعى في التدبير عليه ، فقالا : هو خيرٌ مُستفيضٌ . وقويّاه في نفسه ، وقالاه : إن لم تعالجه امتنع من حضور الدار ، واعتصم بمن يُساعده من الجيش على كثرتهم .

فقبض عليه في يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين .

قال أبو الحسن بن هشام : لخدثني أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافي كاتبُ نصرٍ القشوريّ الحاجب قال : كنت بحضرة صاحبي في يوم القبض على ابن الفرات ، فرأيتُه قد خاف خوفاً شديداً ، فقلت : ما الخبر أيها الأستاذ ؟ قال : ويحك ، جاءني الساعة خادمٌ ممن أُعولُّ عليه في مراعاة أخبار الخليفة ، فعرفني أنّه شاهده وقد جمع جماعةً من خواصّ خدمه ، وأقامهم حواليه بالسّلاح ، وأسبلَ السُّتُورَ والستائر في الدار التي هو وهم فيها ، وهذا الأمرُ كبيرٌ ما أعلم ما هو . فما مضت ساعة حتى وافى أبو الحسن بنُ الفرات ، وخرج نصرُ الحاجب فتلّقه على رُشْمه ، ودخل إلى دار الوزارة المرسومة به ، وأنفذ نصرٌ يستأذن في وصوله . فخرجت رسالة الخليفة : بأنّي

(١) التصيّد هنا : اقتناص الأخبار .

(٢) استظهر : استعان وقوى أمره .

في دار خلوة ، فقل له يدخل وحده مع بعض الخدم ، ولا يصحبه منكم أحد ،
واحبس^(١) أنت القواد واضر فهم ، فليس هو يوم وصول .

فدخل ابن الفرات مع الخدم ، وقبض عليه نذير^١ الحرمي وخدم السيدة في
طريقه ، وعدلوا به إلى حيث حبسوه فيه ، وعرف نصر^٢ الحاجب الحال فأشفق
من القبض عليه أو صرفه ، ولم يزل مروءة إلى أن تصرم النهار . فعلمت أن
أولئك الخدم أقيموا لخوف المقتدر بالله ألا يسم له القبض عليه ، وأن الجيش ربما
هجموا فمنعوا منه .

قال أبو الحسن : وكان الرسم إذا دخل الوزير على الخليفة وخدمه ألا يقبض
عليه في ذلك اليوم ، لا في داره ولا منصرفا عن حضرته ، إيجابا لحق الوصول
وحرمة ، وإنما يقبض عليه في بعض المرات عند^(٢) دخوله من قبل أن تقع عينه
عليه . وكان أيضا من الرسم أن يكون للوزير دار مفردة في دار الخلافة يجلس فيها
وينظر ، منذ أيام صاعد وإلى أيام الخاقاني الأكبر ، ويجلس الخواص والخواشي
بين يديه . فلما ولي الخاقاني صارفا لابن الفرات جلس في دار الحاجب متقربا إليه
ومداريا له ، وفعل علي بن عيسى بعده مثل فعله . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات
إلى الوزارة عاد إلى الدار الأولى المفردة ، وشق ذلك على الخاشية ، وتقلد حامد^٣ مجلس
في دار الحجة ، ورجع ابن الفرات في الدفعة الثالثة فرجع إلى الدار القديمة ، ثم بطل
الجلوس فيها بعده .

وحدث أبو عيسى أخو أبي صخرة قال : كان أبو علي الخاقاني يتهمني بمودة أبي
الحسين بن أبي البغل . فلما استدعي وقرب من بغداد خرجت إليه وتلقته ، وثقل

(١) في الأصل واجلس . وحبسهم : منهم من الدخول .

(٢) في الأصل : عن .

ذاك على أبي عليٍّ ، وأرجف الناسُ به ، وبأنه أقيم بُغَّةً إلى أن يرد أبو الحسن . وكان أبو الحسن أخو أبي الحسين قد تقلدَ مناظرةَ أبي الحسن بن القرات وأسابيه في دار السلطان ، وإثارةَ ودائعهم ، بعنايةِ أمِّ موسى وقيامها بأمره ، سَعَتْ أمُّ موسى وابن الحواري في تقليد أبي الحسين ابن أبي البغل . وقد كان ظهر من اختلال نظر الخاقانيَّ وسوء تديبره ووقوف الأمرِ على يده ما دعا إلى صَرْفه قبل تَطَاوُلِ المدة . وعرف الخاقانيُّ ما يجرى الخوضُ فيه ، فتوصل إلى فسْخِه بِحيلةٍ عملها ، وذاك أنه قال لأبي القاسم ابنه : ادْعُ دَعْوَةً أَجْمَعُ فيها أصحاب الدواوين ووجوه القواد وإخوانك وكتابتنا ، فإن لذة الوزارة في ظهور الرئاسة ، وإلا فما الفرق بين العمل والعطلة ؟ فقال : السمع والطاعة . وعيَّن له في ذلك على يومٍ سبت ^(١) لأنه لا موكب فيه ، ودعا الجماعة فلما حصلوا عند أبي القاسم ابنه - وقد كنتم رأيته فيما هو مُدْبِرُهُ عنه وعن كل أحد - مضى وقتَ العصر من ذلك اليوم إلى دار الخلافة وقال لنصرٍ الحاجب : استأذِنِي على أمير المؤمنين لأجاريةٍ مُهمًّا لا يَحْتَمِلُ تَأَخُّرَ وقوفه عليه ، فذكر نصر ذلك للمقتدر بالله ، فقلق وخاف من حدوث حادث عظيم ، فأوصله . فلما دخل إليه ودنا منه قال : ها هنا مُهمٌّ لا يجوز أن يحضره أحدٌ ، فانصرف نصرُ الحاجب وسائرُ من في المجلس حتى بقيا خاليتين ، ثم قال له الخاقانيُّ : قد رفعتني يا أمير المؤمنين بعد ذلَّة وأغنيتني بعد قِلَّة ، وما قَصَّرْتُ في خدمتك ، ولا قعدت عن مُمكنٍ في تَمْشِيَةِ أمور دولتك ، وفيما بان من اجتهادي أخذِي من أموال ابن القرات ما مبلغه ألف ألف دينار وكسْرُ سوى الأمتعة الجليلة . وما أدفع أني لستُ كهُوَ في ^(٢) الكفاية لطول عطلي ودُرْبَتِهِ ، واعتزالي وتَصَرُّفه ، ولكنني مأمون على أيامك ، ومُعْتَقِدٌ لإمامتك

(١) أي على أن يكون يوم سبت .

(٢) أي أني لا أني لست مثله في الكفاية وذلك لطول عطلي .

وهؤلاء الراضة كلُّهم أعداؤك ، ورأيهم مع الطالبين لامعك ولا مع آبائك . وقد
وَفَّرَ اللهُ عليك من ارتفاعِ ضياعِ ابنِ الفرات ما قدره ألفُ ألفِ دينارٍ في السنة ،
وليس يبلغُ أثرُ تقصيري في تدبيري - على ما يُقال لك - هذا القدرَ ، فكيف
وليس الأمرُ على ما يُدعى؟! وما استعنتُ إلا بالكفاةِ الذين كانوا يعملون مع
عبيدِ الله بنِ سليمان والقاسمِ ابنِهِ ، وابنِ الفراتِ بعدهما ، والأُمُورَ منتظمةَ بهم ، وقد
أمنتُ بذلكَ عدوًا يسعى على أصولِ الدولة . وَلَعَمْرِي إن ولدي وحاشيتي قد مدَّوا
أيديهم إلى قبولِ هدايا العُمالِ ومراقبتهم لأنهم كانوا فقراء ، وَعَقِيبَ مِحْنَةٍ طويِلَةٍ
وعُطْلَةٍ مُتَّصِلَةٍ ، لكننا ما أخذنا حَبَّةً واحدةً من الأصول ، وقد غَنِينَا الآنَ بما حصل
لنا وَبَلَّ أحوالنا ، وسأحلفُ آفًا على استئْثافِ الأمانة ، واستعمالِ النزاهة ، وأُضْبط
أولادي وأصحابي عن أخذِ درهمٍ واحدٍ . وابنُ أبي البغلِ أعظمُ عداوةٍ لمولانا من ابنِ
الفرات ، لأنه رجلٌ مُلْحِدٌ ، يُبْطِلُ الإسلامَ والنبوةَ ، ويلهو بالقرآن ، وَيَدْعِي الخطأَ
فيه ، وقد أخرجَ عُيُوبَهُ وصنَّفَ فيه كتابًا ، فكيف يُوثقُ بِمَنْ هذه حاله على الخدمةِ
وقد ضَافَرَهُ جماعةٌ مِنْ عُمَّالٍ على أمرِهِ ، وترَبَّصُوا بما قَبِلَهُمْ من الأموالِ تَوَقُّعًا
لِأَيامِهِ . وقد بلغني اليومَ أنه قالَ لِثِقَاتِهِ : إن أميرَ المؤمنين قد أنفذَ إليه على يَدِ فَرَجٍ
النصرانيةِ صاحبةِ أُمِّ موسى خاتمةَ ، وجعله على ثقةٍ من تقليده في يومِ الموكبِ الأدنى
فإن كان ذلكَ حقًا فقد حضرتُ دارَ أميرِ المؤمنين بعد أن جمعتُ عند ابني جميعَ
أولادي وأقاربي وكتَّابي وأصحابي ، ولم أَطْلِعْهم على أمرِي ، فإن أرادَ مولانا وهمُ
بالقبضِ عليهم فنحن في يده ، فيأمرُ بِإِيفادِ من يتسلَّمُ الجماعةَ بعد أن تُحْرَسَ نفوسُنا
بِكَوْنِنا عنده . فقد يجوزُ أن نُسْتَخْدَمَ في كتابةِ السيدةِ والأُمراءِ ولا نُخْرَجَ عن الجملةِ .
وأن يُفْضَلَ^(١) مولانا بِإِتِّمَامِ صنيعته ، وَتَمَكِينِي من هذا المُلْحِدِ ابنِ أبي البغلِ الذي

(١) أفضل عليه : أناله من فضله وأحسن إليه .

أبعده الوزراء قبلى لِشَرِّه ، وطرده من الحضرة لِقُبْحِ فعله ، وكانوا أَعْرَفَ به منى
أَثَرَتْ من جِهَتِهِ وَجِهَةِ أَخِيهِ مَالاً كَثِيراً ، إذ كان أخوه قد اقْتَطَعَ من مال
ابن الفرات الذى تَوَلَّى إثارتَه صَدْرًا كَبِيراً .

وبكى وَرَقَى المقتدر بالله ، وأطمعه ، فَرَّقَ له ورجه ، وتوقف عن أمر
ابن أبى البغل ، وقال للخاقانى : ما أردت صَرْفَكَ ، ولو كنت أردتُه لَزَلْتُ عنه
الآن مع سماعى ما سمعته منك ، وقد أطلت يدك فى ابن أبى البغل وأخيه ،
فأقبضُ عليهما وأبعدهما . فقال : يا أمير المؤمنين كانت أم موسى سَعَتْ لى
فى هذا الأمر ، وقد تَغَيَّرَتْ عَلَىَّ ، وَعَدَلْتُ عنى إلى السعى لابن أبى البغل والقيام
بأمره ، وأخاف أن يفسدَ قلبُ السيدة فتتَنَبَّيك عن هذا الرأى فأهلك أنا .

فعاهده ألا يُطْلِعَ السيدة ولا غيرها على ما جرى بينهما إلى أن يتم القبضُ عليه .
فقال له الخاقانى : فيُظْهِرُ أميرُ المؤمنين أنى حضرت لأجل كذا وكذا ، لحديث
عَلِمَهُ من أمور الأطراف .

وخرج الخاقانى فجلس فى دار الحجة، وكتب بخطه إلى أبى الحسن بن أبى البغل :
إن أمير المؤمنين قد طلب منى عملاً لما صحَّ من أموال ابن الفرات وأسبابه فَخَضَّرَهُ
الساعة ، فإنى مقيم فى الدار أنتظرك .

فما بعد أن وافى ابن أبى البغل ، فقال له الخاقانى : قد جرى بينى وبين
أمير المؤمنين فى أمر أخيك ما لو تَوَلَّيْتَهُ لما زِدْتُ عَلَىَّ فيه ، وقررتُ معه تقليده
أصولَ دواوين السواد والشرق والمغرب ، ليكون هو على الأصول ، وأبو بكر محمد
ابن على المادرائى على الأزمّة ، وأتشاغلُ أنا بالخدمة ، وتزولُ هذه الأراجيفُ
الواقعة ، ونكون يدأ واحدة فى إثارة الأموال وتسديد الأحوال .

فشكره ابن أبى البغل على ذلك ، وظنَّ أنه شىء قرَّره الخليفةُ وأمرَ به ليُجعله

طَرَفًا إِلَى مَا اعْتَقَدَهُ ، وَسِبْيًا لِسُكُونِ الْخَلْقَانِيَّ وَالْأَلَا يَسْتَوْحِشَ مِنَ الْأَقْوَالِ
الَّتِي تَقَالُ فِي الْإِرْجَافِ بِهِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَانِيَّ ادَّعَى مِنْ ذَلِكَ مَا ادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ تَجْمَلًا وَتَمَنًّا عَلَيْهِ
بِمَا لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِ . وَأَمْرَهُ الْخَلْقَانِيَّ بِمَكَاتِبَةِ أَخِيهِ بِأَنْ يَسْبِقَهُ إِلَى دَارِهِ لِيُوقِعَ لَهُ
بِمَا رَسَمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَسَلَّمَ الدَّوَاوِينَ . وَكَتَبَ ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ إِلَى أَخِيهِ بِالصُّورَةِ
وَبِمَا حَسِبَهُ فِيهَا وَقَدَّرَهُ . فَبَادَرَ دَارَ الْخَلْقَانِيَّ وَتَأَخَّرَ الْخَلْقَانِيَّ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى وَقْتِ
صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ لَيْلًا ، فَسَاعَةً رَأَى ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ حَاصِلًا وَقَدْ صَعِدَ
أَخُوهُ مَعَهُ قَبْضَ عَلَيْهِمَا ، وَأَنْزَلَهُمَا فِي زُورْقٍ مُطْبِقٍ ، وَوَكَّلَ بِهِمَا ثِقَاتَهُ وَحَدَرَهُمَا
إِلَى وَاسِطٍ لِيَنْفِيَهُمَا مِنْهَا إِلَى حَيْثُ يَتَقَرَّرُ رَأْيُهُ عَلَيْهِ . وَعَرَفَتِ السَّيِّدَةُ وَأُمُّ مُوسَى
مَا جَرَى ، فَقَامَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمَا ، وَخَاطَبَتَا الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ فِيهِ فَقَالَ . أَنَا أَمَرْتُ بِهِ ،
وَلَا يَجُوزُ فَسْخُوه مَعَ وَقُوعِهِ ، فَكَانَتْ غَايَةُ مَا عِنْدَهُمَا أَنْ سَأَلَاهُ مِرَاسَلَةَ الْخَلْقَانِيَّ
بِأَلَّا يُصَادِرَهُمَا وَأَنْ يَقْلُدَهُمَا بَعْضَ الْأَعْمَالِ لِيُنْفِذَ إِلَيْهِمَا . وَوَجَّهَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَخِيهَا
وَابْنَ الْخَوَارِ إِلَى اللَّهِ ، فَمَا بَرَّحَا حَتَّى قَلَّدَ أَبَا الْحُسَيْنِ أَصْبَهَانَ وَأَبَا الْحَسَنِ الصَّلَحَ وَالْمُبَارَكَ
وَكَتَبَ بِإِطْلَاقِهِمَا وَإِنْفَاذِهِمَا إِلَى أَعْمَالِهِمَا .

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الزَّهْرِيُّ الْأَصْبَهَانِيَّ الْكَاتِبَ قَالَ : لَمَّا تَقَلَّدَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْكَرْخِيَّ أَصْبَهَانَ ، وَقَبْضَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ ، أَقَامَ فِي حَبْسِهِ
إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ الْأَهْوَازَ وَحَمَلَهُ مَعَهُ ، وَمَاتَ الْقَاسِمُ وَتَقَلَّدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَهُ مَوْضِعَهُ .
وَكَتَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ مِنَ الْحَبْسِ إِلَى أُمِّ مُوسَى الْقَهْرْمَانَةَ بِالشَّرُوعِ لَهُ
فِي الْوِزَارَةِ ، وَبَذَلَ الْبُدُولَ الْكَثِيرَةَ ، فَقَامَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَمْرِهِ وَقَرَّرَتْهُ مَعَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ
وَالسَّيِّدَةِ ، وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَبِأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَمَرَ بِمَكَاتِبَتِكَ بِالْإِصْعَادِ لِيَسْتَوِزِرَكَ .
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُمَا لَمْ يَنْتَظِرْ وَرُودَ كِتَابِ السُّلْطَانِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْحِجْرَةِ الَّتِي كَانَ
مَعْتَقِلًا فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ الْمَوْلُكُونَ بِهِ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَاتَّهَرَّهْمُ وَشَتَمَهُمْ ، وَأَظْهَرَ الْكِتَابَ ،

ورأى بَنَلاً مُسَرَّجاً لأبي عبد الله بن القاسم ، فركبه يريد الدار التي فيها رِجَالُهُ
وغلمانُهُ . وعرف أبو عبد الله خبرَهُ ، فخرج حافياً حتى لحقه وقد وضع رجله
في الرَّكَّاب ، فقال له : عَرَفَ الله الوزير البركة ، وخار له فيه .

فقبل ذلك منه ، ثم قال أبو عبد الله : ما وَرَدَ على الكتابُ بشيء من هذا .
أفأكتبُ إلى بغداد بما فعله الوزير من خروجه عن محبسه ، وركوبه من غير أمرٍ
وَرَدَ في بابه ، واحتجاجه بكتاب القهرمانه ؟ فقال له : اكتب ما شئت .

فوافى إلى داره واستأجر سُفْناً ، وسار من يومه عن الأهواز يريد الحضرة .
وكتب أبو عبد الله إلى الوزير الخاقاني بالصورة ، فركب إلى المقتدر بالله ، ودخل إليه
وحلَّ سيفَهُ ومنطقَتَهُ بين يديه ، وقبَّل الأرض وبكى ، وأذكره بخدمته وحُرْمته ،
وحقوق أسلافه على أسلافه ، بعد أن عرفه حال ابن أبي البغل ، وما أظهره بالأهواز ،
وما فعله ، وبذل له أن يقوم بكثير مما بذله ابن أبي البغل ، واستحيا المقتدر بالله ،
ورقَّ لقوله وبكائه ، وغازطته عَجَلَةً أبي الحسين بن أبي البغل ، ومبادرته إلى الاصعاد
قبل ورود أمره عليه بذلك ، فأمره بِرَدِّهِ من الطريق وتركِ الفُسْحَةَ له في الورود .
وعرفت أم موسى ما جرى ، فقامت عليها القيامةُ منه ، وراجعت الخليفة ، وأذكرته
بما قرَّرتَه معه ، فامتنع عليها من استيزاره ، وأجابها إلى تعويضه من ذلك ، وإخراجه ،
من النكبة ، وَرَدَّه إلى أصبهان ، وكتب له بتقليد هذه الناحية ، ورسم له الرجوع
من حيث ياقاه الكتابُ فيه ، وألَّا يُتَمَّ إلى الحضرة . فاتفق أن وصل الكتابُ
إليه وقد حصل بِحَرِّ جَرَايَا ، فعاد مغموماً وتوجه إلى أصبهان .

قال أبو بكر الزهرى : ولما وردها ، نزل بظاهرها في بستان يسمى مابان ، وخرج
الناس لاستقباله ، ودخلتُ إليه ، وجاست عنده . فلما خلا قال أعطني ذلك التقويم ،

وأوماً إلى تقويم في زواية المجلس ، فحجته به . فكتب على ظهره بيتين لنفسه
وأنشدنيهما ، فسمعتهما منه وهما :

ولى همة تعلقو السما كين رفعةً وتسمو إلى الأمر الذى هو أشرفُ
وجدى عثورُ كلما رمت نهضةً تقاعد بى يغتالى ليس ينصفُ
وله في هذا المعنى لما انتقض أمره في الوزارة :

أملُ كان كضوء الشمس في بُعد المكان
فإذا صار على قرُب يلمس وعيان
استردته يد الدهر فعدنا في الأمانى

ولأبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني الكاتب إلى أبى الحسين ابن
أبى البغل في هذا المعنى من قصيدة أولها يقول فيها :

نضاً شيبه من جدّة اللهو مانضاً وعوضه ثوبَ النهى فتعوضاً
أقول وقد شئت البروق فلم أجذ كبرق بدا من أصبهان فأومضاً
سقى الرائح الغادى بلاداً رقصتها ولم تك لولا أن نبت بى لثرفضاً
وهل هي إلا موطن لي محبب إلى أعادته الخطوب مبغضاً
ولما تولّاها الأغر محمد حدا ذكره شوق إليه فأومضاً
كأنى بذاك الضمير قد حله أبو ال حسين فجادته يدها فروضاً (١)
فأليس فيه الأمن من كان خائفاً وحكم في الإثراء من كان منفضاً (٢)
وأصلح ملتأناً هناك بعزمه وقوم معوجاً وذلل ريضاً (٣)

(١) جادته : أمطرت عليه . وروضها : صبرها كالروضة .

(٢) المنفض : الذى فنى زاده وملك أمواله .

(٣) اللثاء : الذى اختلطت عليه الأمور والتبست ، والمبطىء : والريض : الذى لم يحكم تدبيره .
والدابة أول ما تراض .

وجازى بإحسان مُسِيئًا ومُحْسِنًا وكل امرئ يَفْقِضُ الذى حَيْثُ أَقْرَضَا
وفيهما يذكر الوزارة :

ووالله ما أدرى أُرَأْيكَ تَنْتَضِي أم الْقَدَرُ الْمَاضِي إِذَا الْخَطْبُ أَجْهَضَا^(١)
ومُعْرِضَةً عَنْ خَاطِبِيهَا تَبَرَّجَتْ إِلَيْكَ عَلَى قَصْدٍ فَأَلْقَنَكَ مُعْرِضًا
رَأَتْ مُنْكَرًا فِى الرَّأْيِ أَنَّ رَأْبَ الثَّانِي سَوَاكَ أَمْرًا وَأَنَّ يُمِرَّ فَيَنْقُضَا^(٢)
فَجَاءَتْكَ تَخْطُرُ الْعِزُّ يَمْنَنُ تَعَرَّضُوا لَهَا ، وَهِيَ لَا تَأْلُوكُ مِنْهَا تَعَرَّضَا
تَجُوبُ إِلَيْكَ الْبَرَّةَ وَالْبَحْرَ وَالْوَرَى يَحْتُونَهَا لَمَّا رَأَوْكَ لَهَا رِضَا^(٣)
فَحَاطَكَ عَنْهَا اللَّهُ عِلْمًا بِأَنهَا مَدَى غَايَةٍ إِمَّا اتَّهَى فَقَدْ انْقَضَى
وَرَدَّكَ صَوْنًا لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَى إِلَى مَنَهِجٍ لَا تَبْتَغِي عَنْهُ مَدْحًا^(٤)
وَلَيْسَ بِمَغْبُوطٍ أَخُو الرِّبَةِ الَّتِي إِذَا زَلَّ عَنْهَا قَيْسٌ شَبِرَ فَقَدْ قَضَى^(٥)
وَلَوْ كُنْتَ قَدْ حُمِلْتَ أَغْيَاءَ ثِقَلِهَا حُمِلَتْ وَزَرًا يَتْرُكُ الظَّهْرَ مُنْقَضَا^(٦)
أَعْيَدَكَ وَالرَّاجُونَ طَرًّا مِنَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا لِلنَّائِبَاتِ مُعَرَّضَا
وَهْنَتْ أَغْيَابَ الزَّمَانِ بِشَابَتْ مِنْ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ لَنْ يَتَقَوَّضَا^(٧)
فَإِنَّكَ لَمْ تُحْبَسْ لِسُوءٍ وَلَمْ تُضْمَ وَلَمْ تُلَفْ فِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ مُدْحَضَا^(٨)
وَمَا كَانَ يُدْعَى ذَلِكَ الْجُلُوسُ الَّذِى تَبَوَّأْتَهُ إِلَّا عَرِيْنًا وَمَرَبَضَا^(٩)

(١) أجْهَضَ هنا مَعْنَاهَا أَزَلَى .

(٢) يُقَالُ فَلَانُ يَرَأْبُ الثَّانِي : أَيْ يَصْلُحُ الْفَسَادَ . وَالثَّانِي : هُوَ الْفَتْحُ وَآثَارُ الْجَرْحِ . وَيَمِرُّ : بِشِدَّةِ الْفَتْلِ .

(٣) رِضَا : مَرْضَى عَنْهُ .

(٤) الْمَدْحُضُ هُنَا : الْبَحْثُ مِنْ قَوْلِهِمْ دَحَضَ عَنْهُ بَحْثَ .

(٥) قَيْسٌ : مَقْدَارٌ . وَقَضَى : هَلَكَ .

(٦) مُنْقَضٌ : مُثْقَلٌ .

(٧) أَغْيَابٌ : جَمْعُ غَبٍّ وَهُوَ بَعْدُ وَالْعَاقِبَةُ ، أَيْ هْنَتْ عَقِبَ كُلِّ زَمَنٍ أَوْ فِي عَاقِبَةِ كُلِّ وَقْتٍ .

(٨) مُدْحَضٌ : مَزَالًا عَنْ مَكَانِكَ أَوْ مِبْطَلًا كَالْحُجَّةِ الْبَاطِلَةِ .

(٩) يُرِيدُ بِالْمَرَبِضِ هُنَا مِنْ رِبَوضِ الْأَسَدِ لَا أَى حَيَوَانَ .

وما كُنتَ إِلَّا السيفَ يُرْهَبُ مُعْتَدًا وإن كان محصوراً وَيَقْطَعُ مُنْتَضَى^(١)
 محمدُ يا حِلْفَ النَّدَا يا بنَ أَحْمَدٍ نِدَاءُ أَمْرِيءِ أَصْحَى إِلَيْكَ مُقَوِّضَا
 أترضى بِيَعْدِي عن ذَرَاكَ فَمَا أَرَى وَرَاءَكَ لِي عَيْشًا وَإِنْ كَانَ مُرْتَضَى^(٢)
 فداؤُكَ نَفْسِي كَمْ يَدٍ بَعْدَهَا يَدٌ جَبَرْتَ بِهَا عَظْمِي وَكَانَ مُهَيِّضَا^(٣)
 أَيَادٍ نَمَى طُولًا وَعَرَضًا غَيْرَ اسْمِهَا تَحْقُ لَشَكْرِي أَنْ يَطُولَ وَيَعْرِضَا
 وله إليه في هذا المعنى من قصيدة :

أرادوا له ما لم يُرِدْهُ لِنَفْسِهِ لِكِي يُدْرِكُوا عِزًّا وَفَضْلَ ثَرَاءِ
 وَأَفْضَلَ مِنْ نَيْلِ الْوِزَارَةِ لِأَمْرِيءِ بَقَاءَ يُرِيهِ مَضْرَعُ الْوُزَرَاءِ
 وَلَا سِيًّا مِنْ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لَهَا وَإِنْ عَاقَبَهُ عَنْهَا اعْتِلَالُ قَضَاءِ^(٤)
 وَمَنْ قَدْ رَأَيْنَا بِالْخِلَافَةِ فَاقَةً إِلَى مِثْلِهِ مِنْ رَاشِدِي الْخُلَفَاءِ
 وَمَنْ هُوَ مَعْلُومٌ بِأَنْ وَفَاءَهُ بِهَا لَوْ يَكُونُ فَوْقَ كُلِّ وَفَاءِ
 أُرِيدُ لَهُ طَوْلَ الْبَقَاءِ وَقَلْبًا رَأَيْتُ وَزِيرًا نَالَ طَوْلَ بَقَاءِ

وذكر أبو الحسن ثابت بن سنان قال . لما ظهر من الاختلال في أيام الخلفائي
 ما ظهر ، كتب أبو محمد الحسن بن روح إلى المقتدر بالله رُقعة يضمن فيها الخلفائي
 وأسبابه بما يعجل منه خمسمائة ألف دينار ويقول :

أنا أقتصر على الوزارة ، وتسكون الدواوين إلى علي بن عيسى ، فتمشى الأمور ،
 وتستقيم الأعمال .

وسلم الرقعة إلى أم موسى القهرمانة لتوصلها ، وتُخْرِزَ الأمر في مضمونها .

(٢) ذراك : فناؤك ورجابك .

(١) منتضى : مسلول .

(٣) مهيب : مكسور .

(٤) اعتلال القضاء : ضعف القدر وتعلله .

فَسَمَّيْنَاهَا أُمُّ مُوسَى إِلَى الْخَلْقَانِي ، فَأَنْفَذَ إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ رُوحٍ وَكَبَسَهُ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ ، وَصَرَفَهُ عَنْ دِيْوَانِ ضِيَاعِ الْخَلَاصَةِ .

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : قُلْتُ لِلْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلْقَانِي فِي كَلَامٍ جَرَى : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَابِتَةٌ .

فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا تَصْغِيفٌ ، إِنَّمَا هُوَ : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ كَانَ لَيْنَ الْعَرِيكَةِ ، قَلِيلَ الْبَصِيرَةِ ، لَا يَدْفَعُ عَنْ شَيْءٍ يُخَاطَبُ فِيهِ ، وَلَا يَتَصَوَّرُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِيمَا يَكُونُ مِنْهُ فَانْبَسَطَتِ الْعَامَّةُ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ الْخَلَاصَةِ ، وَلُقِّبَ بِدَقِّ صَدْرِهِ ، وَوَقَّعَ بِكُلِّ سَوْأَلٍ وَإِنْفَازٍ لِكُلِّ مُحَالٍ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَخَذَنِي سَبْكُ الْمَفْلَحِيِّ أَنَّ أَحَدَ الْقَوَادِرِ الْأَصَاغِرِ سَأَلَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَلْقَانِيَّ أَمْرًا فَقَالَ : اكْتُبْ رُقْعَةً حَتَّى أُوقِعَ لَكَ فِيهَا . فَأَحْضَرَ بِيَاضًا وَقَالَ : يُوقِعُ الْوَزِيرُ فِي آخِرِهِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى الْمَسْئُولِ لِأَنَّ كُتُبَ الْعَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ . فَوَقَّعَ لَهُ بِذَلِكَ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا : أَنَّ نَصْرَ بْنَ الْفَتْحِ كَاتِبَ مُؤَنَسِ الْخَادِمِ تَأَخَّرَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلْقَانِي ، وَجَاءَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِعِلَّةٍ بَنَتْ لَهُ عَزِيزَةً عَلَيْهِ . فَاتَّفَقَ أَنْ أَنْصَرِفَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ صَكٌّ عَلَيْهِ لِبَعْضِ الْوُجُوهِ بِمَا لَطَّقَ لَهُ ، فَوَقَّعَ إِلَيْهِ : أَطْلِقْ أَوْ كَرَّمِكِ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَرِّفْنِي خَيْرَ الصَّبِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سَبْكِ الْمَفْلَحِيِّ : أَنَّهُ سَأَلَهُ إِثْبَاتَ رَاجِلٍ مَعَهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ فِي الْمَشَاهِرَةِ . فَقَالَ : أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ ! وَكَرَّرَهَا ، وَمَا زَالَ يَحْسِبُهَا حَتَّى

صَارَتْ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ دِينَاراً فِي السَّنَةِ . ثُمَّ وَقَعَ بِإِجْرَاءِ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ فِي الْمَشَاهِرَةِ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْفَرَجِ الشَّامِيُّ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ النُّفَاطِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ الْكَاتِبُ قَالَ : كُنْتُ بِحَضْرَةِ الْخَاقَانِيِّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ كِتَابُ كُتُبٍ مِنَ الدِّيَوَانِ إِلَى عَامِلِ النَّيْلِ بِحَمْلِ غَلَّةٍ كَانَتْ حَاصِلَةً قَبْلَهُ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ تَأْخِيرَهَا ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ فِي الْكِتَابِ : أَحْمِلِ الْغَلَّةَ ، وَأُزِجِ الْعَلَّةَ ، وَلَا تَجْلِسْ مُتَوَدِّعاً فِي الْكِلَّةِ ^(١) . قَالَ : ثُمَّ التَفْتُ إِلَى وَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فِي النَّيْلِ بَقَى يَحْتَاجُ إِلَى كَلِّلٍ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ وَأَيُّ بَقَى وَمَنْ أَجَلُهُ يَلْزِمُ النَّاسُ الْكِلْلَ نَهَاراً وَلَيْلاً . قَالَ : فَسَرَّ وَقَالَ : تَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى حَسَنِ التَّوْفِيقِ . وَنَفَعَنِي ذَلِكَ عِنْدَهُ .

وَوَقَعَ فِي كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ - وَكَانَ مُسْتَزِيداً لَهُ - : الزَّمْ - وَفَقَكَ اللَّهُ - الْمَنَاجِ ، وَأَحْمِلْ مَا أَمَكُنْ مِنَ الدَّجَاجِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَحَمَلَ الْعَامِلُ دَجَاجاً كَثِيراً عَلَى سَبِيلِ الْهَدْيَةِ . فَقَالَ : هَذَا دَجَاجٌ وَفَرَّتْهُ بَرَكَةُ السَّجْعِ . وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُبَاعَ وَيُورَدَ ثَمَنُهُ فِي الْحِسَابِ ، فَوُرِدَ مَنْسُوباً إِلَى ثَمَنِ دَجَاجِ السَّجْعِ .

قَالَ : وَسَأَلَهُ رَجُلٌ كِتَابَ شِفَاعَةِ إِيَّامُ مُوسَى الْقَهْرْمَانَةِ ، فَكَتَبَ لَهُ ، وَعُنُونُهُ : لِأَبِي مُوسَى . قَالَ : وَكَانَ لَهَا أَخٌ يُجْلِسُ فَيُلْقَاهُ النَّاسُ وَأَصْحَابُ الْحَوَائِجِ لِيَأْخُذَ رِقَاعَهُمْ وَقَصَصَهُمْ إِلَيْهَا . فَلَمَّا دَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمُسْتَشْفِعُ الْكِتَابَ نَظَرَ إِلَى عُنْوَانِهِ وَضَحِكَ وَقَالَ لَهُ : أَحْمِلْهُ إِلَى صَاحِبِهِ . قَالَ : وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ ؟ قَالَ : فِي مَقَابِرِ الْخَيْرِزَانِ . قَالَ : أَحْمِلْهُ إِلَى أَهْلِ

(١) الكِلَّة : السر الرقيق وهو أشبه بما يسمى « الناموسية » .

القبور؟ قال : فإذا كان ذلك إلى أهل القبور، تحمله إلى سكان الدُّور؟ وأخذَ الكتابَ منه وشاع خبرُه .

ومن أحاديث الخاقاني المشهورة أنَّ أبا الحسن عليَّ بن عيسى جلس معه يوماً في طيَّارِه ، وأراد الخاقاني أن يُحيِّيه بتفَّاحة كانت في يده ، وهم أن يَبصُقَ في الماء ، فبصق في وجه علي بن عيسى ، ورمى بالتفاحة إلى الماء . وقال : إنا لله ، غَلَطْنَا . فقال : عليَّ بن عيسى : إنا لله تُلِطْنَا ^(١) .

ومن أحاديثه أيضاً أنه مر في طيَّارِه مُنصرفاً من دار السلطان عند صلاة المغرب، فرأى مَلَأَحين يُصَلُّون في مسجد على دجلة بمشرفة القصب ، فَقَدَّم وصَدَّ وصَلَّى معهم وكان صائماً . فَأَنفَذَتْ إليه بدعةُ الكبيرة ماءً مثلوجاً لِيُفْطِرَ عليه ، فَرَدَّه وشَرِبَ ماءً حارّاً من دجلة .

وقيل : إنه كان يدخل إليه الرجلُ الذي قد عرفه طويلاً فيسَلِّمُ عليه ويسأل عنه ، فيقول أو يقال له : هذا فلان ، أو إنه فلان . ثم يلقاه بعد يوم فتكون حاله معه مثل الحال الأولى ^(٢) .

وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال : سمعت أبي وأبا إسحاق وإبراهيم بن عيسى بن داود بن الجراح وأبا القاسم سليمان بن الحسن يحدثون ، قالوا ^(٣) : لما تقلَّد أبو الحسن عليُّ بن عيسى الوزارة صارَفاً للَخاقاني عنها ، وجد ^(٤) في أيدي القواد والخاصية والرعية توقيعاتٍ كثيرة بخطِّه وخطِّ عبد الله وعبد الواحد ابنيه ، ومحمد وأحمد ابني سعيد حاجبه ، وبنان بن بنان ويحيى بن إبراهيم المالكي وعليَّ بن عيسى الزنداني ، كُتِّبَ به ، في فَلَكَ وإثباتٍ وتقريرٍ وإيجابٍ ومظالمٍ وتسوياتٍ وإقطاعاتٍ

(١) أصبنا بالثلط وهو البراز .

(٢) في الأصل : الأولى .

(٣) في الأصل : قال .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٠

ومَقَاطِعَاتٍ مِّمَّا مِثْلُهُ يَأْتِي عَلَى ارْتِفَاعِ الْمَلِكَةِ ^(١) . وقد كان الخاقاني أذن لهذه الجماعة في التوقيع عنه بِكُلِّ مَا رَأَوْهُ ، وكانوا على فاقة وَضَعَةٍ وَخُرُوجٍ مِنْ نَسْكِةٍ وَعُطْلَةٍ ، وَغَرَضُهُمُ الارتفاعُ وَأَخْذُ مَا لَاحَ ، وَأَغْلَظُ الْأَمْرِ وَكَثْرُ الْحَرْجِ . وتأمل على بن عيسى هذه التوقيعات ، فأسقطها ، وكان منها ما ثبت في الدواوين وما لم يثبت ، وعمل على إعلام المقتدر بالله ما على الملك وبيت المال من الوهن والنقص بإمضائها واستئذانه في ردّها وإبطالها .

قال هشام : وكنت متحققا به إذ ذاك فقلت : لا تفعل فإن الخليفة على ما تعرفه من التدبّر بآراء النساء ، والقَبُولِ مِنَ الْحَاشِيَةِ ، وَأَكْثَرِ هَذِهِ التوقيعاتِ لَهُمُ وَلِلْمُتَعَلِّقِينَ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْمُتَجَسِّئِينَ إِلَيْهِمْ ، فَأَعْدِلْ إِلَى أَنْ تَنْظُرَ مَا قَدْ أَنْشَأَ الْكِتَابُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الدارِ إِلَى أَصْحَابِ الدارِ فَتَمْضِيهِ ، وما كان بخلاف ذلك أبطلته ، فإنك تَمْضِي الْقَلِيلَ وَتُبْطِلُ الْكَثِيرَ ، وتأمن عداوة الناس ، ومتى استأذنت الخليفة لم تأمن أن يأمرَكَ بِإِمْضَاءِ الْكُلِّ فَتَقَعَ فِي الطويل العريض .

فلم يقبل ، ومضى فطالع المقتدر بالله بالصورة ، واستأمره في إسقاط التوقيعات ، وقد كان الحواشي سَبَقُوا إِلَيْهِ بِالشكوى ، فقال له : ارْجِعْ إِلَى الْخَاقَانِيِّ وَابْنِهِ فَمَا عَرَفَاكَ أَنَّهُ بِتَوْقِيعِهِمَا أَمْضِيَّتَهُ ، وما كان بتوقيع أصحابهما رددته فأمر على بن عيسى أصحاب الدواوين بجمع الرقاع ، فجمعت في أيام ، وأنفذها إلى الخاقاني وابنه مع إبراهيم بن أيوب كاتب حضرته وابن الماسح ليقرضاها عليهما ، ويسألها عنها . فلما دخل على الخاقاني وابنه وجدا الخاقاني قائما يصلي صلاة الضحى - وكان يُطِيلُهَا - وابنه عنده جالسا فعذلا إليه ، وأدّيا الرسالة ، وأعطياه الرقاع على حُكْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الاستبداد بالأُمُورِ فِي خِلاَفَتِهِ لِأَيِّهِ . فأخذ يتأملها ويميزها ، ويُفَرِّدُ الْأَقْلَ

(١) يعني أن هذا كله يستغرق إيرادات الملكة

وَيَطْرَحُ الْأَكْثَرُ ، وَلَحَظَهُ أَبُوهُ ، فَخَفَّفَ الصَّلَاةَ ثُمَّ صَاحَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَفْسَدْتَ أَمْرِي فِي
نَظَرِي ، وَتَرِيدُ أَنْ تَفْسِدَهُ فِي حَبْسِي ! وَأَقْبَلَ عَلَى الرُّسُولَيْنِ وَقَالَ لَهَا : مَا أَحْسَنْتِمَا الْفَعْلَ .
فَإِنْكُمَا أَنْفَذْتُمَا إِلَيَّ فَعَدَلْتُمَا إِلَى وَلَدِي عَنِّي ، وَإِنَّمَا كَانَ خَلِيفَتِي . فَقَامَا إِلَيْهِ وَعَرَّفَاهُ
مَاحْضَرَاهُ فِيهِ . وَأَقْرَأَهُ الرِّقَاعَ . فَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ التَّوْقِيعَاتِ خَاصَّةً ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى النَّظَرَ
فِيهَا قَالَ لَهَا : قُولَا لِلزُّبَيْرِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - هَذِهِ التَّوْقِيعَاتُ صَحِيحَةٌ ، وَمَا وَقَّعَ بِهَا إِلَّا
بِإِذْنِي ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنْ كِتَابِي يُقَدِّمُ عَلَيَّ أَنْ يُوقَّعَ عَنِّي بِمَا لَا أَعْلَمُهُ وَلَا أَرْسِمُهُ ،
وَالَّذِي فَعَلْتُهُ هُوَ مَا رَأَيْتُهُ صَلَاحًا لِنَفْسِي وَخِدْمَةً لِلْخَلِيفَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بِقِیَاسِهِ - فِي
اسْتِمَالَةِ قُلُوبِ حَاشِيَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، وَاسْتِخْلَاصِ نِيَّتِهِمْ فِي مَوَالَاتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالْأَمْرُ الْآنَ
إِلَيْكَ فَافْعَلْ مَا تَرَاهُ .

قَالَ : فَقَامَا وَعَادَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ، وَأَعَادَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ : فَقَامَتْ قِيَامَتُهُ مِنْهُ ،
وَاضْطُرَّ إِلَى إِمضَاءِ الْأَكْثَرِ ، وَإِسْقَاطِ مَنْ اسْتَضَعَفَ صَاحِبِهِ وَاسْتَلَانَ جَانِبَهُ ،
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ جِهَةٌ تَشْفَعُ فِي بَابِهِ . وَعَرَفَ الْحَاشِيَةُ ذَلِكَ ، وَشَكَرُوا الْخَلِيفَةَ وَتَعَصَّبُوا لَهُ ،
وَقَامُوا بِأَمْرِهِ مَعَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ حَتَّى قُرِّرَتْ مُصَادَرَتُهُ وَأُطْلِقَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

وَقَالَ الْخَلِيفَةُ ^(١) لِابْنِهِ بَعْدَ انْصِرَافِ ابْنِ أَيُّوبَ وَابْنِ الْمَاسِحِ : أَرَدْتُ يَا بُنَيَّ أَنْ
تُبَغِّضُنَا إِلَى النَّاسِ بَغِيرَ فَائِدَةٍ ، وَيَكُونُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى قَدْ لَقَطَ الشُّوْكَ
بِأَيْدِينَا ! نَحْنُ قَدْ صُرِفْنَا ، لَمْ لَا نَتَحَبَّبُ إِلَى الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِإِمضَاءِ مَا زَوَّوْهُ عَلَيْنَا ؟
فَإِنْ أَمَضَاهُ كَانَ الْحَمْدُ لَنَا وَالتَّقَلُّ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَبْطَلَهُ كَانَ الْحَمْدُ لَنَا وَالذَّمُّ عَلَيْهِ .

وَقَدْ كَانَ الْخَلِيفَةُ مُتَخَلِّفًا عَامِّيًّا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَبِيثًا دَاهِيَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ
الْأَفْعَالُ الثَّلَاثَةُ : فِي أَمْرِ ابْنِ الْفَرَاتِ ، وَأَمْرِ ابْنِ أَبِي الْبَغَلِ ، وَتَلَاْفِي الْحَاشِيَةِ بَعْدَ النِّكْبَةِ .
وَقَدْ حَفِظَ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَحِكَايَاتِهِ مَا كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُشْنَعُونَ عَلَيْهِ بِهِ . وَقَدْ أَوْرَدْنَا
مَا سَمِعْنَاهُ وَتَأَدَّى إِلَيْنَا مِنْهُ .

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ حَوَادِثُ سَنَةِ ٣٠٠

على بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح (١).

وأبو الحسن من أهل دير قنّ ، ومولده يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين ، والطالع العقرب بد والرأس فيه ح د والقمر في القوس ط ل ح والمشتري راجع في الدلو ك ا ، يد ، والذنب في الثور ح د ، والشمس في الأسد يوح ، وزحل فيه ب ط لا ، وعطارد في السنبلة ا يه ، والزهرة فيه ك ط والمريخ في الميزان د ل ح .

وكتب في الدواوين ، وتقد كثيرا منها رئاسة . وقد مضى من ذكره في أخبار أبي الحسن بن الفرات ما لا حاجة بنا فيه إلى الإعادة . ولما أشار مؤنس باستدعائه من مكة ، وتقليده الوزارة ، وأنفذ يلبق لاستقدمه إلى الحضرة ، ورد في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة . ووصل إلى حضرة المقتدر بالله ، وخاطبه بما أراد خطابه به ، وقلده وزارته وتدير أمره . وخرج أبو الحسن ومؤنس معه - وأبو علي الخاقاني جالس في المجلس الذي كان يجلس فيه قبل الوصول إلى الخليفة - وقال للحجاب وخوَصّ الغلمان : اتبعوا الوزير وامشوا بين يديه . فارتاع أبو علي وقال : من الوزير ؟ فقال له مؤنس : أبو الحسن على بن عيسى . فقال أبو علي : الله الله يا أبا الحسن في دمي ، فإنني ما أردت الدخول في هذا الأمر ، وإنما أجبرت عليه . فأجابه جوابا سكتة فيه ، ونُقل إلى الاعتقال في الموضع الذي أُعد له . ومضى أبو الحسن على بن عيسى إلى داره ، والناس في موكبه ، وبكر إلى الدار

(١) المنتظم ٣٥١/٦ - ٣٥٥ ومعجم الأدباء والفخرى ٢٣٦ وصلة عرب ٢٢ .

(٢٠ - الوزراء)

من غَدٍ وُخِّلَتْ عَلَيْهِ الخُلْعُ السلطانية ، وركب إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب ،
 فجلس فيها ، وركبت إليه الأمراء والقواد في النواحي ، وكتب إليهم بإقرارهم
 في مواضعهم من ولاياتهم وأعمالهم ، وحثهم على استخراج الأموال وحثها . وسُلم إليه
 أبو علي الخاقاني وولده ، وأبو الهيثم بن ثوابة ، وطالبهم مطالبة رفيقه . وسئل
 في أمر عبد الواحد بن أبي علي ، فأطلقه بعد مُدِيدة في ليلة الخميس التاسع خلون
 من جمادى الآخرة ، ثم أطلق أبا القاسم أخاه ليلة الجمعة مُسْتَهْلَ شوال ، وحمل
 أبا الهيثم بن ثوابة إلى الكوفة ، وسلمه إلى إسحاق بن عمران صاحب المعونة ،
 فكان عنده إلى أن تُوُفِّيَ يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة . وأجرى
 المقتدر بالله لأبي الحسن علي بن عيسى خمسة آلاف دينار في كل شهر ، وارتجع
 الضياع العباسية التي كانت جُمِعَتْ لابن الفرات وأبي علي الخاقاني ، ورتب أبو الحسن
 علي بن عيسى الأمور والدواوين على ما رأى فيه الصلاح والسداد ، وكان رجلاً
 عاقلاً مُتَدَيِّناً مُتَصَوِّناً ظليفاً^(١) مُتَعَفِّفاً ، عارفاً بالأعمال حافظاً للأموال ، كثير الوقار
 والحِدِّ بعيداً من التَّبَذُّل والهزل ، على شَجٍّ غالب في طباعه ، وتَجَهُّمٍ ظاهر في أخلاقه .
 وما كان يُحِلُّ بِصَلَاةِ الجماعة والجمعة في كل يوم جمعة ، ولا يدع المناوبة في ذلك بين
 المساجد الجامعة ، حتى قيل : إنه كان يستعمل الضوء في أيام الجمعات التي يكون
 فيها محبوساً ، ويستوفي طهوره ، ويلبس ثيابه ، ويقوم ليخرج من موضعه ، فيردّه
 الموكلون به ويمنعونه ، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول : اللهم اشهد .

وعمد في نظره إلى تخفيف المَوْن ، وحذف الكَلْف ، ونقص الخرج ، والمضايقة
 في الجارى والرِّق . وردّ كثيراً مما وقع به أبو علي الخاقاني من الإثبات والزيادات ،
 فأوحش بذلك خواصّ المقتدر بالله وعاداهم ، وكثرت به السعاية عليه والوقعة فيه

(١) ظليفاً : تسكّن نفسه عن الأمور .

واستقل أكثر الناس موضعه ، وضاعت صدورهم بنظره ، ووقع الشروع في إفساد أمره ، وتغيير رأي المقتدر بالله فيه ، وردّ ابن الفرات . وعرف ^(١) أبو الحسن علي بن عيسى ما يجري في ذلك ، فبدأ بالاستعفاء والخطاب عليه ، ومواصلة القول فيه . وتحدث في دار المقتدر بالله بأن ابن الفرات شديد العلة ، واتفق أن مات هارون الشاري الذي كان محبوبا في دار السلطان ، وكان ^(٢) التدبير في أمر الشراة أن يكتم موت من يؤخذ من أمتهم ، لأنهم لا يرون إقامة غيره وهو حي ، فأظهر أنه ابن الفرات وكفن وأخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات . فصلى عليه علي بن عيسى ، وانصرف موجعا إلى داره وقال لخواصه : اليوم ماتت الكتابة .

ومضت ^(٣) أيام ووقف علي بن عيسى على أنه حي وقد تمّ السعي له مع المقتدر بالله ، فعجب ابن عيسى وقال : ما ينبغي لأحد أن يحدث بكل ما يسمع ، ويصدق بجميع ما يُخبر .

فلما طالب الجند عند أخذ الحسين بن حمدان بما طالبوا به من الزيادة ، واستعملوا ما استعملوه من الشغب وخرق الهيبة ، وبلغ لهم في ذلك ما بلغ من الإرادة وكثرت النفقات ، وتضاعفت الاستحقاقات ، ولحق الشوب ^(٤) غلات سنة أربع وثلاثمائة ، تأمل علي بن عيسى الأمر وخاف أن يطالب بما لا يكون له وجه ، وأن يحدث من الفساد ما لا يقوم له به عذر . فوقف أملاكه ، وأعتق عبيده ، وشرع

(١) تجارب الأمم ٣٩/٥ .

(٢) تجارب الأمم ٤٠/٥ .

(٣) تجارب الأمم ٤٠/٥ .

(٤) الشوب هنا : الحيانة والنش .

فى الاستعفاء ، وراسل فى ذلك المقتدر بالله ، فدفعه عنه دَفْعاً وَعَدَهُ فيه بالمعونة على تَمْشِيَةِ الأمور .

وكان فيما وَقَعَ إلينا من رِقَاعِهِ فى ذلك رَقْعَةٍ إلى السيدة نُسَخَتْها :

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاء السيدة وأدام عَزَّها وتأييدها ، وكَلَامَها^(١) وحراستها ، وأسبغ نِعَمَهُ عليها ، وزاد فى إحسانه إليها ، ومواهبه الجميلة ، وآلائه الجزيلة ، وأقسامه الهنيئة - وفوائده السَّيِّئة عندها ، وبلغها فى سيدنا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه وأدام له العِزَّ والتمكين ، والنصر والتأييد - غاية محبَّتها وأفضل أُمْنِيَّتها ، ووصل أيام سرورها بعافيته ، واغتنابها برويته ، ووقاها فيه وفى نفسها وفى الأمراء - أستودعهم الله وأستوهبه إياهم - كلَّ سوء محذورٍ وخوف ، بِمَنِّه ورأفته . وصلت الرقعة - أعز الله السيدة - وعرفتُ ما تَضَمَّنَتْ . فأما الفتنة التى كانت ملتحمةً مع أعظم الأعداء مَضَرَّةً ، وأقربهم محلَّةً ، وأشدَّهم على المطالبة جُرْأَةً ، فقد تكلَّفتُ الإنفاق عليها ، وقتت بتدبيرها ، حتى بلغ الله أمير المؤمنين والسيدة فى جميعها المحبَّة ، وانتظمت فى صدور الأعداء شرقاً وغرباً الهيبة ، وما أنفقت مع ذلك من بيت مال الخاصة بعد الذى رددته إليه نِصْفَ عُسْرِ ما أنفق محمد ابن عبيد الله الخاقاني وابنُ الفرات قَبْلَهُ ، وأنا عامل بعون الله على رَدِّ ذلك عن آخره . ومتى لم ينقُ المعتضدُ بالله فى أسفاره على مائدة أعدائه من بيت مال الخاصة أضعافَ هذه النفقة ؟ ! وقد أنفق المكتفى بالله - وكان من النظر فى القليل اليسير وعلى ما عُرِفَ به - من بيت مال الخاصة جملةً بعد جملة ، مع قَلَّةِ النفقات فى أيام المعتضد بالله . وما أقول قولاً يُدْفَعُ ، لأن الدواوين تَشْهَدُ به وحُسابات بيوت الأموال تدلُّ عليه ، ومؤنس خازن بيت مال الخاصة منذ أيام المعتضد بالله وإلى هذه

(١) كَلَامَها : رعايتها وحفظها .

الغاية يَعْلَمُهُ ، وإن سُئِلَ عنه صدق . هذا مع رفقي بالرعية ، وعمارتي النواحي المختلة ، وإزالتى عنها كل ظلم ومؤونة ، حتى صارت أيام أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - منذ خدمته أيام الخير ، وفيها الآثار الموصوفة ، وامتلات قلوبها هيباً بعد أن كانت تنب على الرؤساء ، وترمى بالحجارة على ما قيل لى عند اجتيازهم فى دجلة . وأما الاستحقاقات المتأخرة فلست أعرفها ، ويباب أمير المؤمنين الكثير من العلماء والحاشية والفرسان والرجالة ، وما أحسب صنفاً من هذه الأصناف يَقْدِرُ أن يقول : إنه قبض فى وقت من الأوقات قبضاً متصلاً ، وليس يقول أحدٌ منهم إنه دُفِعَ عن استحقاق ولا تأخر له شىء من رزقه ونزله . وكذلك الفرسان والعساكر الخارجة مع مؤنس وغيره مستوفية ، وأكثر من بالحضرة هذه سييلهم به . وقد حضروا منذ مدة يباب العامة ، وطالبوا ، فأدخلت طائفةٌ منهم ونُظِرَتْ ، فلم تكن لهم حُجَّةٌ فى الاستحقاقات ، وإنما التمسوا الزيادة والنظر والصلة ، وهذا خارج عن الواجب ، ولو منع بعضهم فلم يُعْطَ شيئاً لكان ذلك واجباً صالحاً . ومتى كان الجند يُوقَفُونَ حتى لا يكون لهم شىء متأخر ؟ ما كان هذا فى زمنٍ من الأزمان وما تركت أن قلتُ لسيدينا أمير المؤمنين - أعزه الله - فى ذلك ما يجب أن أقوله ، وخاطبتُ أم موسى مرةً بعد مرة فيه ، وأما ما قيل للسيدة - أعزها الله - فى استغاثتى فلم أستغف نصاً ، ولو حُلتُ الرماد على رأسى لما تكررْتُ ذلك ولا تَأْيَيْتُهُ ، وإنى لَأُلْزِمُ نفسى الصبر على كل نائبةٍ فى خدمة سيدنا أمير المؤمنين - أيدهِ الله - وأرى ذلك ديانةً ، ولكنى - أعز الله السيدة - أَضْجَرُ كما يضجر الناس إذا خوطب بما لا يُحِبُّ ، وأنا أبلغ جهدى فى النصيحة وتأدية الأمانة ، فإن كان ذلك واقعاً مَوْقَعَهُ فهو الذى أقصد ، وإن كان يُظَنُّ بى غيرُ ما أنا عليه فهى المصيبة . وقد يُحَرِّمُ الإنسانُ ثمرةَ اجتهاده ، ويقعُ ما يفعله على خلاف مذهبه واعتماده ، وما يَسْتَعْنِي ولا يَحِلُّ لى أن أُوخِرَ الصدق

في جميع الأحوال ، قاضياً بذلك حقَّ الله عزَّ وجل ، وحقَّ سيدنا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وحقَّ السيدة - أعزها الله - وأسأل الله أوَّلاً وآخراً أن يُصلِّح لهما أمورهما ظاهراً وباطناً ، صغيرها وكبيرها ، ويكفِّيهما المهِّمَّ ويُسهِّل الصَّلاح بهما وعلى أيديهما بِمَنَّةٍ وَقُدْرَتِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ .

وقرب عيد الأضحى واحتيج إلى ماجرت العادة بإطلاقه للحرم والحاشية ، فحجَّاته^(١) أم موسى القهرمانة في آخر ذى القعدة سنة أربع وثلاثمائة مخاطبة على ذلك ، ومقررة للأمر فيه ، وكان محتججاً ، فلم يقدم سلامة حاجبه إلى الاستئذان لها ، واعتذر إليها عذراً لطيفاً ، وصرفها صرفاً جميلاً ، فغضبت وانصرفت . وأعلم على بن عيسى خبرها في حضورها وانصرافها فأنفذ إليها واستعذرها فلم تعذر ، وصارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة وأغرتهما به ، وتكذبت عندهما عليه ، وأدى ذلك إلى القبض عليه في غداة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار السلطان ، واعتقاله عند زيدان ، فكانت مدة وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

وكان مما فعله في وزارته هذه أن أسقط المكس^(٢) بمكة ، والتكلمة بفارس وسوق بحر بالأهواز وحِصن مهدى ، ونهر السدرة ، وكان يُعْتَرَضُ في هذه المواضع على ما يُجَهَّزُ إلى البحر ويرد منه ، وتؤخذ الضرائب المُشْرِفة عنه ، وأزال جباية الجمهور بديار ريعة . وأشار على المقتدر بالله بوقف^(٣) المستغلات بمدينة السلام - وغلَّتْهَا نَحْوُ ثَلَاثَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ - والضمايع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان

(١) تجارب الامم ٥/ ٤٠ .

(٢) المكس : ما يؤخذ من الباعة من نقود على ما يبيعونه « ضريبة » أو عند ما يدخلون بضائعهم إلى الدن « جرك » .

(٣) أى يجعلها موقوفة عليها .

الخاصة - وارتفاعها نيفٌ وثمانون ألف دينار - على الحرمين والثغور ، فقيل رأيه
وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه ، ونصب على بن عيسى لهذه الوقوف ديوانا
سماه ديوان البر ، وردّه ^(١) إلى أبي شجاع ابن أخت أبي أيوب

ولما كان بمكة وجد الماء ضيقاً على أهلها ، وأصحابُ السلطان يُسَخِّرونِ جمالَ
الناس وحميرهم لنقله من جدّة إليها ، فابتاع عددا كثيرا من الجلال والحير ووقفها
على حُلّ الماء ، وأقام لها العُلُوفَة الراتبَة ، ومنع من السخرة وحظرها ، وحفر بئرا
عظيمة في الحنّاطين ، فخرجت عذبة شروبا ^(٢) وسمّاها الجِراحِيّة . وابتاع عينا
غزيرة بألف دينار ، وفتحها ووسّعها حتى كثر ماؤها ، واتسع الماء بمكة ، ووصل
الرفقُ به إلى أهل الضَّعْفِ والسكنة .

وكان فيما أقطعه على بن عيسى من إقطاع الوزارة أربعة أحجارٍ أُرْحاء بالعباسية
تُعرف بالعباسية ، وتُعرف باليُوسفية ، قيمتها عشرة آلاف دينار . فتظلم مجاوروها
من أخذها الماء وقصوره عنهم ، وإضرار ذلك بزروعهم ونقصه من ارتفاع ضياعهم ،
وتأذى أهل الشَّقة بهذه الحال أيضاً ، فأمر بهدمها ونقضها وعملَ مسجدٍ في موضعها ،
وتوفّر الماء على أهل الضياع والشَّقة .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : لما ابتاع أخى أبو الحسن على بن
عيسى من تركة نازوك ووالدة القاسم بن عبيد الله الثُّلث من حصتها في قصر القاسم
في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وأضاف إليه حصصا ابتاعها الزوجات وبعضُ
الأولاد الأصاغر ، وعمل ذلك داره المعروفة بباب البستان ، وكانت مسناة ^(٣) القصرِ

(١) أى جعل الإشراف فيه لأبي شجاع .

(٢) الماء الشروب الصالح للشرب .

(٣) المسناة هنا : المشرعة أو المجرى والقناة .

القديمه بعيدة من دجلة فأخرج أحمد بن بدر عم السيدة أم المقتدر بالله مسنة لداره الجاورة له إلى الماء ، وفعل عبيد الله بن القاسم مثل ذلك من الجانب الآخر ، وبقيت دار أخي مستورة بينهما ، فخطبه أبو إسحاق إبراهيم أخونا في ذلك ، وأعلمه ما في إخراج السنة - حتى توازنهما - من الزيادة في قيمة العقار ، وكانت الذراع على دجلة في المواضع الرذلة على ذلك العهد تباع بدينار عينا . فقال له : قدّر لها ولما يُبنى عليها ما يحتاج إليه من النفقة . فقدّر لذلك مائة ألف درهم ، وصوّر البناء ، وأخضره الصورة والتقدير . فأقام أبو إسحاق يحثه على إطلاق المال والابتداء بالعمل ، والوزير يُعده ويدفعه ، حتى إذا اجتمع في خزانته ما جعله لذلك من ارتفاع ضيعته ، تقدّم إلى خازنه بإحضاره ودعا بعبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله ، فأعطاه إياه ، وأمره بصرفه في ضعفاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي فقراء المسلمين ومساكينهم بعد أن أثبتهم في ديوانه ، ففعل ، وأخرج جميع المال وفرقه عليهم . وحضر أبو إسحاق ، فذكره بالعمل والأمر بتقديمه قبل زيادة دجلة ، فضحك إليه وقال لا بن ماشاء الله : حدّثه يا أبا القاسم بحديث العقار الذي ابتعنا ، وتجاوزّه في النفع هذا البناء الذي لا يزيد الله منّ حوله إلا إثما وبُعدا . فحدّثه ، فخار أبو إسحاق ، وما أمكنه الجواب ، وعلم أنه كان من وعده على غرور . وبقي ماء داره محبوسا ، وسمّى القضاء بين المسناتين الستيني .

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال جدّي ابتاع دار عبيد الله بن القاسم من أبي الحسن بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخلافة بخمسة آلاف دينار ، وكانت مسناتها طائفة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر أوقات السنة .

ذكر خلافة أبي الحسن على بن عيسى لحامد بن العباس

وتفرّده بالأمر من بعد ذلك ^(١)

قد أوردنا في أخبار حامد عند وزارته ما جرى أمر أبي الحسن بن الفرات معه ^(٢) وبعده ، وما انتهى ذلك إليه من القبض عليه ^(٣) واعتقاله عند زيدان القهرمان . وراسله المقتدر بالله بأن يصدّق عن أمواله ، فكتب رُقعة يذكر فيها أنه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق من ورود القرامطة ^(٤) إلى البصرة ، ودخولهم إليها واستيلائهم عليها ونقلهم ما وجدوه فيها ثم انصرفهم بعد أيام عنها ، ما دعا إلى إخراج بُنَيّ بن نفيس لقتالهم ودفعهم ، ووصل وقد عادوا إلى بلدهم . فكتب إلى ابن الفرات بذلك ، وبأنه أسرَ قوماً منهم ، وحكى عنهم أنهم قالوا : إن عليّ بن عيسى كاتبهم بالمسير إلى هناك ، وأنفذ إليهم في عدة أوقات هدايا من سلاحي وآلات . فلما وافى ^(٥) هؤلاء الأسراء ، وعرض ابن الفرات على المقتدر بالله كتاب بُنَيّ بن نفيس فدّكرهم وذكر ما حدّثوا به عن عليّ ابن عيسى ، أمر بالجمع بينه وبين القوم ليواجهوه بما قالوا فيه ، فأخرج وُجّع بينه وبينهم بحضرة ابن الفرات . فقال عليّ بن عيسى : من كانت صورته صورتي في سخط السلطان وانحراف الوزير عنه لُقي بالحق والباطل . ثم عدل ابن الفرات إلى خطابه في أمر الأعمال فقال له : قد كان عليّ بن أحمد بن بسطام أخذ خطوط

(١) راجع تجارب الأمم ٥/ ٥٨ وما بعدها والفخرى ٢٢٧ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

(٢) معه : أي مع علي بن عيسى .

(٣) أي من القبض على علي بن عيسى راجع تجارب الأمم ٥/ ١٠٤ .

(٤) كان قائدهم أباطاهر سليمان بن الحسن الجنابي انظر تجارب الأمم ٥/ ١٠٤ .

(٥) تجارب الأمم ٥ .

المدرايين في وزارتي الثانية بألف ألف وثلاثمائة ألف دينار صلحاً عن خراج ضياعهما بمصر والشام ، وما أخذه من المرافق عند تقلدهما الأعمال في أيامك الأولى . وبقى عليهما من المصادرة التي واقفهما أبو علي الخاقاني عليها ، وأدّى في أيامي نحو خمسمائة ألف دينار ، وكانا على أداء تبة المال ، حتى صرّفت ابن بسطام - ساعة وليت - عن الدواوين ، وقلدت هذين العاملين الخائنين المجاهرين بأخذ أموال السلطان واقتطاعها^(١) ، وكتبت عن أمير المؤمنين بإسقاط مال الصلح عنهما ، وذكرت أنه أمر بذلك ، وقد سأله فأنكر دعواك عليه ما ادّعيته . فقال علي ابن عيسى : كنت في الوقت كاتباً لحامد ، وخليفة له على الأعمال ، ومتصرفاً على أمره في كبير الأمور وصغيرها ، وهو ذكر لي عن أمير المؤمنين أنه أمر بإسقاط هذا المال ، ووقع بذلك توقيعاً كتبت في آخره بامتناله كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمر به صاحبه . فقال له ابن الفرات : أنت كنت تعارض حامداً في كل أحواله ، وتخاصمه في السير^(٢) ممّا يخرج عليه من مال ضمانه ، حتى تحدث الناس بكما ، ومحبوا لما يجري بينكما ، فلم تركت أن تستأذن السلطان في مثل هذا المال الجليل ؟ فقال : كنت في أول الأمر كاتباً لحامد مدة سبعة أشهر حتى بان لأمر المؤمنين ما رأى معه التعويل على في تدبير الأمور ، وكان ما جرى من أمر المدرايين في صدر أيام حامد . فقال له ابن الفرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا^(٣) صدقته عن غلط حامد فيما غلط به وفراط فيه ؟ فقال : إنما تركت ذلك

(١) في الأصل : واقتطاعهما والنصوب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ فقيه : المجاهرين باقتطاع مال السلطان .

(٢) في الأصل : السير والنصوب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ .

(٣) ألا معناها : هلاً .

لأننى أخذت خطَّ الحسين بن أحمد بحضرة أمير المؤمنين بألف ألف دينار
عن مصر والشام خالصاً لِلْحَمْلِ^(١) ، بعد النفقات ومال الجند فى تلك الأعمال ،
وكان ذاك غاية ما قررتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا الحسن تعمل
[أعمال]^(٢) الدواوين منذ نشأت وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ،
وقد تقلدت الوزارة ، فهل رأيت من يدع مالاً واجبا يؤدّى مُعَجَّلاً ويأخذُ
العوض عنه ضمناً مُوَجَّلاً لا يُدْرَى ما يجرى فيه ؟ وهبك على ما ذكرت
من أنك رأيت ذلك صواباً و [هو]^(٣) خطأ ، فهل استوفيت مال الضمان
من هذا الضامن بخمس^(٤) سنين دبرت فيها الملكة ؟ . فقال : قد كان حل
من مال السنة الأولى صدراً ثم حدث من تغلب العلوى^(٥) بإفريقية على
أكثر تلك النواحي مادعا إلى خروج مؤنس المظفر وانصراف المال فى نفقاته
وأعطيات الجند ، وانكسر الباقي لأجل هذه الحادثة . فقال ابن الفرات : انهمز هذا
العلوى منذ سنتين ، فهل أدى مالهما^(٦) كاملاً ؟ . فقال على بن عيسى فى جواب
ذلك قولاً استوفاه لنفسه ، وأخذ ابن الفرات خطه بالحجة عليه وله بأنه قد رضى
بحكم أمير المؤمنين . ثم قال له ابن الفرات فى آخر قوله : قد أمر أمير المؤمنين بأن
تطالب بالأموال التى اقتطعتها وجمعتها ، وينبغى أن تعطيتها عفواً وتصون نفسك عن

(١) يريد : للحمل إلى بيت المال . كما فى تجارب الأمم ١٠٥/٧ .

(٢) زيادة من تجارب الأمم .

(٣) زيادة يحتاج إليها السلام . وفى تجارب الأمم : وهبك أغصبت كما ذكرت ورأيت ذلك
صواباً فى التدبير فهل استوفيت

(٤) أى : فى خمس سنين . وفى تجارب الأمم : فى مدة خمس سنين .

(٥) يريد به : المهدي عبيد الله .

(٦) فى الأصل : مالها . وفى تجارب الأمم ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزعة
العلوى فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟

المكروه . فقال : لست من ذوى الأموال ، ومالى قُدْرَةٌ على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . فقال له ابنُ الفرات : تقول هذا وقد وُجِدَ لك عند عيسى الناقدر سبعة عشر ألف دينار وأخذَ خطُّه بها ودِيعَةً كانت لك عنده ؟ فقال . هذا رجل قلَّدته مال ضياع البرِّ والجَهْبَذَةِ ، وعنده أموال حاصِلَةٌ ، فإِذَا أَن يَكُونُ المَالُ مِنْهَا أَوْ تَكُونُ قَدْ أَخَذْتَ مَالَهُ وَنَسَبْتَهُ إِلَىَّ وَأَكْرَهْتَهُ عَلَى أَن كَتَبَ خَطَّهُ بِذَلِكَ . فقال له ابنُ الفرات قَدْ اسْقَطْتَ مِنْ أَرْزَاقِ أَوْلَادِ القَرَابَةِ وَالْحُرَمِ وَالْحَوَاشِي وَالْخُدَمِ وَالْفُرْسَانِ الَّذِينَ كُنْتُ أُوفِّيهِمْ أَرْزَاقَهُمْ فِي أَيَّامِ الْأَوَّلَى والثَّانِيَةِ مَدَّةَ خَمْسِ سِنِينَ دَبَّرْتَ فِيهَا الْمَمْلَكَةَ ، وَأَخَذْتَ مِنْ ارْتِفَاعِ ضِيَاعِ الْمَلِكِ وَالْإِقْطَاعِ بَعْدَمَا أُفْرِدَ مِنْهَا لِلْأَمْوَالِ مَا يَكُونُ مَبْلَغُهُ - مع ما كُنْتُ أَحْمِلُهُ إِلَى أمير المؤمنين فِي وَزَارَتِي الثَّانِيَةِ - وَهُوَ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ لِمُدَّةِ الْمَذْكُورَةِ - الْجَمْلَةِ الْكَبِيرَةِ ، فإِذَا أَن تَكُونُ قَدْ احْتَجَنْتَ ^(١) ذَلِكَ لِنَفْسِكَ أَوْ أَضَعْتَهُ ^(٢) لِفَتْرِيكَ . فقال له عَلَى بَنُ عَيْسَى : مَا اسْتَغْلَلْتُهُ مِنَ الضِّيَاعِ وَوَفَّرْتُهُ مِنْ أَرْزَاقِ مَنْ يَسْتَعْنِي عَنْهُ تَمَّتْ بِهِ عَجْزًا أَذْخَلَ فِي الْخُرْجِ حَتَّى اعْتَدَلَتْ الْحَالُ ، وَلَمْ أَمْدُدْ يَدِي إِلَى بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ . وَأَمَّا خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ الَّتِي كُنْتُ تَحْمِلُهَا مِنَ الْمُرَاقِ فَإِنِّي لَمْ أَرَ مَا رَأَيْتَهُ أَنْتَ قَطُّ مِنَ الْمُرَاقِ لِلْعَمَّالِ ، بَلْ حَظَرْتُهَا عَلَيْهِمْ عِلْمًا بِأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى ضِيَاعِ الْحَقُوقِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ وَظُلْمِ الرِّعِيَةِ ، وَأَنْتَ كُنْتَ تُؤْصِي الْحَوَاشِيَ بِإِخْرَابِ بَيْتِ الْمَالِ ، وَتُحَوِّلُ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْعَامَّةِ ، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَتَوَلَّى ضِيَاعَ دِيْوَانِ الْخَاصَّةِ ، فَلَمَّا تَقَلَّدْتَ الْوِزَارَةَ بَعْدَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ انصَرَفْتُ عَنْهُ فَتَرَكْتُ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ حَاصِلَةً ، فَلَمَّا قَلَّدَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) احتجن المال . ضمه إلى نفسه واحتواه .

(٢) في الأصل : وضعته والتصويب من تجارب الأمم ١٠٨/٥ .

وزارته في سنة إحدى وثلاثمائة لم أجد من ذلك المال شيئاً كبيراً . فقال له ابن الفرات :
اكتب خطك بأنك خلقت في بيت مال الخاصة سبعة عشر ألف ألف دينار .
فبدأ يكتب ثم وقف وقال : حتى أرجع إلى الحساب وأعرف المبلغ على تحقيق .
فقال له ابن الفرات . ما الأمر على ما وقع لك ، فإن المعتضد بالله توفى وفي بيت مال
الخاصة عشرة آلاف ألف دينار ، وتوفى المكتفي بالله وفي بيت مال الخاصة أربعة
عشر ألف ألف دينار . أطلق العباس بن الحسن منها في البيعة لأمر المؤمنين ثلاثة
آلاف ألف دينار . ووجدت أعمال فارس وكرمان خارجة عن يد السلطان
منذ أيام المعتضد لا يحمل منها المتغلبون عليها إلا النزر اليسير ، فصعدت أمير المؤمنين
عن صورتها وضمنت له فتحها ففتحها . وقد كانت لي أموال جمعتها في خدمة أمير
المؤمنين أنا وأخي وأسلافى مع أسلافه ، وضياع وإفرة الارتفاع ، فلما رأى أمير
المؤمنين أخذها كان أحق بها ، فصح لي في بيوت الأموال في دفعتين أربعة آلاف
ألف دينار .

ثم أخذ ابن الفرات في مطالبة بالمال ، فأقام على أنه لا مال عنده ، وأعيد
إلى محبسه .

وكانت له بعد ذلك مناظرات ، منها ما حدث به أبو محمد عبد الله بن عليّ
المعروف بذكويه كاتب نصر القشورى الحاجب ، وأبو الطيب محمد بن أحمد
الكلوذاني كاتب بنى الفرات قالا : حضر أبو الحسن بن الفرات في وزارته الثالثة في
يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة في أيام
المقتدر بالله ، وجمع القواد والقضاة والكتّاب ، فأحضر أبو الحسن عليّ بن عيسى
من محبسه وجمع بينه وبين ابن فلحة^(١) رسوله - كان - إلى القرامطة في وزارته

(١) الكلمة غير واضحة النقط في الأصل .

الأولى حتى واجهه بأنه أنفذه إلى القرامطة مبتدئاً ، وكتبوه يلتمسون منه المساجي والطلق^(١) وغير ذلك ، فَحَمِلَ جميعه إليهم ، وأخرج أبو الحسن بنُ الفرات نسخة كتاب أنشأه ابنُ ثوابه عن علي بن عيسى إلى القرامطة جواباً عن كتاب ورَدَ منهم إليه وفيه إصلاحات بخطه ، ولم يقل فيها : إنكم خارجون عن مِلَّةِ الإسلام لخالفكم الإجماع وعصيانكم على الإمام . بل قال : ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والساد . وداخلون مع أهل العناد والفساد .

وقال ابن الفرات لعلي بن عيسى مُوَبَّحًا وَمُهَجَّنًا : تقول - ويحك - للقرامطة الذين قد أجمع الناس أنهم أهل ردة وضلالة قولاً تلحقهم فيه بأهل المِلَّةِ وهم لا يصِلُون ولا يصومون ولا يدبرون بما يدبر به المسلمون ، وتنفذ إليهم الطلق الذي إذا طُلِيَ به البدن أو غيره لم تعمل النَّارُ فيه ؟ قال : إنما اعتمدت بذلك المصلحة ، وأن أستعيدهم إلى الطاعة بالرفق والاستمالة . فقال ابنُ الفرات لأبي عمر القاضي : ما عندك في هذا يا أبا عمر ؟ فتوقف عن جوابه ، وأقبل على علي بن عيسى وقال له : قد أقررت يا هذا بما لو أقرَّ إمامٌ به لسقطت طاعته وتعطلت إمامته . قال : فنظر علي بن عيسى إليه نظر مُنْكِرٍ لقوله ، لعلمه بأن المقتدر بالله بحيث يسمع ما يجري ولا يرى . وطالب ابنُ الفرات أبا عمر بأن يكتب خطه بشيء من هذا المعنى ، فلم يفعل وقال : قد غلطَ علي بن عيسى غلطاً كبيراً فأما جواب هذا القول فما عندي . فأخذ خطه بما سمعه من إقراره في أن الكتاب كتابه ، وأن الإصلاح في النسخة بخطه .

ثم أقبل ابنُ الفرات على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي فقال : ما عندك يا أبا جعفر في ذلك ؟ فقال : إن أذن الوزير أن أقول ما عندي على بيان قلته . قال : افعل . قال : صح عندي أن هذا الرجل - وأوماً إلى علي بن عيسى -

(١) الطلق : ما تعمل الآن منه بدرة « تلك » وكذلك الجبر النقي .

استخلص بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداءً وجواباً ثلاثة آلاف رجل من المسلمين كانوا مُستعبدين معهم ومُسترقين بالاستحلال منهم ، حتى رجعوا إلى أوطانهم وأولادهم ونعمهم وأموالهم . فإذا كتب الإنسان مثل هذه الكتب على وجه الصّلاح والمغالطة للعدو لم يجب عليه حكم . قال : فما عندك فيما أقرّ به من أن القرامطة مُسلمون ؟ قال : إذا لم يثبت عنده كفرهم ، وكاتبوه بذكر الله والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتسبوا إلى الإسلام ، وكانوا إنما يُنازعون في الإمامة ، لم يُطلق عليهم بالكفر . قال له : فما عندك بالطلق الذي إذا طُليت به الأبدان لم تعمل النار فيها يحمل إلى أعداء الإمام - ورفع صوته بذلك على أبي جعفر كالمُكر لما جرى من قوله - فقال أبو جعفر لعليّ بن عيسى : أنفذت الطلق الذي هذه صورته إلى القرامطة ؟ قال : لا . فقال ابن الفرات : رسولك وثقتك ابن فلحة . . . ^(١) يُقرّ عليك بذلك . فدهش عليّ بن عيسى وأمسك . فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلول : احفظ اعترافه بأن ابن فلحة رسولُه وثقته ، وقد أقرّ عليه بما أنكره . فقال : أيها الوزير ، ليس هذا إقراراً إنما هو دعوى . قال : فهو ثقته بإفناذه إياه . قال : إنما وثّقه في حمل كتاب ، ولا يُقبل قوله عليه في غيره . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا جعفر وكيله لا حاكم . قال : ما أنا وكيل لكنني أقول الحق كما قلته في أمر الوزير - أيده الله - لما أراد حامد في وزارته الحيلة عليه بما هو أعظم من هذا . فعُدل ابن الفرات إلى أن قال لعليّ بن عيسى : يا قَرْمَطِيّ فقال : أنا أيها الوزير قَرْمَطِيّ ؟ أنا قَرْمَطِيّ ؟ - وكرّرها تعريضاً به - . قال : نعم ، وكان عندى أنك عدوّ لأُمير المؤمنين وبنى العباس خاصّة - أعز الله سلطانهم - وإذا أنت عدوّ للمسلمين كافّة . فأمسك عليّ بن عيسى خوفاً

(١) تخط الكلمة غير واضحة في الأصل .

على نفسه . وأخذ نصر^(١) الحاجب والحسن بن أبي الحسن بن الفرات بيده وأقاماه بعد أن استأذنا الوزير في الخلوة به ، فأذن ، فجلسا معه على انفراد .

قال أبو الطيب في حديثه : فقيمتُ معهما ، وسمعت ما جرى بينهما وبينه وكان أن قالاه : إن رجعتَ إلى موضعك من محبسك ولم تُقرّر أمرَكَ في صلحك خفنا عليك من استحلال السلطان دَمَك بعد ما سمعته عنك . ولم يزالا به إلى أن استجاب إلى ثلاثمائة ألف دينار يُعجل منها الثلث في ثلاثين يوماً ، ويؤدى الباقي على رسم المصادرات ، وكتب خطّه بذلك ، وعادا إلى ابن الفرات وعرفاه ماجرى فأَمْضاه . واستدعى على بن عيسى وجعل يواقفه على شرائط الخط ، وكان إذا امتنع الوزير من شيء غمز أبو الحسن على بن عيسى يده وقال : يتفضلُ الوزير . فيستحي ابن الفرات ويُطرق ثم يفعل - وإنما كان على بن عيسى يفعل ذلك إذ كآراً بعهد كان بينهما في أيام العباس بن الحسن ومعاقدة في أن يتعاضدا ويحرس كل واحد منهما صاحبه ، ولا يسعى على نَفَمَتِهِ ولا نَفْسِهِ - حتى إذا انتهى القول إلى حق بيت المال في ضياع على بن عيسى قال على بن عيسى : وعما كثر به العمال عليه من حق بيت المال في ضياعه ، ووجوبه مُدَّة ، وذَكَرُوهُ في تحييفه السلطان في ذلك ! فقال له ابن الفرات : كَلَّ شيء أحتمله وأفعله إلا أن تُعرّضني لما يَقْدَح في صناعتي ، ويُطرق عيياً على في خدمة سلطاني ، أرايتك إن كتب العمال بأنه يجب عليك من هذه الجهة ثلاثمائة ألف دينار أَلستُ أكون قد أخذتُ خطك بحق بيت المال في ملكك لا مصادرةً عن تصرفك ؟ وقد تَرَدَّدت في الوزارة والأعمال الجليلة مذ عشر سنين ؛ ولكن خذ مبلغاً في استثنائك بما يُسْتثنى به لنفسك . فقال : عشرون ألف دينار . فأجابه إلى ذلك ، وكتب على أنه : متى أوجب العمال عليه

بالعدل والإنصاف والموافقة التي لا يعترضها تحيُّف من حقِّ بيت المال في سائر ضياعه ووقوفه منذ وقت ملكه لها وإلى هذا الوقت ما يكون مبلغه من ألف دينار إلى عشرين ألف دينار فقد دخل ذلك في مال المصادرة ، وإن زاد على هذا المبلغ كانت الزيادة خارجة عن الجملة ، ولازمة له بعدها .

ولما تقرّرت النسخةُ وابتدأ عليُّ بنُ عيسى يُحرّرها بخطّه كتب في التعجيل : بعد ثلاثين يوماً . فقال له ابنُ الفرات : أرقتُ بنا يا أبا الحسن ماصغرُنا وكبريتَ ، أفادعُك تسعةً وعشرين يوماً لا أطالبك ولا تؤدّي شيئاً ؟ ولكن اكتب : أصحّحه أوّلاً أوّلاً في مدة ثلاثين يوماً . فقال عليُّ بنُ عيسى : على شرطٍ من أن يكون ابتدائي بالأداء إذا خرجتُ من دار أمير المؤمنين إلى موضع يأمنُ الوزير - أيده الله - فيه على نفسي - يومئذٍ ألا يُسلمَ إلى المحسّن أو من جرى مجراه في إشفاقه وخوفه إياه - فتقرر الأمرُ على ذلك وأنفذَ الخطَّ إلى المقتدر بالله فأمضاه ، ورَدَّ أبو الحسن عليَّ ابن عيسى إلى محبسه .

وقالت زبدان القهرمانه والسيدةُ للمقتدر بالله : إن سلّم عليُّ بن عيسى إلى ابن الفرات سلّمه إلى ابنه الحسن ، ولم يؤمّن عليه منه ، وهو رجل دينٌ وقد خدعتك وخدم أباك ، وليس يُفزع اليوم إلا منه ، فلا تُسلمه إليهم . وقد رتّا بذلك أن تُبطل المال الذي قرّره عليُّ بن عيسى على نفسه . فقال - وقد كان وقرّ في صدره ما سمعه من حديثه مع القرامطة وتشتّب به رأيه فيه - : إن أدّى المال في داري لم أسلمه ، وإن تقاعد وألظَّ^(١) مكنتُ المحسّن في داري وغير داري منه وسلمتهُ إليه .

وأخذَ المحسّنُ في الإغراء بعليِّ بن عيسى ، فاستدعاه إليه في دار الخلافة أيّاماً

(١) أظ : منع من الحق .

من غير حضور الوزير أبيه ، وطالبه وجدّه به ، فأحال عليّ بن عيسى على خطّه
وماشُرطَ فيه له وعليه . فقال له الحسن : هذا تقاعد ، وتريد ألاّ تؤدّي في دار أمير
المؤمنين ولا تُسلمَ إليّ ، وهذا أمر لا يتم . فإذا أدبت بحيث أنت ، وإلا أخذتك إليّ .
فقال عليّ بن عيسى : هذا نقض لما تقرّر . واستدعى أحمد بن محمد بن جاني ، وكان
يتولى ضيعته ، وإبراهيم بن أيوب النصرانيّ ، وكان يكتب بحضرة ، فلما حضر
أمرها ببيع داره التي في سويقة أبي الورد المعروفة بدليل النّصراني ، وعقار له يجاورها
فلم يرَجُ من ثمن ذلك إلّا ألفا دينار وكَمَرٌ . واستعفى إبراهيم من العود فأعفى
وواصل ابن جاني . وأراد الحسن أن يوحّثه ليقف أمرُ عليّ بن عيسى فقال له :
أنت كنتَ كاتبه على ضياعه ، ورسوله إلى أصحاب ودائعه ، ولا بد من أن تصدّق
عما تعرفه من أموره ، وأوقع به مكروهاً غليظاً أغمى عليه فيه ، وقيل : إنه تلف ،
ثم أفاق وتراجع ، وجزع الحسن من ذلك فأطلقه ، إلّا أنه استتر ، ووقف أمرُ عليّ
ابن عيسى . وواصل الحسن القول في بابه عند المقتدر بالله ، ونسبه إلى التقاعد في فعله ،
وحضر الوزيرُ والحسن في يوم الاثنين الثالث عشر من رجب بحضرة المقتدر بالله ،
فجدد الحسن القول في أمر عليّ بن عيسى وسكت الوزير ، وأقبل المقتدر بالله عليه
وقال له : أنت رجلٌ خيرٌ^(١) ، وتريد أن تتفضل على عليّ بن عيسى ليقول الناس :
رعى حقّه وعرف له حُرمة ما كان بينه وبينه ، وراعى ذمام الصناعة فيه . ويضيع
مالى في الوسط ، وما أصبر على ذاك . وهذا رجل قَرَمَطِي ، ودمه وماله حلالان ، وإذا
وهبت له ماله فلا أقل من أن يُستوفى مالى منه . ثم قال للحسن : اخرج أنت
واجلس في الدار ، واستدع بعليّ بن عيسى ، وأرهقه ، فإن أقرّ بدوائعه وخرج مما
قرّره على نفسه وإلا قيّده ، فإن أذعن وإلا ألبسه مع القيد جُبّة صوف ، فإن أقام

(١) الخير من معانيها الكثير الخير .

على أمره أوقع المكروه به في جسمه بمحض من القواد جزاء له على ما فارق الطاعة .

فخرج الحسن وجلس معه نصر القشورى الحجاب ونازوك والقواد ، وأحضر على بن عيسى ، فبدأه الحسن بالرفق ، ثم نقله إلى الأغاظ فلم يستجب إلى أداء شيء في دار الخلافة ، وقال : ما يمكنني الاحتيال وتصحيح المال إلا بحيث أن أكون في موضع آمن فيه على نفسي ، ويمكن أن يحثني من أريده من كتابي وأصحابي بحسب ما تقر من شرائط خطي .

فتقدم الحسن إلى نازوك بإحضار قيّد فيه عشرون رطلاً وجبة صوف مدهونة بماء الأكارع ، فأحضرها ، وجيء بمجداد ، وأمر بتقييده . فلما بدأ بذلك نهض نصر القشورى منصرفاً . فقال له الحسن : ما يمثل هذا عاملتى يا أبا القاسم لما أنفذ هذا عامله ابن حماد حتى قيدني بحضرتك ، وأمر على المكروه بمشاهدتك . فقال له نصر : والله ياسيدي ما ندرى كيف نصنع إذا غضب مولانا على وزرائه وكتابه وأمر فيهم بأمر ، إن حضرنا عادونا إذا عادوا إلى الخدمة وسعوا في قبيحنا ، وإن امتنعنا من الحضور عادانا من إليه الأمر ، فدلّونا على ما نتخلص به منكم .

وتركه ومضى إلى حجرته المرسومة بالحجة في دار الخلافة . وجعل القيّد في رجل على بن عيسى وضربه الحدّاد بالمطرقه ليسمره ، فأخطأ وأصاب كعبه ، فقال على بن عيسى : يا هذا، أيّ عداوة بيني وبينك حتى فعلت ما فعلت ؟ فقال له : كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقي ديناراً ؟ فوثب نازوك ليضى . فقال له الحسن : أنت صاحب الشرطة وهذا أمر يلزمك القيام به ، فإذا تركته وانصرفت لم يكن الجلوس معنى ، وإذا كنتم على هذه الحال من محبة على بن عيسى ومراقبته ، وقد سمعتم من أمير المؤمنين لى فيه ما سمعتموه ، فألاً واجهتموني بالامتناع من الحضور

أَوَّلًا ؟ فقال له نازوك^(١) : ما أستحسن أن أحضر مكروه رجل قبَّلَ يده
عشر سنين ، وله عندي من الأيادي والفضل ، ومع ذلك فهو شيخ يتدين ويصوم
الدهر . فاغتاز الحسن وقال للقواد الباقين : إن جلستم وإلا قت ، فليست صاحب
شرطة ، فقعدوا . وأخذ ياقوت وصالح من بينهم يستعطفانه لعلَّ بن عيسى ، وسألاه
ألا يلبسه الجبة الصوف ولا يُجرى عليه مكروها . فقال : لا أفعل إلا أن يكتب
خطه بأداء ثلاثين ألف دينار في عشرين يوما ، إذ لا أقلَّ من ذلك ، فقال على
ابن عيسى : لا أكتب بما لا أفي به ولو قطعت يدي . فألبسوه الجبة حينئذ ،
وقال له : لم يبق إلا المكروه فإن استجبت وإلا امتثلتُ أمرَ أمير المؤمنين في
إيقاعه بك ، وكنت أنت الذي تُوقعه بنفسك . فقال : إذا كتبتُ بما لا أتمكِّن منه
وقع المكروه بحُجَّةٍ ، وإن وقع بي الآن كنت مظلوما . فدعا الحسن بعشرة غلمان
كان قد واقفهم على أن يُشدُّوا المكروه به ، وأمرهم بصفعه ، فصفعه كلُّ واحدٍ
صفعةً عظيمةً ، فصاح في ثلاث : أوه . وقال في الباقي : أستغفر الله من ذنب
مَكَّنَ مثلك من مثلي . وكان مفلح قد قام ودخل إلى حضرة المقتدر بالله قبل
ما جرى على علي بن عيسى وكان قريبا من الموضع . فلما سمع المقتدرُ قوله واستغفاره باللفظ
الذي وصله به رق له ورحمه وقال : ما أشكُّ في أن علي بن عيسى خير عند الله
من الحسن ، وقد وقع السَّرَفُ فيما عومل به وبلغ منه . فأخرج وحلَّ بين الحسن
ومكروهه . وردَّه إلى محبسه .

وقامت القيامةُ على السيدة زيزدانَ بما جرى وقالنا : إنما صنَّا ابن القرات
ومنعنا أعداءه منه لما كان يصون الوزراء ويعرف حقوقهم ، والآن فقد بسط
هذا الجنون ابنه لما يخالف العادة ويورث القباحة والشناعة .

وانصرف الحسن إلى أبيه وعرفه ما جرى ، وقد كان آخر طعامه انتظاراً لحضوره . فلما وقف من الصورة على ما أخبره به قلق من ذلك قلقاً شديداً وقال ^(١) :
كان يجب يا بني ألا تفعل ما فعلته وتقبل ما أمرت به كُله ، وأنت حدثت لم تجرب الأمور ، ومغرور لم تتدرب ، وقد أفسدت أمر علي بن عيسى علينا . ووالله لا سلم بعد هذا إلينا .

ووجه من وقته إلى هشام بن عبد الله فاستحضره ، وأعلمه ما كان من الحسن وجنابته في أمر علي بن عيسى ، وقال له : ستعظم زيدان على الخليفة والسيدة ما جرى ، وتجعل ذلك طريقاً إلى نزع جُبته وفك قيده ، وألا يسلم إلينا ، فما الرأي عندك ؟ قال : أن تكتب ^(٢) الساعة إلى الخليفة رقعة بخطك لا بخط كاتب من كتابك ، وتذكر له ما انصرف به إليك أبو أحمد من خبر علي بن عيسى ، وأن ذلك أقلقك وأزعجك ، وشق عليك وبلغ منك ، حتى دعاك إلى ترك الأكل ، وتنسب الحسن إلى الحداثة وركوب الخطأ فيما فعله ، وتقرظ علي بن عيسى ، وتستعطف رأيه له ، وتذكره ما سلف من حقوقه وحرُماته ، وتسأله الصفح عنه ، والتجاوز عما أنكره منه ، وترغب إليه في فك قيده ونزع الجبّة عنه . لتوهم بذلك إنكارك للقصة ، ويشنع أن تنحية قيده وجبته بشفاعتك ، وتمنّي علي بن عيسى بما صدر عنك . فأمّا متى لم تفعل هذا فعمل بغير مرادنا ، وخسرنا الحمد والمنة ، وحصلنا على القباحة والشناعة .

فقال ابن الفرات : صدقت وأصبت الرأي . وكتب الرقعة وأنفذها مع صافي الخادم ، وكان يحمل رقاعه إلى المتقدر بالله ، فأخذها مفلح منه ، وأوصلها ، وعاد الجواب

(٢) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

(١) انظر تجارب الأمم ١١٠/٥

من وقته بخط نعمة الكتّابة، يتضمن شكر الحسن على ما كان منه، وذم^(١) على ابن عيسى، واستصغار ما جرى عليه، وأن الحسن لو لم يمثل ما أمر به فيه لأفسد حاله عنده، وأنه مع ذلك قد شفع أبا الحسن بن الفرات في علي بن عيسى، ووجهه له وأمر بزرع الجبة والقيد عنه.

ومضت عشرة أيام، وأنفذ علي بن عيسى إلى ابن الفرات، وقيل له: قد حُلَّ إليك لتطالبه بالمال المقرّر عليه. وكان الباطن أن زيدان قالت لابن الفرات: لولا ما استعمله الحسن ابنك بعلي بن عيسى لَسَلِمَ إليك إقامة لجاهك لئلا يظهر من منعك عنه ما تضعف به يدك. وأشارت عليه بنقله إلى دار شفيع اللؤلؤى من وقته، وأن يظهر اختيار علي بن عيسى لذلك وسؤاله إياه. ووعدها ابن الفرات بالعمل على رأيها. وأحضر علي بن عيسى دار ابن الفرات وهو في دار حُرْمه، فجلس في رواق بقرب من مجلس ابن الفرات، ومعه فائق وجّه القصعة وفلفل، وكانا يشهدان عند القضاة. ولما رأى كُتّاب ابن الفرات علي بن عيسى قاموا إليه، وسلموا عليه، وأذن بصلاة العصر، فقام علي بن عيسى وصلى بقوم اجتمعوا خلفه، ودخل هشام إلى ابن الفرات وقال له: أهنيء الوزير أيده الله. فقال: بأى شيء؟ قال: تقلّد علي بن عيسى الصلاة في دارك، ونَمَس^(٢) على الخدم والعامة بذلك. فقال ابن الفرات: ما أراد إلاّ التفاوض بأن يقيم حقاً في هذه الدار ويأمر وينهى.

ثم خرج ابن الفرات من دار حُرْمه إلى مجلسه، وقام إليه فائق وفلفل وأوصلا رقعة المقتدر بالله إليه بإنفاذه علي بن عيسى ليؤدّي ما قرّر عليه وكان فيها: إن علياً وإن كان قد أخطأ وأذنب فله خدمة وحرمة، وأريد أن تُراعِيَه

(١) تجارب الأمم ١١١/٥.

(٢) نَمَسَ تَمِيساً: أبس عليهم الأمر لبسا.

في مطعمه ومشر به ، وتنفقده أجمل تفقد وأحوطه ، فقد ضمن الإسراع إلى أداء المال . فلما قرأ ابن الفرات الرقعة استدعى على بن عيسى ، وقرّبه حتى صارت ركبته مع مرفع الدواة ، واجتمع الناس ينظرون ، ووافى المحسن ، فقام على بن عيسى ، وقد كان الأمراء والقواد وسائر الطبقات يقومون للمحسن في مجلس أبيه ، فلم ينكر ابن الفرات قيام على بن عيسى لابنه . وأعاد ابن الفرات قراءة الرقعة الواردة ، ودفعها إلى المحسن حتى وقف عليها وردّها بعد ذلك إلى أبيه . فأقبل ابن الفرات على الخادمين وقال : ما أقبح ما وصّيت به من تفقد أبي الحسن في مطعمه ومشر به ، فإن كان ذلك لتقصير يُظنُّ بي فيما هذه سبيله فما أبعدني عن مثله ، وإن كان لكناية عن أمر آخر فأرجو ألا أكون في منزلة من يستجيزه أو يُطلقه . وقد سلّم حامداً إلى مع تناهيه في العداوة لي واستعمال القبيح معي فعاملته بالجميل الذي عُرِف ، ومعلوم فرّق ما بينه وبين أبي الحسن عندي .

وقد كان ابن الفرات قطع لحامد لما سلّم إليه ثياباً بعشرة آلاف درهم ، وأصلح له فرشاً وثيرة ، وأجلسه في دار كبيرة ، وأخدمه عدّة غلمان وخدم ، وكان يُبخره في كل يوم دفعات ، ويُقدّم إليه أحسن وأوسع طعام ، فاستخرج بذلك منه ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار لا يعلمُ بها أحدٌ غير حامد ، كان منها أربعمائة ألف وكسرت من آبار بواسط ومائة ألف دينار وكسرت من ودائع . وإنما جرى عليه المكروه من الحسن بغير إيثار ابن الفرات ، ولأن المقتدر بالله أقام على أنه لا بد من تسليمه إلى المحسن ، فإنه ضمنه منه بعد ما أخذه أبوه منه بخمسمائة ألف دينار . وخرج من المكروه إلى حدٍّ علِمَ به أن الغرض نفسه لا ماله فأقام على التبليج^(١) ولم يؤد على يد الحسن درهما واحدا . وجرى عليه بواسط ما أدى إلى هلاكه ، وقيل :

(١) التبليج : الإعباء والعجز وإظهار أنه لاشيء عنده .

إنه طلب في الطريق ما يأكله فاتوه ببيض مسموم فأكله ^(١) ، ولم يزل يقوم ^(٢) حتى مات في دار البروفري .

وكان قول ابن الفرات ما قاله قبل تسليم حامدٍ إلى الحسن .

ونرجع إلى استتمام حديث علي بن عيسى . وقال له ابن الفرات : والله لقد استأذنتني حامد في الفصد عندى لوجع لحقه في ضرسه فحقت أن يجتمع عليه الفصد وعلو السن فيضعف ويتلف ، فلم آذن له ومنعته . مالنا ولهذا ^(٣) إذا كنا نخاف على النفوس ؟ فوالله لا أقام هذا الرجل في داري . وقّع يا أبا عبد الله - وأوماً إلى رنجي - إلى شفيع الكبير - يعني اللؤلؤي - بالحضور ، فوقع إليه . وقد كان شفيع عرف الخبر من دار السلطان فلما جاءه التوقيع أنفذ قيصراً خادمه فأجاب بالاعتذار وقال : قد أنفذت ثقتي وهو يقوم مقامى ، فما يراد منى ؟ فرد إليه الوزير : بأن لا بد من حضورك . وحضر ، فسلم إليه علي بن عيسى ، ووصاه بحفظه ليؤدّي المال المقرّر عليه عنده .

وقبل ذلك أعطى ^(٤) علي بن عيسى ابن الفرات تذكرة له كان أولها : الكتاب إلى العمال بالإفراج عن وقوفى .

فلما قرأ ذلك دعا بساكن صاحب دواته وقال : هات الكتب التى كتبت أمس من ديوان المقبوضات وأمرتك بحفظها . فأحضرها ، وإذا هى بالإفراج لعلى ابن عيسى عن وقوفه وقال ^(٥) : قد فعلت ذلك قبل أن تسأله ، وعملت فيه ضدّ

(١) انظر المنتظم ١٨٤/٦ . وتجارب الأمم ١٠٤/٥ وابن الأثير حوادث سنة ٣١١ .
(٢) أى فلم يزل يتوجع وهو من قولهم مثلاً قام به ظهره أى أوجعه ويراد بقوله يقوم . إفراط الإسهال ، وفى ابن الأثير : فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط أفرط القيام به .
(٣) فى الأصل : ولما لنا هذا .
(٤) فى الأصل : وقبل ذلك ما أعطى .
(٥) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

ما عاملتني به ، لأن أمير المؤمنين - أيده الله - أمرك في نكبتى بالإفراج عن بعض وقوفى فرجعت ودافعت ، حتى إذا ما لم تجد مدفعاً استخرجت ما فيها ورددتها فارغة وأنا قد أطلقتها لك بغلاتها وأموالها ، وما استحلت إطلاق أيدي العمال في وقوف . فشكره علي بن عيسى وقال : أيها الوزير فني الحديث إلا هذا . ودخل الحسن في القول في الزيادة من ^(١) توبيخ علي بن عيسى في فعله ، فقال له قولاً لاطفه فيه وفي عرضه : أنا والله أستحليك ^(٢) فغلظت هذه اللفظة على الحسن وغازته . فأجابه الحسن جواباً حشمة ^(٣) فسكته أبوه . ثم أقبل على بن عيسى فقال له : أبو أحمد ^(٤) كاتب أمير المؤمنين وصنيعته - ووصف موضعه منه ، وتفويضه إليه - فاعتذر علي بن عيسى من كلمته أشد اعتذار ، ورجع أبو الحسن إلى قراءة التذكرة .

وكان الباب الثاني منها : الإفراج عن دوري وعقارى ببغداد . فقال له ابن الفرات أما دورك وولدك فما عرض لهم . وأما عقارك فأنا أطلقه . ووقع بذلك .

وكان الباب الثالث : كتب أمان لأولادى وأسبابى . فقال له ابن الفرات : أما أولادك فلا علة ^(٥) عليهم ، لأنك ما صرقتهم في أيامك ولا قلدتهم شيئاً من أعمالك ، ولكنى أستظهر لك ولهم بالأمان ، وأما أسبابك فسم من تريد من لاتبعة عليه . فأسمى جماعة . وكتب الأمان لهم ولأولاده .

(١) في تجارب الأمم ١١١/٥ وكان الحسن حاضراً فأطلب في توبيخه وتقريعه على هذا الباب فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة وقال في عرض كلامه : أنا أستحليك .
(٢) أستحليك : أجذك حلوا .

(٣) حشمة : آذاه وأغضبه بتسميه ما يكره . وحشمة أيضاً : أخجله .

(٤) يعنى بذلك الحسن ابنه . ويعنى : أنقول هذا الكلام في الحسن وهو كاتب أمير المؤمنين وصنيعته ؟ ثم أخذ يصف موضع الحسن من الخليفة ومترته . هذا وفي تجارب الأمم : تقامت على الحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً فأجابه الحسن بجواب فيه غلظة ... أبو أحمد ... وأخذ يصف محله ...

(٥) العلة : التعلل ، ويقال : لم يبق عنده علة أى شيء .

وكان الباب الرابع : إطلاق غلة إن كانت بقيت في ضياعي . قال ابن الفرات : هذا لا يجوز لأنني لا أطلق الضياع ولا الغلة إلا بعد أن تؤدى مال التعجيل ، ولكني أكتب إلى العمال بأن يحصلوا موجود الارتفاع ليحسب ذلك من مال التعجيل ، فهو أعود .

وكان الباب الخامس : إطلاق ضياعي بديار ربيعة والموصل والشام . فقال ابن الفرات : أما ما كان بديار ربيعة والموصل فأنا أطلقه بعد أن تؤدى ثلاثين ألف دينار ، وأما ما بالشام فهو مُحْتَاطٌ ولا أعرف ارتفاعه ، ولكن عرّفتي مبلغه لأقفه عنك ، فإنني أثق فيه بقولك . فقال : هو في هذه السنة ناقص العمارة ومقداره مائة ألف درهم ، فقال : أنا أقف هذا القدر عنك .

والباب السادس : إطلاق ضيعتي بالسود إذا أدت ثلاثين ألف دينار . فامتنع أبو الحسن من ذلك ، ووقع في الأبواب الأولى بما ذكرناه .

وعرض فائق وفلفل عليه رقاعا في حوائج لهما ، فشغل بهما وبن جري مجراها من أرباب المطالب . وأقبل الحسن على علي بن عيسى وقال له : ألتست زعمت أن حامد بن العباس أسقط عن المادرائين ألفي ألف ومائتي ألف دينار مضاربة ، وكتب لهم مؤامرة بذلك إلى الخليفة ، وأخذ توقيع الخلافة فيها ؟ وأنت وإن كنت إذ ذاك من قبيله فقد جحد حامد هذا القول منك . فقال له علي بن عيسى : يحجد وهو الناظر الأمر ! فقال له : فألا عارضته ومنعته ؟ لأن الخليفة أقامك للاستظهار عليه . فقال : ما كنت في الوقت إلا من قبيله ، فلما ضمن اعتمد الخليفة علي في استيفاء ما استوفيته ، ومع هذا فصناعتك ترفع عن أن تلزمني في مثل ذلك دركا لو كنت فعلته متعمداً ، فإن المال يلزم من هو عليه .

وعلا صوتها بالقول ، فأقبل ابن الفرات عليهما وقال : فى أى شىء أنتما ؟ فعرفه الحسن الصورة . فقال ابن الفرات : المادرائى وابن أخيه واردان ، وإذا وردا كان الخطابُ معهما والمناظرةُ لهما ، وقد أسقطتِ المصادرة عن أبى الحسن كُلَّ تبعه ، وكفاك ماعاملته به فأمسك عنه . فقال الحسن : هو شيخى ، وقد علم الله أنى ما آثرتُ ما جرى . فقال له على بن عيسى : كذلك الظنُّ بك ياسيدى .

ثم رجع ابنُ الفرات إلى قراءة مابقى من التذكرة التى لعلى بن عيسى ، فإذا فيها : يؤذن للكتاب وأصحاب الدواوين الولاية والمعطلين والقواد وكتائبهم فى الاجتماع معى ولا يمنع واحد منهم عنى . فقال ابنُ الفرات : أما أصحاب الدواوين الولاية فلا يحسرون على لقائك فزعاً منى إلا رجلاً واحداً هو جار الموضع الذى أنت فيه - يعنى ابن الصريفينى صاحب الجيش لأن دارد كانت مجاورة لدار شفيق اللؤلؤى التى فى مشرعة القصب على دجلة ، وانتقلت من بعدى إلى أبى بكر محمد بن بدر الحمى - وسيصير إليك سرّاً . وأما القواد فعليك فى محبتهم إليك شناعة . فقال : إنما أريدكم لاتباع ضياعى ، ومنهم داود بن حمدان ، وهو يرغب فيما بديار ربيعة منها ، ولا شناعة فى مثل ذلك . فقال : بلى . وربما صار منه حديث ، وكتائبهم يحثونك ، وفيهم كفاية . ووقع بهذا .

وتبع هذا الباب من التذكرة : كتاب يكون فى يدى بما تقررت عليه مصادرتى ، وأنه مُزِيلٌ لكل تبعه وتأوّل عنى وعن كتائبى وأسبابى . فضحك ابنُ الفرات وقال : ما أطرف هذا بين أن تصيحج وتظلم وتقول : إنه لا يجب على مثلك مصادرة ، ثم تحطأ لنفسك فى التبعة بأن تنجز بها كتاباً . فقال : إى لعمرى ماهى واجبة علىّ ، ولا ارتزقتُ فى مدّة خمس سنين إلا مثل مال التعجيل وهو مائة ألف ، ولكن إذا وقعتِ المصادرة فى لأسبابى فى هذا الكتاب حُجّة فى نفوسنا وأملأ كنا .

فأقبل ابنُ الفرات على الحسن ابنه وقال له : أنت تتولى لأمر المؤمنين ديوان المصادرين ، فاكتب له بما يريد . فقال أَوْقَعُ بَأَن يُكْتَبَ له ذلك . قال : لا ، بل تكتبه بخطك . قال : فكيف أدعوه ؟ قال : بالدعاء التام . فكتب له الحسن بخطه عن نفسه كتاباً بالمصادرة ، ودعا له في صدره ، ثلاثة أسطر ، وترجمه بالدعاء التام ، وكتب : من الحسن بن أبي الحسن . كما يكتب إلى الناس كُلِّهم ، ودفع الكتاب إلى أبي غانم سعيد بن محمد المعروف بابن الشاشي خليفته على ديوان المصادرين .

وبينا ابن الفرات يحدث عليَّ بن عيسى خرج أبو علي الحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ، من دولة^(١) ، وسنه إذ ذاك بضع عشرة سنين . فقام إليه عليُّ بن عيسى ، فأكبر ذاك أبو الحسن بن الفرات وقال : يا أبا الحسن - أعزك الله - هذا وَلَدُكَ . فقال عليُّ بن عيسى : قد خدمتُ السَّيِّدَ المَاضِيَّ أبا العباس^(٢) - رحمه الله - وخدمت الوزيرَ أَيْدَهُ الله ، وأرجو أن أعيش حتى أخدم هذا السيد - أعزه الله . فشكره ابن الفرات على قوله ، وأخذ قرطاساً ووقع فيه إلى هارون بن عمران بَأَن يحْتَسِبَ عليه من مال ضيعته بألفي دينار يحملها إلى أبي الحسن عليَّ بن عيسى - من غير دعاء -^(٣) معونة له على مصادرتة . فقال عليُّ بن عيسى : ما أحب الثَّقِيلَ على الوزير - أَيْدَهُ الله - ولكن لا أَرُدُّ تفضله مع الحاجة إليه . وأخذ الحسن الدواة وكتب له بألف دينار . وتقدَّم ابن الفرات إلى هارون بن عمران بَأَن يكتب له قبضاً بهذه الثلاثة الآلاف الدينار من مال مصادرتة ، ونهض عليُّ بن عيسى بعد أن قَبِلَ يدَ

(١) دولة : هي أمه والخبر في تجارب الأمم ١١٢/٥ .

(٢) يعني بذلك أحمد بن محمد بن الفرات أمَّا أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات .

(٣) يعني أنه لم يكتب دعاء بجوار اسم علي بن عيسى كأن يقول : أعزه الله ، مثلاً .

أبى الحسن بن الفرات ، وضمه ابن الفرات إليه ، وأكبَّ عليُّ بن عيسى على رأس المحسن فتناول له تطاولاً كالقيام ، وقام معه كلُّ من كان بمحضرة ابن الفرات إلا وجوه أصحاب الدواوين ، ومشى بين يديه الحُجَّاب والحواشي ، ومضى إلى دار شفيع . ولم يبعُد أن قام ابن الفرات لصلاة المغرب ، فلما صلى دعا بهشام وابن جبير وابن فرجويه وقال : رأيتم مثل رُجْلة ^(١) علي بن عيسى وتطأمنه ^(٢) للنكبة واستعانتة عليها بالاستعطاف والتذلل ؛ وهذه طريقة لا أحسنها ، لأن كبدي في الحن كأ كباد الإبل ، لا جرَمَ أنها تزداد وتتضاعف .

ثم دعا بالعباس الفرغانى حاجبه وقال له : حدِّثهم . فقال : نعم ، لما نزل عليُّ ابن عيسى إلى طيَّار شفيع اللؤلؤى أجلسه في صدره وجلس بين يديه . فقال ابن الفرات : هذا غيرُ منكراً لأننا ما عاملناه بقيح فيتصنَّع لنا شفيع بإذلاله ، وهو مع ذلك شيخ قد رأسَ عليهم ، وكان مُعظِّماً في أيام عبيد الله بن سليمان وله أبوتُهُ وصِناعته .

وأقام عليُّ بن عيسى في دار شفيع إلى أن أدَّى ثلاثمائة ألف دينار المصادرة ، وأطلقت ضياعه . ثم أبعد إلى مكة ، وأطلق له ابن الفرات عشرة آلاف درهم ^(٣) نفقة سلمها إليه ، وأعطى في أجر الجمالين ونفقات الموكِّلين ثمانية آلاف درهم . فلما حصل بمكة أعيد قبض الضياع وأمر بإخراجه إلى صنعاء . وإمّا تمَّ ذلك عليه بعد خروج مؤنس إلى الرقة كالبعيد .

وذُكر أن علي ^(٤) بن عيسى لم يقبل لأحد من الكتاب في نكبته هذه معونة

(١) الرجل : من معانيها الرجولية .

(٢) تطأمنه : انخفاضه وانحنائه .

(٣) في تجارب الأمم ١١٣/٥ سبعة آلاف درهم .

(٤) تجارب الأمم ١١٢/٥ .

مع بذلم ذلك له ، إلا ابن فرجويه فإنه حمل إليه ألف دينار . وحمل إليه الفضل
والحسن ^(١) ابنا ابن القرات ألف دينار . وكان أبو الهيجاء بن حمدان أنفذ إليه
عشرة آلاف دينار فردها وقال له : لو كنت متقلداً فارس لقبلتها ، وأعلم أنها تُخجِفُ
بمالك ، وما أحبُّ ثَمْلَكَ ^(٢) . خلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى ملكه فقرَّرتْ
على الطالبين والضعفاء . وحمل إليه هارون بن غريب جُمْلَةً قَبْلَهَا . وبذل له شقيق
ألفي دينار فامتنع منها وقال له : لا أجمع عليك مؤونتي ومعونتي .

ولأبي الميمون سالم بن عبد الله في علي بن عيسى لما أخرج إلى مكة :

سُيِّرَتِ الشَّمْسُ بِالنَّحْسِ فَأَطْلَعْتُ سَعْدًا عَلَى الْأَنْسِ
فَابْعَدَ اللَّهُ الَّذِي سَيَّرَتْ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ
مَضَى ذِمِّيًّا خَاسِتًا خَاسِرًا مُصَاحِبًا بِالنَّحْسِ وَالنَّكْسِ
لَمَّا غَدَا أَهْلُوهُ فِي مَاتَمٍ أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي غُرْسِ
فَلَا كَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ ذَاهِبٍ وَلَا رَعَاهُ اللَّهُ مِنْ جِسِّ ^(٣)
أَطْلَعَ فِي أَيَّامِهِ كُلِّهَا عَلَى الْبَرَايَا كَوَكَبِ النَّحْسِ
وَضَيَّقَ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِهَا كَأَنَّهَا الْعَالَمُ فِي حَبْسِ
يُضَيِّعُ الْأَمْوَالَ مِنْ مُجْبِئِهِ وَيَنْظُرُ السَّاقِطُ مِنْ فُلْسِ ^(٤)
أَهْلَكَهُ اللَّهُ وَلَا رَدَّ فَهَلْكَهُ أَطْيَبُ لِلنَّفْسِ
مَا يُؤْمَنُ الشَّرُّ وَلَا يَنْقُضِي حَتَّى يُوَارَى النَّذْلُ فِي رَمْسِ

(١) في تجارب الأمم : الفضل والحسين فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار .

(٢) ثَمْلَكَ : إحداث خلل بك .

(٣) لا كلاه : لاحتفظه . والجبس : الجبان والثلثم .

(٤) الفلْس : قطعة من النقود نحاسية صغيرة القيمة .

وزارة أبي الحسن على

ابن عيسى الثانية^(١)

لما قبض على أبي الحسن على بن عيسى بعد نظره مع حامد بن العباس جرى أمره مع أبي الحسن بن الفرات وابنه المحسن على ما ذكرناه . ثم أخرجاه إلى مكة ، ومنها إلى اليمن ، فكان هناك إلى أن قبض عليهما . ووزر أبو القاسم الخاقاني ، فسأل مؤنس الخاقاني أن يأذن لعلي بن عيسى في الرجوع إلى مكة ، ففعل ، ثم سأل مؤنس المقتدر بالله من بعد تقليده الإشراف على مصر والشام ، فأمر الخاقاني بذلك ، وكتب إلى علي بن عيسى به ، وأجرى له ألفي دينار في كل شهر . وكان عامل مصر يومئذ أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن ابن عبد الوهاب . وتقلد أبو العباس الخصبي الوزارة^(٢) فأقره على ذلك . وفسد أمر الخصبي ، فأشار مؤنس على المقتدر بالله باستقدام علي بن عيسى ورد الأمور إليه والتعويل فيها عليه . ونُدب سلامة الطولوني للنفوذ إلى دمشق في طريق البرية وإحضار علي بن عيسى منها ، ونفذ في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة ، واستقر^(٣) الأمر في مراعاة الأعمال إلى حين وصوله على أن استدعى المقتدر بالله عبيد الله بن محمد الكلوزاني في يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة ، وعرفه تقليده أبا الحسن على بن عيسى الوزارة ، وأمره بالنيابة عنه إلى حين وروده ، فانصرف أبو القاسم إلى دار الوزارة بالحرم في طيار الخصبي المقبوض عنه ، وجلس ونظر في الأعمال ،

(١) صلة عرب ٦٦ - ٦٧ والمنتظم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٤ .

(٢) نول الخصبي الوزارة بعد الخاقاني سنة ٣١٣ .

(٣) صلة عرب ٦٦ والمنتظم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ .

وقرأ الكتب الواردة ، ووقع في الكتب الصادرة ، وكتب إلى عمال الخراج والمعاون وعُراض الجيوش وأصحاب الأخبار والبُرد والقضاة بما رُدَّ إلى علي بن عيسى ورُسِم له من خلافته ، وأمر ونهى وعزل ووَلَّى . وظهر في هذا اليوم أبو علي بن مُقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ، وجاء إلى أبي القاسم وسلما عليه ، وحضر هشام بن عبدالله ونظر فيما كان ينظر فيه للخصمي . ولم يزل السكوداني يدبر الأمور حتى مشى كثيرا واستخرج صَدْرًا كبيرا .

وسار علي بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج ثم انحدر في القرات إلى بغداد ، وخرج ^(١) الناس لتلقيه في سُلخ الحرم وأول صفر من سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، فمهم من لقيه بالرحبة ثم بهيت ثم بالأنبار . وورد إلى الحضرة في يوم الثلاثاء خامس صفر ، وبدأ بالمقتدر بالله ، فوصل إليه بعد العشاء ^(٢) الآخرة ، ومعه مؤنس المظفر ، فخطبه خطاباً جميلاً وانصرف إلى منزله ، فحمل إليه المقتدر بالله من الثياب الفاخرة والفرش الجليل والمال ما قيل : إن ثمنه وقدره نحو عشرين ألف دينار ، وأمره بالاستعانة بذلك على إصلاح أمره وإقامة تجملته ، وخلع عليه خلع الوزارة في يوم الخميس لسبع ليال خلون من صفر ، وسار معه مؤنس المظفر إلى أن بلغ إلى داره بسوق الثلاثاء ، ثم حلف عليه علي بن عيسى فتأخر عنه ، وسار بين يديه هارون بن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وإاقوت ونازوك وجميع القواد والغلمان إلى داره بباب البستان . وقدم بقْدوم علي بن عيسى أخوه عبدالرحمن - وقد كان خرج إليه عند تقلد الخصمي الوزارة من غير أن يلقاه ، وسليمان بن الحسن . - وقد ذكرنا حاله فيما تقلد من أعمال الشام في وزارة الخصمي - وعبيد الله بن عبدالله بن الحارث ، وأبو زنبور الحسين بن أحمد المدارأي . وبلغ هشام بن عبدالله أنه قد ذكر عند أبي الحسن علي بن عيسى

بما أفسد رأيه فيه ، وذُكر بما كان كاشفه فيه في أيام ابن الفرات الأخيرة ، وما عامل به إبراهيم وعبد الله أخويه من القبيح قولاً وفعلًا ، فاستوحش وأشفق واقتصر على أن وقفَ لعلّ بن عيسى في الطريق ، وترجّلَ له ، وعاد إلى منزله ولم يجسُر على حضور داره . وكان يتقلّد مع ديوان المصادرين كتابَته أحمد بن بدر العمّ ، فلما تأخر عن عليّ بن عيسى وقّع إليه : لم أرك - مدّ الله في عمرك - أحضرتني عملاً للمصادرات التي تتقلّد ديوانها ، ولا أفذت إلى كتاباً بالمطالبة بشيء من مالها ، ولا أخرجت إلى ما تعلم شدّة الحاجة إليه من أحوال ضمانات الضمائم التي ضمنوها ، وبلغني أنك متشاغل عن هذه الأعمال بغيرها ، فينبغي - أكرمك الله - أن تُخرجَ إلى سائر ما قبلك ، وتجرّى على عادتك في خدمتي وملازمة حضرتي إن شاء الله .

فأجاب هشام : بأنه حضر الدار للخدمة فوجد الوزير قد قام من مجلسه ، وعزم على الرّواح وملازمة الخدمة التي يتشرف بها وأنه إنما أخر إخراج ما على المصادرات لعلّه بمذهب الوزير في البحوث عن الظلم .

وعملَ على المشافهة بما عنده ليُخرج من المصادرات ما هو واجبٌ مما لم يجز فيه تحريف ولا حيف . فوقع إليه : أخرج ما عندك كأننا ما كان ، ويبيّن وجوهه وأسبابه لأتقدّم فيه بما يوفق الله إن شاء الله .

وحضر هشام مجلسه ، فقال له : ليس من مذهبي أن أذكر إساءة أحد ، ولما خلّصني الله تعالى من صنعاء وعُدْتُ إلى مكة عاهدته سبحانه على ترك مقابلة كلّ من سعى عليّ في ولايتي ونسبتي ، ووكلتُ جميعهم إلى الله . ولك خدمةٌ قديمةٌ تُوجبُ لك حقاً ، وعليك أضعافه ، فإذا لم ترع ما يلزمك لم أدع رعايته ما يلزمني . ثم قال له : أموال الصدقات بفارس وكرمان معقودة على أبي عيسى أحمد بن بدر العمّ ،

وقد حلَّ منها ثلاثمائة ألف درهم ، والضرورة قائدة إلى مطالبته بأداء ذلك في بيت مال العامة لِلسَّبَبِ له عِوَضَه على المسمى من مال ضمانة الضياع ^(١) والخراج بفارس ، وأريد أن تكتب لي خطك بعشرة آلاف دينار من ذلك . فكتب له بمائة ألف درهم ، ووقع لأهل الصدقات بالعوض منها على المسمى ، ثم ذكر له هشام أن عليَّ إسحاق بن إسماعيل من مال ضمانة النهروانات ، وعليَّ نصير بن عليٍّ من مال ضمانة طريق خراسان ومَوَاتِ جلولا ، وعليَّ محمد بن الحسن الكرخي الملقب بالجرزو من مال ضمانة نهر بوق والزاب الأسفل ، وعليَّ ابن عرفة خليفة محمد بن القاسم الكرخي من مال الأعمال التي يتولاها صاحبه ، وعليَّ محمد وجعفر ابني جعفر الكرخي من مال مصادرتهم ، وعليَّ محمد بن الحسن كاتب المسمى من مال ضمانة أعمال فارس وكرمان ، وعليَّ خليفته ابن رسم من مال أصبهان ، أموالاً كثيرة ، وأنهم لم يؤدوا منذ وقع اسمه على الوزارة إلا شيئاً يسيراً . وأنه قد أحضر خطوطهم بأعيانها ، وعملاً بأصول ما عليهم وما أدَّوه ، وبقي خطوط المصادرين بما تقررت عليه أمورهم ، وعملاً مُفَصَّلاً بما بقي منها على كل واحدٍ منهم . وقال : سبيل ذلك كله أن يُستَوْفَى . فأمره عليُّ بن عيسى بتسليم الخطوط إلى صاحب دواته بثبت ، وتسلم هو العَمَلَيْنِ بيده ، وقراها ، وتقدم إلى أبي القاسم الكلوزاني بالاجتماع مع هشام على المطالبة بالمال والجِدِّ في ذلك حتى يَصِحَّ في ثلاثة أيام .

وأخرج عليُّ بن عيسى جميع الأعمال إلى أبي القاسم الكلوزاني ، ولزم أصحاب الدواوين مجلسه في دار عليٍّ بن عيسى حتى ظنَّ أنه خليفته على الدواوين كلها . فلما أخرج الكلوزاني كلَّ ما عنده إلى عليٍّ بن عيسى وتشاغل بما أمره به من مطالبة الضمماء والمصادرين قال له عليُّ بن عيسى : إليك أَجَلُ الدواوين ، وإن ارتسمت

(١) في الأصل : ضمانة والضياع .

بِخِلَافَتِي اخْتَلَّ مَا إِلَيْكَ مِنْهَا ، وَلَيْسَ يَقُومُ أَحَدٌ مَقَامَكَ فِي ذَلِكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَوَقَّرَ عَلَى ذَلِكَ فَسَّرَ الْكَلُودَانِيُّ هَذَا الْقَوْلَ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَرُدَّ دِيْوَانَ السَّوَادِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخِيهِ عَلَى مَا كَانَ فَعَلَهُ فِي وَزَارَةِ حَامِدَ ، وَيَحْضُلَ هُوَ عَلَى خِلَافَةٍ لَا يُؤَوِّفِيهِ عَلَى بْنِ عَيْسَى حُكْمَهَا ، لِأَنَّهُ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَعْمَالِ بِنَفْسِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا . وَعَوَّلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخِيهِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلضَّمْنَاءِ وَالْعُمَّالِ مِمَّا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِمَا أَصْحَابُ الدَّوَاوِينِ ، وَفِي مُكَاتَبَةِ عُمَالِ الْخِرَاجِ وَالضِّيَاعِ وَالْمَعَاوِنِ فِي نَوَاحِي الْمَغْرِبِ عَنْهُ ، وَالنَّظَرُ فِي سَائِرِ أَعْمَالِ الْمَغْرِبِ كَمَا يَنْظُرُ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ ، فَتَحَقَّقًا بِهِ وَلَا زِمًا مَجْلِسَهُ ، وَتَجَدَّدَ إِشْفَاقُ هِشَامَ وَاسْتِيحَاشُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ حُضُورُ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَيْسَى عِنْدَ عَمَّتِهِمْ عَلَى بْنِ عَيْسَى فَلَمَّا رَأَاهُمْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَقَالَ : تَرَكَ أَبُوهُمُ الْعَمَلَ مَعِيَ فِي وَزَارَةِ حَامِدَ طَلِبًا لِلْإِسْلَامَةِ فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَأَفْقَرَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ ثُمَّ سَأَلَهُ إِلَى مِنْ قَتَلَهُ . فَقَالَ لَهُ مَنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ : الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ مِنْ هِشَامَ - مَكْرُوهًا وَشَتْمًا لَهُ وَلَالَ الْجَرَاحِ كُلِّهِمْ - أَغْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ .

وَخَفَ هِشَامَ الْحُضُورَ فِي دَارِ عَلَى بْنِ عَيْسَى ، وَكَانَ يُنْفِذُ إِلَيْهِ الْأَعْمَالِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقَاهُ . وَزَادَ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ أَصْحَابِ عَلَى بْنِ عَيْسَى لَهُ وَقَضَرِيتِهِمْ ^(١) إِيَّاهُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَدْرَسَتْ حُرْمَتُهُ ، وَلَمْ يَغْرِضْ لَهُ عَلَى بْنِ عَيْسَى ، وَوَقَعَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ اسْتِئْذَانِهِ تَوْقِيْعًا جَمِيلًا فَأَجَابَ عَنْهُ بِأَنَّهُ قَدْ كَانَ وَائِقًا بِتَفَضُّلِ الْوَزِيرِ عَلَيْهِ وَصَفَحَهُ عَنْهُ .

وَعَمِلَ عَلَى مَلَازِمَةِ الْخِدْمَةِ إِلَى أَنْ أَكْثَرَ أَعْدَاؤُهُ مِنَ الْإِغْرَاءِ بِهِ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِ ، فَأَقَامَ فِي مَنْزِلِهِ وَائِقًا بِنَيْيَتِهِ وَمَعُوَّلًا عَلَى عَفْوِهِ وَرَأْفَتِهِ . فَوَقَعَ إِلَيْهِ : مَا صَرَفْتُكَ أَكْرَمَكَ ^(٢)

(١) تَضَرُّعُهُمْ يَرَادُ بِهَا هُنَا تَسْلِيْمُهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ ضَرَى الْوَحْشَ جَعَلَهُ ضَارِيَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَا صَدَقْتُكَ .

الله فإن أحببت الحضور والخدمة وإلا فالله لك بالرشد . فلم يكن وأقام على الاستتار .
ونظر على بن عيسى في الجارى والأرزاق ، فَنَزَلَ^(١) أصحاب الدواوين من
الثلاثين إلى النصف ، وجعل لأبي القاسم السكاوداني من خمسمائة دينار كان يقبضها في
كل شهر عن ديوان السواد خمسة آلاف درهم ، وقرّر لأبي الفتح الفضل بن جعفر
عن ديوان المشرق مائة دينار في كل شهر ، ولأبي على بن مقلة عن ديوان الخاصة
والمستحدثة مائة دينار . وكان حامداً أجرى له ثلاثة آلاف درهم في كل شهر برسم
مشيخة الكتّاب ، وكان يقبضها إلى أن نكبه ابن الفرات . وأسقط أرزاق كل من
كان يقبض برسم الدواوين من الكتّاب وأولاد الكتّاب الذين يحضرون ولا يعملون ،
وغلمان وأسباب أصحاب الدواوين ، واقتصر بالغلمان على جارى عشرة أشهر في السنة .
وأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر . وحذف من كان جاريا بالفرسان والرجالة
برسم النوبة من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح ، وأرزاق الأولاد الذين
في المهود ، وجميع أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمُعَنِّين وأصحاب العنايات
وأرباب الشفاعات .

ثم إن على^(٢) بن عيسى رأى من اختلال النواحي في وزارة أبي القاسم ابن الخاقاني
وأبي العباس الخصبى وتقصان الارتفاع ، وتضاعف النفقات ، وما زيده الرجالة
عند وزود القرمطى وهو مائتان وأربعون ألف دينار في السنة ، ما استعظم الصورة فيه ،
وعلم أن الأمور لا تستقيم معه ، وتبين انحراف نصر الحاجب عنه ليل مؤنس المظفر
إليه وقيامه بأمره . فاستعفى المقتدر بالله من النظر استعفاء دفعه عنه وقال له : أنت
عندى بمنزلة المعتصد بالله ، ولا بد من أن تصبر وتحتمل . فترك مديدة ثم عاود وواصل

(١) في الأصل فترك .

(٢) ابن الأثير حوادث : ٣١٦ . وتجارب الأمم ١٨٤/٥ والمنظم ٢١٦/٦ .

وشاور المقتدر بالله مؤسناً فيمن يُقلده ، وقال له : قد أُسِمِيَّ لى الفضل بن جعفر فلم أُردّه ، وابنُ مقلّة فما عندك فيه . قال : هو حدث خامل ، والوزارة تحتاج إلى شيخ له ذكر وفيه فضل . فقال له : محمد بن خلف النيرمانى وقد بذل تحصيل ألف ألف دينار من مال النواحي في مدة أربعة أشهر . قال : هذا رجل متهور ولا يُحسن أن يكتب اسمه . وأشار بمداواة على بن عيسى . وخاطب مؤنس على بن عيسى ، فقال : لو كنت مقيماً بالحضرة لعينت وعولت على معاونتك ومعاضدتك ، فأما وأنت خارج إلى الرقة فلا يتم لى أمر . وبلغ أبا على بن مقلّة ذلك ، فجدّد فى السعى على على ابن عيسى . وشاور المقتدر بالله نصراً الحاجب فى الثلاثة الذين هم الفضل بن جعفر وابن مقلّة ومحمد بن خلف النيرمانى ، فقال : أما الفضل فما يدفع عن تحلّ وصناعة ، ولكنك قتلت عمّه بالأمس ، وبنو الفرات كلهم يدبّون بالرفق ، ويميلون إلى القرمطى ، وابن مقلّة فلا هيبة له . وأشار بمحمد بن خلف ، فلم يتقبّله المقتدر بالله ، لأن مؤنساً وهارون بن غريب نفّراه منه . وعرف ابن مقلّة طعن نصر الحاجب عليه ، فواصل مداراته واستصلاحه ، وواقف أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهمشيارى على ملاقاته أبى محمد دلو به كاتب نصر واستعانته على إصلاح صاحبه . وأشار مؤنس بأبى زنبور المادرائى ، فكرهه نصر وانقاد لأبى على بن مقلّة والمشورة به ، وقال : يُقلد فإن استقل بما نذب إليه وإلا صُرف واستبدل به . فاضطرّ المقتدر إلى أن استوزره . وحصلت له وسيلة أخرى قوّت أمره ، وذلك أن ^(١) المقتدر بالله كان شديد التطلع إلى معرفة أخبار أبى طاهر القرمطى ، ولم يكن يقف عليها إلا من جهة الحسن ابن إسماعيل الإسكافى عامل الأنبار وما يكتبه منها إلى على بن عيسى فى كل أيامه ^(٢) ،

(١) تجارب الأمم : ١٨٥/٥ والمتنظم ٢١٦/٦ .

(٢) فى الأصل : فى كل أيام .

فأنفذ أبو علي بن مقلة طيوراً إلى الأنبار ، وعوّل على قوم من أهلها في مكاتبته بأخبار القرمطيّ على الساعات . فكان يرد من ذلك ما يُنفذه لوقته إلى نصر الحاجب ، ويعرضه نصره على المقتدر بالله ويجعله طريقاً إلى تقيظه وإطرائه حتى قال له : إذا كانت هذه مراعاته لأمرؤك يا أمير المؤمنين ولا تَعَلّقْ له بخدمتك فكيف يكون إذا اصطنعتَه واستكفيتَه ؟

فلما كان ^(١) وقت الظهر من يوم الثلاثاء ثالثَ عشر ربيع الأول من سنة ستَ عشرة وثلاثمائة أنفذ المقتدر بالله هارون بن غريب إلى عليّ بن عيسى للقبض عليه ، فصار إلى داره ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وهو متعطل إذ ذاك ، فلما قرب هارون منها قدّم أبا جعفر أمامه إليه ، وعرفه ما أنفذ فيه حياءً من لقائه به ، وعرفه أبو جعفر الحال ، فقال : أنا جالس أتوقّعه . ولبس عمامة وطيلساناً وخُفّاً ، وأخذ في كُمّه مُصحفاً ومِقراضاً . ووافى هارونُ فدخل إليه ، وسأله صيانةَ حُرّمه وولده ، ففعل ، ومنع من التعرّض لشيء من الدار . ولم يجد في مجلسه ولا داره أحداً من كُتّابه وأسبابه ، وبصر بأبي عليّ عبد الرحمن في بيتٍ من الدار مُطّلعاً في شُبّاكٍ ، فهجم عليه وأخذه ، وحملهما إلى دار السلطان ، وسلم عليّ بن عيسى إلى زيدان القهرمانه ، واعتقل عبد الرحمن عند نصر الحاجب ، فكانت مدّة وزارة عليّ بن عيسى هذه سنة وأربعة أشهر ويومين .

وادّعى نصر ^(٢) الحاجب - بسوء رأيه في أبي الحسن عليّ بن عيسى - أنه وجد رجلاً يُعرف بالجوهريّ ، وأقرّ بأنه رسولٌ للقرمطيّ وسفيرٌ بينه وبين عليّ بن عيسى ، وحكى عنه أن عليّ بن عيسى كان يُكاتب القرمطيّ على يده ، وجمع بينه وبين

(١) تجارب الأمم ١٨٥/٥ .

(٢) تجارب الأمم ١٨٦/٥ .

عليّ بن عيسى حتى واجهه بذلك . فقال عليّ بن عيسى : كذب عليّ وبهتني ، وما خلق الله لما قاله أصلاً ولا فرعاً ، وعاون أبو عليّ بن مقلة نصراً الحاجب إلى أن كاد المكروه يتمّ عليّ عليّ بن عيسى ، وهمّ المقتدر بالله بأن يضربه بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين . فتوصّلت السيدة إلى كشف ما ادّعى عليه ، حتى وقفت على بطلانه ، وقررت ذلك في نفس المقتدر بالله ، فزال ما كان اعتقده فيه .

وتقلّبت بعليّ بن عيسى من بعد أمور قد ذكرناها فيما أوردناه من أخباره المنشورة وأخبار الوزراء .

ورّد إليه ^(١) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة - في خلافة المتقي لله وإمارة بحكم ^(٢) ، ونظر أبي عبد الله الكوفي ^(٣) - النظر في المظالم ، فجلس لذلك ونظر في خصوصيات بين عوام ، ورّد ما يتعلّق بعاملٍ وصاحب ديوانٍ وجنديٍّ إلى أبي عبد الله الكوفي ، وبالحكم إلى الحكام .

فلما انهزم ^(٤) أبو عبد الله البريدي من كورنكين ^(٥) وتكينك ، دخلت الوزارة من ناظرٍ فيها ومُرّسمٍ بها ، استدعى المتقي لله أبا الحسن عليّ بن عيسى وأبا عليّ عبد الرحمن أخاه وأمرهما بالنظر ، وكان أبو عليّ عبد الرحمن يُدبّر الأعمال وعليّ بن

(١) انظر تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ٣٢٠/٦ وقتل سنة ٣٢٩ وقد كان أمير الجيش وكان يلقب أمير الأمراء قبل ملك بني بويه وانظر ابن الأثير حوادث السنوات ٣٢٦-٣٢٩ .

(٣) كان كاتباً ليحكم وكان إليه التدبير أكثر من الوزراء انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ وتجارب الأمم ١٧/٦-١٨ وانظر ابتداء حال البريدي وضبط اسمه والاختلاف فيه في ابن الأثير حوادث ٣١٦ .

(٥) في تجارب الأمم كورنكيج ١٧/٦ أما في ابن الأثير فكالأصل .

عيسى يصل إلى حضرة المتقي لله ، وجرى الأمر على ذلك تسعة أيام ثم تقلد أبو إسحاق القراريطي ^(١) الوزارة ، ولازما منزلها .

وتوفي أبو الحسن علي بن عيسى في يوم الجمعة لليلة خلت من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن تسع وثمانين سنة وستة أشهر ، لأن مولده كان في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين .

أخبار أبي الحسن المنشورة

حدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : كان محمد بن جعفر العبرتاني من عمال أبي الحسن بن الفرات وخواصه ، وكان يُعَامِلُ أخى أبا الحسن علي بن عيسى فيما ضَمِنَهُ من طَسَاسِيحٍ طريق خراسان الجارية في الخاصة ، فاستوفى عليه استيفاءً تشدد فيه ، واجتهد في إصلاح نيتته وقبول مبرته بكل ما يجتهد مثله مع مثله ، وأخى يمتنع ويقول : يا هذا الرجل إنما بيننا أمرُ هذا الضمان فإن وفيت به وخرجت منه فانت أجل الناس عندي وأقر بهم منى ، وإن أفت على أمرك في المغاورة ^(٢) والمدافعة فانت أبعدهم من قلبي وأشقاهم بي .

فحضر عنده في بعض الأيام وكان يوم الثلاثاء ، وأخى خال من العمل ؛ وجرى ذكرُ البلدان وما خصَّ به كل واحدٍ منها من الطُرف والألوان ، فقليل : لمصرَ دُهنُ البَلَسَانِ ^(٣) واللبصرة النخلُ والبساتينُ ، ولكسكر زكاء الأرض وجودة الغلات

(١) هو محمد بن أحمد الإسكافي واطظر وزارته في تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) المغاورة : الإغارة .

(٣) البلسا : شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد يستخرج منه دهن عطر الرائحة .

وللكوفة القسوب^(١) وللا هواز القند^(٢)، ولتستر الديباج والفاكهة، ولجنديسابور
الدستنبو^(٣) ولنهاوند الكمثرى والزعفران، ولقطربل الشراب. وذكر محمد بن جعفر
«كلواذى» ووصف أترجها وتجاوزة في القند والكبر ما في «السوس» منه، فقال
أخى على مجاز القول: أحب أن أراه. وتقوَّض المجلس.

فلما كان وقت المغرب حضر باب أخى رسولاً لمحمد بن جعفر. قال عبد الرحمن
فحدثني ماهر الخادم - وكان عاقلاً مُحَصِّلاً - قال: جاءني البوابُ فقال: بالباب من
يطلبك. فخرجت فإذا صاحب العبر تاني قد حضر، ومعه قَطَاطِر ما رأيت أدق ولا
أحسن منها، وفيها أترجٌ قد أنفذه، ومعه رُقعة إلى مولاي، ورُقعة إلى يسألني
إيصال القماطر ووضعتها بين يدي مولاي، وإذا معه خمسون ديناراً لي على التوصل
إلى القبول. فدعوت بالعلمان وأشالوها^(٤) إلى حضرته، وأوصلت رُقعتَه فقرأها
وقال: افتح. ففتحنا بعض القماطر، وأخرجنا منها أترجاً مثل المساور^(٥) اللطيفة لم ير مثلها
حُسناً وَنَبَلاً وَكِبَراً. فقال بعض الخدم: فيها شيء أثقل من شيء. فقال: تأملوها.
فتأملناها، وإذا فيها عشر أترجات مُقَوَّرةً مَخِيطةً، فسللنا الخيوط وإذا في كل أترجة
ديباج فيه ألف دينار. والجميع عشرة آلاف دينار، فتقدَّم بردها كما كانت، ودعا
بالرسول وأمر بتسليمها إليه بحضرته، فتسلمها وقال له: قل له: لم يذهب علي ما أردته
بهذا الفعل، وأنت عارف بمذهبي وستعرف خبرك. قال ماهر: فبادرت مع الرسول
حتى خرج ورددت عليه الخمسين الدينار. فقال: أنت قد فعلت ما يجب عليك فلم ترُدُّ

(١) القسوب: نوع من التمر يابس يتفتت في الفم.

(٢) القند: عسل قصب السكر إذا جد.

(٣) الدستنبو: عطر.

(٤) أشالوها: رفعوها.

(٥) المساور: جمع مسور ومسورة: متكا من جلد.

الدنانير وهي يسيرة في جنب استحقاقات . فقلت : ما أجسرُ على قبول شيء مع ماجرى . وبَكَرَ أخى إلى الديوان ، وابتدأ بالنظر في أمور الأعمال التي في ضمان محمد ابن جعفر ، وأخرج إليه ما ألزمه فيه عند المناظرة نحوَ خمسين ألف دينار .

وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصِّلحي قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر الكرخي بمصر قال : كنت أكتب لأبي على الحسين بن أحمد المادرائي . ووافي أبو الحسن علي بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد ابن خاقان للإشراف على مصر والشام ، فدخل إلى مصر وتحتة حمارٌ وعليه طيلسان . وكان التولى للمعونة تسكين ، فتلقاه وترجل له ، وعظمت هيئته في النفوس جداً . وجلس ونظر . ثم ركب في بعض الأيام متفرجاً وعاد ، فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لانتظاره صاح : اللصوص . ففرزنا كلنا خوفاً من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استقر في مجلسه قال : يا معاشر الناس اجزئت الساعة على جسر قارون - وهو بزند من البرزندات ، وتسمى البرزندات بمصر جسوراً - فقد رت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت العمال يحتسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثر التعجب منه والقول فيه ، وكان أبو علي حاضراً ، فلم يحبه عن كلامه ، فقال : الشأن أننى أقول ما أقوله فلا تجيبني عنه يا أبا علي ! فهض وانصرف . واعتاظ أبو الحسن علي ابن عيسى من ذلك ، وأطبق دواته وقال : لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد . وقام ودخل ، وانصرف الناس ، ومضيت إلى أبي علي قليلاً بما شاهدته وسمعته ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى علي بن عيسى يستأذنه في حضوره عنده على خلوة . فأذن له ، ومضى وأطال ، فجلست أنتظره . فلما عاد سأله عما جرى

فقال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سوء أدب عليك ، ولا استهانةً بقولك ، وإنما كرهتُ أن أعترفَ بمحضرة الناس فألزم نفسي مالا يكرهها ، أو أجيبك بما حضرتُ الآن لئلا يذكركه فيكون ما عليك فيه أكثر مما على فيه ، فامتنعتُ إكراماً لك وصيانةً . ثم قلت له : كم جاري ؟ . فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر . فقلت : يمكنني وأنا عامل مصر أن أكون بغير كُتَّاب ولا أعمال ولا كُراع ولا جال ولا إعطاء ولا إفضال ؟ . قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن لي خرمًا وأولادًا وأقارب وأهلاً أحتاج لهم إلى مؤونة ؟ . قال : بلى . قلت : فأخلو من أن يرِدَ على زوارٍ بكتُبِكَ وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروءة أن أبرِّهم وأصلِّهم ؟ . قال : ابلى لعمري . قلت : فهذا الجبار الذي أجاوره وفائقُ خادمه له ثمانون مرقدًا وهو متسلط على الأمر كله يمكنني أن أقيم على الطاعة وأمنعه إدخال اليد في الضياع إلا بمؤونة أتكلفها له وأولاده وخدمه وكتَّابه حتى يستقيم ما بيني وبينه ؟ . قال : هذا مالا لا بدُّ منه . قلت : فأخليفةُ والسيدة والخالة والقهرمانه ومؤنسٌ ونصرٌ الحاجب وكتَّابهم وأسبابهم يجوز أن لا أهاديهم في كل سنة ؟ . قال : هذا رسم لا يمكن الإخلال به . قلت : فالوزراء إذا تقلد الواحد منهم هل يدخلُ داره شيء قبل ما يحمله خليفته إليه ؟ وإذا نُكِب فهل يؤدِّي من مال مُصادرته شيئًا قبل ما يستدعيه مني ؟ وهذا أنت - أيَّدك الله - وأنت أعفُ الوزراء ومن لا يعرف له نظير - ألم أحمل إليك في وقت كذا وكذا وفي وقت كذا وكذا ؟ وأجر على عيالك في مدة كذا وكذا ؟! فقال : أنا والله شاكر لذلك . فقلت : ما ذكرت هذا اعتدادًا عليك ، وإنما ذكرتُه لتعلم أنه يلزمني لغيرك مثله وأكثر منه . وهذا حق بيت المال في ضياعك بمصر والشام - وهو بضعة عشر ألف دينار في السنة - أدت منها درهما واحدًا ؟ . فقال : ما أدري ، فقلت : هذا مال عظيم ولست أبرحُ أو أعلم أنه

قد حُصِّل لك ، أو كان أصحابك خانوك فيه حتى أرتجمعه منهم للسلطان ؟ فأعاد الشكر .
فقلت : يا سيدى فمصادرتى فى كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل ^(١) من الثلاثة
الآلاف الدينار الجارى تكون ؟ . فقال : دع هذا يا أبا على فإن كبار الرجال
يُغْنِي لهم السلطان عن كثير الأموال .

وما سمعناه بعد ذلك أعاد فى شيء من أمور أعمالنا قولاً .

وحدث أبو محمد الحسن الصلحى قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : قال لى
أبو القاسم الخاقانى فى وزارته : أشرت على المقتدر بالله بتقليد أبى الحسن على
ابن عيسى الإشراف على مصر والشام ، فرأيته مُتَكَرِّهاً لذلك ثم قال : افعَل
ما ترى . فأقبلت أصفه بالموالاته والثقة لأعرف ما عنده فى أمره على حقيقة ، فقال :
هو كما تصِف ولكن أخَفَظْنِي ^(٢) عليه أن سُمِّتُهُ تَقَلَّدَ وزارتى فى أيام حامد
ابن العباس فامتنع ، وتَقَلَّ على امتناعه ، وشاورته فيمن يراه لهذا الأمر فقال :
أبو عمر محمد بن يوسف القاضى . فعلمت أنه غشنى ولم ينصح لى . فقلت : وما لمحمد
ابن يوسف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لعمري إنه عالم ثقة إلا أننى لو فعلت ذاك
لافتَصَحْتُ عند ملوك الإسلام والكفر ، لأننى كنت بين أمرين إما أن تَتَصَوَّرَ
مملكى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم ، أو أننى
عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأنسب إلى سوء الاختيار .

وحدث القاضى أبو على المُحَسِّن بن على التَّنَوخى قال : حدثنى أبو طاهر
الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري المعروف بالمقنعى أحد الشهود قال : حدثنى
أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى أنه كان يرتفع لأبيه من ضياعه فى كل سنة
عند الاعتزال والعطلة بعد ما يتصرف فى النفقة ثلاثون ألف دينار . ويرتفع من ضياع

(٢) أخَفَظْنِي : أغضبني .

(١) فى الأصل : هم .

أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إذا قبضت عنه ألف ألف دينار ، وإذا وُزِّر ورُدَّت عليه أضعفت .

قال القاضي : واتفق أن حضر هذا الحديث منه أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق الأنباري فقال : حدثني جماعة من أصحاب أبي الحسن علي بن عيسى أن جميع ما كان يرتفع له في السنة نيفٌ وثمانون ألف دينار يخرج منها في أبواب البرِّ وسبل الخير وتنفق الطالبين والعباسيين والأنصار وأولاد المهاجرين ومصالح الحرمين نيفٌ وأربعون ألف دينار ، ويبقى الباقي لنفقاته . وأنه كان يسمع الكتاب يقولون في ضياع أبي الحسن بن الفرات : إنها ترتفع في وزارته بألف ألف دينار وعند القبض عليه ودُخول يدِ العمال فيها بمائة ألف دينار وأقل وأكثر .

وحكى أبو^(١) الحسن ثابت بن سنان قال : قال لي أبو الحسن علي بن عيسى يوما ، وهو متعطل في أيام الرضا بالله في عرض حديث كان يجاريه بعد إقراي العمل الذي عمله في سنة ست وثلاثمائة لارتفاع الدنيا ونفقاتها : قال لي ابن الفرات يوما وقد أخرجتُ إليه من دار السلطان بعد صرفه إياي : أبطلت الرُسوم وهدمت الارتفاع . فقلت : أي رسم أبطلت وارتفاع هدمت ، قال : المكس^(٢) بمكة فقلت له : قد أزلت هذه وأشياء كثيرة ، منها ومنها - وعددت الأبواب التي رَفَعْتُها وكان مالُ ذلك في السنة خمسمائة ألف دينار فلم أستكثرها مع ما حَطَّطْتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار بها ، وغَسَلْتُه من الأدران عن دولته فيها . ولكن انظر مع ما حَطَّطْتُ وأبطلتُ إلى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك .

(١) تجارب الأمم ٢٩/٥ .

(٢) المكس : أموال تؤخذ من الباعة أو عن أشياء معينة عند بيعها أو إدخالها المدن الضريبة والجرك .

قلت : فبأى شيء أجاب . قال : خرج الخادم ففرق بيننا قبل أن يجيب .
وحدث أبو عمر أحمد بن محمد بن الحسين البصري قال : لما توفى القاضي
أبو الحسين بن أبي عمر ركب أبو الحسن علي بن عيسى إلى أبي نصر وأبي محمد
ابنائه يعزيهما به . فلما نهض منصرفا قال : مصيبةٌ وجبَ أجرُها خيرٌ من نعمة
لا يؤدَّى شكرُها .

وحدث^(١) أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق الأنباري قال : كان
أبو عيسى أخو أبي صخرة جاراً لنا ببغداد ، وكان عظيمَ الحال ، كثيرَ المال ، كاملَ
الجاه ، معدوداً في شيوخ الكتاب ، وقد تقلد كبار الأعمال ، وخلف إسماعيل
ابن ببل على الوزارة فلما وُزر أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني قلده ديوان
السواد ، ثم صرف أبو علي وورد أبو الحسن علي بن عيسى من مكة وزيرا . فلم
يره أهلاً لهذا الديوان لتقصان صناعته ، وكان يفضُّ منه إذا حضر في مجلسه ، ولا
يؤقيه ما يقتضيه عمله ، وإذا أراد عملاً أو خراجاً أو حساباً استدعاه من كتابه
وواقفهم وخطبهم عليه بمشهدٍ منه فلا يترك له هذا الفعلُ جاهاً . ثم إن عرضَ عملٍ يعلم
أن كتابته أبي عيسى لانهض به وقوله لا يعبر عن غرضه فيه خاطبه عليه على رؤوس
الأشهاد ليتبين له نقصه وعجزه ، فطال ذلك على أبي عيسى وزاد احتمالُه له فجلس
عنده يوماً إلى أن تقوض مجلسه ولم يبق فيه غيره وغير إبراهيم بن عيسى أخى أبي
الحسن ، فقال له أبو الحسن ألك حاجة ؟ قال : نعم ، إذا خلا مجلس الوزير ذكرتها .
فأخبرت عن إبراهيم أنه قال : فلما سمعتُ قوله نهضتُ وانصرفتُ وعُدتُ من
غد إلى مجلس أخى فوجدت أبا عيسى متصدراً فيه بأمرٍ ونهيٍ وتبسطٍ وعملٍ ،
وخطابُ الوزير معه دون الكتاب ، وقد انتقل من الثرى إلى الثرى ، فدعنتى نفسى

إلى مسألة الوزير عن أمره حتى إذا خلا قال : تقول يا بُنَيَّ شيئاً ؟ . قلت : أسأل عن فضول . قال : إن كان فضولاً فلا تَسَلْ عنه . قلت : لأبُدَّ . قال : فقل . قلت : خلا بك أبو عيسى أمسٍ لِمَا لم أعْرِفه . ثم رأيتك اليوم مُقْبِلاً عليه ومُعَامِلاً له بضدِّ ما كنتُ تعامله به ، فما سبب ذلك ؟ قال : نعم ، إنه خاطبني خطاباً عَظُمَ في نفسي به ، وعلمتُ صدقَهُ فيه فرجعتُ له . قال : وقد خلا بي ، أنا - أيدَّ الله الوزير - رجلٌ من شيوخ الكُتَّاب ، أعرف قَدْرَ صناعتي في الكتابة ، وإنتي في جملة المتأخرين عن الغاية ، وما يخفى على سُوهِ رأيِ الوزير فيِّ واعتمادهُ الغَضَّ مني ، وطلَبُ فضيحتي بالرجوع إلى الكتاب في أمور ديواني وقصدي بمعضلات الأمور إبانةً لعجزِي وقُصُوري . ويجب أن يعلم - أيدَّه الله - أن باطن حالي ومالي أوفرُّ من ظاهرها على كثيره ووُفُورِهِ ، وما أنصرف طلباً لفائدة ، ولا حاجةً إلى مكسب ، وإنما أريد قيام الجاه ونُفُوذَ الأمر ، وقد عشت طول ماضى من عمرى مُستوراً في أمرى مُقَدِّماً عند السلطان على كثيرٍ من نُظَرَائِي ، وخَلَفْتُ إسماعيل بن بلبل على الوزارة ، وتَقَلَّدْتُ كِبَارَ الأعمال واحداً بعد آخر ، وسلَّمْتُ على الوزراء وسلَّموا عليّ ، وقد تمكَّن في النفوس من موضعي ومنزلي ما لا يخرج منها ، ولا يمكن أحداً إزالته عنها . وأنا بين أمورٍ ممَّا لحقتني الغضاضة به ، إما أن تَوَصَّلْتُ إلى إزالته بما يَنْقُلُ على الوزير فيزداد سُوهُ رأيهِ ؛ أو استعفيتُ ولزِمْتُ منزلي فلم أَكُنْ خَامِلاً ؛ وجعلت نفسي حينئذٍ بحيثُ أخشاه من الكَوْنِ في أولياء الوزير أو أعدائه ، أو عاد إلى الأولى به ووفَّقاني حقوق ما قَلَّدَنِيهِ . فقلتُ له : ليس ترى بَعْدَ ذلك يا أبا عيسى شيئاً تُنكره ، وسأرجع في معاملتك إلى أفضل ما تُؤثِّره . وبكر إلى ليَتَحَنَّنَ وعدى ويَحْتَبِرَ ما عندي ، فكان ما رأيْت .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي عن أبيه وأبي الحسين بن عياش قالاً : كان

أبو الحسن علي بن عيسى يجعل في كل باب من ورائه مِسْوَرَةً وَيُسْبِل عليها سِتْرًا طويلاً يُعْطِيها ، فإذا جلس في أَخْرِيَاتِ النهار مجلساً حافلاً أُلْصِق بها ظهره من وراء السِّتْرِ لئلا يشاهد مُسْتَنْدًا ، تَمَسَّكَ بالوقار .

وقيل : إنه ما رُئِيَ قطُّ متبذلاً في مجلسه ، ولا مُتَخَفِّفاً في ملبسه ، ولا فارق الدَّرَاعَةَ^(١) [إلا] والقَمِيصُ من دونها ، والمُبْطَنَةُ من دُونِهِ و [لا] الخَفَّ في أكثر أوقاته إلا إذا أَوَى إلى فراشه أو قعد مع حُرَمِهِ .

وقد فعل أبو الحسن علي بن عيسى مع أبي علي بن مقله مُشَبَّهًا بما فعله مع أبي عيسى أخى أبي صخرة ، وذلك أنه بلغه عَمَلُ المقتدر بالله على صرفه بأبي علي — وكان متقلداً له إذ ذاك على عدة دواوين — فاستدعاه وطلبه بأعمالٍ يعملها له ، فوعده بها . وحضر مجلسه بعد أيام فاعتمد الغضَّ منه بأن قال له على ملا من الناس : كنتُ التمسْتُ منك أَعْمَالاً فَأَخَّرْتَهَا ، فإن كنت عاجزاً عنها وغير ناهضٍ بها فاصدُقْ عن نفسك . فقال أبو علي : قد أحضرتها وهامى . ووضعها بين يديه وأخذ يقرؤها ويواقفه على غَلَطٍ بعد غَلَطٍ فيها ، وَيُقْبِلُ على مشايخ الكتاب فيَعَجِّبُهُمْ من ضعف صناعته وقلة بصيرته ، وحتى قال له في بعض القول : هذه حِيَاكَة لا كِتَابَة . وضرب على عملٍ ، بعد عملٍ ورسم في تضاعيفه ما يجب أن يُبْنَى عليه نَظْمُهُ وترتيبه ، والكَتَابُ الحاضرون يُنْثَنون عليه بِحُسْنِ الكفاية ، وَيَقْمَرُونَ عَلَى أبي علي بِضَعْفِ المعرفة . ثم رمى بها إليه وقال له : قُمْ فَأَعْمَلْهَا على هذا المثل وَحَرِّرها وجثني بها ، فقام يجرُّ رجله . فلما ولي قال أبو الحسن : إن أمراً عجز عنه ابن الفرات ونحن فيه مرتبكون ، وَيَدْعَى هذا القيامَ به لأمرٌ عجيب ، فما مضى على هذا المجلس أربعة أو خمسة أيام حتى قُبِضَ على أبي الحسن علي بن عيسى

وسلم إلى أبي علي بن مقله . فأراد الفضل من علي بن عيسى بأمرٍ يُظهره وشيء
يقدر فيه به ، فلم يستطع ذلك ، ولا قدر على أكثر من تلقّيه بالقبيح ، ومعاملته
بالمكروه الفظيع .

فحدث أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال : كنت بحضرة أبي علي
ابن مقله في وزارته ، وقد دخل إليه علي بن عيسى ، فجلس بين يديه . وكان أبو عبد الله
الموسوي العلوي وأبو علي الحسن بن هارون حاضرين ، فقال أبو علي بن مقله
للحسن بن هارون : اكتب رُقعة عن أبي عبد الله يشكو فيها إخلال ضيعته وقصور
مراده منها وفائده . ومثل له بإيجاب مظالمه وإطلاق معونة . فكتبها الحسن وعرضها
فوقع على ظهرها بإخراج الحال ، وأنفذ التوقيع إلى الكاتب . فأخرج ماصدق فيه
دعوى أبي عبد الله ، ووقع أبو علي تحت ذلك بأن يُطلق له عشرون كُرًّا حنطة
وعشرون كُرًّا شعيرا معونة ، ويُحتسب له بكذا منسوباً إلى المظلمة . فاستحسن
الحاضرون فعله وما تكرم به على رجلٍ علوي ، وأخذ أبو الحسن علي بن عيسى
يشكره . فقال له مجيباً . فلم لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك ؟ فنهض
أبو الحسن وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف .

وقيل : إن أبا محمد دخل إلى أبي الحسن علي بن عيسى يوماً وعليه قميصٌ ديبقيٌّ
شَقِيرِيٌّ^(١) مُرْتَفِعُ الثمن^(٢) جداً ، فأراد أبو الحسن أن يُجمله فقال له : بكم
اشتريتَ أيها القاضي شِقَّةَ هذا القميص ؟ قال : بمائة دينار . فقال أبو الحسن : ولكنه
اشتريتَ لي شِقَّةَ هذه الدَّرَاعَةِ والقميص الذي تحتها بعشرين ديناراً . فقال له أبو عمر

(١) الشقيرى نسبة إلى شقير كان يتولى البريد وبعض الضياع انظر البقوى ٦١٥/٢ .

(٢) في الأصل : الثوب .

مسرعا: الوزير - أعزه الله - يُجَمِّلُ الثياب فلا يحتاج إلى المبالغة فيها ، ويُجَدِّدُ الخواص الذين يعلمون أنه يدعُ الكثير عن قُدْرَةٍ ، ونحن نتجمل بالثياب ونُعَالِي فيها ، ونلاقى العوام الذين يساسون بما يروق عيونهم من جَلالِتها ، ونُقَامُ الهيبة بما يَكْبُرُ في صدورهم من خِصامتها . فكأنما أَلَقَمَ أبا الحسن حَجَرًا فمًا ، أعاد عليه قولاً ولارَدَّ جواباً .

وحدَّث القاضى أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ابن قرينة قال : حدثنى مُكْرَم بن بكر بن عمر أبو يحيى بن مُكْرَم القاضى قال ^(١) : كنت أختص بأبى الحسن على بن عيسى وربما شاورنى فى أموره . فدخلتُ له يوماً فرأيتُهُ ، مَهْمُومًا فَقَدَّرْتُ أَنَّهُ بلغه عن المقتدر بالله ما يَشْغَلُ قلبه فاقضى نَقْشَهُ فقلت : أرى الوزير - أيده الله - مفكراً ، فهل حدث شيء ؟ - وأومأت إلى جهة الخليفة - . فقال : ليس ما أنا مغموم به من ذلك الجنس ، بل لِمَا هو أعظم فى نفسى منه . فقلت : إن جاز أن يُعرِّفَنِيه الوزير فليفعل ، فلعلَّه يجدُ عندى فيه رأياً أو قولاً . قال : نعم . كتب إلى عاملنا بالشَّعْر بأن أسارى المسلمين كانوا فى بلد الروم على حالٍ رَفَاهَةٍ وصيانة إلى أن وَلِيَ مُلْكَ الروم آنفاً حَدَّثَانِ مِنْهُمْ ، فَعَسَا وعاقبهم وأجاعاهم وأعرياهم ، وطالباهم بالتنصُّر ، وأنهم فى بلاء وجهَد ، وهذا أمرٌ لا حيلة فيه ، ولا مَقْدِرَةٌ على دفع ما أَظَلَّ هؤلاء المساكين ، ولو ساعدنى الخليفة على إنفاقِ الأموال وتجهيزِ الجيوش إلى هؤلاء الكفار لفعلتُ فى ذلك غاية ما أوجبه الله علينا من بَذْلِ الوُسْعِ والإمكان . فقلت : عندى أيها الوزيرُ رأى فى هذا الأمرِ ربما نفع وكان أسهلَ مما تَحْسِبُ وتُقَدِّرُ . قال : قل يا مُبارك . قلت : بأنطاكية عظيمُ النَّصارى تُدْعَى البَطْرُكُ

وَبَيَّتِ الْقُدْسَ آخِرَ يَمَلِّهَا الْقَائِلِيْقُ ^(١) ، وَأَمْرُهُمَا يَنْفُذُ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ ، لِأَنَّ أُمُورَهُمْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِمَا ، وَالطَّاعَةُ لَا تَلْزَمُ جُيُوشَ رَعِيَّتِهِمْ إِلَّا بِقَوْلِهِمَا ، وَرَبِّمَا خَرَمًا الْوَاحِدَ مِنْهُمْ فَيُحْرَمَ عَنْهُمْ . وَالرَّجُلَانِ فِي ذِمَّتِنَا وَتَحْتَ سُلْطَانِنَا ، فَيَسْأَلُ الْوَزِيرُ بِمَكَاتِبَةِ عَامِلِي الْبِلَادِينَ بِإِحْضَارِهَا وَإِعْلَامِهَا مَا يَجْرِي عَلَى الْأَسَارَى فِي بِلَادِ الرُّومِ وَأَنَّهُ مِمَّا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةً ، وَمَتَى لَمْ يُزَلَّ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَتُسْتَأْنَفَ حُسْنُ الْمَعَامَلَةِ مَعَهُمْ طَوْلِبًا بِجَرِيرَةٍ مَا يُفْعَلُ هُنَاكَ ، وَسُئِلَ فِي مَعَامَلَةِ النَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ ، وَنَنْظُرُ مَا يَكُونُ الْجَوَابُ .

فَاسْتَدْعَى فِي الْحَالِ كَاتِبًا وَأَمَلَى عَلَيْهِ كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَى وَكِيدَةً ^(٢) ، وَأَنْفَذَهَا وَقَالَ لِي : سَرَّيْتَ عَنِّي قَلِيلًا ^(٣) ، وَخَفَّفْتَ عَنِّي قَلْبِي شُغْلًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ - وَقَدْ أَنْسِيتُ الْحَدِيثَ - جَاءَنِي فُرَاتِيْقُ ^(٤) مِنْ بَابِهِ يَسْتَدْعِينِي . فَرَكِبْتُ وَأَنَا مَتَشَوِّقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُرِيدُنِي لَهُ ، فَدَخَلْتُ وَهُوَ مُسَرُّورٌ ، وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ ، فَخِينَ رَأَيْتِي قَالَ لِي : أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ نَفْسِكَ وَدِينِكَ وَعَنِّي . فَقُلْتُ : مَا الْخَبْرُ ؟ قَالَ : كَانَ رَأْيُكَ فِي أَمْرِ الْأَسَارَى بِبِلَادِ الرُّومِ أَصُوبَ رَأْيٍ وَأَصَحَّه ، وَهَذَا رَسُولُ الْعَامِلِ - وَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ بِحَضْرَتِهِ - قَدْ وَرَدَ لِيذِكْرُ مَا جَرَى فِي بَابِهِمْ . وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى : عَرَفْنَا الصُّورَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنْفَذَنِي الْعَامِلُ مَعَ رَسُولِ الْبَطْرِكِ وَالْقَائِلِيْقِ الَّذِي أَنْفَذَاهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَكَتَبْنَا عَلَى يَدِهِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : بِأَنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمَا بِأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكُمْ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَمُخَالِفٌ لَوْصِيَّةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْثَالِهِمْ ، وَأَمْرِهِ فِيمَنْ جَرَى تَجْرَاهُمْ . فِيمَا زُلْنَا عَنْ هَذِهِ

(١) فِي هَامِشِ الطَّبُوعِ : فِي حَاشِيَةِ : الْجَائِلِيْقِ .

(٢) وَكِيدَةٌ صِفَةُ لِلْكِتَابِ عَلَى إِرَادَةِ مَعْنَى الرِّسَالَةِ .

(٣) قَدْ تَكُونُ مَحْرُفَةً عَنْ « تَقْلًا » .

(٤) الْفَرَاتِيْقُ يُرِيدُ بِهِ الرُّسُولُ .

الطريقة وعدتُما عنها إلى ما تقتضيه الشنة الماثورة وأحسنما إلى من في أيديكما ،
وتركتاهم على أديانهم ، ولم تُكرِهاهم على خلاف آرائهم ، وإلا لعنَّا كما وتبرأنا
منكما وحرمتنا كما .

فلما وصلنا إلى القسطنطينية أوصل رسولُ البطرك والقائليق إلى المليكين
وحُجِبَتْ وخلوا به ووقفنا على ماورد معه ، وتركنا أياماً ثم أحضرائي إليهما ، فسلمت
عليهما وقال لي ترجمانهما : الملكان يقولان : الذي أدَّى إلى ملك العرب من فعلنا
بأسارى المسلمين كدِبْ وشناعة ، وقد أذِنَّا في دخولك دار البلاط لتشاهدَهم وتسمع
شكرهم وتعلم استحالة ما ذُكِرَ لكم في أمرهم . وحملت إلى دار البلاط فرأيتهم كأنهم
خارجون من القبور ، وقائمون إلى النشور ، ووجوههم دالة على ما كانوا فيه من
الضرِّ والعذاب ، إلا أنهم في حالِ صيانةٍ مُستأنفةٍ ، ورفاهةٍ مُستجدَّةٍ ، وتأمَّلت
ثيابهم فكانت جُددًا كُلُّها ، فتبيَّنتُ أنني أخرت ذلك التأخير حتى غيَّبَ أمرهم
وجُدِّدَ زيَّهم ، وقالوا لي : نحن شاكرون للمليكين - فعل اللهُ لها ^(١) وصنع - مع
إيمانهم إلى بأن حالهم كانت على ما تأدَّى إلينا ، وإنما خُفِّف عنهم وأحسن إليهم
بعد حصولي هناك . وقالوا لي في عرض قولهم : كيف عُرِفَتْ صورتنا ؟ ومن تَذَبَّه
على مُراعائنا حتى أنفذك من أجلنا ؟ فقلت : ولي الوزارة الوزيرُ أبو الحسن عليُّ
ابنُ عيسى وبلغه خبرُكم ، فأنفذ وفعل كذا وكذا . فضجُّوا بالدعاء له ، وسمعت امرأة
منهم تقول : قرَّ يا عليُّ بن عيسى ، لأنسى الله لك هذا الفعل . قال أبو يحيى بن مكرم :
فلما سمع الوزير ذلك بكى بكاء شديداً ، ثم سجد لله تعالى شاكراً وحامداً ، وبرَّ
الرسولَ وصرَّفه . وقلت لعلِّي بن عيسى : أسمعك أيها الوزير تتبرَّم بالوزارة في
خلواتك ، وترغب في الانصراف عنها تحرُّجا ^(٢) من آثامها ، فلو كنتَ معتزلاً

(٢) في الأصل تحريبا .

(١) في الأصل . بهما .

لها ومُتَخَلِّيًا منهاهل كنت تقدر على مثل هذه الحال الجامعة لجمال الدنيا وثواب الآخرة وطيب السمعة وحسن العاقبة ؟

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني الفضل بن أحمد الحلياني قال : قال لي أبو بكر الشافعي صاحب أبي الحسن علي بن عيسى : كان المحسن بن علي ابن محمد بن الفرات قبض علي في نكبة أبي الحسن علي بن عيسى ، وصادرنى وأوقع بنى مكروها ، وجعل التأول على اختلاطى بأبى الحسن وصحبتى إياه . فلما أخرجنا من المحنة ، وعاد أبو الحسن إلى الوزارة ، طلبت الانتفاع بأمور أخاطب فيها ، وأخلف بعض المصادرة منها ، فتصدت لأخذ الرقاع بالحوامج ، وعرضها على أبى الحسن . فاتفق أن عرضت عليه فى بعض الأيام شيئاً استكثره وضجر علي به ، فقلت : أيها الوزير إذا كان حظنا من أعدائك فى أيام نكبتك الصنع ، ومنك فى أيام ولايتك المنع ، فتي - ليت شعري - يكون النفع ؟ فضحك ووقع لي فى جميع الرقاع ، وما استنقل شيئاً رفعتة إليه بعد ذلك .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو السرى عمر بن محمد القارى . قال : حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى قال : قال لي أبى : عرض علي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي فى بعض أيام وزارتي رقعة التمس فيها محالا ، وقبلى يدي ، وتركتها من يدي مفكرا فيما أفعله مما أبلغ به غرضه ولا يلحقني عيب فيه . وعرض لي رأي في الركوب ، فنهضت ، فلما رأى ذلك قبض علي يدي وقال : أنا نفي من العباس إن تركت الوزير يركب إلا بعد أن يوقع فى رقتي أو يقبل يدي كما قبلت يده . فوقع له قائما بما أراد ، وعجبت من سوء أدبه وشدة وقاحته .

قال القاضي أبو علي : وشاهدت أنا أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز هذا

في سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد تقلبت به الأيام وبأهل بيته ، وهو محضرة أبي محمد المهلبى ، وقد كان العيَّارون ثاروا بمدينة السلام وأوقعوا فتناً عظيمة ، أصلها أن عَرَبَدَ رجلٌ عباسى على رجل علوى فى خندق طاهر وهما على نبيذ ، فقتل العلوى ، ونفر أهله واستغاثوا لأجله ، ودخل العامة بين الفريقين ، وشرفت ^(١) القصة إلى ما احتيج معه إلى إقامة الديلم فى الأرباع وترتيبهم فى كثير من الأصقاع ، وحتى أغلق العباسيون باب المسجد الجامع بالمدينة ، ومنعوا من صلاة الجمعة ، وزادوا فى إشعال النائرة . ودبر أبو محمد الأمر بأن قبض على جماعة من وجوه العباسيين وكثير من المستورين والعيَّارين ، وأدخل فيهم عدة قضاة وشهود وصلحاء عباسيين ، وكان منهم أبو بكر بن عبد العزيز . ثم جلس لهم وأحضرهم وناظرهم ، وسأهم أن يُسمَّوا له العيَّارين وحملة السكاكين ليقصر على أخذهم ، ويفرج عن الباقين ، وأن يضمن أهل الصلاح منهم أهل الريبة ، ويأخذوا على أيديهم أخذاً يحسم به موادَّ الفتنة . فأخذ القاضي أبو الحسن محمد بن صلح الهاشمى يقول قولاً سديداً لطيفاً فى دفع ذلك واستعطاف أبى محمد المهلبى وترقيقه ، والرفق به وتسكينه ، واعترض أبو بكر بن عبدالعزيز الخطاب ، وقال قولاً فيه بعض الجفاء والغلظة . فقال له أبو محمد : « يا ماص كذا وكذا ، ما تدع جهلك وتبسطك ، ولا تُخرج هذه الخيوط من رأسك ، كأنى لا أعرفك قديماً وحديثاً وأعرف حُحك وحق أليك وتدرعك ^(٢) فى مجالس الوزراء وإيثارك أن تقول : قال الوزير وقلت . ولعلك تُقدَّر أن المقتدر بالله على السرير ، وأننى أحد وزرائه ، ليس ذاك كذلك ، السلطان اليوم الأمير مُعزُّ الدولة ^(٣) الذى يرى سفك دمك قرْبَةً إلى الله تعالى وينزلك منزلة

(١) شرفت : ارتفعت . (٢) التدرع : الدخول فى الشيء .

(٣) هو معز الدولة بن أبى شجاع بويه بن فنا خسرو البويهى : انظر ابتداء دولة البويهيين فى ابن الأثير حوادث ٣٢١

الكتب يا عماه بركة بركة وحسن حاصرون فقال القاصي : فلقد رأيت
فلسوه كاتب على رأسه وقد ستمص سم قال : طبقوا عنه يورق ونود إلى عمان .
فقبلت الجماعة بده وسنته الصمغ عنه ، ورسله تطيع الله - رحمة الله عليه - في أمره
مراسلات ترددت إلى أن تركه وأزيمه بنته . وأخذ خطوط العباسيين جميع ما كان
سامهم إياه وامتنعوا منه ، وقيص من بعد على جماعة كتبه من أحداث العباسيين
وأهل العياره والدعارة منهم ومن العامة ، وجعلهم في روارق مضطربة مستمرة ، وأنفذهم
إلى بيروت ونصبي ، وحسبهم هناك في دور تحري تحري القلاع ومضامير ، فكانوا
فيها ، ومات كثير منهم . ثم أطلعت بقيتهم بعد وفاة أبي محمد المهلبى سنين ، ورالت
الفتى في تلك الأيام

وحدث القاصي أبو على قال : حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عيَّاش
القاصي قال : كانت عادة أبي الحسن بن الفرات في كلامه أن يقول للإسار :
بارك الله عليك ومن عادة أبي الحسن علي بن عيسى أن يقول : « والك »
أو « واك » فكان الناس يقولون : لو لم يكن من الفرق بين الرجلين إلَّا حسن اللقاء
وضرف^(١) ما بين القولين .

وحكى أبو محمد الصلحي قال : ما صرف الراصى بالله أبا علي عبد الرحمن^(٢)
ابن عيسى عن ورارته وسكبه وسكب أبا الحسن علي بن عيسى وصادر أبا الحسن
على ألف ألف درهم^(٣) وعبد الرحمن على ثلاثة آلاف دينار - وكان ذلك طريقا -
وحصل أبو الحسن معتقلا في دار الخلافة ، وخاف أبو الحسن أن يكون في نفس

(١) لعلها : وظرف

(٢) كانت ورارته للراصى في سنة ٣٢٤ وقص عليه في سنة ٣٢٤ أيضاً

(٣) في اس الأثير حوادث سنة ٣٢٤ أنه صدر أبا الحسن علي بن عيسى على مائة ألف دينار

وصادر عبد الرحمن سبعين ألف دينار

الراضى بالله عليه ما يريد معه قتله ، فراسلنى يقول : هذا أبو محمد - وكان إذ ذاك كاتب أبى بكر بن رائق - يسألنى خطاب الراضى بالله عن صاحبه فى نقله إلى دار وزيره إلى أن يؤدى ما قرّر عليه أمره . قال : فجئت إلى الراضى بالله وقلت له : يا أمير المؤمنين ، على بن عيسى خادمك وخادم آبائك ، ومن قد عرفت محله من الصناعة ، وموقعه من جمال المملكة ، ومن حاله وأمره كذا وكذا . فقال : هو كذلك ، ولكن له عندى ذنوب . وأخذ يعدد ذنوب عبد الرحمن : فقلت له : يا مولانا ، وأى ذك يلزمه فيما قصر فيه أخوه ؟ قال : سبحان الله ، وهل دبر عبد الرحمن إلا برأيه وأمضى شيئاً أو وقفه إلا عن أمره أو أمرى إياه بالآلئح ولا يعقد إلا بموافقته ؟ وأقبلت أعتذر له وأجعل بإزاء كل ذنب حجة . قال : دع ذا ، ما خاطبني قط إلا قال « واك » فهل يُتلقى الخلفاء بمثل ذاك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا طبع له قد ألف منه وحُفِظَ عليه ، وعيب به فى أيام خدمته للمعتد بالله - رحمه الله عليه - وما استطاع أن يفارقه مع شبهة ^(١) عليه وتعوده إياه . فقال : اعمل على أنه خلق ، أما كان يمكنه أن يُغيّره مع ما وصفته من فضله وعقله ، أو يتحفظ معى خاصّة فيه مع قلة اجتماعى معه ومحاطبتي إياه ؟ وما يفعل ما يفعله إلا عن تهاون وقلة مبالاة . فقبلت الأرض مراراً بين يديه وقلت : الله الله أن يتصور مولانا ذلك فيه ، وإنما هو عن سوء توفيق ، والعفو من أمير المؤمنين مطلوب . ولم أزل إلى أن أمر بنقله إلى دار وزيره ، ونُقِلَ وصحّح ما أخذ به خطّه ، وصرف إلى منزله .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى جماعة من أهل الحضرة أن ^(٢) رجلاً

(١) فى الأصل تشبه . وشبه : تمويه .

(٢) الفرج بعد الشدة ١٥٤/١ والمنظّم ٣٥٤/٦ .

عطارا مشهورا بالستر والصيانة رَكِبَهُ دَيْنٌ، فقام عن دُكَّانِهِ ولزم منزله ، وأقبل على الصلاة والدعاء عِدَّةَ لَيَالٍ ، فبينما هو قد صلى ذات ليلة ودعا ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له : امض إلى علي بن عيسى الوزير ، فقد أمرته بأن يدفع إليك أربعمائة دينار تُصْلِحُ حالَكَ بها . قال العطار : وكان عليّ ستمائة دينار دَيْنًا ، وأصبحت فقلت : قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» فلمْ لَا أَمْضِ إلى الوزير وأعرف ما عنده ؟ قال : فضيت ، فلما وقفت على بابه مُنِيتُ الوصولَ وجلسْتُ إلى أن ضاق صدري ، وهمتُ بالانصراف ، فأنا على ذاك إذ خرج الشافعيُّ صاحبُه وكان يعرفني معرفةً قَرِيبَةً ^(١) فقامت إليه وعرفته خبري فقال : يا هذا إن الوزير يطلبك منذ السحر ، وإلى الآن قد سأل عنك كلَّ واحد ، والرسل ماثوثة في التماسِكَ ، فكنْ بِمَكَانِكَ . قال : ودخل ، فما كان بأسرع من أن دُعِيَ بِي ، فدخلت إلى الوزير أبي الحسن ، فقال لي : ما أتممتك ؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم ، قال : أحسن الله يا هذا جزاءكَ في قَصْدِكَ إِيَّاي ، فوالله ما تهنَّأتُ عيشًا منذ البارحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي في منامي : أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربعمائة دينار يُصْلِحُ بها شأنه . فكنت اليوم منذ الغداة وإلى هذه الغاية أسأل عنك ، وما عرفنيك ^(٢) أحد . يا غلام هات ألف دينار . فجىء به عِينًا ، فقال : خذ منه أربعمائة دينار امتثالًا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسَّتُمائة الباقية هديةً مني إليك . فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد شيئًا على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنني أرجو البركة فيه . فبكي وقال : ما أحسن هذا اليقين ، خُذْ ما بَدَأَ لَكَ . فأخذت

(١) في الفرج بعد الشدة : ضعيفة .

(٢) في الفرج بعد الشدة : وما عرفك :

أربعائة دينار وأصرفت، وقصصت فصتي على صديق لي، وأرثته الدناير وكلفته أن
يخبّر غرمائي بمرى، ويتوسط ما بينهم وبينى. فعلى، وبدلوا له تحيرى عما لهم ثلاث
سنين، فقالت: لا بل يا أحدون منى الثلث وينظرونى بالباقي. ففرقت عليهم مائتي دينار
وفتحت دكانى وأدرته بالمائتين الباقية معى، فما حال الحول إلا وقد بلغ مالى ألف
دينار، فوفيت غرمائى ما بقى لهم، وما زالت حالى تنمو ومالى يريد والله الحمد.

وكان الخطاب بنسواً مسجداً، وجعله طربقاً إلى المشايخ والفقهاء، فغظم إلى أن
الحسن على بن عيسى من أمره، فوقع على ظهر القصة: أحق بناء يهدم، وتغنية رسم،
بناء أسس على غير تقوى من الله. فمدح نقاعده إن شاء الله.

وكان أبو الحسن بن نيداد تقياً كور الأهوار، فترنص بأرض من ارتفاع
الناحية، ف وقعت فيه النار واحترق، فكتب إلى على بن عيسى كتاباً أقام فيه
عذره، وسجع في كتابه سجعاً راد فيه، فوقع على بن عيسى على ظهر الكتاب:
أنت يا أبا الحسن تكتب فتجيد، والاسم الحميد خير من الكلام السديد، صيغت
علينا أَرْزاً حَصَلَتُهُ، وعولت بنا على كلام ألفت، وحطاب سجعته، أوجب صرفك
عما توليته، والسلام.

فقال أبو الحسن بن نيداد: ماصرفنى غير السجع. وكتب إليه.

وصل كتاب سيدنا الوزير - أطال الله بقاءه - مشتملاً على وصفٍ وصرفٍ.
فأما الوصف فهو منه - أدام الله تأييده - مع تحله من الصناعة بهاية الفخر والسعادة.
وأما الصرف عن الاعتذار، مما جرى به المقدار، فما جزاء من اعتذر من حالٍ لا دَرَك
عليه فيها أن يُصرف عن ولايةٍ لا جناية منه عليها، والاعتذار بلفظ الصواب، أولى
من الاحتجاج بسوء الخطاب

فوقع على بن عيسى عن جوابه : قد أدته البلاغة إلى الإرادة ، فليكتب بإقراره على العمل ، وإسعافه بالأمل ، إن شاء الله .

وورد الحضرة قوم من أهل ديار ربيعة يتظلمون من حيف لحقهم في معاملاتهم ، فكتب على أيديهم إلى الحسن بن محمد بن عينة العامل هناك كتاباً نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . في علمك - أكرمك الله - بما أمر الله به من العدل والإحسان ، ونهى عنه من الجور والعدوان ، وعاقب به الظالمين في سالف الأزمان ، غنى لك عن التنبيه والتوقيف ، والوعظ والتخويف : وفيما رسمته لك مشافهة ومكاتبه في إنكار الظلم وإزالته ، وإظهار العدل وإفاضة ، كفاية وبلاغ . وقد ورد الحضرة - أكرمك الله - جماعة من وجوه الثناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني إحدى واثنين وثلاث عشرة وثلاثمائة ، من إكراههم على تضمين غلات بيادرهم بالحزير والتقدير وإلزامهم حقّ الأعشار في ضياعهم على التربيع ، واستخراج الحراج منهم على أوفر عبّرة^(١) قبل إدراك غلاتهم وثمارهم ، وإكراه وجوهم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية بأسعارٍ مُسرّفةٍ مُجحفة . فألقني ما أفاضوا فيه من الشكوى ، وآلني ما انتهى إلى وصفه من عظيم البلوى ، ووجدته - مع قبيح ذكره وعظيم وزره - عائداً بخراب الضياع ، ونقصان الارتفاع . فينبغي - أكرمك الله - أن تجرّني سائر رعيّتك على المعاملات القديمة ، وتحملهم على البرّسوم السليمة ، حتى يعودوا إلى أفضل حال عهدوها ، وأجل سيرة حمدها ، وتزيل السنن الجائرة وتبطلها ، وتقطع أسبابها وتحسمها ، وتكتب إلي بما يكون منك في ذلك فأنتني على اهتمام به ، ومراعاة له ، إن شاء الله .

(١) العبارة من معانيها الأصل التي ترد إليه النظائر ويراد هنا على أوفر ما يكون المحصول .

وكتب إلى عبد الله بن علي الجرجاني عامل الصلح والمبارك .

وصل كتابك - أكرمك الله - جواباً عن الكتب النافذة إليك فيما تظلم منك فيه جماعة من الرعية ، وواصلوه من الشكينة ، بما دلت عليه من بطلان أقوالهم ، وشدة أطاعهم ، وحكيت من وجوبه عليهم بالحجج الواضحة ، والشواهد اللائحة ، وفهمته . فأما ما وصفته من استمالك الحق في قولك وفعلك ، وحلك وعقدك ، فانظر أيّ دعوى ادعيتها لنفسك ، وماذا تحتج به غداً عند ربك . واعلم أن أقبح الناس في الدنيا ذكراً ، وأعظمهم عند الله وزراً ، مَنْ وَصَفَ عَدَلاً وَأَتَى جَوَراً ، وَأَحْسَنَ قَوْلاً وَأَسَاءَ فِعْلاً . وأما ما ذكرت أن هؤلاء المتظلمين أوقعوا فيه المغالبة ، وابتاعوه من أراضى المزارعات مصابرة ، فارتجعتهم منهم لتبيعه بالثمن الوافر ، والنقد الحاضر ، فقد عدلت في أمرهم عن طريق الحكم ، إلى أشنع جهات الظلم . ولو بانث دعواك وظهرت ، وقامت البينة عليها ووضحت ، لما جاز أن تمنعهم عما ملكوه ، ولا تحول بينهم وبين ما ابتاعوه ، إلا بعد أن يختاروا فسخ البيع ويرضوه ، ويؤثروه ولا يأتبوه ، وترد عليهم من الثمن ما وزنوه ، وتدفع إليهم معه ما أنفقوه . فسلم إليهم - عافاك الله - ملكهم ، ووفهم حقهم ، واقنع فيما بينك وبينهم بنظر محمد بن محمد ابن حمدون ووساطته ، ولا تعدل عن قبول رأيه ومشورته . وأما ما أنفذته من العمل لبقايا سنة ثمان وثلاثمائة وما قبلها وبينت أن معظمه على الطائفة المتظلمة منك ، فقد وقفت عليه ، وأحوال هذه البقايا مختلف ، والحكم فيها واضح منكشف ، وسبيل ما كان منها على الجهادية والبلدية ، وسكان المستغلات السلطانية ، أن تستخرجه في أسرع الأوقات ، وتستوفيه على تصرف الحالات . وما نقاه المحملون وأصحاب المناثر ^(١)

(١) لعله يعني بأصحاب المناثر هم الذين يجمعون ما تساقط وتناثر من المحاصيل بعد قتل الأجران أو ما حولها وما شابه ذلك .

عن نَفَاضِ قُنَابٍ^(١) الحاصل ، ووصفوا أن تصحيحه واجب على أرباب البيادر ،
فسيبلك أن تجربيه مجرى أسلاف البذور التي تستنظفها ، مع التوثق منها بعد شهور .
وما بقي من الأسماء المجهولة - ولا أشك أنه من خراج نخل وخضر في أفرحة^(٢)
معروفة - فيجب أن تطالب مزارعي تلك الأفرحة حتى يُصَحِّحوه ، أو يكشفوا حاله
ويوضحوه ، فاعمل في ذلك بما رسمته ، ولا تتجاوز ما حدّته ، إن شاء الله . وأما ذكرت
أن ابن المشرف الذارع أشار عليك بإيقاع المساحة عليه من حرّيم الأنهار ، المخوف
بالنخل والأشجار ، لتطالب بابتياعه ، مَنْ تَجِدُهُ قد فاز بارتفاعه ، فقد غَشَّك هذا الذَّارِع
في مشورته ، ودلّك على سوء سريّته . وجميع نواحي واسط - أصلحك الله - من
السواد المفتتحِ عَنَوَة ، وليس يملكه السلطان - أعزه الله - فيباع ، لأنه فيّءٌ للمسلمين
يقوم مقام الوَقْف على جميعهم ، وإنما تَبَايع أهليه فيه يَجْرِي بَجْرِي الشُّكْنَى لِأجل
ما أَدَّوهُ ويُوَدُّونه من الخراج وهو الكِرَاء ، ومن غَرَس في هذا الحرّيم نخلا
أو شجرا ، أو زرع غلّة أو خضراً ، فقد نفع سلطانه - أعزه الله - وانتفع ، وثمر ماله
بما صنّع . فاحذر أن يَحْطُرَ هذا الباب ببالك ، أو يَجْرِي ذِكْرُهُ على لسانك ،
وإِرجع عما يَعْزُب عنك فهمه ويُسَكِل عليك حُكْمه إلى الفقهاء ، لِتَسَلَّمَ من
سِمَةِ المسبّة ، وتأمّن سوء المَعْبَةِ ، إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن عليّ بن هشام قال^(٣) : أقرأني أبو عبد الله أحمد بن محمد
الجليميّ كتاباً بخط أبي الحسن عليّ بن عيسى ذكر أنّه كتبه إليه في وزارته الأخيرة
وهو يتقلّد طرِيقَ خُرَاسَانَ ، يَحْتَفِي فيه على حَمَلِ المال وكانت نُسخته :

(١) النفاض جمع نفاضة وهي مائعات من الورق والتمر . والقناب : الورق المجتميع الذي
فيه السنبل .

(٢) الأفرحة جمع قراح وهي الأرض .

(٣) نشوار المحاضرة ١٠/٨ .

قد كنت - أكرمك الله - عندى بعيدا من التقصير ، غنيا عن التنبيه والتبصير
 راغبا فيما خصك بالجمال ، وقدّمك على نظرائك من العمال ، واتصلت بك ثقتي ،
 وانصرفت نحوك عنايتي ، ورددت الجليل من العمل إليك ، واعتمدت في المهيم
 عليك . ثم وصّح عندى من أثرك ، وصحّ عندى من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ،
 ورَدَفَهُ ما استدعى استبطاءك ولائمتك ، وأنت تعرف صورة الحال ، وتطّلعى - مع
 شدة الضرورة - إلى ورود المال . وكان يجب أن تبعتك العناية ، على الجِدِّ في
 الجبّاية ، حتى تردّ جُؤْلُوك ، ويتوصّل ما تتوقّع ورودّه من جهتك . ونشدتك ^(١)
 بالله لَمَّا ^(٢) تجنّبت مذاهب الإغفال والإهمال ، وقرنت الجواب على كتابي
 هذا بمالٍ يميّزه من سائر جهاته وتحصّله ، وتبادر به وتحمّله ، فإن العين إليه معدودة ،
 والساعات لوروده معدودة ، والعذر في تأخّره ضيق ، وأنا عليك من سوء العاقبة
 مشفق ، والسلام .

وحدث أبو الحسين عليّ بن هشام قال ^(٣) : سمعت أبا عبد الله الباقر يقول :
 لما غلب السجّزيّة ^(٤) على فارس ، جلا قوم من أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة ،
 ففُضّ ^(٥) خراجهم على الباقر ، وكُمّل بذلك قانون فارس القديم ، ولم تزل هذه
 التسكّلة تُستوفى على زيادة تارة ، ونقصان أخرى . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات
 فارس في وزارته الأولى سنة ثمان وتسعين ومائتين على يدٍ وصيف ^(٦) كأمه ، ومحمد

(١) نشده الله ونشده بالله : سأله وأقسم عليه به .

(٢) لما معناها إلا : قال ابن بري : وقد حكى سيديّه نشدتك الله لما فلتت بمعنى لا فعلت .

(٣) نشوار المحاضرة ٦٨/٨ .

(٤) السجّزية نسبة إلى سجز وهو اسم لسجستان . ويريد المؤلف بذلك بنى الصفار وانظر ابتداء
 أمرهم في ابن الأثير حوادث سنة ٢٥٣ .

(٥) يقال فض الشيء على القوم : فرقه وقسمه .

(٦) انظر الطبري حوادث ٢٩٨ وابن الأثير حوادث ٢٩٢ .

ابن جعفر العبري تآوى^(١) فَأَجْرَى الأمر على رُئِيسِهِ، وفعل مثل ذلك محمد بن عبيد الله الخاقاني وعليُّ بن عيسى في صدر وزارته الأولى . فلما مضى منها مُدِيدَةٌ، وَرَدَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن جعفر الشَّيرَازِي إلى الحضرة ، فَكَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ بن أَحْمَدَ بن أَبِي الْبَغْلِ ، وَقَدَحَ فِيهِ ، وَكَانَ يَتَقَلَّدُ فَارِسَ إِذْ ذَاكَ ، وَخَطَبَ الْعَمَلَ ، وَبَذَلَ تَوْفِيرَ جُحْلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، فَعَقَدَ عَلِيُّ بن عيسى الضَّمانَ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ ابْنَ أَبِي الْبَغْلِ وَقَلَّدهُ أَصْبَهَانَ ثُمَّ أَخَّرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن جعفرُ الْمَالَ وَاحْتَجَّ بِتَظْلُمِ أَهْلِ فَارِسَ مِنَ التَّكْمَلَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنْ أَدَائِهَا ، فَكَتَبَ عَلِيُّ بن عيسى إِلَى أَبِي الْمُنْذِرِ النَّعْمَانِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَهُوَ يَتَقَلَّدُ كُورَ الْأَهْوَازِ - بِالِاسْتِخْلَافِ عَلَى عَمَلِهِ ، وَالنَّفُوضِ إِلَى فَارِسَ ، وَمُطَالَبَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِمَا حَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِ التَّكْمَلَةِ الَّتِي وَقَعَتِ الظُّلَامَةُ مِنْهَا ، وَشَرَحَ أَمْرَهَا وَحَلَّ ضَمَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعَقَدَ الْبَلَدَ عَلَى أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ رُسْتَمَ ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ رُسْتَمَ بَأْنَ يَصِيرَ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى فَارِسَ ، لِيَعْقِدَ [لَهُ]^(٢) عَلَيْهِ .

فلما وصل النُّعْمَانُ إلى هُنَاكَ وَجَدَ قِطْعَةً مِنَ التَّكْمَلَةِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَقَدْ رَامَ أَنْ يَكْسِرَهَا ، فَعَسَفَهُ^(٣) وَبَاعَ شَيْئًا مِنْ أُمْلَاكِهِ حَتَّى اسْتَوْفَى مَا عَلَيْهِ ، وَاسْتَخْرَجَ قَالِ التَّكْمَلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بنِ عيسى بِأَنَّ الْعَمَالَ يَسْتَضْعِفُونَ قَوْمًا مِنْ أَرْبَابِ الْخِرَاجِ فَيَلْزِمُونَهُمْ مِنَ التَّكْمَلَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزِمُهُمْ وَيَرْهَبُونَ آخَرِينَ فَيَحْمِلُونَهُمْ أَقْلَ مِمَّا يَخْضَعُهُمْ . وَقَالَ هُوَ وَابْنُ رُسْتَمَ : وَإِنْ مِنْ طَرَائِفِ مَا يَجْرِي بِفَارِسَ - مُطَالَبَةُ النَّاسِ بِهَذِهِ التَّكْمَلَةِ وَهِيَ ظُلْمٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شَبَهَةَ ، وَمِمَّا سَنَهُ الْخَوَارِجُ جَوْرًا

(١) فِي الْأَصْلِ عِبْرَتَايَ . وَلَكِنَّ النِّسْبَةَ إِلَى عِبْرَتَا : عِبْرَتَاوِي أَوْ عِبْرَتِي ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ حَوَادِثُ ٢٩٧ الْفَرَايِ .

(٢) يُقَالُ عَقَدَ لَهُ الرِّئَاسَةَ فِي قَوْمِهِ : جَعَلَهَا لَهُ . وَعَقَدَ لَهُ عَلَى الْجَيْشِ رَأْسَهُ عَلَيْهِ .

(٣) عَسَفَهُ : ظَلَمَهُ .

ومجازفة^(١). وإن هناك مما قد أُغضِي عنه لأربابه ، والمطالبةُ به أوْلَى وأحقّ ، وهو خَرَجُ الشَّجَرِ ، لأنَّ فارسَ افْتَتَحَتْ عَنُوهُ ، وهى فى أيدي المزارعين على سبيل الإجارة ، ولا حُجَّةَ لهم فى دفعهم إلّا دعواهم أن المهدي أسقطه عنهم .

وعرف أهلُ بلادِ فارس ما يجرى من الخوضِ فى هذا الأمر ، فورد قومٌ من أَجْلَادِهِم إلى حضرةِ علىِّ بنِ عيسى ، ودخلوا عليه فى يومِ جلوسِهِ للمظالم وقالوا : نُمْنَعُ غَلَاتِنَا وَنُعْتَاقُ فى الكناديج^(٢) حتى تهلكَ وتصيرَ هكذا - وطرحوا من أكلهم حِنْطَةً محترقة - ونطالبُ بتكلمة ما أوجه الله علينا فتدعوننا الضرورة إلى بيعِ نفوسنا وشعورِ نساءنا وأدائها حتى تُطْلَقَ الغَلَّةُ وهى على هذه الصورة - ثم رموا من أكلهم تيناً يابساً وخوخاً مُقَدَّداً وَلَوْزاً وفُسْتَقاً وبنِداً وعُيْبَرَاءَ وَنَبَقاً وَعُتَاباً - وقالوا : وهذا كله بلا خراج لقوم آخرين ، والبلدُ فُتِحَ عَنُوهُ فإِذَا تساوينا فى العدل أو الجور .

فأنهى علىُّ بن عيسى ذلك إلى المقتدر بالله ، وجمع القضاةَ والفقهاءَ ومشايخَ الكُتَّابِ والعمالِ وَجِلَّةَ القَوَادِ فى دار الوزارة بالخرم - وقد جعلها ديواناً - وتناظرَ الفريقان من أربابِ الشجر - وقد ورد منهم قوم - وأرباب التكملة . فقال أربابُ الشجر : هذه أملاكٌ قد أنفقنا عليها أموالنا حتى نَبَتَتِ الغُروسُ فيها ، وحصل لنا بعضُ الاستغلال منها ، ومتى أُلْزِمَتِ الخراجَ بَطَلَتْ قيمتها ، وقد كان المهديُّ أزال المطالبةَ ورَسَمَ الخراجَ عنها . وقال المطالبون بالتكملة ما شكَّوْا به حالهم فيها ، واستمرَّارَ الظلم عليهم بها .

ورُجِعَ إلى الفقهاء فى ذلك فَأَفْتَوْا بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال

(١) يراد بالمجازفة : بدون قانون ولا تبصر ولا تقدير صحيح .

(٢) الكناديج : أوعية من الطين لحُزْنِ النِّلال = صوامع .

الكتاب : إن كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة رآها في الحال ثم زالت سقط الشرط ورجع الحكم إلى الأصل . وقال لهم علي بن عيسى : أليس احتجاجكم بأن المهدي إمام رأي رأيًا فيه صلاح ففعله ؟ قالوا : بلى . قال : فإن أمير المؤمنين الإمام قد رأى أن من الأحوط للمسلمين إلزام الشجر الخراج وإزالة التكلفة . فقام الزنجاج ووكيع القاضي فدعوا له وأثنيّا عليه . وقال وكيع : لقد فعل الوزير في هذه القصة كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مطالبة أهل الردّة بالزكاة .

وأنهى علي بن عيسى والقضاة ما جرى للمقتدر بالله في يوم الموكب ، واستأذنه في كتب الكتاب بإسقاط التكلفة عاجلاً إلى أن يتقرر أمر الشجر . فأمره بكتب ذلك في الحال بحضرته ، وأحضرت له دواة - وكان رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة أن تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ، ويكتب بيده اليمنى - وبدأ علي بن عيسى يكتب بغير نسخة ، فلما رآه المقتدر بالله وقد شق ذلك عليه أمر بإحضار دواته وأن يقف بعض الخدم معه فيمسكها إلى أن يفرغ من كتابته . وكان أول وزير أكرم بهذا ، ثم صار رسماً للوزراء بعده فكانت نسخة ما كتبه على بن عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن أفضل الأعمال قدراً ، وأجملها ذكراً ، وأكملها أجراً ، وأدخرها ذخراً ، ما كان للثقي جامعاً ، وللهدي تابعاً ، وللورى نافعاً ، وللبلوى دافعاً ، وقد جعل

اللهُ أمير المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مؤثراً ما يرضيه ، مثابراً على ما يزيّف ^(١) عنده ويخطيه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وبه يستعين . وقد عُرِفَتْ حالُ السَّجْزِيَّةِ والخُرَمِيَّةِ الذين تغلبوا على كُورِ فارس وكرمان ، واستعملوا الجور والمُدوان ، وأظهروا العتوَّ والطُّغيان ، واتهكوا المحارم ، وارتكبوا العظائم ، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم ، وتورد بها عليهم ، فازالهم وأبادهم ، وشذَّتهم وأبارهم ^(٢) بعد حروبٍ تواصلت ، ووقائعٍ تتابعت ، أحلَّ اللهُ بهم فيها سَطَوَتَهُ ، وعجلَ لهم نِقْمَتَهُ ، وجعلهم عِبرةً للمعتبرين ، وعِظَةً للمستمعين . « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ^(٣) ولما محقَّ اللهُ أمرَه هؤلاء الكفار ، وفرَّقَ عَدَدَ أُوْبَاشِهِم الفجَّار ، وجدَّ أمير المؤمنين أفضَعَ ما اخترعوه ، وأشنع ما ابتدعوه ، في مدَّتِهِم التي طال أمْدُها ، وعظم ضررُها ، تَكَلَّمَ اجْتَبَوْهَا بِسُكُورِ فارسَ في سِنِي غَوَايَتِهِمْ لَمَّا طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عِبرَتِهِمْ ^(٤) من غير اقتصار فيه على الموجودين ، حتى فَضُّوا ^(٥) عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين ، فأنكر أمير المؤمنين ما استقرَّ من هذا الرسم الذمِّم ، وأكَبَّرَ ما استترَّ به الظلمُ العظيم ، ورأى صِيَانَةَ دولته عن قبيح مَعَرَّتِهِ ، وحراسة رعيته من عظيم مَضَرَّتِهِ ، مع كثرتِه ووفور جملته . فارْفَعَ عن الرعية هذه التَّكَلَّمَ رفْعاً مشهوراً ، فقد جعل اللهُ من سنَّها مدحوراً . ونَادَى في المساجد الجامعة بإزالتها وإبطالِ حبايتها . لِيَذْبَعَ ذلك في الجمهور ، ويتمكَّن السكونُ إليه في الصدور ، ويحمد اللهُ السكَّافَةَ على ما أتاحه اللهُ لها من تَعَطُّفِ أمير المؤمنين ورعايته ، وجميل حياطته

(٢) أبارهم : أهلهم .

(١) أزلته : قربه .

(٣) الآية ١٠٢ من سورة هود .

(٤) العبرة من معانيها : الأصل الذي ترد إليه النظائر .

(٥) فضوا : قسموا وفرقوا .

وَعَيْنَاتِهِ ، وَأَجِبْ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَكَّفُ^(١) وَيُرَاعِيهِ وَيَتَشَوَّفُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَوْمَ الْخَمِيسِ النَّصْفَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَقَدْ كَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى نَظَرَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ الْخَرَاجِيَّةَ لِأَهْلِ هَذِهِ التَّكْلَةِ بِأَلْفِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ عَلَى أَرْبَابِ الشَّجَرِ الْخَرَاجُ . ثُمَّ تَقَرَّرَ عَلَى أَنْ يُقَارَبَ أَهْلُهُ فِيهِ وَيُلْزَمُوا طُسُوقًا مَخْفَفَةً عَنْهُ ، وَفَعَلَ النِّعْمَانُ فِي ذَلِكَ فِعْلاً وَوَفَّقَ بِهِ ، وَكَانَ مَا ارْتَفَعَ مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ مَالِ التَّكْلَةِ . وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى فِي أَمْرِ الشَّجَرِ بِمَا نُسَخَتْهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ الْإِمَامِ الْمُتَّقِدْرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ رُسْتَمٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَى عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعْظِيمُ آلَاتِهِ ، وَقَدِيمُ نِعْمَاتِهِ ، وَجَمِيلُ بَلَائِهِ ، وَجَزِيلُ عَطَائِهِ ، جَعَلَ أَمْوَالَ النَّبِيِّ لِلدِّينِ قَوَامًا ، وَلِلْحَقِّ نِظَامًا ، وَلِلْعِزِّ تَمَامًا ، فَأَوْجِبَ لِلْأُمَّةِ جَبَابِيَتَهَا وَحَرَمَ عَلَيْهِمْ إِضَاعَتَهَا ، إِذْ كَانَ مَا يُجْتَنَبُ مِنْهَا عَائِدًا بِصَلَاحِ الْعِبَادِ ، وَحِرَاسَةِ الْبِلَادِ ، وَحِمَايَةِ الْبَرِيَّةِ ، وَحِيَاطَةِ الْخَوْزَةِ وَالرَّعِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ يُعْمَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِكْرُهُ وَرُؤْيَاؤُهُ ، وَيَسْتَفْرِغُ وَسْعَهُ وَطَاقَتَهُ فِي حِرَاسَتِهَا وَحِيَاطَتِهَا ، وَقَبْضِ كُلِّ يَدٍ عَنْ تَحْيِفِهَا وَتَنْقِصِهَا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ مَعُونَتِهِ بِمَنْنِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ كُورَ فَارَسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَزَالَ عَنْهَا أَيْدِيَ الْمُتَغَلِّبِينَ ، وَجَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَهَا قَدْ احْتَالُوا فِي إِسْقَاطِ خَرَاجِ

(١) يَتَوَكَّفُ الْخَبَرُ : يَنْتَظِرُ ظُهُورَهُ . وَيَتَوَكَّفُ الْأَمْرُ : يَتَّبِعُهُ .

(٢) فِي نِشْوَارِ الْمَخَاضَةِ ٧٤/٨ بِمِثْرَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

الشجر بأشهره ، مع كثرته وجلالة قدره ، فأمر بإشخاص وجوههم^(١) إلى حضرته ، واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته ، إلى أن اعترفوا به مدعين ، والترمزه طائعين ، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فيه من حقوقه على ما تقرر من وصاياه^(٢) وطسوقه فطالب بخراج الشجر ، في سائر الكور ، على استقبال سنة ثلاث وثلاثمائة . فاستخرج منه واشتوف جميعه واستنظفه^(٣) واكتب بما يرتفع^(٤) من مساحته ويتحصل من مبلغ جبايته ، متحرراً للحق ، متوخياً للرفق إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليالٍ خلوف من شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة .

وحدث أبو الحسن أحمد بن محمد بن سمعون الجرجاني قال : كنت أخلف أبا ياسر الجرجاني على النهر وانات ، فمسحنا على^(٥) الناس ما يجري على الطسق من غلاتهم فإذا أحد التناء^(٦) . قد أصدد إلى دار الوزير أبي الحسن علي بن عيسى - ونحن لانعلم - فتظلم من أننا زدنا عليه في مساحة قراح^(٧) له . فلم نشعر إلا وقد جاءنا ابن البذل العامل ، وهو من وجوه العمال ، ومعه فوج من مساح بادوريا ، فرسان ورجالة ، فلم نشك أنه صارف لنا . فقال لي صاحبي : أحب أن تتلقاه وتعرف الخبر . فتلقيته فوجدته منفذاً لاعتبار مساحة القراح الذي للرجل ، وعدت إلى صاحبي

(١) وجوه القوم : سادتهم .

(٢) الرضائع : جمع وضعية ومن معانيها : ما يأخذه السلطان من الخراج والشور .

(٣) استنظف الخراج : استوفاه وأخذه كله .

(٤) يرتفع مطاوع رفع التي هي من قولهم رفع القوم الزرع : حملوه بعد الحصاد إلى البيدر فارفع هو أي حل بند حصاده .

(٥) مسح الأرض : قاسها وقسمها .

(٦) التناء : جمع تائي وهو المقيم بالمسكان .

(٧) القراح : الأرض لاء فيها ولا شجر .

بذلك ، فقال لى : ماتدري كيف جرى أمر مساحته ؟ قلت : لا . قال : فاخرج حتى تواقف وتجتهد . قال : فخرجت ومعى مُسَاحُ البلد الذين مَسَحْنَا بِهِمْ ، وواقفنا واستقصينا ، ومازلتُ أَلُطِفُ حتى استقرت مساحَةُ الْقَرَّاحِ على أَحَدٍ وعشرين جريباً وقفيزاً^(١) وكُنَّا مَسَحْنَاهُ اثْنَيْنِ وعشرين جريباً . واحتججتُ بأن المساحة وقعتُ أَوَّلًا وَالْعَلَّةُ قَائِمَةٌ فِيهِ ، وَمُسَحَّ الْآنَ بعد حصاها ، وليس بْمُنْكَرٍ أن يكون بين المساحة على الحالتين هذا القدرُ . وانصرف القومُ وطالعوا على بن عيسى بالصورة ، فوردت علينا كُتُبُهُ بِالصَّوَائِقِ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّوَعُّدِ وقال : والله لئن عادتُ ظُلَامَةٌ أَوْ تُخَيِّفَ أَحَدٌ مِنَ الرِّعِيَةِ فِي مَعَامِلَةٍ أَوْ مَسَاحَةٍ لِأَقَابِلِنَّ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ مِقَابِلَةٍ . فتحَرَّرْنَا وَتَحَفَّظْنَا وَحَرَسْنَا النَّاسَ وَنَفُوسَنَا ، وَزَادَ الارتفاعُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ثَلَاثَةً فِي كُلِّ عَشْرَةٍ لِأَنَّ الْعَدْلَ شَاعَ ، وَالْحَيَفَ زَالَ ، فَتَوَفَّرَتِ الْعِمَارَةُ .

وحدث أبو محمد ثابتُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمَشْرِفِ كَاتِبُ بَادُورِيَا قَالَ : كَانَ أَهْلُ بَادُورِيَا مَعْرُوفِينَ بِالْجَلْدِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَظَالِمٌ وَتُوقُوفٌ . وَمَظَالِمُ رُسُومٍ ، وَمَظَالِمُ تُدْعَى مَظَالِمَ الْقِرْطَاسِ . فَتَقَلَّدَ عَلَيْهِمُ ابْنُ أَبِي السَّلَاسِلِ^(٢) الْعَامِلُ فِي قَلْبِهِ أَحْقَادٌ ، فَأَرَادَ الْإِسْتِقْصَاءَ عَلَيْهِمُ وَالتَّشَقُّقَ مِنْهُمْ . وَأَخْرَجَ مَا عَلَيْهِمُ مِنَ الْبَقَايَا ، وَأَضَافَ إِلَيْهَا مَارَدَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَظَالِمِ ، وَجَبَسَهُمْ وَطَالَبَهُمْ فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، وَصَبَرُوا عَلَى الْحَبْسِ ، فَقَيَّدَهُمْ وَاحْتَمَلُوا الْقَيْدَ ، وَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى أَنْ يُوقِعَ بِهِمْ مَكْرُوهًا خَوْفًا مِنْ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى . فَأَمَلَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى كَاتِبِهِ بِحَضْرَتِهِمْ رَقْعَةً إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى يُغْرِيهِ فِيهَا بِهِمْ كُلَّ إِغْرَاءٍ وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَدُلُّونَ بِالْجَلْدِ ، وَعَلَيْهِمْ أَمْوَالٌ قَدْ أَلْطَوْا^(٣) بِهَا وَصَبَرُوا

(١) القفيز : ١٤٤ ذراعاً وهو ربع جريب .

(٢) في تجارب الأمم ١٥٧/٥ ابن السلاسل وبهامشه نقلا عن تاريخ ميفارقين ، إن والى ميفارقين من قبل المتقدر هو ابن أبي السلاسل .

(٣) أَلْطَوْا بِهَا : مَنَعُوا بِهَا .

على الحبس والقيد ، ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه ،
وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع ، والوزير - أيده الله - أعلى عيناً فيما يراه
من الإذن في معاملتهم بما يضطرهم إلى الخروج من الحق . قال : فجزع القوم وخافوا
أن يعود الجواب بإطلاق يده فيهم فيبلغ منهم مبلغاً يهلكون به ، وهشوا
بالانقياد له إلى ما يريد . ثم صبروا ، فورد الجواب على ظهر الرقعة بخط على
ابن عيسى : الخراج - عافاك الله - دين لا يجب فيه غير المألزمة فلا تتعد ذلك
إلى غيره .

ففرج الله عنهم ، وأمضيت رؤسومهم ، ولم يؤدوا إلا البقايا الصحيحة ، وزاد ارتفاع
بادوريا في السنة الثانية اثنين في كل عشرة .

وحدث أبو محمد^(١) عبد الله بن أحمد بن داسة قال : حدثني أبو سهل بن زياد
القطان قال : كان أبو الحسن علي بن عيسى يدخل إلى حجرة زوجته والدته أبي القاسم
ابنه في كل أسبوع . فلما نشأ أبو القاسم وترجل جاء إلى حجرة أمه في يوم نوبتها من
أبيه فأقفلها عليها ، وأخذ المفتاح وانصرف ، ووافى علي بن عيسى على رسته ، فلما رأى
الباب مقفلاً سأل عن ذلك فقيل : فعله أبو القاسم ابنك . فاستحيا وعرف غرضه ،
فلم يدخل من بعد إلى أمه إلا لعيادة أو حال ظاهرة .

وحدث أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى قال : حدثني أبي قال : لما حبسني
المقتدر بالله كنت مكروماً في محبسي ، فدخلت إلى القهر مائة بعد ثمانية عشر شهراً
من القبض على وقالت : يريد الخليفة أن يحييتك فتأهب لذلك . فما مضت ساعة حتى
دخل إلى مؤنس القسوري وابن الحواري وقال لي : أراد أمير المؤمنين أن يحييتك

(١) ذكر ميخائيل عواد أنها وردت في نشوار المحاضرة ٥٢/٢ .

فاستحيا منك . قال : ففمت وقبّلت الأرض ودعوتُ له ثم قالوا : ويقول لك لولا علمنا بزهدك في الوزارة لما عدّنا بها عنك ، ولكننا نشاورك فيمن نُقلّده ، اذكرُ هنا النّاظرَ في الأمور ، فقلت : الوزارة محتاجة إلى رجل كاتبٍ مُمشٍ للأُمور عارفٍ بسياسة الجند ، وقد قلّ الناسُ الذين هذه حالهم ، وما أعرف من أذكره اقتضاباً من غير رويّةٍ ، ولكن أنظرُوني حتى أراجع فكري وأقول ما عندي . فقالوا : قلْ على كلّ حال . فقلت لهما : بالحضرة رجُلان وعلى البعد رجُلان . فأما الحاضران فأبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد أخو أبي صخرة وأبو عبد الله حمد بن محمد القنّائي . وأما الغائبان وهما أوفق وأصلح فأبو عليّ الحسين بن أحمد المعروف بأبي زُنُبور وأبو بكر محمد بن عليّ المادرائيّان ، فإنهما قد دبرا أُمور بني حُلُولون في المال والزّجال ، ولهما في الكتابة قَدَمٌ ، وبالتدبير دُرْبَةٌ ، فاستدعوا أحدهما . قالوا : هما بمصر ، والمسافة بعيدة ، ونريد ما هو أقرب . فقلت : إمّا أبو عيسى أو حمد ، قالوا : فما تقول في حامد بن العباس . قلت : هو عامل يصلح لإمارة وحفظ ارتفاع ، وما الوزارة من عمله ولا سياسة الملوك والرجال وتدبيرُ الأُمور مما يعرفه . قالوا له : خاعلم أن أمير المؤمنين قد قلّده وخلع عليه ، ونظر مُد ثلاثة أيام . قلت : فما معنى المشاورة بعد الإمضاء ؟ فقالوا : لأنه قد تلوّح لنا عَجْزُ حامد وكِدنا نفتضح به ، ولم يُؤثّر الخليفة صرّفه في إثر تَقْلِيدِهِ فيقبّح ذلك في السياسة ، ونريد أن نشدّه بمن يقوم بهذا الأمر ويسدّده ليبقى عليه اسمُ الوزارة ، وقد رأى أن يندُبك لذلك فتكون كاتبه وخليفته ظاهراً وأنت الوزير باطناً والتدبير إليك ، والمعاملة بين أمير المؤمنين وبينك . قال : فاسترحتُ إلى الإجابة لتطاول حبسى وخرجت ونظرتُ وكان ما كان .

وحدث أبو عليّ التنوخي قال : حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق

قال : حدثني أبو يعقوب أخى قال : حدثني أبو بكر بن مقاتل ونحن بمصر قال :
 ابتعت من السلطان قديماً ، وأنا تاجرٌ ، غلّة على إكرامٍ وبقي على من ثمنها
 عشرون ألف دينار ، وأحضرنى أبو الحسن على بن عيسى وطالبني بذلك ، فلم يكن
 لى وجهه ، وعدلت إلى جده وترك الاعتراف به . وقال لى اعمل حساباً بأصل
 ما ابتعته وما أدّيته ليبين الباقى بعده . ودافعت فاعتقانى فى الديوان ، وأمرنى بعمل
 الحساب فيه . فأخذت أعلل وأطاول إشفاقاً من أن تتحقق البقية فأحصلت تحت
 المطالبة بغير عذر ولا حجة ، ثم أرهقنى ودعانى إلى حضرته ، فدخلت ومعى كيس
 حسابى لأرى ما ارتفع منه ، وأسأله إنظارى بإتمامه واستكمالهِ . وفتحت الكيس
 بين يديه ، وكنت أستطيب خبز البيت ولا آكل غيره ، ويحمل إلى من منزلى فى
 كل يومين أو ثلاثة ما أريد منه ، وبحسن الاتفاق تركت فى الكيس منه رغيفين
 استظهاراً لئلا يتأخّر عني ما يحمل إلى ، وبينما أقلب الحساب وقعت عين الوزير
 أبى الحسن على الرغيفين ، فلما رآهما قال لى : اضمم إليك حسابك ، مراراً . فضممتهُ
 وشدّدته وقال لى : قم إلى بيتك . فانصرفت ولم يطالبني بعد ذلك بشيء ، ولا تنبه
 من نظر بعد على أمرى ، فانكسر المال والله ، وكان سببه الرغيفين لأن على بن
 عيسى لما رآهما وقد كنت أشكو الخسارة والفقر حمّلتنى على أن حمّل للرغيفين مع
 الحساب لضغف حالٍ وشدة فاقة .

وحدث أبو القاسم عيسى بن على قال : حدثني أبى قال : لما استهلّ ذو الحجة
 من سنة أربع وثلاثمائة ، وقد قاربت استيفاء السنة الرابعة من وزارقى الأولى
 للمقتدر بالله ، بلغنى ما قد عمل عليه من صرفى ، فدخلت إليه وخلوت به وقلت :
 يا أمير المؤمنين قد أطلّ العيد - عرفك الله بركته - ووجب أن ننظر فى أمر خواصك
 وجندك ، فمن كان له رزق متأخّر ، واستحقاق حاضر ، أطلقناه له ليصرفه

في نفقة عيده . فقال : نعم . قلت : نرسل السادة - وأشرتُ إلى السيدة والخالة والأمراء والحرم - ونستعلم منهم الصورة فيما يتعاق بهم . ففعل وقالوا : قد راجت أموالنا وما بقيَ لنا ما نطالب به أو نقتضيه . قال : فقلت : إن خدَم الدار وحواشيها وأصحاب الجرايات والمرزقة والعلمان الحَجَرِيَّةَ والرجالة المصافيَّةَ ، وأصحاب مؤنس وأصحاب الحُجَّاب وأصحاب الشرطة جارون هذا الجرى في الاستيفاء ، وقد أزعجت عليهم فيما استحقَّوه منذ نظرتُ ومُكَّرَّر إلى هذه الغاية ، ولم يبق علينا شيء لأحد إلا ما كان لبعض رجال القواد التفاريق ، وقد تقدمت بإخراج الحال فيه فكان مائةً وثلاثين ألف دينار ، وحملت إلى مجلس العطاء اليومَ منه مائة ألف دينار وقدَّرت أن الثلاثين ألفاً ستوفر من جارى من مات أو غاب أو أُسقط ، وفُضُول الأوزان والرُّسوم التي كان يُرتفق بها قبل هذا الوقت . وإنما أردت في إعلام أمير المؤمنين من ذلك ما أعلمته ليتحقق استقامة أمره وأمر أهل دولته . قال : فأظهر السرور بما أخبرته به وشكرني على ما فعلته فيه وقلت : يا أمير المؤمنين إن ابن الفرات نظر لك قبلي أربع سنين فأنفق ارتفاع الدنيا ومال المصادرات ، وكذا وكذا ألف دينار من بيت مال الخاصة - لم يُسمَّ أبو القاسم عيسى [بن] على ما ذكر مبلَّغه^(١) - ثم نظر لك بعده محمد بن عبيد الله الخاقاني ، فأخرج من بيت مال الخاصة ألف ألف دينار زائدة على ما أخرجه ابن الفرات بعد الذي أنفقه من الارتفاع والمصادرة ، وقد وفَّيتُ الناس أموالهم كما رأيتَ وما مسَّستُ من بيت مال الخاصة درهما واحداً ، وإن تركنتي حتى أدبر أمورك في هذه السنة المقبلة ولم تُغيِّر لي أمراً فتُجميع الخرج ، وحملت إلى بيت مال الخاصة ألف ألف دينار أوفرها . فقال : معاذ الله أن أعتد لك صرِّفاً أو اعتاض عنك أحداً ، وأنت . . وأنت . . وجعل يُقرِّظني ويصفني ويمدُّني ويشكرني . فانصرفت من بين يديه وعندي أني

(١) في الأصل : لم يقدِّم أبو القاسم عيسى على ما ذكر مبلَّغه .

قد كُفِّيتُ الصَّرْفَ فَمَا مَضَى عَلَى هَذَا الْمَجْلِسِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ عَلَى فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَكَانَ يَوْمَ التَّزْوِيَةِ ، وَنَكَبَتِي .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : سمعت الوزير أبا الحسن أخى يقول :
قُلَّ مَا ظَفَرَ أَحَدٌ بِنَعْيٍ [فَلَمْ يَبْطُرْ] ^(١) ، وَقُلَّ مِنْ حَرَصٍ عَلَى النِّسَاءِ فَلَمْ يَفْتَضَحْ ،
وَقُلَّ مِنْ أَكْثَرِ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَتَخَمْ ؛ وَقُلَّ مِنْ ابْتُلِيَ بِوزراءِ السَّوِّ فَلَمْ يَقَعْ فِي الْمَهَالِكِ .
وهذه الكلمة عمدة القول ^(٢) :

وحدث عبد الرحمن قال : كان أبو بكر بن مقاتل يتولَّى كَيْلَ مَا يَرِدُ مِنَ الشَّعِيرِ
لِلْقَصِيمِ وَاسْتِيفَاءِهِ ، فَيَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ أَسَافِلِ الزَّوَارِقِ مِنَ الرَّطْبِ وَالْعَفْنِ مَا يُبَاعُ
بِشَمَنِ بَحْسٍ ، وَيُورَدُ الْحُسْبَانَاتِ عَلَى الْأَوْقَاتِ . فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ النَّاظِرُ فِي أُمُورِ
الْجَوَارِحِ وَالطُّيُورِ يَلْتَمِسُ إِطْلَاقَ عُلُوفَةِ الْبَطِّ فِي الْبَرِّ وَالزُّبَيْدَةِ - وَقَدَّرُ ذَلِكَ
ثَلَاثُونَ قَفِيرًا شَعِيرًا فِي كُلِّ شَهْرٍ - فَأَحْضَرَ أَخِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى ابْنَ مُقَاتِلٍ
وَنَاطَرَهُ عَلَى أَمْرِ الشَّعِيرِ الرَّطْبِ وَالْمَبْلُولِ وَمَا يَحْصُلُ مِنْ ثَمَنِهِ ، وَمَوْقَعِهِ مِنْ ثَمَنِ الشَّيْلِمْ ،
وَالْفَاوَاتِ بَيْنَهُمَا ، إِلَى أَنْ عَرَفَ التَّوْفِيرَ بَيْنَ إِطْلَاقِ الشَّعِيرِ الْجَيِّدِ وَالشَّعِيرِ الرَّطْبِ ،
ثُمَّ تَقَدَّمَ بِإِقَامَةِ الْعُلُوفَةِ مِنَ الرَّطْبِ . فَخَرَجَ ابْنُ مُقَاتِلٍ مُتَعَجِّبًا مِنْ دِقَّةِ نَظَرِ أَبِي الْحَسَنِ
فِيمَا نَظَرَفِيهِ حَتَّى وَفَّرَ مَا وَفَّرَهُ مِنْهُ بَعْدَ طَوْلِ الْحَاوِرَةِ وَذَهَابِ شَطْرِ مِنَ الزَّمَانِ فِي الْمَنَاطِرَةِ ،
وَعَرَّجَ ابْنُ مُقَاتِلٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَافِي كَاتِبِ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ خَاصَّةً
فَقَالَ لَهُ : كَمْ يَرْتَفِقُ الْوَزِيرُ فِي الشَّهْرِ ؟ قَالَ : سَبْعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ . فَقَالَ : قِسْطُ
الْيَوْمِ فِيهَا مَائَتَانِ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا ، وَقِسْطُ السَّاعَةِ نَحْوُ عَشْرِينَ دِينَارًا ، وَقَدْ نَظَرَ
الْوَزِيرُ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَاعَةٍ تَوْفِيرًا لَا يَبْلُغُ مَا اسْتَحَقَّهُ مِنَ الرِّزْقِ . وَأَخْرَجَ الْقَوْلَ

(١) زيادة من كلية ودمنة ص ٤٢ ، ٨٠ طبعة ١٩٠٥ .

(٢) في هامش لإحدى النسخ : هذه بعينها في كتاب كلية ودمنة على النسخ وصورة اللفظ .

تَخْرُجُ التَّنَادُرُ ، وَسمِعَ صَاحِبُ الْخَبَرِ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ ، وَدَعَاهُ مِنْ وَقْتِهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : أَعِدْ قَوْلَكَ فِي مَعْنَى الرِّزْقِ . فَاضْطَرَبَ وَتَحَيَّرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَعِدْ وَيْلٌ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّمَا كَانَ قَوْلِي عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ مِنْ نَظَرِ الْوَزِيرِ الدَّقِيقِ فِي الْأَمْرِ الْقَلِيلِ : فَقَالَ : لَا تَتَعَجَّبْ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ حَظًّا مِنَ النَّظَرِ وَالتَّفَقُّدِ ، وَلَوْ لَمْ تَتَفَقَّدِ الصَّغِيرَ لَأَضَعْنَا الْكَبِيرَ ، وَهَذِهِ أَمَانَةٌ لَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا فِي قَلِيلِ الْأُمُورِ وَكَثِيرِهَا . وَكَمَا أَنَا نَظَرْنَا فِي هَذَا الدَّقِيقِ سَاعَةً فَكَذَلِكَ نَنْظُرُ فِي الْجَائِلِ سَاعَةً نَظَرًا يُوْدِي إِلَى اسْتِخْلَاصِ الْبَائِدِ الْعَظِيمِ ، وَتَحْصِيلِ الْمَالِ الْجَسِيمِ وَإِعَادَةِ الشَّاذِّ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَنَأْتِي مِنَ التَّوْفِيرِ بِمَا يُضَعَّفُ عَلَى أَرْزَاقِنَا لِلْسِّنِينَ الْكَثِيرَةِ . وَإِذَا عِلْمُ مَعَامِلُونَا أَنَّنَا نَرَاعِي أُمُورَهُمْ هَذِهِ الْمُرَاعَاةَ لَزِمُوا الْأَمَانَةَ وَخَافُوا الْخِيَانَةَ . اخْرُجْ وَدَعِ الْفُضُولَ . فَخَرَجَ وَعِمَامَتُهُ فِي يَدِهِ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَحَدُ الْخُدَمِ الْخَاصَّةِ قَالَ : حَضَرَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى دَارَ السُّلْطَانِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ ، وَلَيْسَ بِيَوْمٍ مُوَكَّبٍ ، وَعَرَفَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ خَبْرَهُ ، فَجَلَسَ لَهُ فِي بَعْضِ الصُّحُونِ عَلَى كُرْسِيِّ وَرَأْسُهُ مَكْشُوفٌ . فَنَاطَبَهُ فِي مَعْنَى مَا حَضَرَ لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبَرُّزْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ ، وَتَجَلَسْ فِي هَذَا الصُّحْنِ الْوَاسِعِ ، وَرَأْسُكَ بِغَيْرِ غِطَاءٍ ، وَالنَّاسُ فِي مِثْلِهَا يَجْلِسُونَ فِي الْمَوَاضِعِ الْكَثِينَةِ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ مِنَ الدُّنَا مَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَأَحْسِبْ تَسْرِفَ فِي أَخْذِ الْأَشْرَبَةِ الْحَارَّةِ ، وَالْأَطْعَمَةِ الْكَثِيرَةِ الْمِسْكِ . فَقَالَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ : لَا وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ وَلَا آكُلُ طَعَامًا فِيهِ مِسْكٌ وَلَا يُطْرَحُ لِي فِي شَيْءٍ إِلَّا يَسِيرُ يَكُونُ فِي الْخَشْكَنَانِجِ ، وَرَبَّمَا أَكَلْتُ فِي الْأَيَّامِ وَاحِدَةً مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : فَإِنِّي أَطْلُقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي جَهْلَةٍ نَفَقَاتِ الْمَطْبَخِ لِمَنْ الْمِسْكُ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ . وَانْقَضَى كَلَامُهُمَا ، وَنَهَضَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَخَرَجَ الْوَزِيرُ . فَلَمَّا صَارَ فِي الصُّحْنِ وَقَفَ

المقتدر بالله وأمر برده ، فعاد وقال له : أظنك تنصرف الساعة وتفتتح نظرك بإحضار المتولى لأمر المطبخ وتواقفه على ما جرى بيننا في معنى المسك وتسقطه . قال : كذلك هو يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : أحب أن لا تفعل ذلك ، ففعل هذه الدنانير تنصرف في أقوات ونفقات قوم ، ولا أريد قطعها عنهم . قال : السمع والطاعة .

وحدث عبد الرحمن قال : كان أحمد بن محمد بن المعلى الكاتب يتولى للوزير أبي الحسن علي بن عيسى زمام النفقات ، فقال له في بعض الأيام : يا أبا الحسن قد نقص الليل ثلاث ساعات هي رُبْعُهُ فَأَنْقُصِ الْفَرَّاشِينَ مِنَ الزَّيْتِ وَالشَّعْرِ رُبْعَ الْإِقَامَةِ . فقال له : هذا - أعز الله الوزير - استقصاء ماعرفوه ، واستيفاء ماعهدوه . فقال : أليس إذا احتاجوا إلى زيادة طلبوها وزيدوا ؟ قال : بلى . قال : وكذلك إذا وقع نقصان فليؤفروه .

وحدث عبد الرحمن قال تأخر الوزير أبو الحسن في دار السلطان تأخراً طال - وقد كان الخبر ورد بتورّد المغربي^(١) مصر ، وبلغه الجيزة ، وهي في جانبها الغربي ، وأخذ الفئوم والإسكندرية ، ووقع الانزعاج من ذلك وضاعت به الصدور وأعمل الفكر والنظر في تدبيره - ثم وافى وقد تجاوزت صلاة الظهر في يوم صائف . فقلنا له : ما سبب هذا التأخر ؟ فقد اعتورتنا الظنون فيه . فقال : نعم ، كنا والله في أمجوبة لم يُسمع بمثلا . قلنا : ماهي ؟ قال : كنت مع مؤنس ومانس وغريب الخلال ونصر الحاجب وشفيع وغيرهم من الخاصة ، نتجاري ماورد من أمر مصر ، ونجمل الرأي فيما يدبر به مع ما يعبر من رأي الخليفة في السفر ، إذ خرجت أم موسى

(١) يقصد به داعية الفاطميين .

القهر مائة فجلست على مِسْوَرة^(١)، واستدعت من خادِمِها مِندِيلَ حوائِجها، فابتدأت تَعْرِضُ رقعة لبعض الحشم في زيادة دينار في نَزْلِهِ^(٢)، ولبعض الخدم في زيادة يسيرة في رزقه، وأنا والجماعة نَتَمِيزُ غِيظًا من قُطْعِهَا إيانا عن مثل هذا الأمر العظيم الحديث بمثل هذه الصغائر المُضِرَّةِ بالمال. ثم رَمَيْتُ بالرقعة، وعطفت على القوم ومُشاوَرَتِهِمْ، فقالت: هكَذَا يُفَعَّلُ بِحَوَائِجِ السَّادَةِ؟ فقلت: يا هذه، نحن في حِرَاسَةِ الأرواح وحِفْظِ أَصُولِ الْمُلْكِ، وقد شَغَلْتِنَا عنه بما لا فائدة فيه. فقالت: وما هذا الشغل كُلُّهُ؟ قلت: مصر قد أَشْرَفَتْ على الذهاب والخروج عن يد السلطان وغلب المَغْرِبِيُّ مِنْهَا على مواضع الارتفاع، وإن تَمَّ - ونعوذ بالله من ذاك - ما نَخَافُ فقد مضى المَغْرِبُ كُلُّهُ، ثم لا قَرَارَ على السِّبَاطِ بعده. فقالت: بَطَرُ أُمِّ مِصْرَ، ومتى كانت في يد السلطان حتى يَغْتَمَّ عليها إذا أُخِذَتْ؟ فورَدَ عَلَيَّ من قولها ما أدهشني. فقلنا له: فما كان الجوابُ عن هذا الجمل؟ قال: قلت لها: بمثل هذا أدبر أمرُ الدنيا. ونَهَضْتُ مُغْضَبًا، وتفرَّقَ القومُ، وقد شاهدوا وسمعوا عَجَبًا.

وحدث عبدُ الرحمن قال: حدثني محمدُ بن يحيى الصولى الشَّطرنجى قال: لما مضت مدَّةٌ من وزارة الوزير أبي الحسن على بن عيسى وانتقلَ الحَواشَى وخَدَمُ الدار عما أَلْفَوْهُ مع أبي الحسن بن الفرات وأبى على الخاقانى من بَسْطِهِمْ وُبلُوغِ أغراضهم وزِيادَتِهِمْ في أنزالهم وأرزاقهم إلى ما رأوه في أيام أبي الحسن من الضبط وتجعُّدِ الكَفِّ [و] اليد، ووضع الأمور مواضعها وحفظ الأموال عما يتخَرَّعُهَا^(٣) ويتَحَيَّفُهَا^(٤)، ثقل على الجماعة أَمْرُهُ وَاتَّفَقَ أَنْ دَخَلَ في بعض الأيام إلى دار السلطان فَحَذَفَ في بعض الممرَّاتِ بَرُقْمَةً وَقَعَتْ في صدرِهِ، ولم يدر مَنْ رَمَاهُ بِهَا،

(١) المسورة: متكأ من جلد.

(٢) النزل من معانيه العطاء.

(٣) يتخَرَّعُهَا: يهلكها.

(٤) يتَحَيَّفُهَا: ينتقصها ويأخذ من جوانبها.

فأخذها ، ودخل إلى القنطرة بالله ، وخرج فجلس في دار الوزارة وقرأها ، فإذا فيها

أبيات قد هُجِيَ فيها واستُبعدَ موته ومُدَّتْه ، ، فقآبها وكتب على ظهرها :

لى مُدَّة لا يَدُّ أبلغها معلومة فإذا انقضت مُتْ

لو ساورني^(١) الأسد ضاريةً لَغَلَبَتْهَا مالم يَحْيِ الوقتُ

ثم قال لبعض خدمه : ارم بهذه الرقعة في البحر الذي رُمينا بها فيه ، ففعل .

وحدث أبو الحسن علي بن يحيى بن سليمان البصري الكاتب قال : كان

أبو الحسن علي بن عيسى أيام تديره الأمور في وزارة حامد بن العباس قد عمل

عملاً بالفضل في ضياع أبي الحسين بن أبي البغل ، وسلمه إلى حامد لينظره عليه

بما شاء من الأمر ، فنظره حامد واعتقله ووكل به ، وعرفت أم موسى القهرمانه

خبره ، فطالعت القنطرة بالله ، وخرج أمره بالإفراج عنه . فلما علم علي بن عيسى

بما جرى كتب إلى ابن أبي البغل رُقعةً يذكُر فيها اغتنامه لما لحقه ، وسروره بما

ظهور من حُسن رأى السلطان فيه ، فأجابه في تَضَاعُيفِها :

الصَّغُورُ^(٢) يَصْفِرُ آثَرًا مِنْ أَجَلِهِ حُبْسُ الْهَزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرْتَمُ

لو كنت أجهل ما علمت لسررتني جهلى كما قد ساءنى ما أعلم

لم أستفد أدبى لدولة ظالمى لَكِنَّهُ يَحْنَى عَلَى وَبَطْلُمُ

ذَنبِي إِلَيْهِ عَلَى رَاكَاةٍ فَهَمِّهِ أَنَّى لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ

وحدث أبو الحسن علي بن عيسى قال : كان عبيدُ الله بنُ سليمان والقاسمُ

ابنه بَعْدَهُ يُنْكِرَانِ عَلَى عَمَلِهِمَا الْإِسْتِئْثَارَ عَنْهَا وَيَقُولَانِ : إِنَّمَا يَقَعُ الْإِسْتِئْثَارُ مَعَ الْإِسْقَافِ

(١) ساوره : واثبه أو وثب عليه .

(٢) الصغور : صغار الصافير ، واحده صغورة . والصغور : طائر أصغر من الصغور وجمعه صغاء وأصماء .

من الظلم ، فأما مع الإنصاف في المعاملة واعتماد الحق في المحاسبة فهو طمع في السلطان وإرادة لكسر ماله . فاتَّفَق أن صَرَف القاسمُ عاملاً من عُمال الأهواز فاستتر ، فَعَلَّظ عليه ذلك ، وقال لي وللجماعة : أذْكُوا^(١) العيون عليه حتى تُثْبِرُوهُ ، وَجِدُّوا في طلبه حتى تُحْضَرُوهُ . وقال علي بن عيسى : فَبَكَرْتُ يوماً بُكُوراً أَقْضَى فيه حقاً وأَعُودُ إلى دار القاسم^(٢) بن عُبَيْدِ اللَّهِ . فإذا العاملُ قد خرج من موضع يريد موضعاً ، فرآه غلاماني فأَسْكوه وجاءوني به . فقلت له : تستتر عن الوزير وعَنَّا والإنصاف مبذول لك ؟ فقال : إذا كان الأمرُ على هذا ظَهَرْتُ وَجِئْتُكَ . فتَذَنَّمْتُ^(٣) من أن أحمله في الحال بالإكراه إلى دار القاسم فتَلَحَّفَنِي في هذا الفعل قَبَاحَةً . فقلت له : لا تَتَأَخَّرْ فَإِنِّي مِنْ وراء معاوتتك وَتَمْشِيَةِ أَمْرِكَ . وأمرتُ بتركه وَتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ ، ومضيت إلى مقصدي وعدت إلى دار^(٤) القاسم ودخلت إلى مجلسه ، فلم أجد عنده من البشاشة والإكرام ما كنتُ أعْهَدُهُ . ثم سَلَّمُ إلى فَصْلاً من رُقْعَةٍ صاحبِ خَيْرٍ وقد ذكر فيه حالي مع الرجل ، وقال لي : كان عندي أنك عَوْنٌ لي وللسلطان على استيفاء حقوقه وإصلاح أموره ، ولم أعلم أنك على خلاف ذلك . فاشْفقتُ من أن أجيبه جواباً رُبَّما رَدَّ عَلَيَّ عنه ما يقدح في الجاه وَيُسْتَمَعُ على مَلَأٍ من الناس . فقلت : إذا خلا الوزير عَرَفْتَهُ ما عندي في ذلك . وأمْسِكْ ، وبقيت حيران لا أعلم بأيّ عذر أعتذر ، وعدلت إلى أن سألتُ اللَّهَ كِفَايَتِي وَتَخْلِيصِي ، ولنت إذا رأيت المجلس قد خَفَّ أَحْسَسْتُ بِنَقْطِ أَغْضَائِي . فأنا في ذلك إذ تقدَّم إلى صاحب دواتي وأعطاني رُقْعَةً من وكيلي في داري ، وقد وَقَّعَ عليها اسمُهُ ،

(١) أذكوا العيون عليه : أرسلوا عليه الجواسيس .

(٢) في الأصل أبي القاسم بن عبيد الله .

(٣) تذم : استنكف واستنجا .

(٤) في الأصل : أبي القاسم .

وبعدہ : مُهِم . فظننت أن القاسم بزرقة وغيظه قد أنفذ إلى داري قوما ووكل بهم . فأسرعت إلى فضها وعلقي زائل^١ ، وروعي زائد ، فإذا فيها : صار إلى بابنا نسوة^٢ وطلبن من يكلمهن^٣ ، وخرجت إليهن ، فدخلن الدهليز وكشفت إحداهن^٤ عن وجهها فإذا هو فلان^٥ العامل^٦ فنحى إزاره وخف^٧ ، وفعل غلام^٨ كان معه مثل فعله ، وجلسا في الدار ، وانصرف من كان معهما من النساء ، وأمرني بأن أطلعك بخبره وأقول لك عنه : قد سلمت^٩ نفسي إليك جزاء لفعلك اليوم ، وثقة^{١٠} بوعدك وأخذك يدي ومعاونتي على أمري ، فافعل ما تراه .

فحين قرأتها عادت نفسي واشتد سروري ، وتقوض المجلس ، وقال لي القاسم : هات ما عندك في جواب قولي لك . قلت : نعم ، ما الأمر على ما وقع لك في بابي ، بل عندي من المعاونة والمعاوضة والخدمة والطاعة وبدل القدرة والاستطاعة واطراح الديانة والأمانة في كل ما يخفف عنك ، ويقرب منك ، أكثر مما يجب لملك على مثلي ، ولكنك أيها الوزير تستقصير^{١١} الفعل ، وتريد زيادة على ما في الوضع ، وإن كان هذا العامل ينصف في موافقته ومحاسبته أحضرته الساعة . فأسفر وجهه وقال : أنكرت^{١٢} أن يكون منك إلا ما تقتضيه الثقة بك ، والآن فقد رددت^{١٣} أمره إليك ورضيت بحكمك فيه ، فرح به عشي^{١٤}اً إلى حضرتي وأعمل من ديوانك عملاً لما يجب عليه . وقال لكتّاب الدواوين جميعاً أن يعملوا مثل ذلك .

وانصرفت إلى داري ، وقلت للرجل كل ما سكنت به نفسه ، وأزلت معه إشفاقه ، وجعلته على ثقة من تكفلي بأمره ، وأمرته بأن يروح معي . فلبس أحسن لباس وتطيب أكثر طيب وجاء معي ، فقلت له : قد أسرفت في لباسك وطيبك . فقال لي : حالي على مجلتها ، وما ألزمت^{١٥} ما شععتها ، ولأن يري الوزير مني مروءة يستدل بها على كثرة كلني وموئني أولى من غير ذلك .

ودخلنا إلى القاسم بن عبيد الله معاً فأراد الرجل أن يُقبّل يده فمنعه وضمه إليه حتى قبّل كتفه ، وأحضر كُتّاب الدواوين فقال لهم : نَاطِرُوه . فكان يُنَاطِرُ على عملٍ بعد عملٍ ويبطلُ باباً ويصيحُ باباً ، وكلّما صحَّ شيءٌ أخذَ به خطّه وأرّجه أحد الكُتّاب إلى أن وجبت صلاة المغرب وصلينا ، ثم أقبل على الكاتب وقال له : كم جملة ما أرّجته مما كتب به خطّه ؟ قال : ستة وثلاثون ألف دينار ونيف . قال : وأي شيء بقي من الأعمال ؟ قيل له : عملُ الديوان الفلاني والديوان الفلاني . فقال لي : يا أبا الحسن أنت الحكمُ في أمره ، فقل ما عندك نقبله . ولا أقلّ من إتمام المبلغ خمسين ألف دينار . فقلت : أيها الوزير ، إذا رجعت إلى حكّمي فأثار الرجل جملةً وطريقته مستقيمة ، ومن حكّمي فيه أن لا يُزَم شيئاً . فاغتاظ غيظاً بان في وجهه وإن لم يَبْدُ في قوله وقال : ماذا قلت ؟ قلت : يُرَدُّ إلى عمله ، فإنه رفع من الارتفاع ما لم يَرَفَعُه غيره . فأطرق ثم رفع رأسه وقال : يُرَدُّ عليه خطّه ويُكْتَبُ بإعادته إلى عمله . فقال الكاتب : كيف أدعوله ؟ قال : لا تدعُ . وقال للرجل : والله لئن عاودت ما أنكره منك لأعاملنك بما عامل الله به فرعون فإنه جعله نكال الآخرة والأولى . وكُتِبَتِ الكتُبُ ، وأراد توديعه ، فبسط رجله إليه حتى قبّلها . وقيل للقاسم : قد فعلتَ أيّها الوزير في أمره ما لم تفعله البرامكة مع مثله . قال : وجدتُ كلَّ ما عاملتُه به واقعاً موقعه مع تسليمه نفسه وأمره إلى .

وحدث أبو عبد الله أحمد بن عليّ بن المختار الأنطاقيّ - وكان قد خدم أبا الحسن عليّ ابن عيسى واختصَّ به - قال ^(١) : كنتُ بين يدي الوزير أنا وأخوه وأولاده

(١) القصة في تجارب الأمم ١٤/٦ وفي معجم الأدباء ترجمة علي بن عيسى .

وخواصه ، وجرى حديثُ البريدى^(١) في إصعاده إلى الحضرة وما هو عليه من الإقدام على أخذ الأموال واستباحة الأحوال وأن الناس على إشفاق منه ، وعمل على الهرب من بين يديه ، وأشارت الجماعة عليه بأن يخرج هو وحرمه وأولاده وأصحابه عن بغداد ، فما أصغى إلى ذلك . ثم أكتروا عليه إكثاراً ثنوه عن رأيه ، فأطلق لى مائتي دينارٍ لأستأجر له بها زواريق يُصعدُ فيها هو وعياله إلى ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان . وانصرفت من عنده بعد المغرب ، وباكرنى رسوله يستدعنى ، فبادرت إليه ، وسألنى عما عملته فقلت : ضاق الوقت البارحة عما أردته وباكرنى رسولك فحضرتُ معه . فقال لى : فكرت فيما أشرتُم به فوجدته خارجاً عن الرأى ، ومفسداً للدين ، لأن الأمر مُقدَّر ، والإنسان مُدَبَّر ، ولا يجب لمخلوق أن يهرب من مخلوق . هاتِ الدنانير . فأعطيته إياها ، فأمر بأن يتصدق بها ، وأقام . فلما قرب البريدى^(٢) انحدر إليه متلقياً فأكرمه ، وعزف موضعه ، ووفاه حقه ، ومنعه من أن يخرج عن طياره ، وانتقل هو إليه ، وخاطبه بما وفاه الجليل والبرّ فيه .

وكان أهل الكوفة تظلموا إلى أبي الحسن على بن عيسى في أيام القاهرة بالله وقد خرج إلى واسط مدبراً لها ولأعمال سقى الفرات في أمر مئارهم ، وحكوا أن أحمد بن محمد بن بشار وُكِّلَ بها وسامهم حملها إلى البنادرة ، وأجرى أئمانها في خراجهم ليُبقي عليهم عجزاً يطالبهم به ، وجرت بينه وبينهم مناظرات ومخاطبات آلت إلى أن كتب إلى ابن بشار بأن يُقاسمهم على الثمرة كما يقاسمهم على الفلّة .

(١) في الأصل ابن البريدى والتصوب من تجارب الأمم .

(٢) في الأصل ابن البريدى .

وحدث أبو عمرو الشرايئي قال : لما صُرف أبو الحسن عليُّ بنُ عيسى بأبي عليٍّ محمد بن عليٍّ بن مُقلة دخلت إليه في (١) تحبسه لحادثته وسكنتُ منه ، وسألته عما يُريده من الأشربة والأسوقة والطعام لأتقدم بحمله ، فوجدته طيبَ النفس حسنَ اليقين وقال لي : الآن تمَّ لي ديني وتفرغت لصلاتي وأداء مفترضاتي ، وقد كنت أحبُّ العزَلَ وتركَ هذا الأمرِ ، ولكنني احتسبتُ قيامي به قيامَ المجاهد في سبيل الله . فمن تقلدَ الوزارة ؟ قلت : ابنُ مُقلة . قال : حدثنيُ حُبُّ الرئاسة ويراعى يومه دون غده ، يا أبا عمرو ، أليس تديرُ الخلافةَ إلى قومٍ مبالغٍ عقولهم أنهم يظنون أن ابنَ مُقلةَ ينهضُ بما أعجزُ أنا عنه ، ويستقلُّ بما أتقأى منه؟ إنا لله وإنا إليه راجعون . ذهبت والله الدنيا وضاعت الأمور . فقلت : ما قدرُوا ذلك ولا تَوَهَّوه ، ولكنهم أرادوا من يأخذُ أموال الناس ويعطيهم إياها ويُطلقهم فيما منعَهم منه . فقال : الله المستعان .

وحدث عبدُ الرحمن بن عيسى قال : حدثني هارن الكاتب بن إبراهيم الكاتب قال : لما أحسن القاسم بن عبيد الله بحضور منيَّته جعل يُوصي أبا الحسن عليَّ بن عيسى بولده ، وأبو الحسن يذكره بالتوبة والإقلاع ، فما فارقه حتى تاب توبة جرَّدها وصحَّح فيها العزيمة . ثم دعا بالعباس بن الحسن في غداة يوم الثلاثاء لخمسِ خلون من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين قبل أن قضى تحبسه بثلاثِ ساعاتٍ فأملى عليه رُقعة إلى المكتنى بالله ، كان محافظناه من ألفاظها ومعانيها :

كتبتُ هذه الرُقعة - أطال الله بقاء سيدي أمير المؤمنين - بإملأى وأنا في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوَّلِ يوم من أيام الآخرة . وقد حضر من الأمر ماضى عليه

(١) في الأصل : إليه إلى محبه .

الأولون ، و يصير إليه الآخرون ، والحمد لله الذى لما قضى على الموت جعله فى دولة أمير المؤمنين - أيدته الله - وجعلنى ماضياً على أحكام طاعته ودارجاً على أفضل مآدرج عليه أحد من أهل ولايته - وتمم الكلام وشكر الإنعام ثم قال - : ولم أطب نفساً مع ما آلت إليه الحال بأن أمسك من النصح لمولانا حياً كنت أم ميتاً ولا بد أن يقوم لخدمته من يصلح لها ، ويجرى تجراى فى حراستها والذب عنها والنهوض بأعبائها . وهذا خادم أمير المؤمنين وكاتبه على بن عيسى بن داود ابن الجراح أحد الكتاب المتقدمين ومن قد خدم آباؤه الخلفاء الماضين وكانوا مرصنين ^(١) محمودين ، وقد عرف مولانا مذهبه فى أمانته ومناصحته ، وتأدّت إليه أخباره فى سداده وكفايته . وخادمه العباس بن الحسن كاتب حضرتى ، وكان ملازماً لى وقد تقيل ^(٢) أخلاقى فى الخدمة ، وعرف مذهبي فى المدافعة عن الدولة وسلك مذهبي فى المبالغة والطاعة . وعلى أيهما اعتمد ، ولأيهما أثر وقدم ، رجوت ألا يعدم عنده شيئاً مما كان عليه خادمه فى المناحة .

وتم القول وختمه بالوصاة بولده ووالدته وأسبابه والإحسان إليهم ومكافأته بما يستحقه فيهم .

قال عبد الرحمن : لحدثني أبو الحسن أخى قال : لما فرغ القاسم من إملاء هذه الرقة دفعها إلى وقال : سألتك بحق ما بيننا إلا بادرت وأوصلتها من يدك ، واجتهدت فى التعجل بما يجرى ، فإننى أخاف إن تأخرت أن لا تلحقنى ، وأكبر أملى فيما بقى من مدتى أن أعرف ما يستقر عليه الحال من بعدى . قال أخى : فاستغفرت فلم يُعفنى ، ولم يكن فيه فضل لمعاودتى ، وعجبت من شدة نفسه ، وزيادة

(١) المرصنين : المحكّين .

(٢) تقيل : أشبه .

حرصه على أمور الدنيا مع حضورِ أجله . فضيت ومعى العباس إلى دار السلطان وجلسنا على انتظارِ إذنه ، ثم أُذِنَ لنا فدخلنا . فلما حصلنا فى وَسَطِ دهليز الصحن السبعينيِّ استدار العباس فصار فى وجهي وقال لى : والله لئن ألقيت هذا الأمر إلىّ ونزلت عنه لى لأكونن فيه من قَبْلِكَ ومتصرفاً على أمرِكَ . فعجبت من قوله وقلت : ستعلم ما يجرى ، وأرجو توفيق الله تبارك وتعالى . ووصلنا إلى الخليفة وأوصلتُ الرُّقعة . فلما قرأها سأل عن خبره ، فعرفته أنه فى آخر رَمَقِهِ وما تقدّر أننا نلحقه فَدَمَعَت عيناه ثم التفت إلىّ وجعل يُخاطبني مخاطبة من قد رَدَّ الأمر إلىّ واعتمد فيه علىّ . وقال لى فى غُرُضِ قوله : أنت يا علىّ فى نفسى مذكّنت بالرُّقعة ، وأنا أعرف أخبارك وأشهد آثارك، وقد آل الأمر الآن إليك ووقع اختيارى عليك ، فتتجرّد فى القيام به وإزالة الخلل عنه ، وتفعل وتضع . قلت : أنا يا أمير المؤمنين رجل ضَيِّقُ العَطَنِ وفى استقصاءٍ وشِدَّةٍ لا يصلحان لِمَتَوَلَّى هذا الأمر وشغلى بما أخذُم فيه طويلٌ عريضٌ ، وإن نُقِلْتُ إلى ما هو أكثر منه بَعِلْتُ^(١) وَوَقَفْتُ . فراجعنى القول وراجعتُه فى الاستعفاء وقلت : وهذا العباسُ أعرفُ بما كان القاسم عليه من طُرُقِ الخدمة ، وإن عَوَّلَ عليه كُنَّا أعوانه وأعضاده . قال : فَتَضَمَّنْ لى القيامَ بالشَّدِّ منه حتى يستقيم ما يُنَاطُ به ؟ قلت : أفعل وأبذل عَمَّنْ يلبنى من السكَّاب مثل ذلك . فدعا بالذَّوَّاة وكتب الجواب بالتوجُّع والدُّعاء وقال : فَإِنْ - أَعُوذُ بِاللَّهِ - بُلِيتُ فيكَ بما لا أَقْدِرُ على دفعه فلن أعدل عن اختيارك ورد الأمر إلى من أشرت به . فأما الولد والحُرْمُ فأولادى وحُرْمى ، والله بصونهم ببقائك ويدفع لنا عن حَوْبائك^(٢) .

(١) بعل : تحير فلم يدرك ما يصنع .

(٢) عن حوْبائك : عن نفسك .

وَحْتِمَتِ الرِّقْعَةَ وَتَقَدَّمَ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيَّ ، فَأَخَذْتُهَا وَقَبَّلْنَا الْأَرْضَ وَعُدْنَا . فَبَيْنَ
بَلَعْنَا دَرَجَةَ بَابِ الْخَاصَّةِ مِنْ دَارِ الْقَاسِمِ سَمِعْنَا الْوَاعِيَةَ ^(١) فَنَزَلَ مِنْ أَعْلَانَا أَنَّهُ قَضَى
فِي الْوَقْتِ عِنْدَ وَصُولِنَا إِلَى الْبَابِ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَكَانَ حَدِيثُ أَبِي الْحَسَنِ أَخِي
لَنَا بِذَلِكَ وَإِسْحَاقُ بْنُ حُنَيْنٍ الْمُتَطَبِّبُ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ : أَحَدْتُكَ يَا سَيِّدِي حَدِيثَهُ
فِي هَذِهِ الْحَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَعَانِي ، وَقَدْ حَضَرَ الْيَأْسَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَرَدُّدُ النَّفْسِ .
فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ جُئْتَ النَّبِيَّ وَالنَّبِيَّ هَلْ بَقِيَ مِنَ الدَّمَاءِ ^(٢) مَا يَبْقَى بِالنَّظَرِ
جَوَابِ الْخَلِيفَةِ ؟ فَجَسَّسْتُهُ وَكَانَ قَدْ سَقَطَ ، فَقُلْتُ : الْحَالُ صَالِحَةٌ . فَقَالَ :
أَعِيزْكَ بِاللَّهِ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُنِي الْحَقُّ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : انْظُرُوا الطَّيَّارَ هَلْ أَقْبَلَ ؟
وَتَنَفَسَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَقَضَى ، وَمَا زَالَ أَخِي يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِهِ - قَالَ أَخِي : فَلَمَّا عَرَفْنَا
وَفَاتَهُ عُدْنَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَوَجَدْنَا الْخَلِيفَةَ قَدْ خَلَا ، وَعَرَفْنَا خَفِيفًا السَّمَرْقَنْدِيَّ
الْحَاجِبَ الصُّورَةَ حَتَّى أَنْهَاهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا بِالْبُكُورِ فِي غَدٍ ، وَانْصَرَفْنَا إِلَى دَارِ الْقَاسِمِ
وَأَقْنَأْنَا إِلَى أَنْ جُهِزَ وَوُورِيَ وَعَزَّيْنَا وَالِدَتَهُ وَوَلَدَهُ .

وَشَاعَ أَمْرُ الْعَبَّاسِ ، وَتَقَرَّرَتِ الْوِزَارَةُ لَهُ وَاعْتِمَادُ الْمَكْتَفَى بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَ
الْكُتَّابُ مِنْ غَدٍ دَارَ السُّلْطَانِ ، وَهُمْ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى وَمُحَمَّدُ
ابْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوَنٍ وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ سِنًا ؛
لأنَّهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَابْنُ الْفَرَاتِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَمِائَتِينَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى فِي سَنَةِ
خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ وَالْعَبَّاسُ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ . وَوَصَلَ الْعَبَّاسُ وَعَلِيُّ
ابْنُ عَيْسَى إِلَى الْخَلِيفَةِ دُونَ غَيْرِهِمَا ، فَأَمَضَى أَمْرَ الْعَبَّاسِ ، وَوَصَّى عَلَى بْنِ عَيْسَى
بِالضَّبْطِ وَالْإِحْتِيَاظِ ، وَأَدْخَلَ النَّاسَ ، بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فَعَزَّوْا الْخَلِيفَةَ ، وَسَمِعُوا

(١) الْوَاعِيَةُ : الصَّرَاحُ .

(٢) الدَّمَاءُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ .

قوله في رَدِّه وزارته إلى العباس ، وإقراره أصحاب الدواوين على دواوينهم .
وانصرفت الجماعة مع الوزير إلى منزله ، وكان له غرفة في حريم البستان الزاهر المجاور
لدار القاسم على دجلة سكنها عند خدمته القاسم في التوقيع بين يديه . وعجب الناس
من تقلد العباس عجباً طال ، ولم تزل به الحال إلى أن ملك الأمور ، وأسرف
في التجبر والاستكبار ، فأرداه ذاك وأورده شرَّ مورد ونسأل الله حُسن العاقبة .

وحدث عبد الرحمن قال : حدثني الوزير أبو الحسن أخى قال ^(١) : كنت
بمكة ، فاتفق يومٌ شديدُ الحرِّ - وحرُّ تِهَامَةٍ إذا اشتدَّ ضُرب به المثلُ - قال :
فصلَّيتُ الظهر جماعةً في المسجد الحرام ، وطُفْتُ وسعيتُ ورَكَعتُ عند المقام ،
ثم انصرفت وقد مسَّني من الحرِّ ما زاد على فيه الأمر ، فتمنَّيتُ في الوقت شربة
سويق بثلج ، وأولعتُ نفسى بالفكر فيها ، فجزرتها وقلت : نلجُ في تِهَامَةٍ !
وحمدتُ الله تعالى على نعمة العافية ، فما لبثتُ والله أن ظهرَ في السماء قَرَعٌ ^(٢)
من غيم ، ثم اجتمع وانتظم وجاء بريق ورعد مُتَّصِلٌ ، ثمَّ بمطرٍ وابلٍ ^(٣) ، ثم ببردٍ
في غاية الكبر . فجمع الغلمانُ منه ما ملَّئُوا به حُبًّا ^(٤) من جِبابِ الماء . وكان هذا
بعد صلاة العصر ، فما كان فَطُورِي إِلَّا على سويقٍ وسكرٍ وثلجٍ وماء مانع ،
وبقينا على ذلك ثلاثة أيام والله الحمد .

تم الكتاب
بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

(١) القصة في المنتظم ٣٥١/٦ ونسب القول لأبي سهل بن زياد القطان صاحب على بن عيسى

(٢) القرع : قطع من الحجاب رفاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة .

(٣) الوبل : المطر الشديد الضخم التطر (٤) الحب : الجرّة الضخمة .

نصوص ليست في النسخة

علي بن عيسى

ولعلها أيضاً من أخبار أبي جعفر الصيمري

« نقله هـ . ف آمد روز عن تكملة تاريخ الطبرى للممذاني

الموجودة بباريس تحت رقم ١٤٦٩ وأثبتته في دراسته لكتاب الوزراء »

حكى هلال بن المحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة^(١) وأبو جعفر الصيمري معه إلى بغداد ، أراد أبو الحسن علي بن عيسى الركوب إليه وقضاء حقه . واتفق أنه نزل من^(٢) داره ليجلس في سميرية - وأبو جعفر محتاج^(٣) في طياره - وأنا وأخي أبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؛ فقلنا : الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لأبي الحسن طازاد^(٤) : قدّم بنا إليه فاسأله أن ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه ، وسلمنا عليه ، فقال له أبو الحسن طازاد : إلى أين توجه سيدنا ؟ فقال : أشار فتياننا بلقاء الأمير الوارد وقضاء حقه ، فعملت على ذلك . فقال له : فينقل سيدنا إلى الطيار فإنه أولى . فامتنع ، ولم يزل يراجعهم ، وكان معه ابنه أبو نصر^(٥) فخطبه حتى فعل ، وسهّل عليه ذلك ونزل .

وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه ، وقد وصّانا ألا نعرفه إياه . وكان أبو نصر عرفه وأراد أن يُشِيرَ أباه فلم ندعه طاعة لأبي جعفر .

(١) معز الدولة هو أبو الحسين أحمد بن بويه أبي شجاع بن فنا خسرو استولى على بغداد سنة ٣٣٤ وتوفى سنة ٣٥٦ .

(٢) في النسخة : نزل إلى . (٣) كذا هي في النسخة ولعلها معرفة عن : مرتاح

(٤) في النسخة لأبي الحسن بن طازاد (٥) أبو نصر اسمه إبراهيم ، وزير الطيع ، مات سنة ٣٥٠

وسرنا مُضْعِدِينَ ، ووصلنا إلى معسكر معز الدولة بباب الشماسية ، وقدم الطيار إلى المشرعة ، فقال أبو جعفر لأبي الحسن : تجلس ياسيدنا بمكانك حتى أصعد إلى الأمير وأعرفه خبرك وأودنه بحضورك . فقال له : لك - أطل الله بقاءك - عند الأمير أثره وبه أنسة ؟ قال : نعم . وصعد ، فلما صعد قال أبو نصر لأبيه : هذا الأستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لأوفى الرجل حقّه ؟ قال : منعني أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك ، كذا يفعل الناس ؟ فقال : والله ياسيدنا ما فعلت ما فعلته إلا لأن الأستاذ أمرني به ، ولم تمكّنني الخالفة له . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ووجم وجمّاً شديداً ثم قال . من هذان ، أعزها الله ؟ وأشار إلىّ وإلى أخى . فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستتبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ^(١) ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظّلمة .

ولما صعد الصيمري إلى معز الدولة وجده على شراب ، فلم يقل له شيئاً . وعاد إلى علىّ بن عيسى ، فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنى علىّ أصحابنا فى كتابى موضع الأستاذ ، حتى كان فى تقصيرى فى قضاء حقه ما لم أحتمله ، وأنا أعتذر إليه - أدام الله عزه - من ذاك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع ، وأى تقصير جرى ؛ والتفت إلى طازاد فقال : ألم أوصك بترك إعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولدّه أعلمه ، وقد حصلتُ بين العتب - أيها الأستاذ - منك ومنه .

وقال له أبو جعفر . الأمير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها ، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها ؟ وإذا تكلف سيدنا العود فى غداة غدٍ ^(٢)

(١) اعلمه يريد به جعفر بن محمد بن الفرات أبا عبد الله الذى قلده عبيد الله بن سليمان أعمال بهرسير والرومقان ... انظر ص ٢٢٥ من هذا الكتاب .

(٢) فى النسخة : عن

لَقِيَهُ وَوَفَّاهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَجِبُ أَنْ يُوفِّيَهُ إِيَّاهُ . وَالطَّيَّارِ يَا كَرِيبَاهُ .

وَانصَرَفَ أَبُو الْحَسَنِ ، وَعَادَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ فَقَالَ لَهُ : وَافِيَ عَلَى
ابْنِ عَيْسَى لِقَائِكَ ^(١) وَخَدِمْتِكَ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ عَنْكَ بِأَنْكَ عَلَى نَبِيذٍ ، وَلَمْ يَجْزْ أَنْ
يَرَاكَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ عَلَى بْنِ عَيْسَى ؟ فَقَالَ : وَزِيرُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ . فَقَالَ : ذَلِكَ الْعَظِيمُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا وَجِبَ أَنْ تَرُدَّهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَقُومُ إِلَى مَجْلِسِ آخِرِ وَأَلْقَاهُ فِيهِ ^(٢) .
فَقَالَ : مَا كَانَ يَحْسُنُ أَنْ يَشِمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ شَرَابٍ . وَفِي غَدٍ يَا كَرِكَ . فَقَالَ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ :
وَكَيْفَ أَعَامِلُهُ ؟ وَمَا الَّذِي أَقُولُ لَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الصَّيْمَرِيُّ : تَنْزَعُجُ لَهُ بَعْضُ الْإِنْزَعَاكِ
وَتَرْفَعُ مَجْلِسُهُ وَتَعْطِيهِ مَخْدَةَ مِنْ مَخَادِكَ وَتَقُولُ لَهُ : مَا زِلْتُ مُشْتَاقًا إِلَى لِقَائِكَ ،
وَمُتَشَوِّقًا ^(٣) لِلْاجْتِمَاعِ مَعَكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَعِمَارَةِ الْبَلَدِ بِمَا
يَكُونُ الصَّوَابُ فِيهِ عِنْدَكَ .

وَجَاءَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ عَيْسَى مِنْ غَدٍ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ ، فَوَفَّاهُ مِنْ
الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَكْثَرًا وَأَقْفَهُ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَأَعْطَاهُ مَخْدَةَ مِنْ دَسْتِهِ ^(٤) .
فَقَبِلَهَا أَبُو الْحَسَنِ ، وَقَالَ لَهُ مَا يُقَالُ لِمِثْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ : كُنَّا نَسْمَعُ بِكَ فِي عَظَمِ
عَبْدِنَا أَمْرِكَ ، وَبِكَثَرِ فِي نَفُوسِنَا ذِكْرُكَ . وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْكَ الْآنَ مَا كُنْتُ مُؤَثِّرًا وَإِلَيْهِ
مُتَطَلِعًا . وَالدُّنْيَا خَرَابٌ . وَالْأُمُورُ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ الْإِنْتِشَارِ ^(٥) ، فَأَشِرْ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
فِي إِصْلَاحِ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : هَذِهِ النَّيَّةُ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْخَيْرِ ،
وَمُسَهِّلَةٌ إِلَى التَّجَحُّجِ ، وَطَرِيقُ الْعِمَارَةِ ، وَدُرُورُ الْمَادَّةِ ، وَاسْتِقَامَةُ أَمْرِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَّةِ
وَالْعَدْلِ . وَالَّذِي أَهْلَكَ الدُّنْيَا ، وَأَذْهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَأَخْرَجَ الْمَالِكَ عَنْ يَدِ السُّلْطَانِ

(٢) فِي النُّسخَةِ : وَاللِّقَاءُ فِيهِ

(١) فِي النُّسخَةِ : لِلِقَاءِ بِكَ

(٣) فِي النُّسخَةِ : وَمُتَشَوِّقًا .

(٤) الدَّسْتُ : صَدْرُ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ .

(٥) الْإِنْتِشَارُ : التَّفَرُّقُ .

خلافه . وإنما يتأتى الصلاح ، وبطرد الإغراض ^(١) ؛ بالولاية الموقّنين والأعوان المناصحين ^(٢) وحدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا فلان ، وذكر الإسناد ^(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيّض له وزيراً صديقاً ، إن غفل أذكّره ، وإن رفل ^(٤) أيقظه » . وقد وفق الله للأمير من هذا الأستاذ - وأشار لأبي جعفر - من تمت فيه أسباب الكفاية ، وبانت فيه شواهد الخالصة ، ويوشك أن يجرى الخير على يده ، ويتأتى المرادُ بحُسن تدييره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة . وفطن معز الدولة أن توقفه لأمرٍ كرهه ذكّره . فقال لأبي سهل العارِض : انظر مايقول . ففسّره له تفسيراً لم يفهم عنه ، ولا استوفى القول فيه . وتلجّج في ذكر رجال الحديث . حتى استفهم معز الدولة أسماءهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا ، هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر إلى الترجمة بينهما ، وقال أبو الحسن : ومن أولى ما نظر فيه الأمير وقدّمه سدّ هذه البُثوق . هي أصل الفساد وخراب السّواد . فقال : وقد نذرتُ لله عند حضوري في هذه الحضرة . ألا أقدم شيئاً على ذلك ولو أنفقت ^(٥) فيه جميع ما أملك .

قال : إذن يُحسِن الله عَوْنَكَ ، ويدلّ لك كلَّ ^(٦) صعب . ويُسهّل كلَّ مراد بين يديك ^(٧) .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : اذكر حوائجك لأتقدّم فيها

(١) الإغراض : الامتلاء (٢) في النسخة المنصحين .

(٣) في النسخة : الأستاذ (٤) رفل : خرف .

(٥) في النسخة : نفقت (٦) في النسخة : على صعب .

(٧) في مروج الذهب في آخر حديثه عن خلافة المسكني : واستوفى الأمر لأحد بن بويه الديلمي وشرع في عمارة البلد وسد البُثوق .

بما أَقْضَى بِهِ حَقَّكَ . قَالَ : الْحَاجَةُ الْحَاضِرَةُ هِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَكَ وَبُيُوتِكَ
عُلَاكَ . وَمَتَى عَرَضَتْ مِنْ بَعْدُ حَاجَةٌ إِلَيْكَ كَانَ الْمَعْوَلُ فِيهَا عَلَيْكَ . قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ
أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا . قَالَ : حِرَاسَةُ مَنَازِلِي فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ
وَمُجَانِزٍ وَأَهْلٍ وَأَقَارِبٍ وَاتِّبَاعٍ وَأَصْحَابٍ . قَالَ : هَذَا أَقَلُّ مَا أَفْعَلُهُ .

وَنَهَضَ أَبُو الْحَسَنِ . وَشِيعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَمَشَى الْعُلَمَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَتَوَفَّى أَبُو الْحَسَنِ بَعْدَ عُبُورِ مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ وَهَزِيمَتِهِ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ^(١) يَوْمَ . فَنُصِيَ
أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ قَتَادَةَ وَكَانَ مَعَهُ مَائَتَانِ رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ فَزَلَّ دَارَهُ . وَرَكِبَ الصَّيْمَرِيُّ
إِلَيْهَا وَقَدْ فُرِغَ مِنْ تَجْهِيزِهِ وَوُضِعَ فِي تَابُوتِهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ . وَقَالَ لِمُوسَى : اخْرُجْ
مِنْ هَذِهِ الدَّارِ فَمَا يَحْزُورُكَ فِيهَا . فَقَالَ : لَا أَخْرُجُ . فَقَالَ : لَا أَمْسُكُكَ مِنْهَا .
فَقَالَ : لَا أَقْبِلُ مِنْكَ . قَالَ إِذَا لَمْ تَقْبَلْ أَكْرَهْتُكَ . وَتَنَابَذَا بِالْقَوْلِ تَنَابُذًا تَوَلَّدَتْ مِنْهُ
فِتْنَةٌ ، وَاجْتَمَعَ إِلَى مُوسَى أَصْحَابُهُ وَإِلَى أَبِي جَعْفَرٍ آخَرُونَ . وَعُرفَ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ ذَاكَ .
فَبَادَرَ لِإِطْفَاءِ النَّارِ ^(٢) وَقَالَ لِلصَّيْمَرِيِّ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ ذَاكَ . قَالَ : بَلَى أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
فَإِذَا ^(٣) وَقْتُهُ . وَمَتَى افْتَتَحْنَا أَمْرَنَا بِسُقُوطِ هَيْبَتِنَا اسْتَمَرَّ ذَلِكَ ، وَبَعْدَ تَلَايِهِ ^(٤) ، وَازْدَادَ
الْأَمْرُ مِنْ بَعْدُ وَهَنًا ، وَالطَّمَعُ اسْتَحْكَامًا .

فَأَخَذَ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ بِيَدِ مُوسَى بْنِ قَتَادَةَ فَأَخْرَجَهُ مَعَهُ . وَقَالَ لَهُ : يَكُونُ نَزُولُكَ
فِي الدَّارِ الَّتِي أَنْزَلْنَا ، وَلَا تَفْتَحْ أَمْرًا بِمَا يَقْبَحُ مِنَ الزَّعَاجِ أَوْلَادِ هَذَا الشَّيْخِ الْمَشْهُورِ
ذِكْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَعِيَالِهِ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ .

(١) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ التَّمَلِي مَاتَ سَنَةَ ٣٥٨ .

(٢) النَّارُ . الْعَادَاةُ وَالشَّجَنَاءُ وَالْفِتْنَةُ ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ النَّارِ .

(٣) فِي النُّسخَةِ كَذَا وَقْتُهُ (٤) فِي النُّسخَةِ : تَلَايِهِ .

وبقيتُ دُورُ أبي الحسن على ولده ، ودورُ أخيه أبي عليّ عبد الرحمن عليه ^(١) في حياته بفعل أبي جعفر مافعله .

علي بن عيسى

من أخباره المنشورة

« أورده الأستاذ ميخائيل عواد في كتابه أقسام ضائعة

نقلا عن كتاب الأذكى لابن الجوزى ص ٩٠ طبعة قسطاكي الحمصى مصر »

ذكر هلال بن الحسن [في كتاب الوزراء] أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم يُر مثله في ما كان يعمل من الشبهة دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله ، فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبلٍ مات له . فقال له : ما عليك أيها الأستاذ إذا أحييته ؟ فقال : ما تريد . فأخذ البلبل الميت فأدخله كُمة ، وأدخل رأسه ، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيّاً . فاجت الدار ، وعجب الحاضرون ، فاستدعاه عليُّ بنُ عيسى [الوزير] وقال : والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك . فقال : إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله ، فطمعت بما آخذه منه ، فضيت في الحال إلى السوق ، وابتعت بلبلاً وخبأته في كُمتي ؛ وعدت إلى الخادم فقلتُ ما قلت ، وأخذت البلبل الميت ، وأدخلت رأسه في كُمتي وأكلته ، وأخرجت الحيّ ، فلم يشك أنه بلبله ، وهذا رأس الميت .

(١) في النسخة : دور أخيه أبي علي بن عبد الرحمن « وجعلها » آمديروز : دور « ابن » أخيه أبي علي بن عبد الرحمن . هذا وأخوه علي بن عيسى هو أبو علي عبد الرحمن .

على بن عيسى

« وقد يكون من أخبار ابن مقلة ، وهكذا أورده الأستاذ ميخائيل

عواد نقلا عن معجم الأدباء (٢٢٤/٥) »

« وحدث أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي* في كتابه
كتاب الوزراء قال :

حكى^(١) لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال : كان أبو الحسن على بن سليمان
الأخفش مواصِلَ المقام عند أبي على بن مقلة ويراعيه أبو على ويبرّه ، فشكا إليه
في بعض الأيام الإضاقة ، وسأله أن يكلم أبا الحسن على بن عيسى - وهو يومئذ وزير
- في أمره . وسأله إجراء رزق عليه في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخطبه أبو على في
ذلك ، وعرفه اختلال حاله وتعدّر القوت عليه في أكثر أيامه . وسأل أن يجرى
عليه رزقا في جملة الفقهاء . فانتهره على بن عيسى انتهارا شديدا ، وأجابه جوابا غليظا ،
وكان ذلك في مجلس حافل ، وجمع كامل ، فشق على أبي على ما عامله به ، وقام
من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه ، وصار إلى منزله لا ثمما لنفسه على سؤال على بن
عيسى ماسأله ، وحلف أنه يُجرّد في السعي عليه .

ووقف الأخفش على الصورة واغتم ، وانتهت به الحال إلى أن أكل الشلجم
النّي ، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجاءة . وكان موته في شعبان سنة ٣١٥ .

« وانظر القصة في ابن خلّكان ترجمة الأخفش على بن سليمان ففيها النص

(١) هكذا هو في معجم الأدباء ترجمة على بن سليمان الأخفش . والصواب حذف كلمة « لي »
لأن ثابت بن سنان مات قبل أن يكمل الصابي ستة أعوام . ونقل الصابي عنه في كتابه لم يذكر
فيه ما يدل على أنه شافه .

تقريباً نقلاً عن أبي الحسن ثابت بن سنان . وانظر أيضاً بغية الوعاة ترجمة
الأخفش على »

تكملة

« في طبعة هـ . ف آمدروز بالصفحة ٢٢٣ حذف شعراً ذكر أنه بيتان من باب
المجون . والواقع أنه أربعة أبيات، وهذه هي الأبيات، وتوضع في نسختنا بالصفحة ٢٤٤
بعد السطر ١٦ : وقد أكلتها من نسخة الأزهر الخطية »
وله أيضاً في الفلابي :

أبا أمية قل لي ما بال أيرك نائم
ولم خُصِصْتَ بأير رخوٍ ضعيف الدعائم
فقال ربي ابتلاني فيه بإحدى العظام
فصرت أحمل أيرا كضعف ريش النعائم

في صفحة ٢٧٩ السطر ١٦ تكون الجملة كما يأتي :
فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً وإلى ستة عشر ذراعاً .

ترجمة موجزة لما كتبه أمدروز

إن تاريخ الخلفاء العباسيين الذى دونه الطبرى حتى السنين الأولى للقرن الرابع الهجرى قد ولى تدوينه مؤرخون بعده ، ولكن مؤلفاتهم ضاعت تقريرا .

ومؤرخ السنين ٣٦٠ - ٤٦١ هو أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابى ، الذى ألف أيضا كتابا عن أهم وزراء العهدين العباسى والبويهى ، ما بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الخامس .

ومخطوط كتاب الوزراء الموجود فى مكتبة الجوتا Gotha رقم ١٧٥٦ جيد جدا . ويرجع نسخه على الأرجح إلى القرن الرابع عشر الميلادى وقد عثر عليه و . ج . سيتسن U. J. Seetzen سنة ١٨٠٩م والصفحة الأولى منه مفقودة ، وليس على المخطوط اسم ولا عليه ما يرمز إلى مؤلفه . ولكن أ . فون كريم A. Von. kremer استطاع فى عام ١٨٨٧ فى مقاله القيم عن دخل الخلافة العباسية فى عام ٣٠٦ هجرية أن يثبت أنه كتاب هلال الصابى .

وتحتوى مجموعة سيفير الموجودة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس على مخطوط آخر تحت رقم ٥٩٨١ وقد اطلعت عليه ، ولكن هذا المخطوط هو نسخة من مخطوط الجوتا ، نسخ عنه قبل أن ينقل من القاهرة على الأرجح فى القرن السابع عشر ، وعلى بعض الأوراق منه كتبت جملة « وقف المرحوم محمد بك بجامعه » .

لكن مخطوط باريس به خرم ونقص عن مخطوط الجوتا ، إلا أن الصفحة الأولى

منه موجودة وعليها اسم الكتاب، كما أن آخر الكتاب موجود، وبذلك أمكن استكمال الكلام الناقص في مخطوط الجوتا .

والمؤلف بجانب ماورده عن طريق الرواية ، كان من كتاب الدولة في عهده ، فاستفاد من الوثائق الرسمية التي وجدها بالدواوين ، وقد اعتمد أيضاً إلى حد ما على مؤلفات لكتاب سابقين ، مثال ذلك قصة ابني الفرات وإطلاق سراحهما من السجن وتوليها المناصب « انظر ص ١٢ ، ١٣ » فهذه القصة منقولة عن كتاب أبي الفضل ابن عبد الحميد ، الذي ذكر فون كرىم في مقاله أنه هو أبو الفضل محمد بن أحمد ابن عبد الحميد الكاتب، مؤلف كتاب أخبار خلفاء بني العباس « انظر الفهرست ١٠٩ طبع ليبزج » .

كما أن هلالا الصابي ينقل عن عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أمراً يختص ببدر المعتضدى « انظر ص ١٩٩ » وعبيد الله هو ابن مؤلف كتاب بغداد ، وقد أكمل كتاب أبيه . فأنبؤأف كتابه إلى آخر أيام المهتدى ، وزاد عبيد الله فيه أخبار المعتبد ، وأخبار المعتضد ، وأخبار المكتفى، وأخبار المقتدر، ولم يتمه « انظر الفهرست ١٤٧ » وينقل هلال أيضاً شعراً من نظم أحمد بن الفرات المتوفى سنة ٢٩١ هـ « ص ٢٤٤ » وذلك عن السباسى محمد بن داود بن الجراح الذى كان أيضاً مؤلفاً « انظر الفهرست ١٢٨ » . وينقل هلال عن الصولى مرتين « ص ٢٤١ ، ص ٣٨١ » ويروى أيضاً عن ثابت بن سنان وله كتاب فى التاريخ يبدأ من ٢٩٥ إلى ٣٦٠ هـ .

ويروى كثيراً عن القاضى أبى على الحسن بن على التنوخى الذى توجد له الآن بعض المؤلفات . وكثير من الأخبار التى رواها هلال الصابى توجد تقريباً بنسخها فى كتاب نشوار الحاضرة وبعضها يوجد فى الفرج بعد الشدة ، وهما للتنوخى . وواضح أننا

تملك جزءاً فقط من كتاب الوزراء ، وتدل فقرات من الكتاب على أن المؤلف كتب عن وزراء آخرين مثل حامد بن العباس وعبد الله بن محمد الخاقاني والخصبي وابن مقلة .

ونهاية المخطوط لاتدل بالتأكيد على أن أخبار على بن عيسى المنشورة قد استوفيت فيه .

والأجزاء الضائعة من كتاب الوزراء والمختصة بوزراء الدولة البويهية لابد أنها كانت ذات أهمية تاريخية كبيرة .

والوزراء المذكورون في ص ٥ هم المهلبى وابن العميد وابن عباد وفخر الملك . وقد بدأ جد المؤلف أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى حياته السياسية كاتباً للمهلبى ، وكان مديناً له بترقيه ، كما كان يرسل صاحب بن عباد ، وكان المؤلف نفسه كاتباً لفخر الملك ، لذلك نأسف لفقدان هذه الأجزاء من الكتاب من أجل الوزيرين الكبيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ونرجو أن يعثر على ذلك ، يوماً ما .

وتراجم هؤلاء موجودة في معجم الأدباء لياقوت الحموى . وسيرة ابن عباد موجودة في مخطوط بأ كسفورد . وسيرة ابن العميد موجودة في مخطوط بمكتبة كوبرلى زادة بالقسطنطينية . وقد حصل الدكتور مرجليوث على نسخة من المخطوط الأول الخاص بابن عباد من جامعة أكسفورد ، وفي نيته أن يطبعه في وقت قريب ، وقد أبلغنى أن في هذين الكتابين نصوصاً منقولة عن هلال الصابى .

وهناك نصوص مقتبسة من كتاب الوزراء للصابى الموجود أماناً الآن ، ذكرها ابن خلكان ، وياقوت ، والصفدى فى الوافى بالوفيات .

على أن هناك كثيراً من النواذر المذكورة موجود في الكتب المشتملة على
الفترة التي أوردها هلال الصائى ، من ذلك تكملة الطبرى لعريب ، وتجارب الأمم
لابن مسكويه وهو من معاصرى هلال ، وتكملة الطبرى أيضاً لمحمد بن عبد الملك
الهمداني، وهذا بخلاف مؤلفات الكتاب جاءوا بعده .

« انتقل آمندروز بعد ذلك إلى تحليل شخصية الوزراء وشخصية المقتدر ، وعن
تدهور الحكم ، ثم شكر من أعانوه بالمراجع » .



الفهارس

الآيات والأمثال

- « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » سورة الأنفال ٤٢ وردت في صفحة ٧ .
- « كَرَدِعْ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » سورة الفتح ٢٩ وردت في صفحة ٢١٤ .
- « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » سورة فاطر ٢٨ وردت في صفحة ٧ .
- « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » سورة التوبة ٣٣ وردت في ص ٦٥ .
- « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » الأنعام ١٦٤ والإسراء ١٥ وفاطر ١٨ والزمر ٧ وردت في صفحة ٦٧ .
- « وَأَوَّلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » سورة الأنفال ٧٥ وردت في ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
- « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » سورة هود ١٠٢ وردت في صفحة ٣٧٠ .
- « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ وردت في صفحة ٣ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِ مَا بِكُمْ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » سورة الحجرات ٦ وردت في صفحة ١١٥ .

« يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ » سورة النساء ١١ وردت في صفحة ٢٧٤ .

الروايات

« إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيض له وزيرٌ صدقٍ إن غفل أذكّره وإن رفل أيقظه » ورد في ص ٣٩٥ .

« أسرع الذنوب عقوبةً كفران النعمة » ورد في ص ١٨٩ .

« إن الله قال للعقل ، وقد خلقه ، أقبل . فأقبل ، وأدبر فأدبر ، فلما فعل ذلك قال : وعزتي وجلالي وعظمتي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطي » ورد في ص ٧ .

« إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه : هذا ابنك ؟ فقال : نعم . فقال : إنه لا ينجي عليك ولا ينجي عليه » ورد في ص ٦٧ .

« الإيمان عقدٌ بالقلب ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان » ورد في ص ١٩٠ .

« توفي ثابت بن الدحداح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعاصم بن عدي : أله فيكم نسب ؟ قال : لا . فدفع تركته إلى ابن أخته » ورد في ص ٢٧٣ .

« الخال وارث من لا وارث له ، يرث ماله ويعقل عنه » ورد في ص ٢٧٢ .

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ورد في ص ٢٧٥ .

« المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم وإنه لا يتوارث أهل الملتين »

ورد في ص ٢٧٠ .

« من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » ورد في ص ٣٦١ .

« يؤتى بالعبد فيقف بين يدي الله تعالى ، فيأمر به إلى النار . فيقول : يا رب ،

لم أمرت بي إلى النار ؟ فيقول : لأنك لم تشكر نعمتي . فيقول : يا رب ، أنعمت

بكذا فشكرتُ بكذا ، فلا يزال يُحصى النعم ويعدد الشكر . فيقول الله عز وجل :

صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أنعمت عليك على يده » ورد في ص ١٩٠ .



القوافي

(الهمزة)

صدره	قافيته	قائله	الصفحة
وأصبح لا يدري	أم وراؤه	—	٦٠
أرادوا له	وفضل ثراء	عبد الرحمن بن أحمد	٢٩٩

(الباء)

وإذا طلبت	عليه بحاجب	مالك بن أسماء	٧٤
إذا بدعة	كل صعب	علي بن الفرات	٢١٥
ياسيدي ومؤملي	وريب	أبو الفضل بن الحجام	٢١٧
لما غدوت	تسب	جعفر بن قدامة	٢٣٤

(التاء)

فراغ غاض	دمعُ المكرمات	علي بن هشام	١٦٢
عيني أ كنت	خُنت	خالد الكاتب	١٦٣
أنعموا	بالبكرات	محمد بن إبراهيم	٢١١
لما خلوت	والصلات	جعفر بن قدامة	٢٣٣
لى مدة	مت	—	٣٨٢

(الهاء)

هنيئًا	وحادث	—	٩
قل لهذا	أيمًا إثاث	أحمد بن إسحاق	٢٤٥

صدره	قافيته	قائمه	الصفحة
(الذال)			
اقلوا عليهم	سدوا	—	٧٥
يارب	شاهد	ابن بسام	٨٦
كرم أنجز	نقدًا	البحترى	٨٧
لو كان	دائمًا أبدًا	—	١٢٣
عزمت على	من يسود	—	٢٤٣
لا تلحنى	الرشد	أحمد بن الفرات	٢٤٤
(الراء)			
لأنحب المجد	الصبر	أعرابي	٦
قالوا تغير	بغير تجار	ابن بسام	٧٧
أياديك	قصير	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	١٨٩
ترك	بالبحيرة	ابن بسام	٢٠٣
أأنت الذى	لهجير	بعض العرب	٢٢١
وما أنس	سفنح ثبير	بعض العرب	٢٢٢
أبظلمنى	الأموير	محمد بن غالب	٢٢٦
(السين)			
سيرت	الإنس	سالم بن عبد الله	٣٣٤
(الضاد)			
نضا شبيهه	فتعوضا	عبد الرحمن بن أحمد	٢٩٧
(العين)			
خليلى	فودعا	على بن الفرات	٨٦

صدره	قافيته	قائله	الصفحة
(العين)			
خليفة	وبغا	—	٢٤١
(الفاء)			
قايسْتُ	لا تقي	ابن المعتز	٢١٠
يا ذا الذي	المسرف	ابن المعتز	٢١٠
ولى همة	هو أشرفُ	ابن أبى البغل	٢٩٧
(اللام)			
لى أحمدان	أعدّد لى	ابن بسام	٨٦
يادهر	فاتركه لى	ابن المعتز	٨٧
يا ابن الفرات	الفعال	جعفر بن قدامة	٢٣٣
(الميم)			
ياولى الإمام	الصيام	عبيد الله بن عبد الله	٢١١
وعلمتني	ظلمى	أحمد بن الفرات	٢٤٤
الضعوُ	يترتمُ	ابن أبى البغل	٣٨٢
أبا أمية	نأتمُ	أحمد بن الفرات	٣٩٩
(النون)			
على كل حال	والحدثان	—	١٤٠
شكرى لك	وإعلاني	عبيد الله بن عبد الله	١٩٠
قالوا لنا	مولانا	يحيى بن على المنجم	٢٥٢

صدره	قافيته	قائله	الصفحة
أمل	بعد المكانِ	ابن أبي البغل	٢٩٧
	(الماء)		
معذبتي	من وجهِ	علي بن الفرات	١٦٠
	(الواو)		
إخلاى	صاحبه خلوُ	أبو العتاهية	٢١٣



فهرس أعلام الأشخاص

(١)

أحمد بن إبراهيم بن أفلح العكبرى ٦٨٤

أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضى

١١٣ - ١١٦ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ،

٣١٩ ، ٣١٨

أحمد بن إسرائيل الكاتب أبو جعفر

٢١٢

أحمد بن إسماعيل أبو الطيب ٢٠٢ ،

٢١٧ ، ٢٠٤

أحمد بن أيوب ١٦٤

أبو أحمد = الحسن بن على بن محمد

ابن الفرات

أبو أحمد الوزير = العباس بن الحسن

أحمد بن بدر العم أبو عيسى ٥٧ ،

١٧٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٧

أحمد بن بسطام أبو العباس = أحمد

ابن محمد بن بسطام

أحمد بن حماد الموصلى = ابن حماد

الموصلى ٤٧ ، ٩٤ ، ١٨٠ ، ٣٢٣

أحمد بن سعيد ٣٠٢

أحمد بن صالح بن شيرزاد أبو بكر

٨٩ ، ٩٠

إبراهيم بن أحمد بن إدريس ٢٤٦

إبراهيم بن أحمد المادرائى ٢٤٦

إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى ٥٣

إبراهيم بن أيوب الكاتب = ابن

أيوب ١٥٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢

إبراهيم بن حاجب النعمان بن عبد الله ٤٨

إبراهيم بن سليمان ٢٨

إبراهيم بن عبد الله عامل بادوريا ٢٧٨

إبراهيم بن عيسى ٢٨٠

إبراهيم بن عيسى بن الجراح أبو إسحاق

٥٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ،

٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠

إبراهيم بن فورعة ٢٦٧

إبراهيم الكاتب ٣٨٧

إبراهيم بن هلال الصابى أبو إسحاق

١٧٠ ، ٣١٢

إبراهيم بن يوحنا ٢٤٨

إبليس ١٢٨

ابن الأجرى ٨٣

أحمد بن العباس النوفلى = أبو العباس
 النوفلى ١٦١
 أحمد بن العباس بن الحسن أبو الحسن
 ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥
 أحمد بن العباس بن عيسى بن شيخ
 ١٦٥
 أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر ٧٨
 أحمد بن عبد الله بن رشيد = ابن
 رشيد ٩٢٢
 أحمد بن عبد الله « عبيد الله » بن
 عمار ٢٢٣
 أحمد بن عبيد الله بن سليمان =
 أبو العباس الخصبى ٩٨ ، ٣٣٥ ،
 ٣٤٠ ، ٣٣٦
 أحمد بن على أخو صعلوك ٥٥ ، ٥٦
 أحمد بن على بن المختار الأنماطى ٣٨٥
 أحمد بن القاسم الأزرق أبو بكر ٢٤٧
 أحمد بن كشمرد ٥٧
 أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامى
 ٢٤٥
 أحمد بن محمد بن أبى الأصمغ ٥٠ ،
 ٨٧ ، ١٥٢
 أحمد بن محمد بن بسطام أبو العباس ١٢ ،
 ٤٩ ، ٥١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٧٥

أحمد بن محمد بن بشار ٣٨٦
 أحمد بن محمد بن بعد شر = ابن
 بعد شر
 أحمد بن محمد بن ثوابة أبو العباس =
 أبو العباس بن ثوابة ٢٧٨
 أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ٢٤٧
 أحمد بن محمد بن جاني ٣٢٢
 أحمد بن محمد بن حبش ١١٨
 أحمد بن محمد بن الحسن البصرى
 أبو عمر ٣٥٠
 أحمد بن محمد الحليمى أبو عبد الله ٣٦٥
 أحمد بن محمد بن خالد = أخو أبى
 صخرة أبو عيسى ٣٦٨ ، ٢٩١ ،
 ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥
 أحمد بن محمد بن رسم = ابن رسم ٢٣١ ،
 ٣٣٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧١
 أحمد بن محمد بن سمعون = ابن سمعون
 ٢٨٣ ، ٣٧٢
 أحمد بن محمد بن سهل أبو الحسن
 ١٨٧ ، ١٨٨
 أحمد بن محمد الطائى ١٤ ، ١٥
 أحمد بن محمد بن عبد الحميد = ابن
 عبد الحميد ١١٩ ، ١١٢
 أحمد بن محمد بن على = قرق ٢٤٦ ، ٢٤٧

أحمد بن يزيد = ابن يزيد ١٨٣ ،
١٢٢ ، ٢٢٠

أحمد بن يوسف بن الأزرق أبو الحسن
٣٧٥ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ١٤٧

إسحاق بن إبراهيم القاضي ٢٦

إسحاق بن إبراهيم المصعبي ٢٤٢

إسحاق بن أحمد أبو ياسر ٢٤٦

إسحاق بن إسماعيل ٣٣٨

إسحاق بن حنين الطيب ٣٩٠ ، ٢٥٠

إسحاق بن شاهين ١٩٤

إسحاق بن عمران ٣٠٦

أبو إسحاق القراريطي = محمد بن

أحمد الإسكافي ٣٤٤

أبو إسحاق المدير ٦٠

إسرائيل النصراني ١٠٩

أسماء بنت عيسى بن الجراح ١٦٦

إسماعيل بن إسحاق القاضي أبو الحسن

٢٧٨ ، ٢٤٢

إسماعيل بن بلبل أبو الصقر ١٣ ، ٤٤ ،

٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٢٣٢ ، ٢٢٦ ، ٨٢

إسماعيل بن عباد = صاحب بن عباد

أبو القاسم ٥

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل =

أبو القاسم بن زنجي

أحمد بن محمد الكاتب أبو عبد الله ٣٠٠

أحمد بن محمد بن المعلي أبو الحسين ٣٨٠

أحمد بن محمد بن موسى بن القرات =

أبو العباس بن القرات ١٢ -

١٤ ، ٢٨ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٦ -

١٥٧ ، ١٥٢ - ١٤٧ ، ١٣٥ ، ٨٨

١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٣ ،

١٩٩ - ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٥ -

٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢

أحمد بن محمد بن ميمون أبو الحسين

١٦٤ ، ١٦٣

أحمد بن محمد الهرج ١٨٤

أحمد بن مروان أبو العباس ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٢٩

أبو أحمد بن المنتاب ١٩٤

أحمد بن موسى الرازي ١٤٨

أبو أحمد ابن أخي ميمون بن إبراهيم

٢٠٣

أحمد بن نصر البازيار ٤٦ ، ٤٧

أحمد بن هلال ١٧٣

أحمد بن يحيى بن حافي ٢٤٦ ، ٣٧٨

أبو أحمد بن يزداد ١٢ ، ١٣

ابن أبي الأصبح = أحمد بن محمد بن أبي

الأصبح

ابن أبي الأصبح = محمد بن أحمد بن ١٢

١٣

اصطفى بن يعقوب = يعقوب

بن اصطفى ١٥٨

الأصمى ٢٢٢

أقليدس ٢٢٢

ابن الأكموش ٢٣٧

أبو أمية = الغلابي ٣٩٩

ابن أمينة ٢٨٣

أنوش بن الحرهان ١٥٦

أنوشروان ٢٣٩، ٢٤٠

أبو أيوب ٣١١

الباقر « محمد بن علي » ١٩٠

الباقر بن أبي عبد الله الحسن بن علي

٣٦٦، ٢٨٨

بجكم ٣٤٣

البحترى ٨٧

بدر = بدر المعتضدى

ابن أبي بدر ٢٤٤

بدر الحرى أبو الخير ١٢٠، ١٧٣

بدر الخادم ١٩٥

بدر اللاني ٢٩، ١٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧

بدر المعتضدى أبو النجم ١٧، ١٨،

١٩، ٢٥، ٢٧، ١٠٩، ١٩٩،

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢١٨، ٢٧١، ٢٧٨،

٢٨٤

بدعه الكبرى ٢١٥، ٣٠٢

ابن البزال العامل ٣٨٢

البرامكة ٢٤٩، ٣٨٥

البريدى أبو عبد الله ٣٤٣، ٣٨٦

البروفرى = محمد بن علي

ابن بسام = علي بن محمد بن بسام

٧٧، ٨٦، ١٢٣، ٢٠٣

ابن بسام = أحمد بن محمد بن بسام

أبو العباس

ابن بسام = أبو جعفر بن بسام

٧٣، ٧٤

ابن بسام = علي بن أحمد بن بسام

أبو القاسم ٩٩، ٢٦٠، ٣١٣

ابن بسام = محمد بن أحمد

أبو الحسن

ابن بسام = محمد بن أحمد أبو الفضل

بشر الشرايى ١٧٣

بشر بن عبد الله النصرانى كاتب مفلح

٢٦٥

بشر بن علي أبو نصر ١٧٨، ٣٩،
٢٦٥، ٢٦٤، ١٧٩

أبو بشر بن فرجويه = عبد الله بن
فرجويه ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦،

٣٧، ٣٩، ٩٠، ١١٢، ١٨٠،

١٨١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٩

بشرى غلام زنجي ١٩٨

ابن بطحا ١٧٦

بظرام الدنيا السكاتب ٧٣

ابن بعد شر = أحمد بن محمد ٦١،

٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩،

٨٠، ١٣٩

بغا الشراي ١٧٣، ٢٤١

ابن أبي البغل أبو الحسن = علي بن

أحمد ١٨٥، ١٨٦، ٢٨٥، ٢٩٢،

٢٩٤، ٢٩٥

ابن أبي البغل = محمد بن أحمد أبو الحسين

٥١، ٨٤، ١٢٤، ٢٩١، ٢٩٩،

٣٠٤، ٣٦٧، ٣٨٢

بو بكر بن ثوبة ٢٨٠، ٢٨١

أبو بكر بن رائق ٣٦٠

أبو بكر الزهري الأصبهاني ٢٩٥، ٢٩٦

أبو بكر الشافعي = الشافعي ٣٥٧،

٣٦١

أبو بكر الصديق ١٢٥، ٣٦٩

أبو بكر بن عبد العزيز = محمد بن

الحسن بن عبد العزيز

أبو بكر بن فتح الوراق ٢٣٨

أبو بكر بن قزاة ٤٦، ٧٧، ٨١

أبو بكر بن مقاتل ٣٧٦، ٣٧٨

بنان بن بنان أبو الفضل ٢٨٨، ٣٠٢

بني بن نفيس ٣١، ٣٢، ٣١٣

(ت)

تكوين الخاصة ١٥٦، ٢٣٠، ٢٤٦

تكوينك ٣٤٣

(ث)

ثابت بن أحمد بن المشرف أبو محمد ٣٧٣

ثابت بن الدحداح ٢٧٣

ثابت بن سنان أبو الحسن ٢٨، ٢٩،

١١٠، ٢٩٩، ٣٤٩، ٣٩٢

ثمل القهرمانة ٤٨، ١٧٢

ابن ثوبة = أحمد بن محمد بن ثوبة

ابن ثوبة = العباس بن محمد بن ثوبة

ابن ثوبة ٣١٨

(ج)

ابن جبير = عبد الله بن جبير أبو منصور

٧٦، ٧٤، ٦٠، ٤٦، ٣٨، ٣٧، ٣٤

٢٤٥، ١٩٣، ١٨٧، ١٥٨، ١٣٤

٢٨٩، ٢٨٨، ٢٦٧، ٢٦١، ٢٥٠

٣٣٣

ابن جبير = عيسى بن جبير أبو نوح

١٩٣، ٣٩ وانظر «أبو نوح»

الجرو = محمد بن الحسن الكرخي

ابن جريج ٢٧٢

ابن الجصاص = أبو عبد الله بن

الجصاص ١٢٨، ١٢٦، ١٢٥

أبو جعفر = أحمد بن إسحاق

ابن البهلول

أبو جعفر بن بسطام ٧٤، ٧٣

جعفر بن جعفر الكرخي ٣٣٨

جعفر الحرامي الخازن ٢١٧

جعفر بن حفص ١٦٠

أبو جعفر بن شيرزاد ٣٤٢

أبو جعفر الصيمري ٣٩٧-٣٩٢

أبو جعفر = الطائي ٤٤، ١١٩،

١٢٥، ١٢٤

جعفر بن الفرات ٣٩٣

أبو جعفر والد ابن الفرات ٣٣

أبو جعفر بن القاسم بن عبيد الله ٢٤٩

جعفر بن قدامة ٢٣٣

جعفر بن محمد العامل بفارس ٥١

جعفر بن محمد بن حفص ١٣، ١٢

جعفر بن محمد بن الفرات أبو عبد الله

٢٧٨، ٢٥٨، ٢٢٥

أبو جعفر = محمد بن القاسم الكرخي

جعفر = المقتدر الخليفة

جعفر بن ورقاء ١٧٤

الجنابي = أبو طاهر سليمان القرمطي

٣٤١، ٧٩، ٥٧

ابن جناح ١٩٤

الجهظ = علي بن الحسين ٨٩، ٨٨

٢٧٨

الجهشياري = محمد بن عبدوس ٤

٣٤١

ابن جهم «علي بن الجهم» ٢٣٤

الجوهري رسول القرمطي ٣٤٢

أبو الحسن بن أبي البغل = علي
ابن أحمد

أبو الحسن بن جعفر بن حفص
الكاتب ٢٣٨

الحسن بن حمدون أبو علي = ابن
حمدون ٢٣٩، ٢٤٠

الحسن بن روح أبو محمد = ابن روح
٢٩٩، ٣٠٠

أبو الحسن الروزباري = محمد بن
عبد الرحمن

أبو الحسن بن سنان = ثابت بن سنان
الحسن بن شبيب العتي ٦٩

أبو الحسن بن أبي الشوارب القاضي
١٧١

أبو الحسن بن ظفر الكرخي ٣٤٦
أبو الحسن بن عبد الحميد ٣٣

الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب
١٧٦

الحسن بن علي = الباقر بن أبي عبد الله
٢٨٨

الحسن (بن علي بن أبي طالب) ٧٠
الحسن بن علي العدوي أبو سعيد ٢٢٣

الحسن بن علي بن محمد بن الفرات
٣٩، ٤٢، ٦٠، ١٧٤، ٢٣٢

(ح)

حامد بن العباس ٣٧-٤٤، ٤٨-٥٢،

٦٦، ٧٩، ٨٠، ٩٣-٩٥، ١٠٣-

١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٣-١١٧،

١٣٩، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٤-١٩٦،

٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩،

٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠،

٢٧٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٤،

٣١٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٧٥، ٣٨٢،

ابن حبشي ٤٧

حبشي بن إسحاق السجان ١٥٧

الحبشي المستخرج ٤٧

ابن حبيب الذراع ٢٧٨

أم حبيب ٢٥

ابن الحجاج = محمد بن جعفر بن الحجاج

الحجاج بن يوسف ١١٩، ١٢١، ١٢٢،

حجر ٢٢٤

الحربي وكيل ابن المقدر ٢٢٦

الحسن بن إبراهيم الخرائطي ٢٤٧

أبو الحسن = أحمد بن العباس بن الحسن

الحسن بن أحمد المادرائي أبو أحمد ٢٤٨

أبو الحسن الأزرق التنوخي ٢٣٧

الحسن بن إسماعيل الإسكافي ٣٤١

١٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٤١ ،

٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦

أبو الحسين = أحمد بن محمد بن ميمون

الحسين بن إسماعيل الحاملي أبو عبد الله

١٧٦

أبو الحسين بن أبي البغل = ابن أبي

البغل = محمد بن أحمد

الحسين بن حمدان ٨١ ، ١٠٠ ، ٢٥٦ ،

٣٠٧

الحسين الخادم = الخلد ١٦٢

الحسين بن سعد القطريلي ٢٤٧

الحسين بن عبد الأعلى ١٢٤

الحسين بن عبد الله الجوهري =

ابن الجصاص ٢٤٥

(الحسين بن علي) = السبط

الحسين بن علي بن محمد بن القرات

٣٢ ، ٢٩

الحسين بن علي بن كردى =

ابن كردى ٢٥٩

الحسين بن علي بن نصير ٢٤٧

أبو الحسين بن أبي عمر القاضي ٣٥٠

أبو الحسين بن عياش ٣٥١

الحسن بن أبي عمرو الشرايى ٣١٢

الحسن بن أبي عيسى الناقد ٢٤٥ ،

٢٤٦

أبو الحسن بن قرابة ٨٢

أبو الحسن بن ماني الكوفي ٢٧٨

أبو الحسن = محمد بن جعفر بن ثوابه

الحسن بن محمد الصلحي أبو محمد ١٣٠ ،

١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨

الحسن بن محمد بن عينة ٣٦٣

الحسن بن محمد القصري = ابن زياد

٢٥٤ ، ٢٥٥

الحسن بن محمد الكرخي أبو أحمد

٩٣ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ٣٣٥

الحسن بن محمد المهلبى ٥

الحسن بن مخلد ٨٢ ، ٢٨٤

الحسن المزين ١٩٥

الحسن العلوف المستخرج ١١٩

أبو الحسن بن نيداد ٣٦٢

الحسن بن هارون أبو علي ٣٥٣

الحسين بن أحمد المادرائى = أبو زنبور

٥١ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ - ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٩ ،

أبو الحسين بن فراس ٢٤٩

الحلاج ٢٣١

ابن حماد كاتب موسى بن خلف ١١٤

ابن حماد الموصلي = أحمد بن حماد

حمد بن إسحاق المادرائي أبو جعفر ٨٣

حمد بن محمد القنائي ٩٢ ، ٣٧٥

ابن حمدون = محمد بن محمد بن حمدون

حزابة ٦٣ ، ٦٤

ابن الحواري = أبو القاسم بن

الحواري = علي بن محمد الحواري

٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ،

٨٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٠ ،

١٣٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٧٤

(خ)

أبو خازم القاضي ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٧١ ،

٢٧٨

خاطف ١١٩

خاقان بن أحمد بن يحيى ٦٢

الخالقاني الأكبر ٢٩١

الخالقاني = عبد الله بن محمد أبو القاسم =

ابن الخالقاني

الخالقاني = محمد بن عبيد الله

خالد الكاتب ١٦٢

خديجة بنت الفضل بن جعفر ٢٣٦

أبو خراسان صاحب بيت المال ١٣٣

أبو الخصيب كاتب أحمد بن العباس

٢٧٥

الخصبى أبو العباس = أحمد بن

عبيد الله بن سليمان

أبو الخطاب ولعله العباس بن أحمد بن

محمد ١١٢

أبو الخطاب بن أبي العباس = العباس

بن أحمد بن محمد بن الفرات

خطار مش ٢٥٦

خفيف السمرقندي الحاجب ١٥٤ ،

١٦٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،

٣٩٠

ابن الخياط = أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر

(د)

دانيال بن عيسى ١٥٨

داود بن حمدان ٣٣١

ابن الدردى ٢٨٩

دريرة ٢٠٢ ، ٢٠٣

دستنبويه أم ولد المعتضد ١١٩ ، ٢٨٧

دق صدره لقب محمد بن عبيد الله

الديقي قهرمان ٦١

ابن رشيد = محمد بن عبد الله بن رشيد
 رشيق القارى ١٩
 الرضا أبو الحسن ١٩٠، ٨٩
 رهبان جارية ٦٩
 (ز)

زبيدة ٢٤٢
 الزجاج ٣٦٩
 زكرويه ٨١، ٨٠
 زكريا بن يحيى بن شاذان = ابن
 شاذان ٧٦
 زكريا بن يوحنا ١٧٧

زنجى أبو عبد الله = محمد بن إسماعيل
 زنجى ٣٠، ٧٢، ٧٣، ٩٨،
 ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٩١، ١٩٢،
 ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٦،
 ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣،
 ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٤،
 ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣ -
 ٢٥٥، ٢٦٠ - ٢٦٤، ٢٦٨،
 ٣٢٨

أبو زنبور المادرائى = الحسين بن أحمد
 ابن الزنداق الحاجب ٤٣
 ابن زياد = الحسن بن محمد القصرى

ابن أبى دلف ١٩
 دلويه أبو محمد ٣٤١
 أبناء دميانة ١٠١، ٢٥٦
 دنانير جارية زوجة المحسن ٦٩
 دولة أم ولد ابن الفرات ٣٩، ١٧٤،
 ٣٣٢

(ذ)

ذكا الأعور ٢٣٠
 ذكويه = عبد الله بن على أبو محمد
 ٣١٧

(ر)

راشد ١٧
 راشد بن سعد ٢٧٢
 الراضى بالله الخليفة ٢٤٥، ٣٤٩،
 ٣٦٠، ٣٥٩
 ابن راهويه الفقيه ١٩١
 رائق خادم السيدة ٥١، ١٥٦، ١٧٣
 ابن رستم = أحمد بن محمد بن رستم
 ابن رستم كان بسر من رأى ١٦٣
 ابن رستم كاتب كان مع بفا ١٦٣
 الرشيد الخليفة ١٦٠، ٢٤٩
 ابن رشيد = أحمد بن عبيد الله
 ابن رشيد

سعيد بن سنجلا = سعيد بن عمرو
أبو الحسن ١٤١، ١٥٨،

سعيد بن الفرخان = ابن الفرخان
١٨٠، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٦١،

سعيد بن محمد أبو غانم كاتب المحسن
٤٥، ٦٠، ٣٢٢،

ابن أبي السلاسل ٣٧٣

سلامة الحاجب ٣١٠

سلامة الطولوني ٣٣٥

سليمان بن الحسن بن مخلد أبو القاسم
٣٣، ٣٤، ٤٧، ٨٩، ٧٥، ٩٠،

١٠٣، ١١٧، ٢٢٩، ٢٤٨، ٣٠٢،

٣٣٦، ٣٣٩،

سليمان بن أبي شيخ ٢٢٤

سليمان بن عبد الحميد كاتب السيدة =

ابن عبد الحميد ١١٧

سليمان بن عبد الملك ٢٤٨

سليمان بن وهب ٢٨، ٣٦، ١٩٩،

٢١٤، ٢٣٠، ٢٨٤،

ابن سمعان صاحب بدر الغضضي

١٩٩-٢٠١

ابن سمعون = أحمد بن محمد

ابن سمعون

أبو سهل بن زياد القطان ٣٧٤

زيد بن إبراهيم عامل كرمان ٥١،
٢٣١

زيد بن ثابت ٢٧٠، ٢٧٤،

زيدان القهرمانة ٣٧، ٣٩، ٩٧،

١٠٤، ١٢٠، ١٧٢، ٢٦٦،

٣١٠، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٤،

٣٢٦، ٣٤٢،

(س)

ابن أبي الساج = يوسف بن داود

٥٤، ٥٥، ٥٦، ١١٤، ١١٥،

١٧٣

حاكن صاحب الدواة ١٢٣، ٢٦٤،

٣٢٨

سالم بن عبد الله أبو ميمون ٣٣٤

السيبط الحسين بن علي ١٩٠

سبك المفلحي ٣٠٠

سبكتكين أبو منصور ١٩٩

سبكري ١٢٠

السجاد «علي بن الحسين» ١٩٠

سرخاب الخادم ١٠١، ٢٥٦،

سرور غلام خديجة بنت الفضل ٢٣٦

ابن سعد حاجب الخاقاني ٢٨٧

سعيد بن إبراهيم التستري ٣٩، ٦٠،

٢٦١

ابن أبي شبيب ١٣٧
 أبو شجاع ٣١١
 شريك بن عبد الله ٢٧٢
 الشعبي ١٨٦
 شفيع ٣٨٠
 شفيع خادم السيدة ٥٧ ، ٢٩٠
 شفيع الكبير = شفيع اللؤلؤي
 شفيع اللؤلؤي أبو الفصن ٤٦ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٠ ،
 ١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
 ١٧٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦
 شفيع المقتدر ٣٩ ، ٥٤ ، ١٧٣
 (ص)
 صاحب الخلال «الحسين بن زكرويه»
 ١٥٢ ، ٢٨٩
 الصادق (جعفر بن محمد) ١٩٠
 صاعد بن مخلد ٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩١
 صافي مولى المقتدر ١٠١ ، ١٥٦ ،
 ٢٥٧ ، ٣٢٥
 صالح «قائد» ٣٢٤

أبو سهل العارض ٣٩٥
 أبو سهل النوبختي ٤٠
 سوسن الجصاصي ١٠١
 سوسن الحاجب ٢٩ - ٣٢ ، ١٠٢ ،
 ١٥٥ - ١٥٧
 سومة الطيب ٣٥
 السيدة أم المقتدر «شعب» ٣٦ -
 ٣٨ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٧ ،
 ٩٧ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
 ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٧٢ ،
 ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ ،
 ٣٠٨ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ،
 ٣٧٧
 سيبا «غلام» ١٥٩
 (ش)
 ابن شاذان = زكريا بن يحيى
 ابن شاذان
 ابن الشاشي = سعيد بن محمد
 الشافعي = أبو بكر الشافعي
 ابن شاذة ١٩٤
 الشاه بن ميكال ٤٩

أبو الطيب الكلوزاني = الكلوزاني

= محمد بن أحمد الكلوزاني

(ع)

عاصم بن عدي ٢٧٣

أبو عامر الهوزني ٢٧٢

عائشة أم المؤمنين ٢٧٢

عبادة بن أبي عباد ٢٧٢

العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات

أبو الخطاب ٢٤٩

أبو العباس بن ثوبة = أحمد بن محمد

ابن ثوبة

العباس بن الحسن أبو أحمد ٤ ، ١٠ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،

١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ - ٢٥٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢٠ ، ٣٨٧ - ٣٩١

ابن عباس = عبد الله بن العباس

العباس بن عبد المطلب ٣٥٧

أبو العباس بن الفرات = أحمد بن

محمد بن الفرات

أخو أبي صخرة = أحمد بن محمد

ابن خالد

ابن الصريفي صاحب الجيش ٣٣١

صعلوك أخو أحمد بن علي ٥٦

أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل

الصقر بن محمد أبو الحسين ٧٦ ، ٣٣ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

أبو الصلت الهروي ١٨٩ ، ١٩٠ ،

صلح ١٤٠

صمصام الدولة ١٦٩ ، ١٧٠ ،

الصولي أبو علي ١٦١

الصولي محمد بن يحيى أبو بكر ٤ ،

٢٤١ ، ٣٨١

ابن الصيرفي = عثمان بن سعيد ٦٧ ،

٢٣٠ ، ٢٣١

(ط)

طازاد بن عيسى ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

أبو طالب بن البهلول ١٧٦

أبو طاهر بن أبي سعيد = الجنابي

أبو طاهر محمد بن عبد الصمد ٥٤

طاووس ٢٧٢

الطائي = أبو جعفر

طلحة بن عبد الله أبو جعفر ٢٣٨

عبد الرحمن بن محمد بن يزيد ٨٧
 عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله =
 أبو قيراط ١٥٨، ١٥٩
 عبد الله بن أحمد بن داسة أبو محمد ٣٧٤
 عبد الله بن أحمد بن عياش ١٢٩، ٣٥٩
 أبو عبد الله البريدي = البريدي
 عبد الله بن جبير = ابن جبير
 أبو عبد الله بن الجصاص = ابن الجصاص
 عبد الله بن حمدان أبو الهيثماء ٥٧،
 ١٧٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤
 عبد الله بن الزبير ٢٤٨
 أبو عبد الله زنجي = زنجي
 عبد الله بن زيد بن إبراهيم ٢٤٧
 عبد الله بن العباس ٢٦٩، ٢٧٠،
 ٢٧٤، ٢٧٥
 أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافي ٢٩٠
 أبو عبد الله بن أبي العلاء ٣٠١
 عبد الله بن علي الجرجاني ٣٦٤
 عبد الله بن علي أبو محمد = ذكويه
 عبد الله بن فرجويه = أبو بشر
 ابن فرجويه
 عبد الله بن الفرخان = أبو بشر ١٨٠،
 ٢٦١، ٢٦٢
 أبو عبد الله بن القاسم بن محمد السكرخي
 ٢٩٥، ٢٩٦

العباس الفرغاني ٣٠، ٣١، ٤٦، ٢١٥،
 ٢٢١، ٣٣٣
 العباس بن محمد بن ثوبة أبو الهيثم =
 ابن ثوبة ١١٨، ١١٩، ٢٨٥، ٢٨٧
 أبو العباس بن المقتدر ٥٨
 العباس بن منصور ٢٨٠
 العباس بن موسى بن المثنى = ابن المثنى
 ٢٨٢، ٢٨٣
 أبو العباس بن النفاط ٣٠١
 أبو العباس التوفلي = أحمد بن العباس
 التوفلي
 ابن عبد الأعلى = الحسين بن عبد الأعلى
 ابن عبد الحميد = أحمد بن محمد بن عبد الحميد
 ابن عبد الحميد كاتب السيدة = سليمان
 عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي ٢٦٩
 عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني
 أبو سعيد ٢٩٧
 عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي ٣٦٧
 عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ٥٠،
 ١٤١، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٩
 ٣٠٠، ٣١١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢
 ٣٤٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٨، ٣٨١
 ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٧

عبد الواحد بن محمد بن عبيد الله الخاقاني

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

عبد الواحد بن الناصر ٢٥

ابن عبدوس حاجب علي بن عيسى

١١٦

ابن عبدون = محمد بن عبدون

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله =

ابن ماشاء الله ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧

٢٤٦ ، ٣١٢

عبد الوهاب الخاقاني ١٤٠

العبرتائي = محمد بن جعفر

عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ١٩٩

عبيد الله بن أحمد يعقوب ٢٤٧

عبيد الله بن الحسن النرسي = النرسي

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٢

عبيد الله بن سليمان أبو القاسم ١٢ -

١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٧

٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦

١١٩ ، ١٤٨ - ١٥٠ ، ١٦٢

١٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٠

٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧

٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨

٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٣ ، ٣٨٢

أبو عبد الله الكوفي ٣٤٣

أبو عبد الله بن الماسح = ابن الماسح

٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤

عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني

أبو القاسم ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٩

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

عبد الله بن محمد المروزي أبو الفتح ٧٢

عبد الله بن مسعود ٢٦٩ ، ٢٧٠

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

عبد الله بن المعتز = ابن المعتز ٢٨

٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ٩٠

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠ -

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥

١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٥٥

٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧

أبو عبد الله بن أبي موسى ١٧٦

أبو عبد الله الموسوي العلوي ٣٥٣

عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٨ ، ١٩٥

عبد الملك بن مروان ٢٤٨

عبد الواحد بن عبيد الله بن عيسى

٢٤٦

علي بن أحمد بن بسطام = ابن
بسطام

علي بن أحمد بن علي بن الحسين ١٣٧
علي بن أحمد بن يحيى = ابن أبي
البغل

علي بن إسحاق ١٩٤
أبو علي أبو أبي بكر بن ثوبة ٢٨١
أبو علي التنوخي = الحسن بن علي
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٦٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥١ ،
٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٧٥

علي بن جعفر أبو الحسن ٢٨٢
علي بن الحسن الباذيبي ٤٨ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦

علي بن الحسن بن هبتي القناني ٧٧
علي بن الحسين = الجهمظ
أبو علي الخاقاني = محمد بن عبيد الله
- بن خاقان

علي بن خلف أخو محمد بن خلف ٤٦
علي بن سليمان الأخفش ٣٩٨
أبو علي الصولي = الصولي
علي بن أبي طالب ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٩٠ ،
٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٥

عبيد الله بن عبد الله بن الحارث ٣٣٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٤١ ،
عبيد الله بن عيسى بن داود بن الجراح
٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٣٧ ،

عبيد الله بن القاسم ٣١٢
عبيد الله بن محمد أبو أحمد ١٧٩
عبيد الله بن محمد الكلوزاني أبو القاسم
٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٠

عبيد الله بن يحيى ٨٣ ، ٨٩
أبو العتاهبة ٢١٣
عثمان بن الحسن بن عبد العزيز ٢٣٣
عثمان بن سعيد = ابن الصيرفي
عج بن عاج ٢٨٧
أبو العجب « مشعب » ٣٩٧
عجيب خادم نازوك ٧١
عرفان زوجة ابن الحجاج ١٣٨
ابن عرفة ٣٣٨
المرمر = محمد بن عيسى بن داود
عضد الدولة ١٦٩
أبو العلاء بن سنجلا ٥١

أبو علي بن القاسم بن عبيد الله، ٢٤٩

علي الليثي ١٠١، ٢٥٦

علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي

٢٤٧، ٥٠، ٤٦

علي بن محمد بن أحمد بن السمان ٢٤٧

علي بن محمد الحواري = ابن الحواري

علي بن محمد بن داود ١٦٦

علي بن محمد بن موسى بن القرات

أبو الحسن ٥، ١٠، ١١، ٢٩٤

٣٠٤ - ٣٠٨، ٣١٣ - ٣٢١

٣٢٤ - ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩

٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٩، ٣٥٢

٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٠

أبو علي بن محفوظ ٣٩٢

علي بن المقدر ٢٦٦

أبو علي بن مقلّة = ابن مقلّة = محمد

ابن علي ٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥

٤٧، ٧٧، ٨١، ٨٦، ١١١

١٢٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٥

١٣٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٢٧

٢٤٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٣٦

٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣

٣٥٢، ٣٨٧، ٣٩٨

علي بن عبد الرحمن = ابن هاني

الكوفي ٢٣٣

علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان

١٧٠، ١٧١، ٢٣٤

أبو علي بن أبي عبد الله بن الجصاص

١٢٨، ١٢٥

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

٥، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٥ - ٣٨

٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨ -

٥٢، ٦٤، ٦٥، ٧٢، ٧٣،

٧٨ - ٩٢، ٩٤، ٩٨، ٩٩،

١٠١، ١٠٣، ١٠٥ - ١١٠،

١١٣ - ١١٧، ١١٧ - ١٣٨،

١٤٠، ١٤٣ - ١٤٩، ١٥١ -

١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٦،

١٦٨، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٢٩،

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥،

٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٢،

٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،

٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٧٨،

٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦،

٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٩،

٣٠٢ - ٣٠٤، ٣٠٥ - ٣٩٩

علي بن عيسى الزنداني ٢٨٨، ٣٠٢

عمر بن مسعدة ١٦٢
 عمرو بن مسلم ٢٧٢
 ابن عمرو به ٢٨
 عيسى بن جبير أبو نوح = ابن جبير
 أبو عيسى من الجلساء والملهين ٢٤
 عيسى بن شيخ ١٦٥
 أبو عيسى أخو أبي صخرة = أحمد
 ابن محمد بن خالد
 عيسى بن علي بن عيسى ٣٥٧، ٣٤٨
 ٣٣٧، ٣٧٦، ٣٧٤
 عيسى الناقد ٣١٦
 ابن عينونة = أبو محمد بن عينونة
 ١٧٩، ١٨٧
 (غ)
 أبو غانم كاتب المحسن = سعيد بن محمد
 غريب الجيلي ١٧٣، ١٥٦
 غريب الخال أبو القاسم ٣٦، ٣٤، ٢٨
 ٣٨٠، ٢٩٠
 غريب الكبير ١٧٣
 الغلابي أبو أمية ٣٩٩
 (ف)
 فاتك المعتضدي ٢٥٦، ١٠٠
 فارس الداية ٢٥٠

علي بن محمد بن نصر بن بسام =
 ابن بسام
 أبو علي بن هبتي القناني ١٧٨، ١٧٩،
 ١٨٠
 علي بن هشام بن الحسين ٦٠، ٨٧—
 ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٩،
 ١١١ — ١١٣، ١١٧، ١١٨،
 ١٢٠ — ١٢٢، ١٢٤، ٢٨٨،
 ٣٠٢، ٣٦٥، ٣٦٦
 علي بن يحيى بن سليمان ٣٨٢
 ابن أبي عمر كاتب المحسن ٤٧
 أبو عمر بن الأطروش ٧٨
 عمر بن الحسن الأشناني ١٧٦
 ابن عمر خازن الديوان ١٨٥
 عمر بن الخطاب ٧٨، ١٢٥، ٢٠٩،
 ٢٦٩ — ٢٧٥
 عمر بن شبة ٣٩٥
 عمر بن عبد العزيز ٢٤٩
 أبو عمر القاضي = محمد بن يوسف
 ٢٣٤، ٢٣٦، ٣٥٣
 عمر بن محمد أبو السري ٣٥٧
 أبو عمرو بن الجليل ١٣٩
 أبو عمرو الشراي ٣٨٧
 أبو عمرو بن الفرخان = سعيد بن الفرخان

فاطمة القمرمانه ١٥٨

فائق وجه القصعة ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٧

فخر الملك أبو غالب = محمد بن علي

بن خلف ١٧١، ٥

ابن القرات = أحمد بن محمد بن موسى

ابن القرات = علي بن محمد بن موسى

أبو الفرج بن حفص ١٤٠

فرج النصرانية صاحبة أم موسى ٢٩٣

أبو الفرج السلمي الكاتب ٣٠١

ابن فرجويه = أبو بشر = عبدالله

ابن الفرخان = سعيد بن الفرخان

أبو عمرو

فرخان شاه بن إسحاق أبو منصور ٧٧،

١٧٩

فرعون ٣٨٥

فرغان الخادم أبو خراسان ١٥٨

فريد ١٧٣

فريدة جارية المعتضد ٢٠١، ٢٠٢

الفضل بن أحمد الحياني ٣٥٧

الفضل بن أحمد بن محمد بن القرات =

أبو محمد بن أبي العباس ٢٤٩

الفضل بن جعفر بن محمد بن القرات

٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٦، ٢٢٩، ٦٣

أبو الفضل بن الحجام النحوي ٢١٦

الفضل بن الحسن الواسطي ٢٣٤، ٢٣٥

أبو الفضل بن حمد ٧٧

أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب ١٣

الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر ٣٥٣

الفضل بن علي بن محمد بن القرات

٢٩، ٦٠، ٣٣٤

أبو الفضل بن الوارث ١٦١

ابن فليحة ٣١٧، ٣١٩

فلقل ٥٧، ٣٢٦، ٣٣٠

(ق)

القادر بالله ١٧٠

أبو القاسم الخاقاني = عبد الله بن محمد

أبو القاسم الخال = غريب الخال

القاسم بن دينار ٢٣١

القاسم بن زرق أبو العلاء ٢٤

أبو القاسم بن زنجي = إسماعيل بن

محمد ٦٠، ٧٥، ٩٥، ١٦٦،

١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤،

١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧،

٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٢،

٢٥٩، ٢٦٤

(ك)

كاون « غلام » ٢٢٨

الكرخي = الحسن بن محمد أبو أحمد

الكرخي = القاسم بن محمد

ابن كردى = الحسين بن علي بن كردى

كسرى أنوشروان ١١٩، ١٢١، ٢١١

أم كلثوم قهرمانة ابن الفرات ٩٧

الكلوذاني = أبو القاسم = عبيد الله

ابن محمد

الكلوذاني = محمد بن أحمد

الكلوذاني

كورتكين ٣٤٣

(ل)

ابن لشكرون ١٩٩

ليث ٢٧٢

(م)

ابن الماسح = أبو عبد الله بن الماسح

ابن ما شاء الله = عبد الوهاب بن أحمد

ابن ما شاء الله

مالك بن الوليد ١٠٩

المالكي ٢٨٩

المالكي « يحيى بن مقيم » ١٤٠

المأمون الخليفة ٢٤٩

القاسم بن عبيد الله ٤، ٢٥، ١٢٤،

١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩،

١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٤،

٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٨،

٢٧٩، ٢٩٣، ٣١١، ٣٨٢ -

٣٨٥، ٣٨٧ - ٣٩١

أبو القاسم = عبيد الله بن سليمان

أبو القاسم الكلوذاني = عبيد الله

ابن محمد الكلوذاني

أبو القاسم بن محمد ١٩١

القاسم بن محمد الكرخي ٩٣، ٢٩٥

أبو القاسم = هشام والد علي بن هشام

القاهر بالله ١٥٩، ٣٨٦

القائم بأمر الله ١٦٩

ابن قرابة = أبو الحسن بن قرابة

ابن قرابة = أبو بكر بن قرابة

قرفر = أحمد بن محمد بن علي

قريب بن قريب أبو القاسم ٧٧، ٧٨

قسيم الجوهري ٣٨

ابن القناني = أبو علي بن هبتي

أبو قباط = عبد الرحمن بن هشام بن

عبد الله

قيصر خادم شفيع ١٤١، ٣٢٨

الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري =

المقتنى ٣٤٨

أبو محم ٢٢٢

محمد بن إبراهيم البرقي ٢٢٣

محمد بن إبراهيم بن الخصب ٢١١

محمد بن أحمد بن أبي الأصبع = ابن

أبي الأصبع

محمد بن أحمد بن بدر العم ١٧٣

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الحسن

٢٤٧

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الفضل ٢٤٥

محمد بن أحمد بن أبي البغل أبو الحسين =

ابن أبي البغل

محمد بن أحمد بن حماد ٢٤٦

محمد بن أحمد بن الصباح أبو عمر ٢٤٦

محمد بن أحمد السكوداني ٣٤ ، ٦٠ ،

٣٢٠ ، ٣١٧ ، ٢٦١ ، ٧٢ ، ٦٣

محمد بن أحمد بن ماسراد ٢٤٧

محمد بن أحمد بن القرات أبو جعفر =

أبو جعفر بن أبي العباس ٢٤٩

محمد بن إسحاق ٢٧٢

محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي ٢٤٢

محمد بن بدر الحامي أبو بكر ٣٣١

محمد بن جعفر ٢٥٨

مانس ٣٨٠

ماهر خادم على ٣٤٥

ابن المبارك القمي = المظفر بن المبارك

المتقى لله ٣٤٣ ، ٣٤٤

المتوكل على الله ٢٥ ، ١١٠ ، ٢٤٩

المتنى جد العباس بن موسى بن المتنى

ابن المتنى = العباس بن موسى

ابن المتنى

أبو المتنى ١٠١ ، ٢٥٦

ابن مجاشع ١٦٠

الحسن بن علي بن محمد بن القرات

أبو أحمد ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٥ ، ٤٧ - ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٧ - ٥٩ ، ٦٣ - ٦٥ ، ٦٧ - ٦٩ ،

٧١ ، ٨٠ ، ٨٤ - ٨٦ ، ١٢٠ ،

١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٨ -

١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ - ٢٦٦ ،

٣٢٠ - ٣٣٥ ، ٣٥٧

الحسن بن علي التنوخي = أبو علي

التنوخي

محمد بن جعفر بن ثوابة ٢٦٨ ، ٢٧١

٣٩٠

محمد الرقاص ١٠١ ، ٢٥٦

محمد بن زكريا = وزير الإسكافي

٢٧٦

محمد بن سعيد ٣٠٢

محمد بن سعيد الأزرق ١٠١ ، ١٦٥

٢٥٦ ، ١٦٦

محمد بن سعيد الديناري أبو عيسى ١٣

محمد بن سعيد حاجب الخاقاني ٦٢

أبو محمد بن سهلان ١٧١

محمد بن صالح أبو عبد الله ٢٦١

محمد بن صالح الهاشمي ٣٥٨

أبو محمد الصلحي = الحسن بن محمد

الصلحي ٣٥٩ ، ٣٦٠

محمد بن عبد الرحمن الروذباري ٢٣٨

محمد بن عبد الرحمن بن قريظة ٣٥٤

محمد بن عبد السلام بن سهل ٢٤٦

محمد بن عبد الصمد أبو طاهر ٥٤ ،

٥٥

محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسن

١٣٩

محمد بن عبد الله بن الحارث ٢٤٦

(٢٨ - الوزراء)

محمد بن جعفر بن ثوابة ٢٦٨ ، ٢٧١

محمد بن جعفر بن الحجاج ١٣٧ ،

١٣٨ ، ١٣٩

محمد بن جعفر العبتراني = العبتراني

٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧

محمد بن جعفر القرمطي ٢٣٠

محمد بن جعفر الكرخي ٣٣٨

محمد بن حاتم المزنوي أبو حاتم ٢٤١

محمد بن الحسن = أبو طاهر ٢٤٥

محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي

٣٥٧

محمد بن الحسن بن عبد الوهاب ٥١ ،

٣٣٥

محمد بن الحسن كاتب المسمعي ٣٣٨

محمد بن الحسن الكرخي = الجرو

٣٣٨

محمد بن الحسين بن العميد ٥

أبو محمد بن أبي الحسين ٣٥٠

محمد بن خلف التيرماني ٣٤١

محمد بن داود بن الجراح ٢٩ - ٣١ ،

١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ -

١٥٠ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ،

١٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ،

محمد بن علي بن مقله = أبو علي

ابن مقله = ابن مقله

محمد بن عيسى ٤٦

محمد بن عيسى بن داود بن الجراح =

العرمرم ٢٥٨، ٢٥٧

أبو محمد بن عينونة = ابن عينونة ١٧٨

محمد بن غالب الأصفهاني ٢١٣، ٢١٤،

٢٢٥، ٢٢٦

محمد بن القاسم الكرخي أبو جعفر

٣٣٨، ١٩١، ٧٥، ٧٤

أبو محمد المادرائي ١٨١

محمد بن محمد بن حمدون = ابن حمدون

٣٦٤، ٢٤٧، ١٤٩

أبو محمد المهلب ٣٥٨

محمد بن نصر ٦٤، ٤٧

محمد بن يحيى أبو بكر = الصولي

محمد بن يحيى بن حبان ٢٧٢

محمد بن يوسف أبو عمر القاصي ٣٢،

١٧٥، ١١٥، ١١٤، ١٠١، ٣٣

٣٤٨، ٢٥٦

محمود بن صالح ٢٨١، ٣٤

ابن محمود كاتب بن أبي الساج ١١٦

الختار « بن أبي عبيد » ٢٤٨

الخلدي = الحسين الخادم

محمد بن عبد الله بن رشيد = ابن رشيد

١٩١، ١٩٠، ١٨٩

محمد بن عبد الله الشافعي ٢٤٥

محمد بن عبد الله الفارقي ١٧٣

محمد بن عبدوس = الجهشياري

محمد بن عبدون ١٠١، ٣٢، ٣١، ٢٩،

١٥٣-١٥٧، ١٨٥، ١٩١، ١٩٩،

٢٠٠، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٦،

٢٨٦، ٢٨٧، ٣٩٠

محمد بن عبد الوهاب ٢٠٧

محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي

٢٣٣

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

١٠٨، ٦٥، ٤٠، ٣٧، ٣٥، ٣٤،

١٢٤، ١٥٧، ١٦٤، ٢٨٤، ترجمة،

٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٥٠،

٣٦٧، ٣٧٧، ٣٨١

محمد بن علي = البزوفري ٤١، ٤٠،

٤٢، ٤٩، ١٩٤، ١٩٥، ٣٢٨

محمد بن علي بن خلف = فخر الملك

محمد بن علي المادرائي ٤٨، ٥٢، ٩٩،

١٠٧، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٩٤،

٣٧٥

المعتمد على الله ٢٨٤، ٢٧٠، ٨٢
 معز الدولة ٣٩٦-٣٩٢، ٣٥٨
 أبو معشر الفلكي ١٨١، ١٨٠
 مفلح الأسود ٦٠، ٥٩، ٥٥، ٤٣، ٤١
 ٢٣٧، ٢٣٥، ١٩٧، ١٧٣، ٧٥، ٦٧
 ٢٦٥
 مقبل الخادم ١٥٩
 المقتدر بالله « جعفر » ٤٧، ٤٣-٢٨
 ٨١-٧٥، ٧٢-٦٨، ٦٤-٥٠
 ٩٣-٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١١
 ١١٨، ١١٩، ١٢٨، ١٣١-١٣٤
 ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٥٤-١٥٨
 ١٦٨، ١٧٢، ١٩٧، ٢١٥، ٢٢٥
 ٢٣١، ٢٣٥، ٢٦٢-٢٦٨، ٢٨٤-
 ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣-٣١٣، ٣١٧
 ٢١٨، ٣٢١-٣٢٧، ٣٣٥، ٣٣٦
 ٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤
 ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤
 ٣٧٦، ٣٧٩-٣٨٢، ٣٥٤، ٣٩٧
 المقتفي = الحسن بن محمد بن الحسن
 الجوهري
 المقدام بن معدى كرب ٢٧٢
 المقدمي ٢٢٤

مرشد الخادم ١٠٩
 مروان بن محمد الخليفة ٢٤٩
 المري ٢٣٩
 مريب خادم الحسن ١٧٩
 المستعين ٢٥
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
 المسمى ٣٣٨، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣
 أبو مسلم الخراساني ٢٤٩
 ابن المشرف الذارع المهندس ٢٣٩
 ٣٦٥
 المصري « محمد بن يعقوب » ١٤٠
 المطيع لله ٣٥٩
 المظفر بن المبارك القمي = ابن المبارك
 ١٨٨
 معاوية بن أبي سفيان ٢٤٨
 معاوية بن صالح ٢٧٢
 ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
 المعتضد « أحمد » ٢٥-٢١، ١٨-١٢
 ٨٣، ٥٦، ٩٦، ٩٥، ١٠٩، ١١٩
 ١٣٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٥٨
 ١٧٢، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤
 ٢٠٦-٢١٠، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥١
 ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١-٢٧٥، ٢٨٠
 ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٤٠

ابن مقلة = أبو علي بن مقلة = محمد

ابن علي بن مقلة

المكتفي بالله ٢٩، ٥٦، ٨٠، ١٣٠،

١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤،

١٥٨، ١٦٢، ١٧٢، ٢١٠، ٢٤٩—

٢٥٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٣٠٨،

٣٨٧، ٣١٧

مكرم بن بكر ٣٥٤

المتنصر الخليفة ٢٤٩

المنصور الخليفة ٢٤٩

أبو منصور ١٣٧، ١٣٨

المهتدي بالله ٢٥، ٢٤٤

المهدي الخليفة ٣٦٨، ٣٦٩

موسى بن جعفر الكاظم ١٩٠

موسى بن خلف ٣٤، ٣٩، ١١٢، ١١٤،

١١٥، ١٣٨

موسى بن عيسى كاتب مؤنس ٢٩، ٣٠

أبو موسى زوج أم موسى ٣٠١

موسى بن قتادة أبو عمران ٣٩٦

أم موسى القهرمانة ١١٨، ١١٩، ١٧٥،

٢٨٩—٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١،

٣٠٩، ٣١٠، ٣٨٠، ٣٨٢

الوفيق ٤٤، ٨٢، ٢٤٩

مؤنس ٩٨

مؤنس الخادم المظفر ٢١، ٢٧، ٢٨،

٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٩، ٥٤، ٥٧—

٦٢، ٦٥، ٧٢، ١٣٢، ١٥٨، ١٦٦،

١٧٢، ١٧٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠،

٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٣٣—

٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٧٤،

٣٧٧، ٣٨٠

مؤنس الخازن ٣٠، ١٥٦

مؤنس بن عبد الكريم ٨٠

مؤنس الورقاني ١٦٠

ميمون بن إبراهيم أبو القاسم ٢٠٣،

٢٠٤، ٢٥٠

ميمون الخازن صاحب بيت المال ٧٦،

٩١، ٣٠٨

(ن)

نازوك ٤٢، ٥٧، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٧١،

١٥٦، ١٧٣، ١٨٢، ٣١١، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٣٦

الناصر ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٥٦،

١٠٩

ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان ٣٨٦،

٣٩٦

ناقد خادم الحسن بن مخلد ٨٩، ٩٠،

نجاح بن سلمة ١١٠

نصر بن الفتح كاتب مؤنس ٣٠٠

نصر القشورى = نصر الحاجب

نصير بن على ٣٣٨، ٢٤٧

النعمان ١٣٩

النعمان بن عبد الله أبو المنذر ٤٩، ٤٨

٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٧

نعمة الكاتبة ٣٢٦

النهيكي ٨٧

النوبختي ٤١

أبو نوح بن جبير = ابن جبير عيسى

٨٢، ٣٤

النوشجاني ٢٣، ٩٥، ٩٦

(٥)

هارون بن إبراهيم الكاتب ٣٨٧، ١٤٤

هارون بن أحمد بن هارون ٢٤٧

هارون الشاري ٣٠٧، ٣٥

هارون بن عمران ٣٨، ٩٠، ٩١، ٩٣

١٤٠، ١٤١، ١٧٧، ٣٣٢

هارون بن غريب الخال ٦٢، ٦٣

٦٥، ٦٨، ٧٠، ١٧٣، ٣٣٤

٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٢

ابن هاني الكوفي = على بن عبد الرحمن

ابن هبتي القناني = إسحاق بن على ١٤٠

أبو هريرة ٢٧٢

نبح ٨٢، ٨٣

نبح بن رسم ٢٣٠

نبح الطولوني ١٧٣

نحير العمري ٥٧، ٢٠٠

نذير الحرمي ١١٦، ٢٩١

النرسي = عبيد الله بن الحسن

النرسي كاتب الطائي ١١٩

نزار بن محمد ١١٦، ١١٧، ٢٣٢

نزهة الملقمة ٢٣٣

نسيم الخادم أبو الهواء ١٤١، ١٤٣،

٣٣٦

نصر بن أحمد صاحب خراسان ١٧٢

نصر الحاجب = نصر القشورى ٣٦

٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٤-٦١

٦٤-٦٧، ٧٢، ١٠٣، ١٠٦

١١٠، ١١٦، ١٧٣، ٢٣١، ٢٦٤

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٧، ٣٢٠

٣٢٣، ٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٧، ٣٨٠

أبو نصر بن أبي الحسين ٣٥٠

نصر بن على ١٨٧

نصر بن على الطيب أبو سهل ٢٦٥

أبو نصر بن على بن عيسى «إبراهيم» =

٣٩٢، ٣٩٣

(ى)

أبوياسر ٢٨٣ وانظر إسحاق بن أحمد
أبوياسر الجرجاني ٣٧٢

ياقوت ٥٨ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٣٢٤ ،

٣٣٦

يحيى بن إبراهيم المالكي أبو عيسى
٢٨٨ ، ٣٠٢

يحيى الدقيق = يحيى بن عبدالله الدقيق

يحيى بن عبدالله بن إسحاق ٢٤٧

يحيى بن عبدالله الدقيق أبو زكريا ٦٠ ،

١٩٦

يحيى بن علي المنجم ٢٤١ ، ٢٥٢

يحيى بن محمد بن فهد ٧٣

أبو يحيى بن مكرم = مكرم بن بكر

أبو يعقوب = أبو يعقوب بن هبتي

يعقوب بن اصطفتي = اصطفتي بن

يعقوب ١٥٨

يعقوب بن عتبة ٢٧٢

أبو يعقوب بن هبتي القناني ١٧٨ ،

١٧٩

أبو يعقوب بن يوسف بن الأرزق

٣٧٦

ابن هشام = علي بن هشام ٦٠

هشام بن عبدالله ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ،

١٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٢٥ ،

٣٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ -

هلال بن بدر ٥٨ ، ٦٠

أبو الهواء = نسيم الخادم

أبو الهيثم بن ثوبة = العباس بن محمد

بن ثوبة ٣٠٦

أبو الهيجاء بن حمدان = عبدالله بن

حمدان

(و)

الواثق ٢٥

واسع بن حبان ٢٧٢

وراد من الجلساء ٢٤

وزير الإسكافي = محمد بن زكريا

وصيف « في شعر » ٢٤١

وصيف البكتري ١٧٣

وصيف بن صوارتكين ١٠١ ، ٢٥٦ ،

وصيف كاه ٣٦٦

وكيع القاضي ٣٦٩

يوسف بن ديوداذ = ابن أبي الساج

٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٢٩ ، ٩٩

يوسف بن فنحاس ، ١٧٧ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٩٠

١٩٨

يوسف بن يعقوب ، ٢٦٩ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٦

٢٧٠

يليق ٣٠٥ ، ٢٨٧ ، ٧٠ ، ٦٠ ، ٣٤

يمن الكبير ٢٥٦ ، ١٠١

يوسف بن داود = ابن أبي الساج =

يوسف بن ديوداذ

يوسف بن أبي الساج = ابن أبي

الساج



فهرس الأماكن والبلدان

(١)

آمد ١٦٥،٤٨

الأبلة ٤٧

أبر ١٧٣

الأجتن ٢٥٧

أجمة هوانا ٢٦٦

أجناد الشام ٢٠٨،١٧٣،١٠٦،٩٥

الأحمدى ٢٥٠

أذربيجان ١٩٨،١٧٣،١٩

الأربعيني ١٧

أرجاء عبد الملك ٢٣٩

أردبيل ١١٦،١١٥،١٤٤

أرمينية ١٩٨،١٧٣،٥٤

أسكاف بنى الجنيد ٢٨٢

الإسكندرية ٣٨٠،٢٠٨

أبو الأسود « بنق » ٢٨٠

أصبهان = أصفهان ١٢٤، ١١٤

٢٩٥، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٣

٣٦٧، ٣٣٨، ٢٩٧، ٢٩٦

أفريقية ٣١٥

الأنبار ٣٤١، ٣٣٦، ٢٨٣، ٢٨١، ١٨

٣٤٢

أنطاكية ٣٥٤، ١٧٣

الأهواز ٩٢، ٥٣، ٤٩، ٤٧، ٣١، ٢٩

١٨٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٥٧

٢٩٥، ٢٨٢، ٢٠٢، ١٩٨، ١٩٧

٣٦٧، ٣٦٢، ٣٤٥، ٣١٥، ٢٩٦

٣٨٣

أيدج ١٧٤

الإيفاران ١٧٣

إيفاريقطين ٢٨٠، ٢٢٥، ٤٩

(ب)

باب الأبواب ٢٣٩

باب البستان ٣٣٦، ٣١١

باب خراسان ٢٦٤

باب السهميين ١٥٩

باب الشماسية ٣٩٣، ٨١، ٦٠

باب العامة ٣٤٣، ٣٠٩، ٣١

٢٩٦، ٣١٠، ٣٢٩، ٣٣٦، ٣٥٠،

٣٥٨، ٣٨٦، ٣٩٢

بلد ٤٧

البندنيجين ١٨٧

البنيان ١٧٤

بهرسير ٤٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٨٠،

بيت الدم ٢٣٢

بيت الدمشقي ٢٣٠

بيت المقدس ٣٥٥

بيروز ٣٥٩

(ت)

تستر ٣٤٥

تهامة ٣٩١

التيز ١٧٤

(ث)

ثبير ٢٢٢

الثريا ٢٠٤، ٢٠٦

الثغر ٣٥٤

الثغور ١٤٧، ١٧٥

الثغور الجزرية ١٧٣

الثغور الشامية ١٧٣

(ج)

جازر ٧٦

باب الكناس ٢٨٨، ٥٨

باب المحرم ٢٨

بابل ١٨٩

بالي صريفين ١١

بادوريا ٨٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١،

٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤

باروسما الأسفل ١٤

باروسما الأعلى ١٤، ٢٧٨

براز ٨٦

براز الروز ١٨٧

البرت ٢٨٣

بركة السباع ١٧

بزبدى ١٧٢، ٢٨٦

بزرجابور ٢٠٢

البستان الزاهر ٣٩١

اليصرة ١٦، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٧، ٥٠،

٨٢، ١١٤، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٥،

١٨٥، ١٨٦، ٢٠٨، ٣١٣، ٣٤٤

بصنى ٣٥٩

بغداد = مدينة السلام ١٨، ٢٠، ٢٥،

٣٧، ٣٩، ٤٢، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٧٣،

٩٥، ١١٤، ١١٧، ١٤٨، ١٥٩،

١٦٠، ١٦٢، ١٧١، ٢٠١، ٢٥٢،

٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩١،

(خ)

خانيجار ١٨

خراسان ١٨٧، ١٧٢، ١٢٠، ١٨، ١٥

٣٤٤، ٣٣٢، ٣٣٨، ٢٥٨، ٢٠٨، ١٩٠

٣٦٥

الخز ٢٣٩

خطرية ١٨٩

خندق طاهر ٣٥٨

خير ٢٤٨، ٧٨

(د)

دار ابجد ٨٣

دار إبراهيم بن سليمان ٢٨

دار الأزج ١٧

دار بدر اللاني ٢٩

دار البستان ١٩٩

دار البطيخ ١٧٦

دار البلاط ٣٥٧

دار الحجة ٢٩٤

دار الحجر ٢٦٤

الدار الحسنية ١٧

دار سليمان بن وهب ١٩٩، ٣٦، ٢٨

٣٠٦، ٢٣٠، ٢١٤

الجامدة ٤٠

الجيل ٢٠٧، ١٧٧، ١٧٦، ١٤٨، ٨٣

٢٨٤، ٢٠٨

جدة ٣١١

الجراحية ٣١١

جرجا ٢٩٦، ٢٨٣

جسر قارون ٣٤٦

جسر منبج ٣٣٦

جعدة ولعلها جعدة ١٣٩

جلولا ٣٣٨

جنبلاء ١٢٢

جندة لعلها تصويب جعدة ١٣٩

جند يسابور ٣٤٥

جوخى ١٧٤، ١٥

الجيزة ٣٨٠

(ح)

الحاجر ١٦٠

الحرمان ٣١١، ١٩٨

حصن مهدى ٣١٠

حلب ٥١

الحلبة ٢٥٨

حلوان ٢٨٦

الحناطين ٣١١

الذبيان « ولعلها الزابات » : الزاب

الأسفل والأعلى ١٥

(ر)

الراذنان ١٥١، ١٥

ربض حميد ٢٣٢

الرجبة ٣٣٦، ١٧٤

الرصافة « قصر الرصافة » ٢٥

الرقعة ٣٣٣، ١٤١، ٦٨، ٦١، ٥٤، ٥٣

٣٨٩، ٣٤١

روذستان ١٢٣، ١٢٢

الرومقان ٢٨٠، ٢٢٥، ٤٩

الري ٩٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦،

٢٢٩، ١٧٧

(ز)

الزاب الأسفل ٣٣٨

الزاب الأعلى ١٤٩

الزابات ٢٧٧

زازان ١٨

الزبيدية ٣٧٨

الزوموم ١٧٤

زنجان ١٧٣

(س)

الساج « مشرعة الساج » ١٥٧

دار صاعد بن مخلد ٢٨٥

دار الصلاة ٢٦٤

دار ابن طاهر ١٣٢، ٩٦

دار عبيد الله بن القاسم ٣١٢

دار فتح القلانسي ١٣٧

دار القطن ١٧٦

دجلة ١٥، ٢٨، ٦١، ٧١، ٨٠، ١٣٩،

٢٦٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٣٠٢،

٣٩١، ٣٣١، ٣١٢

درب أبي سورة ٢٣٢

دستيسان ١١٨

دقوقا ١٨

دليل النصراني ٣٢٢

دمشق ٣٣٦، ٣٣٥، ٥١

الدمشق « بيت » ٢٣٠

دما « قنطرة دما » ٢٧٨

ديار ربيعة ١٧٣، ٨١، ١٧٥، ٢٠٨،

٣١٠، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٦٣،

ديار مضر ٢٠٨، ١٧٣، ٥٣

دير قتي ٣٠٥

(ذ)

ذوطلوح ٢٤٣ في شعر

السيان ٢٥٨
 السيب الأسفل ١٢٢
 السيب الأعلى ١٨٣ ، ١٨٤
 (ش)
 شارع عمرو بن مسعدة ١٦٢
 شارع للماديان ٢٣٦
 الشام ٥١ ، ٥٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،
 ١٠٧ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
 ٢٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ،
 ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣٣٥
 الشعبي ١٨٦
 الشمسية ٢٢
 (ص)
 الصافية ١٥٢
 الصحن التسعيني ٥٩
 الصحن الحسيني «وكتب خطأ الحسيني»
 ١٧
 الصحن السبعيني ٣٨٩
 صفين ٢٤٨ ، ٢٢٤
 الصلح ٣٦٤ ، ٢٩٥ ، ٤٠
 صنعاء ٣٣٧ ، ٣٣٣
 الصين ٢٠٨

السارية ٢٧٨
 السيني ٣١٢
 سبستان ٢٠٨
 سرمن رأى ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ٢١٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٤
 سكة الحوض ٢٣٣ ، ٢٣٢
 السند ٢٠٨
 السواد ١٣ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،
 ١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣١٠ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥
 السوس ٣٤٥
 سوق بحر بالأهواز ٣١٠
 سوق الثلاثاء ٣٣٦
 سوق الرقيق ١٧٦
 سوق السلاح ١٢٤
 سوق الطعام ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 سوق العطش ٢٨ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٦٩ ،
 ٢١٩
 سوق الفم ١٧٦
 سوق المسك ٢٦٦
 سويقة أبي الورد ٣٢٢

(ط)

طبرستان ١١٤

طريق خراسان ١٥ ، ١٨ ، ١٨٧ ،

٢٥٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٤

طوس ١٦٠

الطيب ١٧٤

(ع)

عبادان ٨٤ ، ٣٥٩

العباسية ٣١١

العروضي ٢٣٢

عمان ١٧٣ ، ١٩٨

العواصم ١٧٣

(ف)

فارس ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٩٥ ،

١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٩ ،

٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،

٣٧٠ ، ٣٧١

القرات ١٥ ، ٧١ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ،

٢٧٩ ، ٣٣٦ ، ٣٨٦

فرج بيت الذهب ٢٠٨

الفردييات ٢٠٢

القيوم ٣٨٠

(ق)

القاطول ٢٥٢

قردى ١٧٣ ، ٢٨٦

قربوب ١٧٤

قزوين ١١٤ ، ١٧٣

قسنطينية ٣٥٥ ، ٣٥٦

القصر ١٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

قصر أم حبيب ٢٥

قصر الرصافة ٢٥

قصر الطين ٢٢

قصر ابن هبيرة ٢٥٤

قطر بل ٨١ ، ٣٤٥

القنندهار ٢٠٨

قنسرين ١٠٦ ، ١٧٣

قنطرة دما ٢٧٨

(ك)

كحلة ٢٨١

الكرخ ٦٤ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ٢٨١ ،

٣٦١

كرمان ٥١ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،

٣١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٠

كسكر ١٥ ، ٣٧ ، ٢٥٧ ، ٣٤٤

٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧

٣٨١ ، ٣٨٠

المشوق ٢٨٤

مقابر الخيزران ٣٠١

مكران ١٧٤

مكة ١٦ ، ٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٩١

المنارة ٤٧

مهرجا نقذف ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

الموصل ٤٨ ، ٩٤ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ،

٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٣٠

(ن)

نصيبين ١٧٩

نهاوند ٣٤٥

نهر بوق ١٥ ، ٣٢٨

نهر بين ١٥ ، ٢٥٨

نهر جوبر ١٠٥

نهر درقيط ١٦٦ ، ٢٨٣

نهر الرفيل ٢٨٠

كلواذى ١٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥

كوفى ٨٢ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ، ٢٨٣

الكوفة ١٤ ، ١٨ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ١٥٧ ،

١٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ،

٣٨٦ ، ٣٤٥

(م)

ما بان « بستان » ٢٩٦

ما سبذان ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

ماه البصرة ٨٢ ، ١٧٣

ماه الكوفة ١٧٣ ، ٢٨٦

المبارك ٤٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٤

الحرم ٦٣ ، ١٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨

المدائن ٤٢ ، ١١٣

مدينة السلام = بغداد

المدينة العتيقة ٧٦

المسرقان ١٨٨

مشرة الساج ٥٧

مشرة القصب ٣٠١ ، ٣٣١

مصر ١٦ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٣١٤ ،

٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،

هيت ١٧٤ ، ٣٣٦

(و)

واسط ١٥ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٩ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ،

٣٢٧ ، ٣٦٥ ، ٣٨٦

الولدى ١٨٦

(ى)

يقطين « إيفار يقطين » ٤٩

اليمين ١٧٤ ، ٣٣٥

اليوسقية ٣١١

نهر السدرة ٣١٠

نهر الملك ٢٨٠

نهر الموفقى ٢٥

النهر وان الأعلى ١١

النهر وانات ٣٣٨ ، ٣٧٢

النيل ٣٠١

(هـ)

الخبير ٥٧

هرمز جرد ١٢٢ ، ١٢٣

هذفن ١٧٣

هينيا ٢٨٣

المند ٢٠٨

هوانا « أجة هوانا » ٢٦٦



المناصب والأعمال والحرف التي كانت تجري عليها المراتب
« ذكر لكل منها رقم على سبيل المثال »

البوابون ٢٧	أزمة الدواوين ٢٩٥
البوقيون ١٩	الأسا كفة ٢٢
بيت مال الخاصة ١٤١	الإسقاطيون ٢٢
بيت مال العامة ٢٠٨	أصحاب الأخبار ١٩
التفاريق ٢٢	أصحاب الأرباع ٢٠
الجشارون ٢٦	أصحاب أسواق الرقيق ١٧٦
الجلساء ٢٤	أصحاب الأعلام ١٩
الحدادون ٢٢	أصحاب الحراب ٢٤
الحرس ١٩	أصحاب الشباك ٢٤
الحالون ٢٣	أصحاب الطوق ٢٠
خازن الديوان ١٨٤	أصحاب العيار ١٧٦
خازن الشمع ٢٣	أصحاب المصاف يباب العامة ١٥
خازن القرش ٢٣	أصحاب المرور ٢٤
الخبازون ٢٧	أصحاب المظالم ١٧٦
الخدم الأستاذون ١٧	أصحاب المواريث ١٧٦
الخراطون ٢٢	أصحاب النوبة ١٥
الخطباء ٢٥	أصول الدواوين ٢٩٥
خلفاء الحجاب ٢٦٧	الأئمة ٢٦
الخياطون ٢٢	البازاريون ٢٢

ديوان المشرق ٤٤	ديوان الأزمّة ٨٩
ديوان المغرب ٥١	ديوان الإشراف ٢٨٤
ديوان النفقات ١٤٠	ديوان الإعطاء ٢٦
الذّراع ١٧٧	ديوان الإنشاء ٢٨٤
الرفاءون ٢٢	ديوان البرّ ٣١٦
زمام الخراج ٢٨٤	ديوان البريد ١٧٧
زمام الضياع السلطانية ٢٨٤	ديوان بيت المال ٨٩
زمام النفقات ٣٨٠	ديوان التوقيع ٨٩
السّباعون ٢٤	ديوان الجيش ٦٧
السّجانون ٢٠	ديوان الخاتم ١٩٨
السّقاءون ٢١	ديوان الخاصة ٣٣
الشرطة ٢٠	ديوان الخاصة والمستحدثة ٣٤٠
صاحب الدّواة ٢٦٤	ديوان الخراج ٨٧
الصّاعة ٢٢	ديوان الخرائط = ديوان البريد ١٧٧،
الصّقارون ٢٤	١٧٨
الصّيادون ٢٤	ديوان الدار ١٤٨
الطبّالون ١٩	ديوان الدار الكبير ٢٨٥
عامل الجوالى ١٧٦	ديوان السّواد ٣٧
عامل دار البطيخ والقطن ١٧٦	ديوان الضياع ٤٨
عامل سوق الغنم ١٧٦	ديوان ضياع الخاصة ٣٠٠
عامل المستغلات بالحضرة ١٧٦	ديوان القص والخاتم ١٩٨
العرض على الخليفة ٢٨٥	ديوان المرافق ٣٧

مجلس التفرة ٢٦
مجلس الجماعة ١٨٤
مجلس السودان ١٨٤
مجلس العامة ٣٣
مجلس المقابلة ١١٧
المجلسيون ٢٣
المختصة ١٧٦
المخرفون ١٩
المدير ٢٢٠
المستحثون ١٧٧
المشارف ١٤
المشهورون ٢٢
المضحكون ١٩
المطالبون ١٧٦
المطبخيون ٢٣
المطرزون ٢٢
المكثرون ٢٦
الملاحون ٢٤
الملهون ٢٤
المنفقون في الإعطاء ١٧٧
المهندسون ١٧٧
المؤذنون ٢٦
النجادون ٢٢
النجادون ٢٢
الوراقون ٢٢

المطارون ٢٢
عمال الخراج ٦٧
عمال المعاون ٦٧
العلمان الخاصة ١٦
الفحّالون ٢٤
الفراشون ٢٣
الفرّاءون ٢٢
الفرّاهيون ٢٩
الفرسان ١٧
الفتجاميون «ولعلمهم أصحاب البنج» ١٩
أو لعلمهم نسبة إلى بنكام ومعناها
ما يقدر به الساعة النجومية ويراد
بهم الذين يحسبون الساعات
الفتهادون ٢٤
القرّاء ١٩
القصارون ٢٢
كاتب سر الوزير ١٣٥
الكتاب ٢٦
الكحالون ٢٧
الكلّابون ٢٤
المثانون ٢٧
الماصرون ٢٠
المتطبيون ٢٤
مجلس الأصل ١٨٤

تعريفات لبعض ما يرد من اصطلاحات وتعبيرات
« مشروحة من مفاتيح العلوم وصباح الأعشى والمغرب وشفاء الغليل
وكثير من الألفاظ شرحت بالهوامش »

(أرج) : التأريج : النظام يعمل للعقد لعدة أبواب يُحتاج إلى علم جملها .
أوهو إثبات تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوقاً ليسهل عقده بالحساب ،
أوهو تفعيل من الأوراج بأن ينقل ما على إنسان ويثبت فيه ما يؤديه دفعة بعد أخرى
إلى أن يستوفي ماعليه .

(المؤامرة) : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع « الأرزاق »
ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك .

(بابه) : استعملت الكلمة مراداً بها معنى كلمة « شأنه » أو « أمره »
انظر مثلاً ص ١٣ : سأل الخليفة في بابه وص ٢٣٥ يسأله في بابه .

- (الجريب) : « مساحة » : ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً يكون تكسيروها
« أى مساحتها المربعة » ٣٦٠٠ مكسرة أى مربعة ، وهناك جريب مكيال ويختلف
عياره في البلدان .

(الجريدة) : دفتر أرزاق الجيش في الديوان .

(الجهبذ) : الذى يتولى قبض الأموال وصرفها ، سمي بعد ذلك الصيرفى .

(خشكناج) : دقيق الخنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز

أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز « قطايف » أو « بقلالة » وأهل الشام
يسمونه المكفن .

- (الدَّسْتُ) : صدر البيت واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .
- (دُهْقَان) : من معانيه رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم .
- (الرُّسْتاق) : يعنون به كل موضع فيه مزدرع وقرى ولا يقال ذلك المدن .
- (مرافق) : تعبير يراد به ما يشبه المصاريف السرية .
- (تريشت حاله) : أصلها من راش يرش : جمع المال والأثاث واغتنى .
- (تسيب) : أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجِه فيجمل وِرْدًا للعامل وإخراجًا إلى المرتزق .
- (أسبابه) : أسباب الرجل هم المتصلون به .
- (سفاتيچ) : جمع سفتجة أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه هناك فيستفيد من الطريق . وعرف أيضاً بأنه كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قراضاً يأمن به من خطر الطريق .
- (سُكْرُجَات) : جمع سُكْرُجَه قصاع صغار يؤكل فيها وقيل لها أيضاً أسكرجة .
- (تسويغات) : أن يسوِّغَ الرجل شيئاً من خراجه في السنة أى يعفى من بعض خراجه .
- (شك الورق) : استعمل في ما يشبه اللقعات .
- (الطبرزين) : وجمعه طبرزينات : فارسي تفسيره فأس السرج لأن فرسان المعجم تحمله معها يقاتلون به .
- (الطسوج) : الناحية كالقرية ونحوها .
- (الطَّسُق) : الوظيفة توضع على أصناف الزرع لكل جريب « ضريبة » .
- (الطمع) : العطاء جمعه أطماع ، والأطماع سميت الرِّزَقَات واحداً رَزَقَةً لأنها المرة الواحدة من الرِّزَق .

(العبرة) : ثبت الصدقات لكورة كورة ، وعبرة سائر الارتفاعات أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل ريعاً والسنة التي هي أكثر ريعاً ويجمعان ويؤخذ نصفهما فتلك العبرة « متوسط » بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض الواقعة .

(معناه) : خاطب الخليفة في معناه : أريد بهذا الاستعمال أنه خاطبه في شأنه .

(إغلاق الخراج) : الفراغ من جبايته .

(افتتاح الخراج) : البدء في تحصيله .

(الفرائق) : الحامل للخرايط « رسول »

(الفالج) : هو خمسا الكُرَّ المعدل . والكر المعدل ٦٠ قفيزا

(فنجاميون) : لعل الكلمة مأخوذة من بنكام ومعناها ما يقدر به الساعة

النجومية ويراد بالفنجامين الذين يحسبون الساعات . أولعها نسبة إلى البنج ويراد بهم أصحاب البنج .

(القيج) : رسول السلطان على رجليه وجمعه فيوج .

(إقطاعات . قطعة قطائع) : الإقطاع أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له

رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحلتها قطعة .

(القفيز) : « في المساحة » عُشر جريب = ٣٦٠ ذراعاً مكسرة أى مربعة

وهناك قفيز في المكيال والميزان = ٢٥ رطلاً بغدادياً .

(الكر) : منه كُرٌّ هاروني ، وكر أهوازي وكر هاشمي . وهذه الثلاثة ثلث

الكر المعدل والكر المعدل = ٦٠ قفيزاً .

(انكسار المال) : عدم الطمع في استخراج لثينة أهله أو موتهم أو نحو ذلك .

وكسر الخراج ونحوه : جعله لا يطمع في استخراج .

(التكسير) : هو « التريع » يقال الذراع المكسرة وهي أن يكون مقدار

طولها ذراعاً وعرضها ذراعاً ويقال هذه الأرض تكسيرها كذا أى مساحتها المربعة .

(الإلجاء والتلجئة) : أن يحمل الإنسان ماله لبعض ورثته دون بعض كأنه يتصدق به عليه وهو وارثه .

(ماء الهواء) أريد به الماء الطبيعي الذي لم يثلج .

(ماء البصرة) : ماء معناه بلوماء البصرة يراد به نهاوند أو نهاوند وهذان وقم .

(ماء الكوفة) : هو الدينور .

(إيفار) : الإيفار هو الحماية وذلك أن تحمي الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل .

ويوضع عليها شيء يؤدي في السنة لبيت المال في الحضرة أو في بعض النواحي .

(المستوفى) : الذي يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله .



أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

لقد بذل الأستاذ ميخائيل عواد جهداً مشكوراً في البحث عن النصوص المنقولة من مؤلف الصابي في الوزراء واستطاع أن يجمع عدة أخبار خاصة ببعض الوزراء.

١ - عن أبي محمد الحسن بن محمد المهلب عشرة أخبار .

تسعة منها عن معجم الأدباء ج ١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ج ٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٢ ج ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

والعاشر من خطط المقرئ ج ٢ ، ٤٤ وصبح الأعشى ج ١٣ ، ٥٩

٢ - عن أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد خمسة أخبار .

اثنان من معجم الأدباء ج ٥ ص ٩ ، ج ٦ ص ٧٣ واثنان من وفيات الأعيان
ج ٢ ص ٨٦ وواحد من بدائع البدائنه ص ٥٣

٣ - عن أبي الفتح بن العميد « على بن محمد بن الحسين » خبران

وهما من معجم الأدباء ج ٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

٤ - عن إسماعيل بن عباد سبعة أخبار :

ستة من معجم الأدباء ج ١ ، ٦٩ و ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨
وكذلك ٣٣٨

وواحد من بدائع البدائنه ١٩٩

٥ - عن فجر الملك أبي غالب محمد بن علي بن خلف :

- خير من معجم الأدباء ج ١ ص ٢٣٥
وخبر آخر في الاستدراك نقلا عن النجوم الزاهرة ج ٤، ٢٥٧
وخبر ثالث في الاستدراك أطلعه عليه الأستاذ الحق الدكتور مصطفى جواد من
كتاب معجم الألقاب ٢٦٥
٦ - عن أبي القاسم المطهر بن عبد الله خيران :
من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٢٩، ٣٣٢
٧ - عن ابن مقلة أبي علي محمد بن علي خبر واحد :
من معجم الأدباء ج ٥، ٢٢٤
٨ - عن أبي الريان حامد بن محمد الوزير خبر واحد
من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٣٥
٩ - عن أبي طاهر محمد بن بقية خبر واحد :
من معجم الأدباء ج ١، ٣٤٣
١٠ - عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوبة
من معجم الأدباء ج ٢، ٤٠٤
١١ - عن علي بن عيسى خبر واحد :
من الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٠ طبعة قسطاكي .
١٢ - عن الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن إسماعيل الإسكافي خبر واحد أطلعه
عليه الأستاذ الحق الدكتور مصطفى جواد .
من معجم الألقاب لابن الفوطي ص ١٣٤ نسخة الدكتور مصطفى جواد .
١٣ - عن أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي خبر واحد :
نقله الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ ابن النجار .
١٤ - عن عميد الأمة أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين الفارسي خبر واحد :
أطلعه عليه الدكتور مصطفى جواد من معجم الألقاب لابن الفوطي .

نصريب

صفحة	سطر	المطأ	الصواب
١٧	١٠	الحسنى	الحسينى
٣٣	٨	عمه	أخيه
٣٣	١١	وأطعمه	وأطعمه
٣٨	١٦	الجملة	الجملة
٤٠	١٣	المبارك	المبارك
٥٣	٥	من مقامك ، عندى	من مقامك عندى ،
٥٨	٦	وأمرها	وأمرها
٧٣	١	وللزنجى صاحب دواة فيقرأ	وللزنجى صاحب دواة يقرأ
« ويلقى الهامش » ١			
٨٩	٦	المعتضد	المعتد
٩٢	١	خطها	خطها
٩٢	٢	سأرسيك	سأريك
٩٣	٨	مقامها	مقامها
٩٥	١١	وتتجبرت	وتجبرت
٩٦	٣	النوشجاني : فيه	النوشجاني فيه :
١٠٠	٤	ابن بسطام	ابن محمد بن بسطام
١١٢	٩	عل نفسك	على نفسك
١٤٠	٧	قاستزاد	قاستزاد
١٥٢	١٥	ابن الأصمغ	ابن أبى الأصمغ
١٥٩	١١	أبو الحسن	أبو الحسين

صفحة	سطر	المخطأ	الصواب
٢٨٨	٩	أبو الحسن	أبو الحسين. ويصوب أيضاً في ٢٨٩ س ٣،
			٢٩٠ س ١٢، ٢٩١ س ٨
٢٩٦	١٥	، من النكبة	من النكبة ،
٣٠٢	١٤	وإبراهيم	إبراهيم
٣٠٥	١٧	سكنه	سكنه
٣٢٧	١٩	التبلج	التبلج
٣٣٠	١٠	السود	السواد
٣٣٤	٨	الأنس	الإنس
٣٣٤	١٤	كانها	كانما
٣٣٧	٢	عبدالله	عبيدالله
٣٤٦	١	استحقاقات	استحقاقتك
٣٤٦	١	ما أجسُرُ	ما أجسُرُ
٣٥٢	١٥	عمل ، بعد عمل	عمل بعد عمل ،
٣٥٥	١٧	فعلتما	فعلتما
٣٦٠	١	فراسلنى يقول: هذا أبو محمد	فراسلنى - يقول هذا أبو محمد وكان
٣٦٥	١٦	أبو الحسن	أبو الحسين.

أهم المراجع

- ابن الأثير : مطبعة بولاق
تجارب الأمم : طبع مصر ١٩١٤
شفاء الغليل : المطبعة الوهبية ١٢٨٢
صبح الأعشى : دار الكتب
صلة عريب : ليدن سنة ١٨٩٧
الطبرى : بولاق
عيون الأنباء : المطبعة الوهبية ١٨٨٢
الفرج بعد الشدة : طبع مصر ١٣٥٧
الفهرست : ليزج ١٨٧٢
كشف الظنون : أسماء الكتب فيه مرتبة وأشرت إلى الموضع
معجم الأدباء : مطبعة هندية
معجم البلدان : أسماء البلدان مرتبة وأشرت إلى الموضع
المعرب : دار الكتب
مفاتيح العلوم : بريل ١٨٩٥
المنتظم : حيدر أباد
نزهة الألبا : طبعة حجر ١٢٩٤
نشوار المحاضرة : « جامع التواريخ ج ٨ طبع دمشق ١٩٣٠
وفيات الأعيان : له عدة طبعات وأشرت إلى صاحب الترجمة.

بعض الطرائف في الكتاب

- الاختلاف في كيفية العقل ٧
ضمان أحد الطائي وأقساطه ١٥
الأرزاق وطوائف المرتزقين ١٥
اختبار الجنود في الفروسية وعلامات درجاتهم ١٧
تحقيق الشخصية والأرقام السرية ١٨
عطلة يومى الجمعة والثلاثاء ٢٧
القبض على ابن الفرات ٦٠
القبض على المحسن ٦٣
مناظرة ابن الفرات ١٠٣، ٦٥
قتل ابن الفرات وابنه ٧١
لم سمى السواد سواداً ٧٨
المزین مع كسرى ١٢١
الحجّام مع الحجاج ١٢١
الحسين بن الجصاص ١٢٥
المشورة في بيعة المقتدر ١٤٣، ١٣٠
السبب في دفع ابن المَعز عن الخلافة ١٤٤، ١٣٠
تلون المقتدر ١٣٤
من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ١٣٧
الألقاب واستنكار المؤلف عليها ١٦٦ .
أول من بالغ في الألقاب ١٧٠

- مطبختا ابن الفرات وما كان يجري فيهما ٢١٥
سعيد بن الفرخان والمزين الكريم ٢٢٦
دفتر منسوب للحلاج اسمه آداب الوزارة ٢٣١
غدر ابن ماشاء الله وجزاؤه ٢٣٤
قاعدة فلسكية تنجيمية ٢٤٨
ما كتب به ابن الفرات عند توليه ٢٥٥
مائدة ونظامها وما عليها ٢٦١
المواريث والفتوى فيها ٢٦٨
ما كان يفرق في الأعياد ٢٨٩
الرسم في القبض على الوزراء ٢٩١
إفراد دار للوزير وأول من غير ذلك ٢٩١
حقائق الخاقاني ٣٠١
خواص البلدان ٣٤٤
الكتاب هم الذين يتولون الوزارات ٣٤٨
أسرى المسلمين وكيف خفف عنهم ٣٥٤
أبو محمد المهلبى وما فعله في فتنة العيارين ٣٥٨
سجع صرف عاملا ٣٦٢
رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة ٣٦٩
خبز البيت ينقذ من مطالبة ٣٧٦
مرتب الوزير في الشهر ٣٧٨
تقبيل رجل الوزير ٣٨٥
تاريخ ولادة بعض الوزراء ٣٩٠
على بن عيسى ومعز الدولة ٣٩٢
المشعبد ٣٩٧ - ٩٣٨